

العدد الخامس عشر / رمضان ١٤٢٤هـ / أكتوبر ٢٠٠٣م

الأحمدية

مجلة علمية دورية محكمة

تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث



قواعد النشر

تُعنى المجلة بنشر البحوث العلمية وتحقيق التراث وَفْق الأمور التالية:

١ - ألا يكون البحث منشوراً من قبل على أي صورة من صور النشر، ولا مرسلاً إلى جهة أخرى، ويُعدّ إرساله إلى المجلة تعهداً بذلك. وفي حال قبوله للنشر في المجلة لا يسمح للباحث بنشره في مكان آخر إلا بعد مرور سنة كاملة على تاريخ نشره فيها.

٢ - ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

٣ - ألا يتجاوز ستين صفحة.

٤ - أن يكون متسماً بالجَوْدة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه ومصادره، متوافقاً مع عنوانه، بعيداً عن الحشو، سليم اللغة، دقيق التوثيق والتخريج، مع الالتزام بعلامات الترقيم المتنوعة، وضبط المشكل، وأن يراعى فيه سائر المعايير العلمية.

٥ - أن يكون العزو إلى صفحات المصادر في الحاشية لا في الصُّلب.

٦ - أن ترقم حواشي كل صفحة على حدة.

٧ - أن يُقدَّم اسم الكتاب على اسم مؤلفه عند توثيق النصوص في الحواشي، وكذلك في ثبت المصادر والمراجع.

٨ - ألا يشار في الحواشي إلى المعلومات المتعلقة بطبعة الكتاب المحال إليه، إلا في حال اعتماد الباحث أكثر من طبعة للكتاب الواحد.

٩ - أن يراعى الابتداء بالتاريخ الهجري في كل ما يؤرخ.

١٠ - أن تكتب الأعلام الأجنبية أولاً بحروف عربية، ثم باللاتينية لمن أراد.

١١ - أن تثبت المصادر والمراجع مستوفاة في آخر البحث مرتبة على حروف المعجم.

١٢ - أن توضع النماذج المخطوطة والصور التوضيحية في المكان المناسب.

١٣ - أن يُقدِّم الباحث تعريفاً ببحثه محرراً تام التحرير في نحو مئة كلمة، ويفضل ترجمته إلى الإنكليزية.

١٤ - أن يُرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث.

١٥ - أن يكون البحث مطبوعاً أو مكتوباً بخط واضح، ومصححاً تصحيحاً كاملاً، وترسل النسخة الأصلية للمجلة.

١٦ - لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

١٧ - يُشعر أصحاب البحوث الواردة بوصولها إلى المجلة.

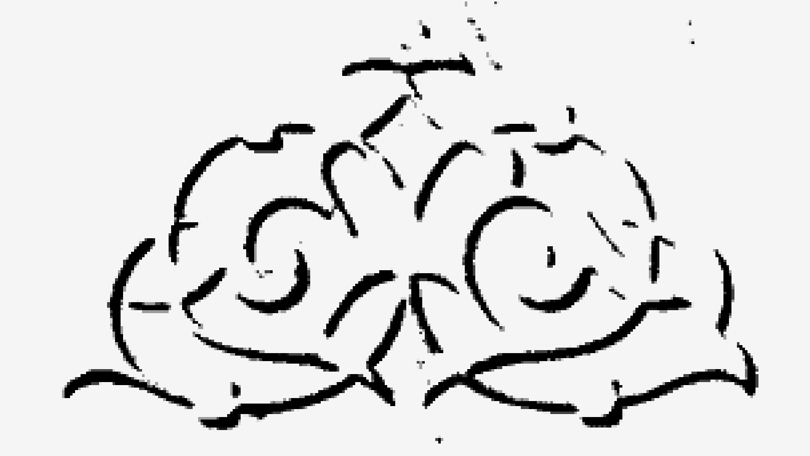
١٨ - يخضع ترتيب البحوث وتنسيقها في المجلة لاعتبارات فنية.

١٩ - يمنح صاحب البحث المنشور عشرين مستلة من بحثه، وثلاث نسخ من العدد الذي نُشر له فيه، إضافة إلى مكافأة مالية.

جميع المراسلات باسم مدير تحرير مجلة الأحمدية
دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث
ص.ب: ٢٥١٧٣ دبي - الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٣٤٥٦٨٠٨ - ناسوخ (فاكس): ٣٤٥٣٢٩٩
E-mail: ahmadiah@bhothdxb.org.ae

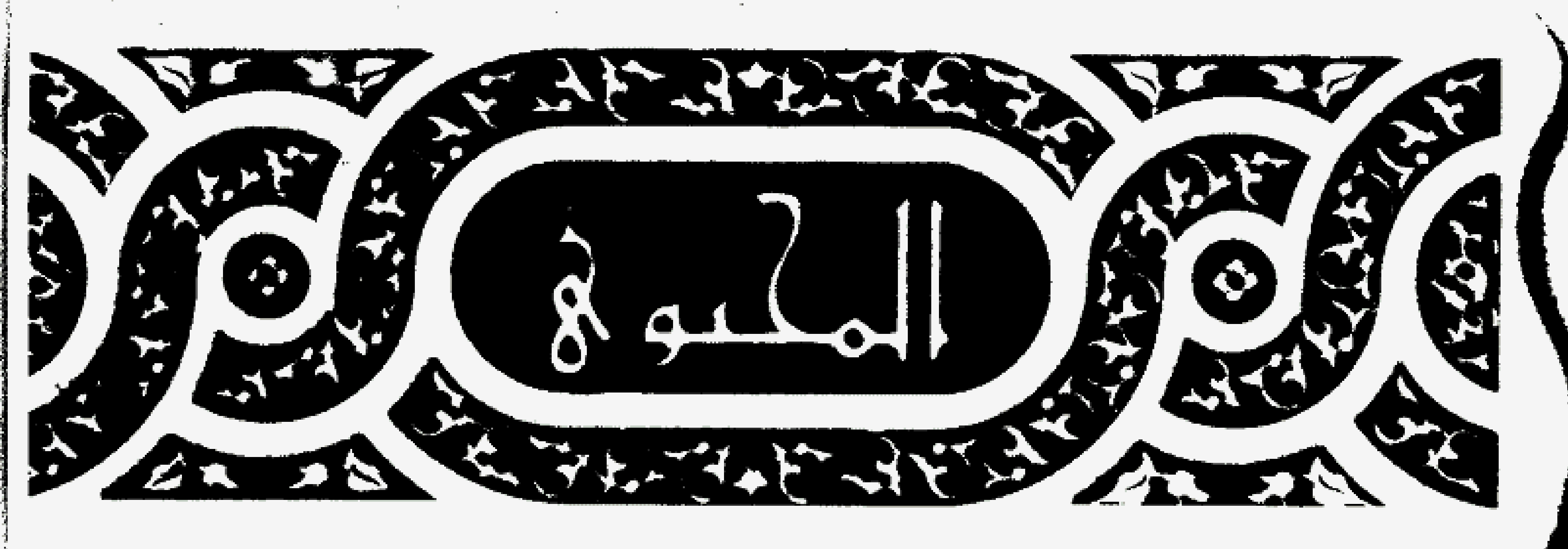
الموزعون المعتمدون

البلد	الموزع	هاتف	فاكس
الإمارات	دار الحكمة - دبي	هاتف: ٢٢٦٥٣٩٤	فاكس: ٢٦٦٩٨٢٧
البحرين	مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف	هاتف: ٢٩٤٠٠٠	فاكس: ٢٩٠٥٨٠
السعودية	المكتبة المكية - مكة المكرمة	هاتف: ٥٣٤٠٨٢٢	فاكس: ٥٣٤٠٨٢٢
قطر	دار العروبة للصحافة والطباعة	هاتف: ٢٥٦٠٠٢	فاكس: ٣٢٥٨٧٤
الكويت	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف	هاتف: ٢٤٣١٤٦٨	فاكس: ٢٤٦٠٩٥٣
الأردن	شركة وكالة التوزيع الأردنية	هاتف: ٤٦٣٠١٩١	فاكس: ٤٦٣٥١٥٢
مصر	مؤسسة الأهرام - القاهرة	هاتف: ٥٧٩٦٣٢٦	فاكس: ٥٧٨٦٠٢٣
المغرب	الشركة العربية الإفريقية للتوزيع	هاتف: ٢٤٩٢٠٠	فاكس: ٢٤٩٢١٤
لبنان	المؤسسة اللبنانية العربية للتوزيع	هاتف: ٧٤٢٩٩٣	فاكس: ٧٤١٦٥٢



سعر النسخة: الإمارات العربية المتحدة (١٠ دراهم)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت (٨٠٠ فلس)، قطر (١٠ ريالات)، البحرين (٨٠٠ فلس)، عُمان (٥٠٠ بيسة)، مصر (٤ جنيهات)، سورية (٥٠ ليرة)، لبنان (٢٠٠٠ ليرة)، الأردن (دينار واحد)، اليمن (٧٠ ريالاً)، السودان (٧٥ ديناراً)، المغرب (٢٠ درهماً)، الجزائر (٢٥ ديناراً)، تونس (دينار واحد)، موريتانيا (٢٥٠ أوقية)،
خارج الدول العربية (دولاران أمريكيان أو ما يعادلهما)

الاشتراكات السنوية: الإمارات العربية المتحدة (٣٠) درهماً. الدول العربية والإسلامية (ما يعادل ١٠٠ درهم إماراتي)
وما عداها (٤٥ دولاراً أمريكيا أو ما يعادلها).


المحتوى





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الهادي الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد : ففي رمضان يطيب الكلام على القرآن ، ففيه ابتدأ نزوله ، وسطع نوره ، وتدفقت بركاته، وعمت هباته .

والكلام على القرآن كلام طويل الفصول ، متشعب الأغراض ، متعدد الجوانب ، مختلف المنازع.

وأريد في هذه الافتتاحية أن أتحدث عن جانب من جوانب نشر معارفه ، وتعميم هداياته ، وبث روحه ، وإعلان أحكامه ، وصبغ الأمة بصبغته . ولقد كان لعلماء الأمة في هذه الميادين جولات مظفرة ، وقاموا بنشر معارف القرآن خير قيام ، كلُّ ذلك اقتداء بالنبي المبلغ الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله القرآن على قلبه ، ويسره بلسانه، وكلفه ببيانه قولاً وعملاً .

وقد تعددت وجوه نشر المعارف القرآنية ، فكان من ذلك تأليف الكتب ، والإملاء على الناس والتدريس ، وبيان المعاني والمباني من خلال المجالس العامة .

* فأما **تأليف الكتب** فقد بلغت المصنفات في التفسير للقرآن كله أو بعضه أعداداً كبيرة جداً، واستقصاؤها يطول كثيراً ، ومَنْ ألقى نظرة على كتب طبقات المفسرين ومعاجمهم، وكتب الفهارس والتراجم العامة والخاصة رأى من ذلك الكم الكبير .

* وأما **الإملاء** على الناس والتدريس (وفي هذا نوع خصوصية إذ يكون موجهاً إلى طبقة خاصة من المتعلمين والمحصلين) فهو كثير أيضاً ، ويذكر هنا الأخفش (ت بعد : ٢٠٧هـ) والفراء (ت : ٢٠٧ هـ) والزجاج (ت : ٣١١ هـ) الذين أملوا على طلابهم « معاني القرآن » ، والعالم الأديب عمر بن عثمان الجنزي (ت : ٥٥٠ هـ) الذي شرع في إملاء تفسيرٍ قيل عنه : **لو تمَّ لم يوجد مثله**.

كما يذكر هنا : قاضي قضاة الشام يونس بن بدران المصري الدمشقي (ت : ٦٢٣ هـ) الذي درس تفسير القرآن في المدرسة العادلية الكبيرة، فلما أكمل التفسير توفي عقب

ذلك . ومنهم العلامة بن عقيل النحوي (ت : ٧٦٩ هـ) فقد ولي درس التفسير بالجامع الطولوني في القاهرة بعد شيخه أبي حيان الأندلسي ، وختم به القرآن تفسيراً في مدة ثلاث وعشرين سنة ، ثم شرع في أول القرآن بعد ذلك ، فمات في أثناء ذلك .

* وأما **تفسير القرآن في المجالس العامة** ، مجالس الوعظ والتذكير ، والإرشاد والتبصير – وهو مقصودي الأول من هذه الافتتاحية – فقد كان للعلماء فيه جهود موفقة مشكورة، وأياد ناصعة مبرورة ، وعاد من ذلك على الأمة خير وفير ، ونفع كبير . وكانت هذه المجالس منارات هدي ، وإشعاع صلاح ، ومثابات توبة وإنابة .

وللعلماء في هذه المجالس طرائق فمنهم مَنْ يختار موضوعاً يشبعه كلاماً وتحقيقاً، ومنهم مَنْ يختار آية يفيض في الكشف عنها كما ذكر عن الإمام أبي عثمان الصابوني النيسابوري (ت : ٤٤٩ هـ) فقد أقام أشهراً في تفسير آية . ومنهم مَنْ يختار سورة أو سوراً وهكذا .

فأما مَنْ بدأ مِن أول القرآن وفسره في مجالسه على التوالي ، وختم القرآن كله ، أو استأثر الله به قبل الإتمام ، فقد وقفتُ على عدد منهم ، وأحب أنْ أذكرهم وأذكّرَ بهم هنا، وهم :

١ – الفقيه المفسر الحافظ الصوفي الواعظ عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي – نسبة إلى مدينة هراة في أفغانستان – (ت : ٤٨١ هـ) .

كان يفسر القرآن في مجلس التذكير ، فذكر أبو عبد الله الحسين بن محمد الهروي الكتبي في تاريخه أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتدأ في تفسير القرآن ، ففسره في مجالس التذكير سنة (٤٣٦ هـ) .

وفي سنة (٤٣٧ هـ) افتتح القرآن يفسره ثانياً في مجالس التذكير .

قلت : ويفهم من هذا أنه انتهى من تفسيره وبدأ بختمة ثانية .

قال المؤرخ الكتبي : « وكان الغالب على مجلسه القول في الشرع ، إلى أن بلغ إلى قوله عز وجل: ﴿ **والذين ءامنوا أشد حبا لله**﴾ (البقرة : ١٦٥) فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة ، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة ، وبنى عليها مجالس كثيرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى**﴾ [الأنبياء : ١٠١] بنى عليها ثلاثمائة وستين مجلساً .

فلما بلغ قوله تعالى : ﴿**يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار**﴾ [النور : ٤٣] كف بصره سنة (٤٧٣ هـ) .

ولما بلغ إلى قوله عليه الصلاة السلام : ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**﴾ [السجدة : ١٧] قال : « في كل اسم من أسماء الله تعالى سر خفي » ، وأخذ يفسر خفايا

الأسماء حتى بلغ « المميت » ، فأخرج من البلد في الفتنة الأخيرة (سنة ٤٧٨ هـ) .

فلما عاد سنة (٤٨٠ هـ) عقد المجلس على أمر جديد ، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى ، وأخذ يستعجل في التفسير ، ويفسر في مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها ، يريد أن يختم في حياته ، فلم يقدر له ذلك ، وتوفي وقد انتهى إلى قوله عز وجل : ﴿ **قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون** ﴾ [ص : ٦٧-٦٨] .

وقال محمد بن طاهر الحافظ : سمعت شيخنا الأنصاري يقول : إذا ذكرتُ التفسير فإنما أذكره من مئة وسبعة تفاسير .

٢- الإمام الحافظ الفقيه الأديب الخطيب الواعظ أبو بكر محمد بن أبي المظفر منصور السمعاني (ت : ٥١٠ هـ) .

قال ولده الإمام الحافظ أبو سعد : « من عجيب ما اتفق أن آخر مجلس أملاه كان افتتاحه بقوله ﷺ : « إن أمامكم عقبة كؤداً ، لا يجوزها المثقلون ، فأنا أحب أن أتخفف لتلك العقبة .

وكان قد وصل في التفسير الذي يذكره في مجلس الوعظ إلى قوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ [المائدة : ٣] .

وتوفي عقب ذلك ، ابنَ ثلاثٍ وأربعين سنة » .

٣- الإمام المفسر الحافظ الفقيه الواعظ الأكبر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت : ٥٩٧ هـ) .

وكانت له المجالس التي سارت بذكرها الركبان ، واتفق على الثناء عليها وعظم الانتفاع بها الخاص والعام ، وقد وفقه الله لتفسير القرآن في مجالسه وختمه ، وفي ذلك يقول في تاريخه « المنتظم » في حوادث سنة (٥٧٠ هـ) - وكان له فيها من العمر ستون سنة - : « وفي يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى : انتهى تفسيري للقرآن في المجلس على المنبر ، فإني كنت أذكر في كل مجلس منه آيات من أول الختمة على الترتيب ، إلى أن انتهى ، فسجدت على المنبر سجدة الشكر ، وقلت : ما عرفت أن واعظاً فسّر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن ، فالحمد لله المنعم .

ثم ابتدأت في أول ختمة ، وأنا أفسرها على الترتيب ، والله قادر على الإنعام بالإتمام والزيادة من فضله » .

وينتهي تاريخه هذا بسنة (٥٧٤ هـ) فلا ندري هل أتم هذه الختمة أو لا ؟ وإذا أتمها فمتى ؟ كما أنه لم يذكر كم استغرق التفسير الأول من الزمن لنقيس عليه ، وقد عاش الشيخ بعد هذا زمناً طويلاً : « ٢٨ » سنة إلا أنه قضى خمس سنوات منها منفياً إلى واسط .

أما قوله : « ما عرفت أن واعظاً فسر القرآن كله في مجلس الوعظ » ، فلعله لم يبلغه

ما نقل عن الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي . أو لم يصح عنده . وعلى أية حال فالأولية لأحدهما .

هذا، وقد أفاد من الإمام ابن الجوزي تلامذته وطلابه كما سيأتي معنا في المثالين الآتيين :

٤- الفقيه الواعظ المفسر محمد بن أبي القاسم الخضر الحراني ، شيخ حران وعالمها وخطيبها (ت : ٦٢٢ هـ) .

ولد في حران ، ورحل إلى بغداد طالباً للعلم ، ولازم أبا الفرج ابن الجوزي وسمع منه كثيراً من مصنفاته ، وقرأ عليه كتابه « زاد المسير في علم التفسير » قراءة بحثٍ وفهمٍ ... ورجع إلى بلده ، وجدَّ في الاشتغال ، ثم أخذ في التدريس والوعظ والتصنيف ، وشرع في إلقاء التفسير بكرة كلّ يوم بـ« حران » في سنة (٥٨٨ هـ) ، وواظب على ذلك حتى فسر القرآن خمس مرات، انتهى آخرها إلى سنة (٦١٠ هـ) ، وكان مجموع ذلك في ثلاث وعشرين سنة ، ذكر هذا في أول « تفسيره » الذي صنفه ... وله تصانيف كثيرة منها : « التفسير الكبير » في مجلدات كثيرة، وهو تفسير حسن جداً .

٥- الشيخ المقرىء الواعظ محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي الشيرازي الأصل، ابن الحنبلي (ت : ٦٥٢ هـ) .

أخذ عن أبي الفرج بن الجوزي ، وحفظ الكثير ، وعرف التفسير ، وقدم مصر ، ودخل الأندلس سنة (٦٥١ هـ) وعبر سبتة ، وتكلم في الوعظ بجامعها أشهراً ، وجال في الأندلس، ورجع إلى سبتة ، وتوجه إلى أزمور ، وقدم مراكش وهو يعظ في كل ذلك، فيفتتح مجلسه بالتفسير بعد الخطبة والدعاء وشيء من أخبار الصالحين ومن كلام ابن الجوزي ، ويختم بفصل من السِيَر ، ومجالسه على التوالي ، يبدأ اليوم من حيث انتهى بالأمس ، وكلامه في ذلك متقن، يشهد بحسن تقدمه .

وهو إن كان يمزج التفسير بغيره ، إلا أن افتتاحه به على التوالي يجعلنا ندخله في هذا الباب .

٦- العلامة الشيخ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ).

توفي والده وكان له حينئذ إحدى وعشرون سنة ، فقام بوظائفه بعده ، فدرَّس بدار الحديث السكرية في أول سنة (٦٨٣ هـ) ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع لتفسير القرآن العظيم ، وشرع من أول القرآن ، فكان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر ، وبقي يفسر في سورة نوح عدة سنين أيام الجمع كما في « الذيل » لابن رجب .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الهادي الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد : ففي رمضان يطيب الكلام على القرآن ، ففيه ابتدأ نزوله ، وسطع نوره ، وتدفقت بركاته، وعمت هباته .

والكلام على القرآن كلام طويل الفصول ، متشعب الأغراض ، متعدد الجوانب ، مختلف المنازع.

وأريد في هذه الافتتاحية أن أتحدث عن جانب من جوانب نشر معارفه ، وتعميم هداياته ، وبث روحه ، وإعلان أحكامه ، وصبغ الأمة بصبغته . ولقد كان لعلماء الأمة في هذه الميادين جولات مظفرة ، وقاموا بنشر معارف القرآن خير قيام ، كلُّ ذلك اقتداء بالنبي المبلغ الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله القرآن على قلبه ، ويسره بلسانه، وكلفه ببيانه قولاً وعملاً .

وقد تعددت وجوه نشر المعارف القرآنية ، فكان من ذلك تأليف الكتب ، والإملاء على الناس والتدريس ، وبيان المعاني والمباني من خلال المجالس العامة .

* فأما **تأليف الكتب** فقد بلغت المصنفات في التفسير للقرآن كله أو بعضه أعداداً كبيرة جداً، واستقصاؤها يطول كثيراً ، ومَنْ ألقى نظرة على كتب طبقات المفسرين ومعاجمهم، وكتب الفهارس والتراجم العامة والخاصة رأى من ذلك الكم الكبير .

* وأما **الإملاء** على الناس والتدريس (وفي هذا نوع خصوصية إذ يكون موجهاً إلى طبقة خاصة من المتعلمين والمحصلين) فهو كثير أيضاً ، ويذكر هنا الأخفش (ت بعد : ٢٠٧هـ) والفراء (ت : ٢٠٧ هـ) والزجاج (ت : ٣١١ هـ) الذين أملوا على طلابهم « معاني القرآن » ، والعالم الأديب عمر بن عثمان الجنزي (ت : ٥٥٠ هـ) الذي شرع في إملاء تفسيرٍ قيل عنه : لو تمَّ لم يوجد مثله.

كما يذكر هنا : قاضي قضاة الشام يونس بن بدران المصري الدمشقي (ت : ٦٢٣ هـ) الذي درّس تفسير القرآن في المدرسة العادلية الكبيرة، فلما أكمل التفسير توفي عقب

ذلك . ومنهم العلامة ابن عقيل النحوي (ت : ٧٦٩ هـ) فقد ولي درس التفسير بالجامع الطولوني في القاهرة بعد شيخه أبي حيان الأندلسي ، وختم به القرآن تفسيراً في مدة ثلاث وعشرين سنة ، ثم شرع في أول القرآن بعد ذلك ، فمات في أثناء ذلك .

* وأما **تفسير القرآن في المجالس العامة** ، مجالس الوعظ والتذكير ، والإرشاد والتبصير – وهو مقصودي الأول من هذه الافتتاحية – فقد كان للعلماء فيه جهود موفقة مشكورة، وأياد ناصعة مبرورة ، وعاد من ذلك على الأمة خير وفير ، ونفع كبير . وكانت هذه المجالس منارات هدي ، وإشعاع صلاح ، ومثابات توبة وإنابة .

وللعلماء في هذه المجالس طرائق فمنهم مَنْ يختار موضوعاً يشبعه كلاماً وتحقيقاً، ومنهم مَنْ يختار آية يفيض في الكشف عنها كما ذكر عن الإمام أبي عثمان الصابوني النيسابوري (ت : ٤٤٩ هـ) فقد أقام أشهراً في تفسير آية . ومنهم مَنْ يختار سورة أو سوراً وهكذا .

فأما مَنْ بدأ من أول القرآن وفسره في مجالسه على التوالي ، وختم القرآن كله ، أو استأثر الله به قبل الإتمام ، فقد وقفتُ على عدد منهم ، وأحب أنْ أذكرهم وأذكِّر بهم هنا، وهم :

١ – الفقيه المفسر الحافظ الصوفي الواعظ عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي – نسبة إلى مدينة هراة في أفغانستان – (ت : ٤٨١ هـ) .

كان يفسر القرآن في مجلس التذكير ، فذكر أبو عبد الله الحسين بن محمد الهروي الكتبي في تاريخه أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتدأ في تفسير القرآن ، ففسره في مجالس التذكير سنة (٤٣٦ هـ) .

وفي سنة (٤٣٧ هـ) افتتح القرآن يفسره ثانياً في مجالس التذكير .

قلت : ويفهم من هذا أنه انتهى من تفسيره وبدأ بختمة ثانية .

قال المؤرخ الكتبي : « وكان الغالب على مجلسه القول في الشرع ، إلى أن بلغ إلى قوله عز وجل : ﴿ **والذين ءامنوا أشد حبا لله**﴾ (البقرة : ١٦٥) فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة ، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة ، وبنى عليها مجالس كثيرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى**﴾ [الأنبياء : ١٠١] بنى عليها ثلاثمائة وستين مجلساً .

فلما بلغ قوله تعالى : ﴿**يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار**﴾ [النور : ٤٣] كف بصره سنة (٤٧٣ هـ) .

ولما بلغ إلى قوله عليه الصلاة السلام : ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**﴾ [السجدة : ١٧] قال : « في كل اسم من أسماء الله تعالى سر خفي » ، وأخذ يفسر خفايا

الأسماء حتى بلغ « المميت » ، فأخرج من البلد في الفتنة الأخيرة (سنة ٤٧٨ هـ) .

فلما عاد سنة (٤٨٠ هـ) عقد المجلس على أمر جديد ، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى، وأخذ يستعجل في التفسير ، ويفسر في مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها ، يريد أن يختم في حياته ، فلم يقدر له ذلك ، وتوفي وقد انتهى إلى قوله عز وجل: ﴿**قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون**﴾ [ص : ٦٧-٦٨] .

وقال محمد بن طاهر الحافظ : سمعت شيخنا الأنصاري يقول : إذا ذكرتُ التفسير فإنما أذكره من مئة وسبعة تفاسير .

٢- الإمام الحافظ الفقيه الأديب الخطيب الواعظ أبو بكر محمد بن أبي المظفر منصور السمعاني (ت : ٥١٠ هـ) .

قال ولده الإمام الحافظ أبو سعد : « من عجيب ما اتفق أن آخر مجلس أملاه كان افتتاحه بقوله ﷺ : « إن أمامكم عقبة كؤداً ، لا يجوزها المثقلون ، فأنا أحب أن أتخفف لتلك العقبة .

وكان قد وصل في التفسير الذي يذكره في مجلس الوعظ إلى قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ [المائدة : ٣] .

وتوفي عقب ذلك ، ابنَ ثلاثٍ وأربعين سنة » .

٣- الإمام المفسر الحافظ الفقيه الواعظ الأكبر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت: ٥٩٧ هـ) .

وكانت له المجالس التي سارت بذكرها الركبان ، واتفق على الثناء عليها وعظم الانتفاع بها الخاص والعام ، وقد وفقه الله لتفسير القرآن في مجالسه وختمه، وفي ذلك يقول في تاريخه « المنتظم » في حوادث سنة (٥٧٠ هـ) - وكان له فيها من العمر ستون سنة - : « وفي يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى : انتهى تفسيري للقرآن في المجلس على المنبر ، فإني كنت أذكر في كل مجلس منه آيات من أول الختمة على الترتيب ، إلى أن انتهى ، فسجدت على المنبر سجدة الشكر ، وقلت : ما عرفت أن واعظاً فسّر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن ، فالحمد لله المنعم .

ثم ابتدأت في أول ختمة ، وأنا أفسرها على الترتيب ، والله قادر على الإنعام بالإتمام والزيادة من فضله » .

وينتهي تاريخه هذا بسنة (٥٧٤ هـ) فلا ندري هل أتم هذه الختمة أو لا ؟ وإذا أتمها فمتى؟ كما أنه لم يذكر كم استغرق التفسير الأول من الزمن لنقيس عليه ، وقد عاش الشيخ بعد هذا زمناً طويلاً : « ٢٨ » سنة إلا أنه قضى خمس سنوات منها منفياً إلى واسط .

أما قوله : « ما عرفت أن واعظاً فسر القرآن كله في مجلس الوعظ » ، فلعله لم يبلغه

ما نقل عن الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي . أو لم يصح عنده . وعلى أية حال فالأولية لأحدهما .

هذا، وقد أفاد من الإمام ابن الجوزي تلامذته وطلابه كما سيأتي معنا في المثالين الآتيين :

٤- الفقيه الواعظ المفسر محمد بن أبي القاسم الخضر الحراني ، شيخ حران وعالمها وخطيبها (ت : ٦٢٢ هـ) .

ولد في حران ، ورحل إلى بغداد طالباً للعلم ، ولازم أبا الفرج ابن الجوزي وسمع منه كثيراً من مصنفاته ، وقرأ عليه كتابه « زاد المسير في علم التفسير » قراءةَ بحثٍ وفهمٍ . . . ورجع إلى بلده ، وجدَّ في الاشتغال ، ثم أخذ في التدريس والوعظ والتصنيف ، وشرع في إلقاء التفسير بكرة كلّ يوم بـ« حران » في سنة (٥٨٨ هـ) ، وواظب على ذلك حتى فسر القرآن خمس مرات، انتهى آخرها إلى سنة (٦١٠ هـ) ، وكان مجموع ذلك في ثلاث وعشرين سنة ، ذكر هذا في أول « تفسيره » الذي صنفه . . . وله تصانيف كثيرة منها : « التفسير الكبير » في مجلدات كثيرة، وهو تفسير حسن جداً .

٥- الشيخ المقرىء الواعظ محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي الشيرازي الأصل، ابن الحنبلي (ت : ٦٥٢ هـ) .

أخذ عن أبي الفرج بن الجوزي ، وحفظ الكثير ، وعرف التفسير ، وقدم مصر ، ودخل الأندلس سنة (٦٥١ هـ) وعبر سبتة ، وتكلم في الوعظ بجامعها أشهراً ، وجال في الأندلس، ورجع إلى سبتة ، وتوجه إلى أزمور ، وقدم مراكش وهو يعظ في كل ذلك، فيفتتح مجلسه بالتفسير بعد الخطبة والدعاء وشيء من أخبار الصالحين ومن كلام ابن الجوزي ، ويختم بفصل من السِيَر ، ومجالسه على التوالي ، يبدأ اليوم من حيث انتهى بالأمس ، وكلامه في ذلك متقن، يشهد بحسن تقدمه .

وهو إن كان يمزج التفسير بغيره ، إلا أن افتتاحه به على التوالي يجعلنا ندخله في هذا الباب .

٦- العلامة الشيخ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ) .

توفي والده وكان له حينئذ إحدى وعشرون سنة ، فقام بوظائفه بعده ، فدرَّس بدار الحديث السكرية في أول سنة (٦٨٣ هـ) ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع لتفسير القرآن العظيم ، وشرع من أول القرآن ، فكان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر ، وبقي يفسر في سورة نوح عدة سنين أيام الجمع كما في « الذيل » لابن رجب .

٧- الإمام المفسر الحافظ المؤرخ الأديب إبراهيم بن عمر البقاعي (ت:٨٨٥ هـ) .

وقد فسر القرآن كله في مجالسه في جامع الظاهر بالحسينية خارج القاهرة - آنذاك- وذكر هذا في تاريخه « إظهار العصر » فقال : « في يوم الجمعة ثامن عشره - أي رمضان من سنة (٨٦٠ هـ) - ختمت تفسير القرآن العظيم في جامع الظاهر بالحسينية خارج القاهرة ، عن نيف وعشرين سنة ، أعان الله على إكماله مرة أخرى ، وأعظم النفع بذلك آمين . ثم ابتدأت يوم الجمعة خامس عشريه في ختمة أخرى ، فتكلمت على تفسير الفاتحة متبركاً بالختم والابتداء في رمضان ، ولا سيما خامس عشريه ، فإن القرآن أنزل على ما رُوي في الرابع والعشرين منه إلى السماء الدنيا . وكنت أنظر في غالب الأمر « الكشاف » و « تفسير البيضاوي » و « النهر » لأبي حيان، وأضيف إلى ذلك ما يفتحه الله عليَّ ممّا أحفظ من الأحاديث والسِير وغير ذلك » .

٨- العلامة المفسر الواعظ محيي الدين محمد بن إبراهيم النكساري (ت:٩٠١ هـ) .

قال طاشكبري زاده عنه : « كان يذكِّر الناس تارة في جامع أيا صوفية ، وتارة في جامع السلطان محمد خان - في مدينة إسلام بول- وقد حضر السلطان بايزيد خان في جامع أياصوفية لاستماع تفسيره ، وقد ختم تفسير القرآن العظيم في جامع أيا صوفية ، ثم قال: أيها الناس إني سألت الله تعالى أن يمهلني إلى ختم تفسير القرآن العظيم ، ولعل الله تعالى يختمني عقيب ذلك. فدعا الله سبحانه وتعالى بالختم على الخير والإيمان ، فأمّن الناس لدعائه . ثم أتى بيته ومرض وتوفي رحمه الله تعالى » .

وفي هذا العصر يذكر :

٩- الشيخ المفسر الداعية محمد متولي الشعراوي (ت : ١٤١٩ هـ) .

وهو أشهر مفسري هذا العصر ، وقد آتاه الله علماً وفهماً ، وقدرة على تسهيل المسائل العلمية ، فهو بحق مقنع الخاصة ، وممتع العامة ، وقد بدأ بتفسير القرآن ، وفسره في مساجد متعددة في القاهرة وغيرها ، ولعله وصل إلى الجزء الثامن والعشرين منه ، وكان لمجالسه صدىً كبير ، وانجذب إليها مستمعوها على اختلاف طبقاتهم ، وكان الشيخ - مع ذلك - لا يسمي ما يقوله تفسيراً ، إنما يسميه خواطر .

وبعد: فقد قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ [البقرة :٢٦٩] : « الحكمة : المعرفة بالقرآن ، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله » .

وقال أبو الدرداء : « الحكمة : قراءة القرآن والفكرة فيه » .

وقال مجاهد بن جبر (ت : ١٠٠ هـ) : « الفهم والإصابة في القرآن » .

وقال قتادة بن دعامة (ت : ١١٧ هـ) : « القرآن والفقه فيه » .

فما أحوجنا إلى التحلي بهذه الحكمة ، والاستنارة بأنوار القرآن ، والاعتصام به .

إن القرآن حبل الله المتين الذي من تمسك به نجا ، وفي الأمة اليوم أهوال ومخاوف ومهالك ، فهل تتمسك بكتاب ربها لتنجو من أمواج طاغية عاتية هادرة تكتسح كل شيء .

والتمسك بالقرآن لابد أن يقوم على وعي عميق ، وفهم دقيق لهذا الكتاب الذي يضمن لأهله – إذا علموه وفهموه وحكّموه – الفلاح والنجاح ، وكما قال التابعي الجليل إياس بن معاوية (ت : ١٢٢ هـ) : « مثل الذين يقرؤون القرآن ولا يعرفون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً ، وليس عندهم مصباح ، فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب ! ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب » .

فيا أمة القرآن عوداً عوداً إلى القرآن . . . إلى عوالمه الرحيبة ، وإشراقاته الهادية ، وسعاداته الغامرة ، وإلى ظلاله الندية ، ومنهجه المنير ، وحكمه العدل .

وإني لأرجو أن تتبنى وزارات الأوقاف في العالم الإسلامي هذه الطريقة المذكورة وأن تعمل على إقامة مثل هذه المجالس ، وتوكل أمرها إلى علماء مفسرين ربانيين ، لينشروا معارف القرآن كاملة شاملة ، وحبذا أن يكون في كل مدينة مسجدٌ أو أكثر تقام فيه مثل هذه المجالس ويعلن عنها وتنقل عبر أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة ، ليسطع في النفوس نور القرآن ، ويطرد الظلمات الجاثمة والعفونات المتراكمة ، وهذا أقل واجباتنا تجاه كتاب ربنا .

ولنتذكر مقولة الإمام محمد بن جرير الطبري : « إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله ، كيف يلتذ بقراءته ؟ » .

ولنتخذ من رمضان موعداً للصلح مع القرآن لفظاً ومضموناً ، معنىً ومبنىً ، إيماناً وإسلاماً ، سلوكاً وإحساناً ، دنيا وآخرة ، حكماً وأحكاماً .

ويسر « الأحمدية » أن تخصص عددها هذا وهديتها تلك للبحوث القرآنية، راجية أن يتقبل الله منها إسهامها في خدمة كلامه الحكيم وشرعه القويم .

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على المبلغ الأول سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

د. عبد الحكيم الأنيس

مدير التحرير

التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل

للعلامة حامد بن علي العمادي الدمشقي (ت: ١١٧١ هـ)

تحـ : د. حازم سعيد يونس البياتي *

التعريف بالبحث :

هذا أثر تفسيري ، صغير الحجم ، جمُّ الفائدة ، كنت أبحث عنه مدة طويلة ، إلى أن هداني الله تعالى إلى العثور على نسختين منه بآخرة .

يضم الأثر بين صفحاته خلاصة أقوال العلماء ، وزبدة آراء المفسرين في الفرق بين التفسير والتأويل . ذلك الموضوع المثير الذي وطّأ به المفسرون في الغالب لتفسيراتهم .

نجم المؤلف حامد بن علي العمادي ، قاضي قضاة دمشق وابن قاضيها ، في القرن الثاني عشر الهجري .

جمع في رسالته آراء من سبقه ، وعرض مذاهبهم بأحسن العرض ملتزماً في كل ذلك بالموضوعية ، متوخياً التوسط بين التطويل والإيجاز ، ابتغاء تقديم المادة بطريقة جيدة .

وجاء عملنا لتنفض غبار الزمن عن الرسالة ، ولتقدمها إلى الدارسين والمختصين محققة ومقابلة على وفق قواعد تحقيق النصوص المعروفة اليوم .

وعلى الرغم من أهمية كل عمل علمي ترتبط بما يقدمه من جديد ، [illegible] الرسالة تحصل في قلة التأليف المستقل في هذا الموضوع [illegible] تشكل الحلقة الثانية في سلسلة بعد رسالة ابن تيمية : الإكليل ، بالإضافة إلى احتوائها على [illegible] [illegible] المخطوطة [illegible] جديرة بالنشر .

---

* أستاذ مساعد في كلية التربية في جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا بعجمان ، ولد عام (١٩٥١م) ، وحصل على درجة الماجستير في النحو والصرف عام (١٩٨٧م) ، وعلى درجة الدكتوراه في النحو واللغة عام (١٩٩٤م) بتقدير ممتاز ، وعنوان رسالته " مرويات شمر بن حمدويه اللغوية " .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فهذه رسالة « التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل » ، للعلامة حامد العمادي ، أقدمها محققة مخدومة ، وأقدم بين ذلك بمقدمة عن المؤلف وعن الرسالة كالآتي :

* المؤلّف * :

لم يَحْظَ العماديّ بدراسة مستقلة موسّعة عن حياته وثقافته ومنهجه ، وما وجدناه في المصادر التي ترجمت له ، إشارات سلّطت الضوء على جوانب من حياته باختصار .

فهو حامد بن عليّ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عماد الدين الحنفيّ الدمشقيّ ، المعروف بالعماديّ . وأصل بني العمادي من بلاد بُخارى ، وإنّ من أجداده صاحبَ الفصول العماديّة [1] .

ولد بدمشقَ في جُمادى الآخرة سنة (١١٠٣هـ) ، ونشأ بها وترعرع ، وقرأ القرآن ، واشتغل بطلب العلم على كبار علماء عصره .

برع في الفقه والفرائض والأدب ، وتولّى منصب الإفتاء في دمشق في أواسط رمضان

---

* ترجمة حياته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ، ومكانته العلمية وشعره في :

سلك الدرر (٢/١١-١٩) ، وعرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام صـ ١٠٨-١٢٠ ، ومطمح الواجد ، الورقة ١٠٧-١١٠ ، ومنتخبات التواريخ لدمشق (٢/٦٢٣) ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان - القسم الثامن - العصر العثماني صـ ١٨١ ، وفهرس الفهارس والأثبات (٢/٨٢٩-٨٣٠) ، وهدية العارفين (١/٢٦١) ، و إيضاح المكنون (١/١٣ ، ١٩ ، ٤٨) وصفحات أخرى ، (٢/٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤) وصفحات أخرى ، والأعلام (٢/١٦٢) ، ومعجم المؤلفين (٣/١٨٠) .

(١) سلك الدرر (٢/١٩) ، والفصول العمادية في فروع الفقه الحنفي ، لجمال الدين بن عماد الدين الحنفيّ . ينظر : كشف الظنون (٢/١٢٧٠) .

سنة (١١٣٧هـ) [١] خلفاً لخليل بن أسعد الصِّدِّيقيّ (ت : ١١٣٧ هـ) الذي عُزل من هذا المنصب . وكان فقيهاً وقوراً ، استمر في منصبه مّدة أربعة وثلاثين عاماً .

درّس في الجامع الأمويّ أوّلاً ، ثم بالمدرسة السليمانية بدمشق ، وشغل غيرها من الوظائف والنظارات السلطانية والتدريس ، وأقبل عليه طلبه العلم من كل فجٍّ لتنهل من ينابيع علومه ومعارفه .

وثمّه إشارة إلى ولديه حسن وعبد الحميد ، وأنهّ كان يتّخذ لهما الوظائف ، وتُوفيا بعده بقليل [٢] .

وكانت وفاته بدمشق سنة (١١٧١ هـ) ، ودُفِنَ بمقبرة الباب الصغير .

*** شيوخه :**

تلمذ العماديّ على نخبة من العلماء الأجلاء المشهورين بالفضل والعلم والتحقيق والتدقيق ، المتنوعي المعارفِ والاهتماماتِ ، وتخرّجَ بهم ، وحصل من بعضهم على إجازات علمية . وسنذكر أشهرهم منسوقين بحسب سنوات وفياتهم :

١- عبد الجليل المواهبيّ الحنبليّ (ت : ١١١٩ هـ) [٤] : فقيه ، نحوي ، شاعر ، درس بالجامع الأموي ، له مؤلفات في الصرف والنحو والعروض ، حصل منه العمادي على إجازة .

٢- يونس المصري (ت : ١١٢٠ هـ) [٥] : نزيل دمشق ، ومدرس الحديث بها ،

---

(١) ترجمته في : سلك الدرر (٢/٨٣) .

(٢) سلك الدرر (٢/١٣) .

* ذكر المرادي تلمذة العمادي لهم في عرف البشام صـ ١٠٩-١١٢ ، ومطمح الواجد ، الورقة ١٠٧-١٠٨ .

(٤) ترجمته في : سلك الدرر (٢/٢٣٤-٢٣٨) ، وهدية العارفين (١/٥٠١) .

(٥) ترجمته في : سلك الدرر (٤/٢٦٥) .

ألف ثبتاً لشيوخه ومروياته ، وقد حضر العماديّ دروسه .

٣- أبو المواهب بن عبد الباقي (ت : ١١٢٦ هـ) [١] : مفتي الحنابلة بدمشق ، وجلس للتدريس بها ، وبرع في الحديث والقراءات والنحو والبلاغة ، وله عدة رسائل . حضر العمادي دروسه في الجامع الأموي وأجازه .

٤- عثمان بن محمد الشمعة (ت : ١١٢٦ هـ) [٢] : له دروس في الجامع الأموي في أكثر من عشرة علومٍ ، قرأ عليه العمادي وأخذ عنه .

٥- أحمد النَّخْلي المكيّ (ت : ١١٣٠ هـ) [٣] : صوفي ، برع في العلوم ، ولازم التدريس بالمسجد الحرام ، وله ثبت . أخذ عنه العمادي وأجازه .

٦- علي بن أحمد التدمريّ (ت : ١١٣١ هـ) [٤] : فقيه ، نحوي ، صرفي ، أصوليّ . درّس بالجامع الأمويّ ، وله رسالة في العروض .

٧- محمد بن علي الكامليّ (ت : ١١٣١ هـ) [٥] : له مؤلفات في الفقه والحديث والتفسير ، حضر العمادي وعظه بالجامع الأمويّ ، وأخذ عنه وأجازه .

٨- عبد الكريم بن عبد الله الخليفتيّ المدنيّ (ت : ١١٣٣ هـ) [٦] : فقيه ، شاعر ، له رسالة وفتاوى وتحريرات .

٩- عبد الله بن سالم البصريّ (ت : ١١٣٤ هـ) [٧] : محدّث ، من مؤلفاته : الضياء الساري على صحيح البخاريّ .

---

(١) ترجمته في : سلك الدرر (١/٦٧) .
(٢) ترجمته في : سلك الدرر (٣/١٦٦) .
(٣) ترجمته في : سلك الدرر (١/١٧١) .
(٤) ترجمته في : سلك الدرر (٣/٢٠٢) . وينظر : مطمح الواجد ، الورقة ١٠٨ .
(٥) ترجمته في : سلك الدرر (٤/٦٧) ، ومعجم المؤلفين (١١/٩) .
(٦) ترجمته في : سلك الدرر (٣/٦٦) ، وهدية العارفين (١/٦١٣) .
(٧) ترجمته في : هدية العارفين (١/٤٨٠) ، ومعجم المؤلفين (٦/٥٦) .

١٠- محمد الوليديّ المكيّ (ت : ١١٣٤ هـ) [١] : فقيه ، مات شهيداً .

١١- عبد الرحيم بن محمد الكابليّ (ت : ١١٣٥ هـ) [٢] : نزيل دمشق ، قرأ عليه التلويح وأخذ عنه .

١٢- محمد بن إبراهيم العمادي (ت : ١١٣٥ هـ) [٣] : هو عمّ صاحب الرسالة ، برع في الفقه والنحو والبلاغة ، وتولّى التدريس في السليمانية وإفتاء الحنفية بدمشق .

١٣- عبد القادر بن عمر التغلبيّ (ت : ١١٣٥ هـ) [٤] : له مؤلفات في فقه الحنابلة وثبت . وحضر العمادي دروسه في الجامع الأموي وأجازه .

١٤- إلياس بن إبراهيم الكرديّ (ت : ١١٣٨ هـ) [٥] : صوفي ، فقيه ، له حواشٍ كثيرة ورسائل في التصوف .

١٥- عبد الرحمن المجلّد (ت : ١١٤٠ هـ) [٦] : نحويّ ، ناسك ، له شعر . درّس في الجامع الأمويّ ، أخذ عنه العمادي وقرأ عليه كثيراً ، وأجازه .

١٦- أحمد بن عبد الكريم الغزّيّ (ت : ١١٤٣ هـ) [٧] : تولى إفتاء الشافعية بدمشق ، وتصدر للإقراء في الجامع الأمويّ ، وله مصنفات .

١٧- عبد الغني بن إسماعيل النابلسيّ (ت : ١١٤٣ هـ) [٨] : فقيه ، صوفي ، مفسّر ،

---

(١) ترجمته في : سلك الدرر (١١٠/٤) .

(٢) ترجمته في : سلك الدرر (٩/٣) .

(٣) ترجمته في : سلك الدرر (١٧/٤) ، ومنتخبات التواريخ لدمشق (٦٣٣/٢) .

(٤) ترجمته في : سلك الدرر (٥٨/٣) ، وهدية العارفين (٦٠٣/١) .

(٥) ترجمته في : سلك الدرر (٢٧٢/١) ، وهدية العارفين (٢٢٦/١) .

(٦) ترجمته في : سلك الدرر (٣٢٧/٢) .

(٧) ترجمته في : سلك الدرر (١١٧/١) ، وهدية العارفين (١٧١/١) .

(٨) ترجمته في : سلك الدرر (٣٠/٣) .

نحوي ، صرفي ، صاحب التصانيف الكثيرة . تصدر للتدريس بالجامع الأمويّ ، وحضر العمادي دروسه بالسليمية بدمشق ، ودرسه في الفتوحات المكيّة .

١٨- محمد بن إبرهيم الكورانيّ (ت : ١١٤٥ هـ) [١] : فقيه ، تولّى إفتاء الشافعية مدّة بالمدينة المنوّرة ، وله مؤلفات .

١٩- تاج الدين ، محمد بن عبد المحسن القلعيّ (كان حياً سنة : ١١٤٧ هـ) [٢] : محدّث ، أخذ عنه العمادي حديث الأوليّة ، وله مؤلفات .

٢٠- محمد بن محمد الخليليّ (ت : ١١٤٧ هـ) [٣] : محدّث ، صوفيّ ، له مصنفات وثبت .

٢١- محمد بن سلامة الاسكندري (ت : ١١٤٩ هـ) [٤] : مفسّر ، شاعر ، له تفسير منظوم للقرآن في عشر مجلدات ، أوهبه العماديَّ .

٢٢- محمد بن عقيلة المكيّ (ت : ١١٥٠ هـ) [٥] : محدّث ، مؤرّخ ، تولّى التدريس في المدرسة الجقمقجية بدمشق ، وله مؤلفات .

تلاميذه :

قلنا إنه تصدّر للتدريس في الجامع الأمويّ والسليمانية ، وجلس حوله كثيرون ليستقوا نمير الإفادة من صافي منبعه ، ولينتفعوا من علمه ومعرفته ، ولم تُشِر المصادر إلى أسمائهم ، ولا إلى عددهم .

وربما يُعزَى السبب - والله أعلم - إلى أنّهم لم يبرزوا في ميادين البحث والتأليف ، ولم يشتهروا بالتدريس ، أو تسلّم المراكز المهمّة والمناصب العليا .

---

(١) ترجمته في : سلك الدرر (٤/٢٧) ، ومعجم المؤلفين (٥/١٣) ، (٨/١٩٦) .

(٢) ترجمته في : معجم المؤلفين (١٠/٢٥٣) .

(٣) ترجمته في : سلك الدرر (٤/٩٤) ، ومعجم المؤلفين (١١/٢٢) .

(٤) ترجمته في : سلك الدرر (٤/١٢٣) ، وهدية العارفين (٢/٣٢٣) .

(٥) ترجمته في : سلك الدرر (٤/٣٠) ، وهدية العارفين (٢/٣٢٣) .

وقد عرفنا واحداً منهم هو : محمد بن أحمد بن سالم السفارينيّ النابلسيّ الحنبليّ ، الذي سمع عليه المسلسلَ بالأولية ، وثلاثيّاتِ البُخاريّ ، وبعضَ ثلاثيّات مسند أحمد ، وأجازه .

توفّي بنابلس سنة (١١٨٨ هـ) [١] .

مؤلفاته :

تميّز العماديّ بنشاطه الدؤوب في ميدان البحث والتأليف ، فترك عدداً من المؤلفات والرسائل في علوم شتّى ، القرآنِ والفقهِ والفرائضِ والحديثِ والتراجمِ واللّغةِ ، وصل إلينا قسم منها ، والقسمُ الآخرُ جارت عليه عوادي الزمن ، فضاع مع ما ضاع من تراث أمّتنا العظيمة .

أوّلاً : المطبوعة :

١- الحَوْقلة في الزلزلة [٢] .

٢- الدرّ المستطاب في موافقات عمر بن الخطاب [٣] .

٣- صَلاح العالم بإفتاء العالِم [٤] .

٤- تحقيق الظنون في السؤال عن الأفيون [٥] .

٥- مغني المستفتي عن سؤال المفتي (الفتاوَى الحامديّة) [٦] : اختصره ابن عابدين المتوفّي سنة (١٢٥٨ هـ) ، وسمّاه : العقود الدرية في تنقيح الفتاوَى الحامديّة .

---

(١) فهرس الفهارس والأثبات (٢/١٠٠٢-١٠٠٣) .

(٢) هي الزلزلة التي أصابت دمشق سنة (١١٧١هـ) . طبع بدمشق في مجلة الدراسات الشرقية (المعهد الفرنسي) ع (٧٥/٢٧) .

(٣) حققه مصطفى عثمان حميدة سنة (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .

(٤) حققه علي حسن عبد الحميد سنة (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

(٥) حققه عبد الله بن محمد الحجيلي في مجلة الأمن (الرياض) ع (١٤٩٥/١٤هـ) .

(٦) طبع في بولاق سنة (١٣٠٠هـ) .

ثانياً : المخطوطة :

١ – إتحاد القمرين في بيتي الرّقمتين [١] .

٢ – الإتحاف شرح خطبة الكشّاف [٢] .

٣ – اختلاف المحقّقين في رجوع الناظر على المستحقّين [٣] .

٤ – تشنيف الأسماع في إفادة لو للامتناع [٤] .

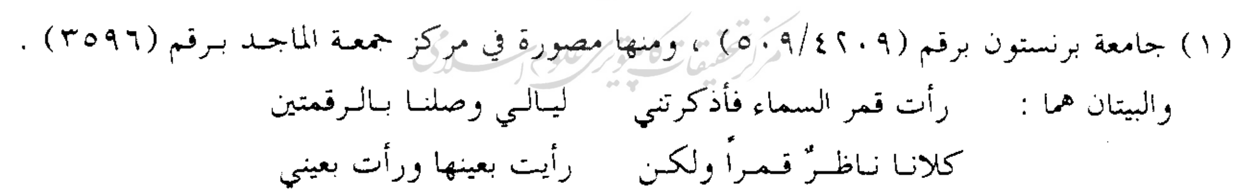
٥ – تفسير ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [٥] .

٦ – التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل . وهي التي نقدمها اليوم محققةً .

٧ – جمال الصورة واللحية في ترجمة سيدي دحية [٦] .

٨ – الحامديّة في الفرق بين الخاصّة والخاصِّية [٧] .

٩ – الرجعة في بيان الضجعة [٨] .



(١) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/٤٢٠٩) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
والبيتان هما : رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلنا بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قمراً ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

(٢) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/٣٣٨) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .

(٣) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/١٢٩٦) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
والظاهرية برقم (٤٢٦٠) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (١١٨٠) .

(٤) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/٤٦٠٨) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .

(٥) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/٤٤٨) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
ودار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٤) مجاميع .

(٦) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) ، وجامعة برنستون رقم (٥٠٩/٤٦٠٨) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .

(٧) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) ، وجامعة برنستون رقم (٥٠٩/٣٨٠٤) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .

(٨) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/١٢٩٧) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
ودار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٤) مجاميع .

١٠- زهر الربيع في مساعدة الشفيع [١] .

١١- ضوء الصباح في ترجمة سيّدنا أبي عبيدة بن الجرّاح [٢] .

١٢- العقد الثمين في ترجمة صاحب الهداية برهان الدين [٣] .

١٣- عقيلة المغاني في تعدد الغواني (ردّ على مصطفى بك الطرزي فيما إذا كان مجازاً الزواجُ بالمرأة الثالثة) [٤] .

١٤- قُرَّة عين الحظ الأوفر في ترجمة الشيخ محيي الدين الأكبر [٥] .

١٥- القول الأقوى في تعريف الدعوى [٦] .

١٦- القول المظهر لحكم من حلف على إعطاء امرأته وهي تنكر [٧] .

١٧- اللُّمعة في تحريم المتعة [٨] .

١٨- مصباح الفلاح في دعاء الاستفتاح [٩] .

١٩- المطالب السنيّه للفتاوى العليّة [١٠] .

٢٠- النفحة الغيبيّة في التسلية الإلهيَّة [١١] .

٢١- نقول القوم في جواز نكاح الأخت بعد موت أختها بيوم [١٢] .

---

(١) جامعة برنستون برقم (١٢٩٥/٥٠٩) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .

(٢) جامعة استانبول برقم (٥٤٩٣) .

(٣) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع .

(٤) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع ، وبرلين برقم (١٨٦٧) .

(٥) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٤٠٤٩) .

(٦) جامعة برنستون برقم (١٢٩٤/٥٠٩) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .

(٧) جامعة برنستون برقم (١٢٩٣/٥٠٩) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) . ودار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٤٠٤٩) .

(٨) الظاهرية برقم (٧٠٧٧) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (١٤١٨) .

(٩) جامعة برنستون برقم (١٩٥٧/٥٠٩) ، ومنها مصورة في مركز جمعة برقم (٣٥٩٦) . والظاهرية برقم (٦١٦٠) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (١٣٢٨) .

(١٠) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٤٠٤٩) .

(١١) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٤٠٤٩) .

(١٢) جامعة برنستون « يهودا » برقم (٤٦٧٠) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٦٩٠) .

ثالثاً : المفقودة :

١- الإظهار ليمين الاستظهار .
٢- تقعقع الشن في نكاح الجن .
٣- الحواشي على دلائل الخيرات .
٤- خطبه .
٥- الخلاص من ضمان الأجير المشترك والخاص .
٦- ديوان شعره .
٧- شرح نور الإيضاح في الفروع .
٨- الصلوات [١] الفاخرة في الأحاديث المتواترة .
٩- في القهوة .
١٠- في دفع الطاعون .
١١- مسائل منثورة .
١٢- مكاتباته .
١٣- منحة المنّاح في شرح بديع مصباح الفلاح .

شعره :

للعماديّ ديوان شعر مفقود ، ولولا المرادي [٢] الذي نقل لنا طائفة من قصائده ، لما عرفنا شيئاً عن شعره .

وهو شعر يدور في أغلبه حول الغزل ومدح بعض العلماء المعاصرين له ، والإخوانيات ، والمناسبات . ويتميّز بالتكلف ، غير أن المرادي بالغ في إطراء شعره بقوله [٣] : « وكان ذا أدب حواشيه رقيقة ، صيَّرَ حُرَّ المعاني بألفاظه رقيقة، وشعره رقراق، توشّحت بجواهره الأوراق ».

(١) كذا في سلك الدرر (٢/١٢) ، وكتب في حاشيته : « لعله : الصلاة » . قلت : ولعل الصواب : الصلات .
(٢) سلك الدرر (٢/١٣-١٧) ، وعرف البشام (١١٥-١١٩) ، ومصحح الوجد ، الورقة ١٠٨-١١٠ .
(٣) عرف البشام صـ ١١٥ .

فمن شعره مدحُه النبيَّ ﷺ [من الكامل] :

أرنــو لبــدر شــفّني بغروبــهِ فيفوقُ طرْفي عند فيضِ غروبـهِ
كي أُجليَ الأنظارَ من مرآتـهِ والقلبُ من ولـهٍ بما يُغـري بـهِ
ويزيدُ حَرَّ الشّوقِ بينَ أضالع إلـفٌ غريـبٌ قـد دنـا لغَريبـهِ
ويهيم قلبي شاكياً ألَمَ الجوى دمـعٌ جـرى في جَمْـرِه ولهيبـهِ
عمَّ العقيقَ مع اللّوى بشروقهِ وســنائه وثنــاؤه يعلــو بــهِ
مَنْ لي بلَثْمِ ترابِ ذيّاكَ الحِمَى أو أنْ أفــوزَ بعَرْفــه وهبوبــهِ
فامنُنْ بفضلك كي نفوزَ بنَيْله ونسـيمِ طِيبـةَ إذْ يَهُـبُّ بطِيْبـهِ

ومنه قوله مشطراً [من الطويل] :

نظرْتُ إليهـا فاستحلّتْ بنظـرةٍ نجيعَ فؤادي حينَ كابدَهُ الكَرْبُ
وأجْرَتْهُ دمعاً من جفـوني وإنَّـهُ دمي ودمي غالٍ فأرخَصَهُ الحُـبُّ
وغاليْتُ في حبّي لها ورأتْ دمي يَسُحُّ وقلـبي بـالغرامِ لها يصبو
فمالَتْ إلى قتلي وقد كان عندها رخيصاً فَمِنْ هاذينِ داخلَها العُجْبُ

مكانته وثناء العلماء عليه :

كان العماديّ مشهوداً له بالفضلِ والرياسةِ ، وَقوراً مَهيباً . وقد بالغ القدماء في وصفه والثناء عليه بأسلوب يعكس ثقافة العصر الذي فيه العمـادي ، وسيكون حكـم الدارسـين أقرب إلى الحقيقة والواقع والموضوعية حين ترى كتبه جميعاً النور ، وتدرس وتحلّل بعمق .

قال عنه المراديّ [١] : « مفتي الحنفيةِ بدمشق وابنُ مفتيها وصدرُها وابـنُ صـدرِها ، الصدرُ الـمُهابُ المحتشمُ الأجلُّ المبجّلُ العـالِمُ الفقيـهُ الفاضـلُ الفرضـيُّ ، كـان عالمـاً محقّقـاً أديباً عارفاً نبيهاً كاملاً مهذّباً » .

---

(١) سلك الدرر (٢/١١) .

وقال (١) : « عَلَمُ الفضل المشهور ، والفريدةُ في جِيّدِ الأيامِ والشهورِ ، والروضُ الرائضُ الفَيْنانُ ، الذي أينعَتْ أفانينُه بأفنانٍ » .

وترجمه محمد السمّان الدمشقيّ في تاريخه بقوله (٢) : « عمادُ الفتوى ، وحاملُ لوائها ومُخلّصُها من رِبْقة لأوائها ، اهتصر من الفضل غُصْنَه الفينانَ ، وقرّتْ من الهداية بتقريره العينانِ » .

وقال عمر رضا كحالة (٣) : « عالم ، فقيه ، أديب ، شاعر » .

وقال محمد أديب الحصنيّ (٤) : « برع وعلا فضلُه ، وازدان به وجهُ الزمان » .

الرسالة :

لعلّنا لا نبالغ إذا قلنا إنَّ العماديّ كان من الدارسين القلائل الذين صنّفوا في هذا النوع من التأليف المستقلّ، وإنْ كنّا لا نعدم مباحث في هذا الموضوع في كتبِ التفسير وعلوم القرآن .

إنّ هذه الرسالةَ أثر نافع من آثار العمادي تدور في مسألة مهمة في الدرس القرآني ، هي الفرق بين التفسير والتأويل ، وتسجيل أهمّ ما قاله الأقدمون فيهما .

وقد بسط القول فيها ، مستعرضاً آراء العلماء ، جامعاً أقوالهم ومذاهبهم بطريقة تدل على إحاطته بمصادره التي اعتمد عليها .

كلّ ذلك بأسلوب سهل مطبوع بالطابع التعليميّ الذي شاع في مؤلّفات المتأخرين بخاصّة ، وآية ذلك تكرار عبارته : فإنْ قلتَ .. قلتُ .

وقد استهلّ رسالته بحمد الله والثناء عليه ، والصلاةِ على نبيّه المصطفى محمدٍ ﷺ ، مبتهلاً إلى الله ﷻ أنْ يجعله من أهل التوفيق والعرفان ، مبيّناً أنّ معرفة الفرق بين التفسير والتأويل من أهمّ المهمات التي يجدر أنْ يعرفَها من أراد أنْ يرتّل القرآن أحسنَ ترتيلٍ .

---

(١) عرف البشام ص ١٠٨ .

(٢) سلك الدرر (٢/١٢) .

(٣) معجم المؤلفين (٣/١٠) .

(٤) منتخبات التواريخ لدمشق (٢/٦٢٣) .

طريقة تعامله مع مصادره :

استقى العماديّ مادة رسالته من مصادر متنوّعة ؛ حديثيّة وتفسيريّة ولغويّة ، وكان يذكر اسم المؤلّف وحدَه ، أو عنوانَ المصدرِ مجرداً من مؤلّفه ، أو العنوانَ مصحوباً بالمؤلف .

وقد تنّوعت أساليب نقله من المصادر ما بين النقل الحرفيّ ، أو النقل بتصرف ، أو النقل بالمعنى .

ومما يؤخذ عليه في النقل أنه قد لا يصرّح بأسماء من ينقل عنهم ، فيقول : « قال بعض الفضلاء » ، أو « قال بعضهم » ، أو « قال قوم » ، أو « قال غيره » . أو أنّه قد يقطع النصَّ ليضمّنه نصّاً أو أكثر لمؤلفين آخرين ، وقد أشرنا إلى ذلك في هوامش التحقيق .

عنوان الرسالة ونسبتها إلى المؤلف :

عنوان الرسالة واضح لا لَبْسَ فيه ، كما ورد في صفحة عنوان نسخة جامعة برنستون ومقدّمتها وخاتمتها ، وصفحة عنوان نسخة دار الكتب ومقدّمتها فقط .

أمّا نسبة الرسالة إلى العماديّ فلا غبار عليها ، وقد أكّدت هذه الحقيقة المصادر التي رجعنا إليها في ترجمته [١] .

نسخ الرسالة المخطوطة :

عوّلنا في تحقيق الرسالة التي حرّرها المؤلف سنة (١١٣٦ هـ) علي نسختين اثنتين ، هما ما استطعنا رصده من مخطوطاتها :

١- نسخة برنستون : وهي نسخة محفوظة في جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكيّة برقم (١٢٣/٥٠٩) ، ومنها مصورة في مركز جمعةِ الماجد برقم (٣٥٩٦) ، ورمزنا لها بالحرف « س » ، واتّخذناها النسخة الأمّ في التحقيق ؛ لأنها منسوخة في حياة المؤلف أوّلاً ، وتامّة ومصحَّحة ثانياً ، وأقدم من النسخة الأخرى ثالثاً .

---

(١) سلك الدرر (١٢/٢) ، وعرف البشام صـ ١١٣ ، وهدية العارفين (٢٦١/١) .

ويمكن تلخيص وضعها الفني بالآتي :

- تقع ضمن مجموع ، عدد أوراقه (٥) ، (١٤٥-١٥٠) ، وفي كل ورقة صفحتان ، ومسطرتها (٢٥) سطراً .

- خطّها نسخيّ ، واضحٌ ، خالٍ من الضبط .

- اتَّبع الناسخ نظام التعقيبة للمحافظة على تسلسل صفحاتها .

- على حواشيها تعليق واحد ، وتصحيحان ، وعلى صفة العنوان مطالعتان ، مطالعة لعلي العماديّ ، وأخرى لحسين بن عبد الرحمن بن السيد علي العماديّ . وهما من الأسرة العماديّة .

- ناسخها أحمد بن محمد بن عبد الله الحمويّ ، بدمشق سنة (١١٤٨ هـ) .

٢- نسخة القاهرة : وهي نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٤) مجاميع ، ورمزنا لها بالحرف « ق » ، وجعلناها نسخة ثانية في التحقيق ، ونشكر سعادة جمعة الماجد لتسهيله حصولنا على هذه النسخة ، فجزاه الله خير الجزاء .

ويمكن إجمال وضعها الفنّي بما يأتي :

- ضمن مجموع عدد أوراقه (٥) ، (٦٧-٧١) ، وفي كل ورقة صفحتان ، ومسطرتها (٣٧) سطراً .

- تامّة ، خالية من العيوب .

- حواشيها خالية من التعليقات والتصحيحات .

- اتّبع ناسخها نظام التعقيبة .

- مكتوبة في حياة المؤلف أيضاً سنة (١١٥٠ هـ) ، كما ذكر مفهرس دار الكتب المصرية ، اعتماداً على تاريخ نسخ المجموع الذي تقع فيه .

- يبدو أنها منقولة من النسخة الأولى لتشابههما ووقوعهما في الأوهام نفسها .

عملنا في التحقيق :

اتّبعنا في تحقيق النصّ وإخراجه منهجاً ، أبرز سماته :

١- تحرير النصّ على وفق قواعد الإملاء المعاصرة ، ولم نجد أيَّ فائدة في إثبات اختلافات الرسم الإملائي .

٢- حرصاً على سلامة النصّ ، فقد ضبطْنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والألفاظَ المُلْبِسة ، وما يتعيّن ضبطُه .

٣- حافظنا على جوهر النصّ كما هو قدر الإمكان ، وعدّلنا المختلّ اعتماداً على المصادر التي نقل منها المؤلف .

٤- عُنِينا بتخريج الشواهد التي وردت في المتن ، من آيات قرآنية وشواهد حديثية .

٥- ترجمنا لكل الأعلام المذكورة في المتن ، سواء أكانت معروفة أم مغمورة ، وأكملنا الاسم ، وذكرنا اللقب والكنية وسنة الوفاة .

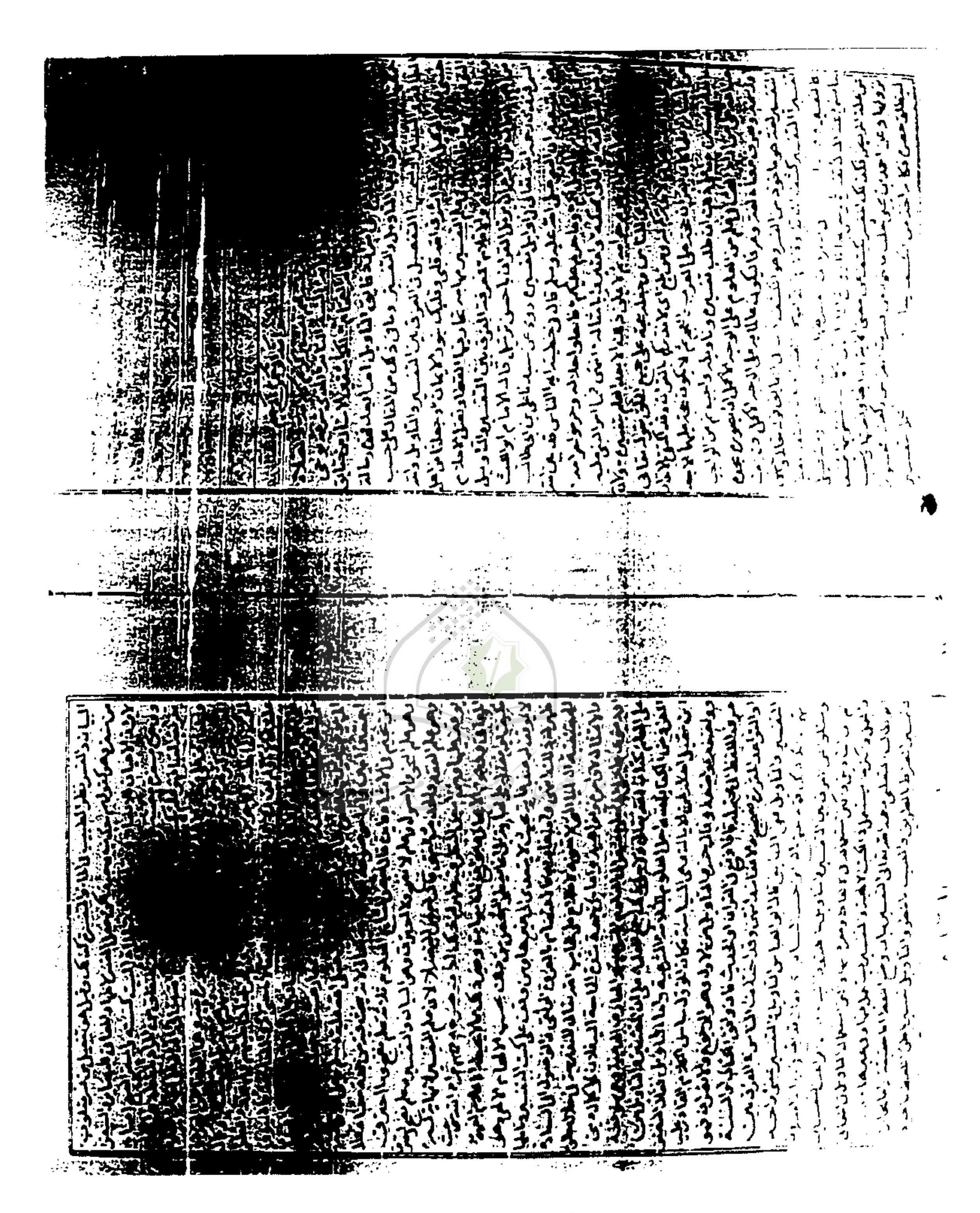
ويلاحظ أنّنا أحلنا في تراجم الرجال بالإضافة إلى المصادر القديمة ، إلى كتب حديثة كالأعلام للزركليّ ، ومعجم المؤلفين لكحالة . وإنْ أحدٌ أخذ علينا هذا الصنيعَ معتبراً أن ذلك يُجافي أصول منهج البحث الذي من شأنه أنْ يتّصل بالمصادر القديمة اتّصالاً مباشراً ، فلنا في هذه القضية موقفٌ ، لا يتّسع المقام لعرضه وبيانه .

٦- لما كان المؤلّف يستقي معلوماته من المصادر التفسيريّة والحديثيّة واللغويّة ، فقد رجعنا إلى المطبوع منها والمخطوط ما أمكن ذلك ؛ لضبط النصّ ومقابلته ، وإحالةِ القارئ إليه .

٧- أعفينا النفس من إثقال الهوامش بالعناية بروايات متون الأحاديث ؛ لأنّ ذلك يخرجنا من دائرة عملنا .

والله وليّ التوفيق ، إنّه نعْم المولى ونعم النصيرُ .

الورقة الأولى من نسخة برنستون



الورقة الأولى من نسخة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

/١٤٦ أ/ حامداً اللهَ العظيمَ على أنعامه ، وسائلاً منه فَهْم تفسير كريم كلامه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد أشرفِ مخلوقاته النبيهِ النابه ، الذي شرّفه بوحي آياته ، وشرَّفنا به ، وعلى آله الكرام ، و أصحابهِ الفِخام ، الكاشفينَ الأستارَ عن حقائق التنزيل ، والفائزينَ بالاطلاعِ على أسرار دقائق التأويل . أمّا بعد :

فهذه رسالة جمعْتُها مبيِّنةً للفرق بين التأويل والتفسير ، وما في ذلك من المقال على حسب الطاقة والتيسير، وسَمَّيْتُها : « التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل » ، والله حسبي ونعم الوكيل .

أقول - أشرق الله قلبي وقلبك بنور الإيمان ، وجعلَنا من أهل التوفيق والعرفان - : إن في علم التفسير مَهامهَ تَحارُ فيها القَطا وتَضِلُّ الأحلامُ ، ومداحضَ تَزِلُّ بها الأقدامُ والأقلامُ ، فمعرفة الفرق بين التفسير والتأويل من أهمّ المهمّات لمن أراد أنْ يرتّل القرآن بأحسنِ ترتيل [١] .

قال الإمام أبو الليث السمرقنديّ - رحمه الله تعالى - في أوائل تفسيره [٢] : « رُويَ عن سيّدنا عليّ بن أبي طالب ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال في خطبته [٣] : « أيها الناس ، قد بيّن الله لكم في مُحْكَم كتابه ما أحل لكم وما حرّم عليكم ، فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه ، وآمنوا بمتشابهه ، و اعملوا بمحكمه ، واعتبروا بأمثاله » انتهى .

---

(١) كذا العبارة في النسختين ، ولم يظهر لي وجه هذا الربط .

(٢) ينظر : (١٧/١) منه . وهو : نصر بن محمد بن أحمد ، الملقّب بإمام الهدى ، من أئمة الحنفية والزهّاد المتصوّفين (ت : ٣٧٣ هـ) . ينظر : طبقات المفسرين (٣٤٥/٢) ، والأعلام (٢٧/٨) .

(٣) المشهورة بخطبة حجة الوداع . وقريب منها ما ورد في : البحر المحيط (١٢/١) . وينظر : خطبة الرسول في حِجة الوداع صـ ١٧٩ .

فممّا أمر النبي ﷺ بأن يُحلّ حلالُه ويُحَرِّمَ حرامُه ثم لا يمكن ذلك إلا بعد العلم بتفسيره ، ولأنّ الله تعالى أنزل القرآن هدىً للناس ، وجعله حُجّة على جميع الخلق بقوله تعالى [١] : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ ، أي : لأنذركم بالقرآن . وقد اكتفى بالإنذار عن البشارة ، فلمّا كان القرآن حُجّةً على العرب والعجم ثم لا يكون حُجّةً عليهما إلا بعد ما يُعْلَمُ تفسيرُه ، دلّ ذلك على أن طلبَ تفسيره وتأويله أوجبُ ، ثمّ من الواجب صناعةً على من أراد البحث في علم من العلوم على الوجه الأكمل أنْ يتصوّرَه بحدِّه أو رسمِه ، ويعرفَ معناه لغةً وعُرْفاً ؛ ليكونَ عالماً به على الوجه الأكمل .

فتعريف التفسير **لغة** ، هو مأخوذ من الفَسْر ، وهو الكشف .

قال في « الفائق » [٢] : « قولُه تعالى [٣] : ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ التفسير : كشف المُغَطّى [٤] .

وقال في « القاموس » [٥] : « الفَسْر : الإبانة ، وكشف المُغَطّى كالتفسير » .

وقال الراغب في « المفردات » [٦] : /١٤٦ ب/ « الفَسْر : إظهار المعنى المعقول ، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول : تفسِرةٌ ، وسُمّي بها قارورةُ الماء » ، انتهى .

فكما أنّه بالنظر فيها يُكْشَفُ عن علّة المريض ، فكذلك المفسّر يكشف عن معنى الآية وبنائها ، وقصّتها وسبب نزولها [٧] .

---

(١) سورة الأنعام : ١٩ .

(٢) لم نجده فيه . والنص في : اللسان (٥/٥٥) ، والتاج (٧/٣٤٩) .

(٣) سورة الفرقان : ٣٣ .

(٤) تهذيب اللغة (١٢/٤٠٧) .

(٥) (١/٦٣٦) ، وعزي القول إلى ابن الأعرابيّ في : التاج (٧/٣٤٩) .

(٦) صـ ٣٩٤ . وينظر : مقدمة جامع التفاسير صـ ٤٧ ، والبرهان (٢/١٤٨) . وهو : أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهانيّ ، إمام في اللغة ، مبرّز في زمانه ، توفي في حدود سنة (٤٢٥ هـ) . ينظر : بغية الوعاة (٢/٢٩٧) ، والأعلام (٢/٢٥٥) .

(٧) البرهان (٢/١٤٧) .

وعن أحمد بن يحيى ثعلب [١] : مأخوذٌ من فَسَرَتِ الفرسُ : ركضتْ محصورةً لينطلقَ حَصَرُها [٢] فكأنّه أُخِذَ من الكشف أيضاً .

وقال صاحب « المجمل » [٣] : « التفسير : البيان ، و الفَسْر : نظر الطبيب في الماء ، والتفسرة كذلك » .

وقيل : « هو تفعيل من : فسر ، وهي [٤] مقلوب من : سفر ، وهو كقولهم : جذب وجبذ ، لكن جُعِلَ الفَسْرُ لإظهار المعاني للبصائر ، والسَّفْرُ لإبراز الأعيان للأبصار ، ويقال : سفرتِ المرأةُ البيتَ : كنسته ، وأسفر الصبح : أضاء ، ووجوه مسفرة : مضيئة . فالتفسير : التنوير ، وكشف المنغلق من المراد بلفظه » .

وأما تعريفه **لقباً** ، فهو علم يكشف عما يتعلق بمعرفة كلام الله تعالى الدالّ على أمّهات العلوم والمعارف على وجه الإعجاز لفظاً ومعنىً ، المتحدَّى بسورة منه دَهْماءُ البلغاء من العرب العَرْباء [٥] مع كَثرتهم كثرةَ حصى البطحاء ورمال الدهناء ، وشهرتِهم بفرط العصبيّة وكمال الحميّة الجاهليّة ، فأخرس شقاشق مساليقهم ، وأعجز بلغاء مناطيقهم ، ولم يجدوا للطعن عليه مجالاً ، ولم يَقْدِروا أن يوردوا في القَدْح فيه مقالاً ، حتّى آثروا المقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف ، وأعرضوا عن المقاولة باللسان إلى المقاتلة بالسنان .

فسبحان من أعجزهم بقدرته ، وكبحهم عن الإتيان بمعارضته [٦] ، وجعله حُجّة واضحة المحجّة إلى يوم الدين ، ومعجزةً ظاهرة لسيّد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) أبو العبّاس ، إمام الكوفيين في النحو واللغة (ت : ٢٩١ هـ) . ينظر : إنباه الرواة (١/١٣٨) ، والأعلام (١/٢٦٧) ، وفي البحر المحيط (١/١٣) : « قال ثعلب : فَسَرْتُ الفرسَ : عرّيته لينطلق في حصره ، وهو راجع لمعنى الكشف ، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري » ، وينظر : البرهان (٢/١٤٧) .

(٢) « محصوراً ، حصره » في : « س ، ق » . وهو وهم .

(٣) (٣/٧٢١) .

(٤) [وهي] : ساقطة من « ق » .

(٥) [العرباء] ساقطة من « س » .

(٦) قد يستفاد من هذا التعبير أن الإعجاز بالصّرفة ، وليس بالقرآن ، وهو قول ضعيف .

وأمّا **موضوعُه** ، فكتاب الله تعالى ، لأنّه يبحث فيه من جهة معناه . قال ابن نُجَيم [١] في « الأشباه » [٢] : « فائدة : قال بعض المشايخ [٣] : العلومُ ثلاثةٌ ، عِلْمٌ نَضجَ وما احترَق ، وهو علم النحو والأصول ، وعِلْمٌ لا نَضِجَ ولا احترَق ، وهو البيانُ والتفسيرُ ، وعِلْمٌ نَضِجَ واحترَق ، وهو علمُ الفقه والحديث » ، انتهى .

قال بعض الفضلاء [٤] : « لأنّ علم التفسير لا نهاية له يوقف عليها ، ومن أمعن النظر فيه ظهر له ذلك ، إذْ موضوعه فهم مراد الله من حيث المعاني ووجوهُ الإعجاز ومواقعُ المناسبات وغيرُ ذلك ممّا لا يحيطه إلا علامُ الغيوب ، فكيف يوقف له على نهاية ؟ بل إنّما يُعْطَى الشخصُ من ذلك بحسب الإلهام الإلهي /١٤٧ أ/ وهو لا يوقف له عند غاية بحيث لا يتعدّى إلى غيرها ، ومن وقف على كتب التفسير وتأمّلها ، ظهر له ذلك » ، انتهى .

وأمّا **غايتُه** ، فالاعتصام بالعُرْوةِ الوثقى والوصولُ إلى السعادة الحقيقيّة العليا التي لا تَفْنى ، والاطّلاعُ على عجائب اللهِ تعالى المندرجةِ في خلالِ مطاويه ، والامتثالُ لأوامره ونواهيه .

وأمّا من جهة **شدّةِ الحاجة إليه** فلأنّ كلّ كمال دينيٍّ أو دنيويٍّ عاجليٍّ أو آجليٍّ مفتقرٌ إلى العلوم الشرعيّة والمعارف الدينيّة ، وهي متوقّفة على العلم بكتاب الله تعالى . ولأجل ذلك أجمع العلماء على أن التفسير والتأويل من الفروض الكفايات ، وأجلّ العلوم الثلاثة الشرعيّة [٥] .

---

(١) هو : زين الدين بن إبراهيم بن محمد ، فقيه حنفي ، مصري ، أجازه علماء عصره بالإفتاء والتدريس ، (ت : ٩٧٠ هـ) . ينظر : الكواكب السائرة (١٥٤/٣) ، والأعلام (٦٤/٣) .

(٢) .. والنظائر صـ ٤٥٣ .

(٣) ينظر : عقود الجمان شرح أرجوزة علم المعاني والبيان صـ ٤ ، ولمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث صـ ٧٣ .

(٤) لم نهتدِ إلى معرفته .

(٥) النصّ في الاتقان (١٩٩/٤) .

وأما التأويلُ ، فقال النّضْر بن شُمَيل [١] : « أصله من الإيالة ، و هي السياسة فكأن المؤوّلَ ساس الكلام القادرَ عليه ، ووضعه مواضعَه » .

وقال خُسْرُو [٢] : « التأويل من الأَوْلِ ، و هو الرجوع والانصراف ، فهو صَرْفُ اللفظ إلى محتمله ، فإذا وقع في القرآن والحديثِ ، فإنْ وافق الكتابَ أو السنّةَ أو القواعدَ المقرّرَةَ ، فصحيحٌ ، وإلا ففاسدٌ » ، انتهى .

وقد اختلف الناس في الفرق بين التفسير و التأويل :

ففي « الفائق » [٣] : « قال أبو العباس : التأويل والتفسير بمعنى واحد ، انتهى . وأنكر ذلك قوم حتّى بالغ ابن [٤] حبيبٍ النيسابوريّ فقال : قد يقع في زماننا مفسّرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه » .

وقال الراغب [٥] : « التفسير أعمُّ من التأويل ، وأكثرُ استعماله في الألفاظ ومفرداتها ، وأكثرُ استعمال التأويل في المعاني والجمل ، وأكثرُ ما يُستعمَل في الكتب الإلهية ، والتفسير يُستعمَل فيها وفي غيرها » .

---

(١) تفسير الثعالبي (١/٨٧) ، والبرهان (٢/١٤٩) . وهو : النضر بن شميل بن خرشة المازنيّ ، من أهل مرو ، عالم بأيام العرب ورواية الحديث واللغة ، أخذ عن الخليل وأقام بالبادية أربعين سنة ، توفي سنة (٢٠٣ هـ) . ينظر : إنباه الرواة (٣/٣٤٨) ، والأعلام (٨/٣٣) .

(٢) هو : محمد بن فرامُرز بن عليّ ، المعرف بملا خُسْرُو . روميّ الأصل ، عالم بفقه الحنفية والأصول ، له حاشية على : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ت : ٨٨٥ هـ) . ينظر : الضوء اللامع (٨/٢٧٩) ، والأعلام (٦/٣٢٨) .

(٣) أخلّ به الكتاب المذكور . والنصّ في اللسان (١١/٣٣) ، وتاج العروس (٧/٣٤٩) . وأبو العباس هو ثعلب كما في المصدرين السابقين .

(٤) البرهان (٢/١٥٢) . وينظر : الإتقان (٤/١٩٢) . وهو : أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ، مفسّر ، واعظ ، وعالم بالمغازي والقصص والسير ، صاحب كتاب عقلاء المجانين ؛ وصنف في التفسير والآداب . وتداخلت ترجمته في بعض المصادر مع صاحب : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، توفي سنة (٤٠٦ هـ) . ينظر : طبقات المفسرين (٢/١٤٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٧/٢٣٧-٢٣٨) .

(٥) مقدمة جامع التفاسير صـ ٤٧ . وينظر : مفردات ألفاظ القرآن صـ ٣٤٩ . والنص في : البرهان (٢/١٤٩) ، والإتقان (٤/١٩٤) .

وقال أبو طالبِ الثعلبي [١] رحمه الله تعالى : « التفسير بيان وضع اللفظ ، إمّا حقيقةً وإمّا مجازاً ؛ كتفسير الصراط بالطريق ، والصيّب بالمطر ، والتأويل تفسير باطن اللفظ ، مأخوذٌ من الأول ، وهو الرجوع لعاقبةِ الأمر ، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير إخبار عن دليل المراد ؛ لأنّ اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل ، مثاله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [٢] ، وتفسيره أنه من الرَّصدِ ، يُقال : رَصَدْتُه : رَقَبْتُه ، والمِرصادُ مِفعال منه ، وتأويلُه التحذير من التهاون بأمر الله تعالى ، والغفلةِ عن الأُهبة والاستعدادِ للعَرْض عليه . وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة » .

وقال ابن الجوزيّ [٣] : « التفسير إخراج الشيء من مقامِ معلومِ الخفاءِ إلى مقام التجلّي ، والتأويل نقل الكلامِ عن موضِعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليلٍ ، لولاه ما تُرك ظاهر اللفظ » ، انتهى .

وقال غيره [٤] : « التفسير كشف المراد عن اللفظِ المُشْكِلِ ، والتأويل ردّ أحدِ المحتملين إلى ما يطابق الظاهر » .

وقيل : « التفسير بيان أوّل الكلام ، والتأويل بيان آخره » .

وقيل : « التفسير للمُحْكَماتِ ، والتأويل للمتشابهاتِ » .

وقيل : « علم التفسير للخلق ، وعلم التأويل للحَقِّ ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [٥] وهو فيما يرجع إلى الغيب الذي أبهمه الله تعالى ؛ كالساعة

(١) الإتقان (١٩٣/٤) وفيه : التغلبيّ في موضع : الثعلبيّ . ولعله أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ، من أهل نيسابور ، مفسر ، توفي سنة (٤٢٧ هـ) . ينظر : طبقات المفسّرين (٦٥/١) ، والأعلام (٢٩٢/١) . ولم نجد النص في : تفسير الثعلبي « الكشف والبيان في تفسير القرآن » .

(٢) سورة الفجر : ١٤ .

(٣) زاد المسير (٤/١) ، ونقله الزَّبيديّ في تاج العروس (٣٢/١٤) . وابن الجوزيّ هو : عبد الرحمن بن علي الحنبلي ، توفي سنة (٥٩٧ هـ) . ينظر : طبقات المفسرين (٢٧٠/٩) ، والأعلام (٣١٦/٣) .

(٤) تهذيب اللغة (٤٥٧/١٢) ، واللسان (٥٥/٥) ، والبرهان (١٤٩/٢) ، والتاج (٣٤٩/٥) ، (٣٢/١٤) .

(٥) سورة آل عمران : ٧ .

/١٤٧ ب/ متى وقوعُها ؟ وأشراطها متى ظهورُها ؟

وقيل : « التفسيرُ ما لا يُختلَفُ فيه ، والتأويلُ ما اختُلِفَ فيه » .

والناسُ في معنى التأويل والتفسير بينَ التطويل والتقصير ، ولنا في التوسُّطِ التعديلُ على حسبِ ما في التيسير .

فالتفسيرُ هو عِلمُ نزول الآية ، وقصتُها وفضلها وشأنها والأسبابُ التي نزلتْ لها ، والشَّهادةُ على الله ، والقطعُ بأنهُ عَنَى بهذا اللفظِ ، وهذا لا يكون إلا بنصِّ النبيِّ ﷺ أو الصحابةِ الذين شاهدوا التنزيلَ والوحيَ ، فهم يقولون مع العلم به ، ولهذا جزمَ الحاكمُ في « المستدرك » [١] بأنَّ تفسير الصحابي مُطلقاً في حُكْم المرفوع ، وإنْ نازعهُ في ذلك ابنُ الصَّلاح [٢] ، فإنهم كانوا إذا خَفِيَ عليهم شيءٌ يسألون النبي ﷺ عنه ؛ كما ورد أنهم سألوه [٣] لما نزل : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [٤] قالوا : وأيُّنا لم يظلم نفسَه ؟! ففسره النبيّ ﷺ بالشرك ، واستدلّ عليه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [٥] .

(١) (٢/٥٨ ، ٣٤٥) . وورد في الموضعين على التوالي : « ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابيّ الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند » ، و « إنّ الصحابي إذا فسّر التلاوة فهو مسند عند الشيخين » . ينظر : البرهان (٢/١٥٧) ، والإتقان (٤/٢٠٨) . والحاكم هو : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوريّ ، من أكابر حفّاظ الحديث والمصنفين فيه ، وفاته في نيسابور سنة (٤٠٥ هـ) . ينظر : طبقات الشافعية (٣/٦٤) ، والأعلام (٦/٢٢٧) .

(٢) مقدمة ابن الصلاح صـ ٢٠٠ . وفيه : « ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند ، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية ... فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله ﷺ فمعدودة في الموقوفات ، والله أعلم » .

وهو : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان النصريّ الشهرزوري الكرديّ ، عالم بالتفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ، توفي سنة (٦٤٣ هـ) . ينظر : وفيات الأعيان (١/٣١٢) ، والأعلام (٤/٢٠٧-٢٠٨) .

(٣) من هنا إلى قوله : « وغير ذلك » في البرهان (١/١٤-١٥) ، والإتقان (٤/١٩٦) . وينظر : المستدرك على الصحيحين (٢/٣١٦ ، ٤٤٠) .

(٤) سورة الأنعام : ٨٢ .

(٥) سورة لقمان : ١٣ .

وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير ، فقال : « ذلك العَرْض »[١] ، وكقصة عَدِيّ ابن حاتم في الخيط الأبيض والخيطِ الأسود[٢] ، وغيرِ ذلك .

والنبي بيّن لأصحابه تفسيرَ جميع القرآن أو غالبه[٣] ، ويؤيد ذلك ما أخرجه أحمد[٤] وابن ماجه[٥] عن عمرَ أنّه قال : « مِنْ آخرِ ما نَزَلَ آيةُ الرِّبا ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ قبُضَ قَبْلَ أن يُفَسّرها » ، دلّ فحوى الكلام على أنّه كان يفسّر لهم كلّ ما نزل ، ولسرعة موته عليه السلام بعد هذه الآية لم يفسِّرْها لهم فدلّ على ذلك تخصيصُه بها .

---

(١) تفسير الحساب اليسير بالعرض ، رواه البخاري في صحيحه (١/٦٠) ، رقم (١٥٣) بأنّ النبيّ ﷺ قال : « من حُوسبَ عُذّبَ ، قالت عائشة : فقلت : أو ليس يقول الله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٨] ، قالت : فقال : إنما ذلك العَرْض، ولكنْ من نوقشَ الحسابَ يَهلِك » .

(٢) إشارة إلى ما رواه البخاري في كتاب الصوم من صحيحه (٢/٥٦٩-٥٧٠) ، رقم (١٩١٦) عن عديّ بن حاتم ﷺ قال : « لما نزلت ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] . عمدتُ إلى عقال أسودَ وعقال أبيضَ ، فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلتُ أنظر في الليل فلا يتبين لي ، فغدوتُ على رسول الله ﷺ فذكرتُ له ذلك ، فقال : إنما ذلك سواد الليل وبياضُ النهار » . وينظر : صحيح مسلم (٢/٧٦٦) ، رقم (١٠٩٠) ، وتفسير السمرقندي (١/١٨٦) . وهو : عديّ بن حاتم بن عبد الله الطائي ، صحابيّ شهير ، ابن حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الجود والكرم ، توفي سنة (٦٨ هـ) . وينظر : تقريب التهذيب صـ ٣٨٨ (ت ٤٥٤٠) ، والأعلام (٤/٢٢٠) .

(٣) في هذا الكلام نظر ، وهو يتعارض مع روايات أخرى ، كما يتعارض مع الآيات الآمرة بالتدبر والتفكر ، كما يتعارض مع اختلاف الصحابة في التفسير - وإن كان معظمه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد - كما يتعارض مع الواقع واختلاف المفسرين في تفاسيرهم الكثيرة .. ولو كان الرسول ﷺ بيّن لأصحابه كل معاني القرآن ، لما ساغ لأحد أن يفسر أو يجتهد في ذلك .

(٤) المسند (١/٨٥) ، رقم (٢٤٦) . وهو : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، ثقة ، حافظ ، فقيه ، صاحب المذهب ، توفي سنة (٢٤١ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٨٤ (ت ٩٦) ، والأعلام (١/٢٠٣) .

(٥) سنن ابن ماجه (٢/٧٦٤) ، رقم (٢٢٧٦) . وهو : أبو عبد الله محمد بن يزيد الرَّبعي القزويني ، حافظ ، أحد الأئمة في علم الحديث ، توفي سنة (٢٧٣ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٥١٤ (ت ٦٢٧١) ، والأعلام (٧/١٤٤) .

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي[١] : حدثنا الذين كانوا يقرئون القرآنَ كعثمانَ بن عفّانَ وعبدِ الله ابن مسعود[٢] وغيرِهما ﷺ : « أنّهم كانوا إذا تعلّموا من النبيّ ﷺ عشر آيات ، لم يتجاوزها حتّى يتعلموا ما فيها من العلمِ والعملِ ، قالوا : فتعلمْنا القرآنَ والعلم والعَمَلَ جميعاً » .

فإن قلتَ : يَرِدُ عليه ما أخرجه البزّارُ[٣] عن عائشة ﷺ قالتْ : « ما كانَ رسولُ الله ﷺ يفسِّر شيئاً من القرآن إلا آياتٍ بعدَ ما علّمه إيّاهُنّ جبريلُ العَلَيْهِ السَّلامُ » .

قلتُ : هذا الحديث ، أنكره ابن كثير[٤] ﷺ مع أنّه مؤوّل بأنّها إشارات إلى آياتٍ ، مُشْكلاتٍ ، أشكلنَ عليه ﷺ ، فسألَ اللهَ تعالى أن ينزّل عليه فيهنّ ، فأنزلَ على لسانِ جبريلَ العَلَيْهِ السَّلامُ ، كما ذكره ابن جرير[٥] رحمهُ الله تعالى ، فلا يَرُدُّ ما تقدّم ، والله أعلمُ .

والتأويلُ صرفُ الآيةِ إلى معنًى تحتمله من المعاني ، غيرِ مخالفٍ للكتابِ والسنة ، وترجيحُ أحد المحتملاتِ بدون القطعِ والشهادة على الله .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥/٤١٠) ، والمستدرك على الصحيحين (١/٥٥٧) ، وفضائل القرآن – الرازي صـ ١٢٧ . وينظر : الجامع لأحكام القرآن (١/٣٩) ، وتفسير ابن كثير (١/٤) ، والإتقان (٤/٢٠٢) . وهو : عبد الله بن حبيب بن رُبَيِّعة الكوفي ، المقرئ ، ولأبيه صُحْبة ، ثقة ، ثَبْت ، توفي بعد (٧٠ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٢٩٩ (ت ٣٢٧١) .

(٢) .. بن غافل الهذليّ ، من كبار العلماء من الصحابة ، وأمّره عمر ﷺ على الكوفة ، توفي في المدينة سنة (٣٢ هـ) أو بعدها . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٣٢٣ (ت ٣٦١٣) والأعلام (٤/١٣٧) .

(٣) لم نجده في مسنده الموسوم بـ « البحر الزخّار » . والنص في تفسير الطبري (١/٦٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١/٣١) ، وتفسير ابن كثير (١/٧) بألفاظ مقاربة ، وفيها : « إلا آياً بعدد » وذكر أبو حيان الأندلسيّ في البحر المحيط (١/١٣) : أنّ ذلك محمول على مُغيّبات القرآن وتفسيره لمجمله ، ونحوه ممّا لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى .

والبزّار هو : أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ، حافظ ، من علماء الحديث بالبصرة ، توفي بالرملة سنة (٢٩٢ هـ) . ينظر : شذرات الذهب (٢/٢٠٩) ، والأعلام (١/١٨٩) .

(٤) تفسير ابن كثير (١/٧) . وهو : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه ، توفي سنة (٧٧٤ هـ) . ينظر : شذرات الذهب (٦/٢٣١) ، والأعلام (١/٣٢٠) .

(٥) الطبريّ في تفسيره (١/٦٢) . وهو أبو جعفر محمد بن جرير ، صاحب التفسير والتاريخ ، توفي سنة (٣١٠ هـ) . ينظر : طبقات المفسرين (٢/١٠٦) ، والأعلام (٦/٦٩) .

وقال الخازن[١] : الفرق بينَ التفسير والتأويل أن التفسيرَ يتوقّف على النقل المسموع . والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح ، مثال التفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾[٢] هما الأوسُ والخزرجُ، وقوله تعالى : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[٣] /١٤٨ أ/ هم فارسُ وأهلُ اليمن ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[٤] هو الأخنس بن شُرَيق[٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى[٦] نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾[٧] هو صُهَيبٌ[٨] ، فهذا ونحوه من التفسير ، ولا يُتكلّمُ فيه إلا بالسماع .

ومثال[٩] التأويل قوله تعالى : ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[١٠] ، قال بعضهم : أي شباناً[١١] وشيوخاً ، وقال آخرون : أيْ فقراءَ وأغنياءَ ، وقال قوم : أي عُزباناً[١٢]

---

(١) تفسير الخازن (١/١٤) إلى قوله : « على الفهم الصحيح » . والخازن هو : عليّ بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ ، بغداديّ الأصل ، من فقهاء الشافعية ، عالم بالتفسير والتاريخ ، توفي سنة (٧٤١ هـ) . ينظر : طبقات المفسرين (١/٤٢٢) ، والأعلام (٥/٥) . وفي « س ، ق » : ابن الخازن ، وهو وهم .

(٢) سورة الحجرات : ٩ .

(٣) سورة الفتح : ١٦ .

(٤) سورة البقرة : ٢٠٤ .

(٥) .. بن عمر الثقفي ، أبو ثعلبة ، واسمه : أُبيّ ، شهد حُنيناً ، ومات في أوّل خلافة عمر ﷺ . والقصة وسبب نزول الآية ، والترجمة في الإصابة (١/٢٣) ، (ت ٦) .

(٦) « يشري » ساقطة من « س » .

(٧) سورة البقرة : ٢٠٧ .

(٨) .. بن سنان الرومي ، أبو يحيى ، يقال : اسمه عبد الملك ، صحابيّ شهير ، كان من المستضعفين ممن يعذّب في الله ، شهد بدراً والمشاهد بعدها ، ومات بالمدينة سنة (٣٨ أو ٣٩ هـ) . ينظر : الإصابة (٣/٢٥٤) ، (ت ٤٠٩٩) ، وتقريب التهذيب صـ ٢٧٨ (٢٩٥٣) . وذكر السمرقندي في تفسيره (١/١٩٦) أنّ هذه الآية نزلت في صهيب ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ .

(٩) النص من هنا إلى قوله : « وكله جائز مقبول » ، مستفاد من البرهان (٢/١٥١) ، والإتقان (٤/٢١٢) .

(١٠) سورة التوبة : ٤١ .

(١١) « شباباً » في البرهان والإتقان .

(١٢) « عُزّاباً » في البرهان والإتقان .

ومتأهّلينَ ، وقال جماعة : أيْ أصحّاءَ ومرضى ، وقال طائفة : أيْ نُشّاطاً وغيرَ نُشّاطٍ .

فهذا من التأويل ، وكلُّه جائزٌ مقبولٌ ، ولا بأسَ بالقول به بما وافق الأصولَ ولم يخالف المعقولَ ، واستدلّوا على جوازه بقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (١) ، وهو حثٌّ على التأمّلِ فيه للوقوف على معانيه ، وقوله تعالى : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٧) ، وقوله تعالى : ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (٨) ، وقول النبيِّ (٩) ﷺ : « أوّلُ ما يُرْفعُ من الأرض العلمُ ، قالوا : يا رسول الله يُرفعُ القرآن ، قال : لا ، ولكنْ يموتُ مَنْ يَعْلمُ تأويلَهُ ، ويَبْقى قومٌ يتأوَّلونه على أهوائِهم » انتهى .

كتفسير الروافض ... ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ (١٠) أنهما عليٌّ وفاطمةُ عليهما السلام ، ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ (١١) الحسنُ والحسينُ (١٢) .

---

(١) سورة النساء : ٨٢ .
(٢) سورة النساء : ٨٣ .
(٣) سورة آل عمران : ١٨٧ .
(٤) سورة النحل : ٤٤ .
(٥) سورة الأنعام : ١٩ .
(٦) سورة يوسف : ٢ .
(٧) سورة البقرة : ٢١٩ .
(٨) سورة النحل : ٨٩ .
(٩) لم نجد الحديث فيما رجعنا إليه من مصادر حديثيّة وغيرها .
(١٠) سورة الرحمن : ١٩ .
(١١) سورة الرحمن : ٢٢ .
(١٢) البرهان (٢/١٥٢) ، والإتقان (٤/٢١٢) .

وقال الحسن [١] رحمه الله تعالى : « ما أنزلَ اللهُ آيةً إلا واللهُ تعالى يُحبُّ أنْ يَعْلَمَ العبادُ ما عنى بها » . وأخرج البيهقيّ [٢] وغيرُه من حديث أبي هريرةَ [٣] ﷺ مرفوعاً : « أَعْرِبُوا القرآنَ والتَمِسُوا غرائبَه » . وعن عبد الله بن بُرَيدةَ [٤] عن رجل مِن صحابة رسول الله ﷺ قال : « لو أني أعْلَمُ إذا سافرْتُ أربعينَ ليلةً أعربْتُ آيةً من كتابِ اللهِ تعالى لفعلْتُ » .

وأخرج ابن الأنباري [٥] عن أبي بكر الصديق ﷺ قال : « لئن أعربتُ آيةً أحبُّ إليَّ مِن أن أحفظ آيةً » .

وروى الشعبيّ [٦] عن عمر ﷺ أنه قال : « مَن قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجرُ شهيدٍ » .

---

(١) فضائل القرآن ، أبو عبيدة صـ ١١ ، والإتقان (١٩٨/٤) . وروايتهما : « ما أنزل الله آية إلا وهو يحبّ أن تعلم فيما أُنزلت ، وما أراد بها » .

(٢) شعب الإيمان (٤٢٧/٢) ، رقم (٢٩٩٢) . وينظر : إيضاح الوقف والابتداء (١٥/١) ، والمستدرك على الصحيحين (٤٣٩/٢) ، وتفسير القرطبي (٢٣/١) ، والبرهان (٤٥٤/١) ، والإتقان (١٩٨/٤) . وهو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ، من أئمة الحديث ، توفي سنة (٤٥٨ هـ) . ينظر : شذرات الذهب (٣٠٤/٣) ، والأعلام (١١٦/١) .

(٣) عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صحابي ، جليل ، حافظ ، اختلف في اسمه واسم أبيه ، توفي سنة (٥٩ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٦٨٠-٦٨١ (ت ٨٤٢٦) .

(٤) إيضاح الوقف والابتداء (٢٦/١) ، والإتقان (١٩٩/٤) . وهو : أبو سهل عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلميّ ، قاضي مرو ، ثقة ، توفي سنة (١٠٥ هـ) ، وقيل : (١١٥ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٢٩٧ (ت ٣٢٢٧) .

(٥) إيضاح الوقف والابتداء (٢٣/١) ، وينظر : فضائل القرآن ، أبو عبيد صـ ٩٧ ، والإتقان (١٩٨/٤) . وهو : أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري ، كان أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له ، توفي سنة (٣٢٧ هـ) . ينظر : إنباه الرواة (٢٠١/٣-٢٠٢) ، والأعلام (٣٣٤/٦) .

(٦) إيضاح الوقف والابتداء (٢٠/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٣/١) ، والإتقان (١٩٨/٤) . وهو : أبو عمرو عامر بن شراحيل ، ثقة مشهور ، فقيه فاضل ، توفي بالكوفة سنة (١٠٣ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٢٨٧ (ت ٣٠٩٢) ، والأعلام (٢٥١/٣) .

فإن قلت : ما معنى الإعراب هنا ؟ قلت : معناه البيانُ والتفسيرُ ، وهو تفسيره لغة ، يقال : أعربَ الرجل عمّا في ضميره : إذا أبانه ، وأعربتِ الجاريةُ عن وجهها : كشفته . وأما إطلاقه على الحكم النحويّ ، فلا يصح هنا : لأنه اصطلاحٌ حادث ؛ ولأنه كان في سليقتهم ، فلا يحتاجون إلى تعلّمه [١] إلا أنْ يُستدلّ على صحةِ إطلاقه على المعنى الاصطلاحيّ بما أخرجه السِّلفيّ في « الطيوريات » [٢] من حديث ابن عمر [٣] ﷺ مرفوعاً : « أعربوا القرآن يدلكم على تأويله » إلا أنه بعيد ، انتهى [٤] .

وروى ابن عباس [٥] ﷺ عن النبي ﷺ /١٤٨ ب/ أنه قال : « القرآنُ ذَلولٌ ذو وجوهٍ فاحملوه على أحسنِ وجوهِهِ » ، أخرجه أبو نُعَيم وغيره [٦] .

---

(١) « تعليمه » في « س ، ق » . والصواب من الإتقان (٤/١٩٨) .

(٢) الحديث ليس في الكتاب ، وقد استدركه محققاه من الإتقان ، ينظر صـ ٧٥٢ . وجمع السِّلفي في الطيوريات مرويات شيخه ابن الطيوريّ المتوفى سنه (٥٠٠ هـ) .

والحديث في : مسند أبي يعلى (١١/٤٣٦) ، رقم (٦٥٦٠) ، والإتقان (٤/١٩٩) .

والسِّلفي هو: أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد ، حافظ ، رحل في طلب الحديث ، وكتب تعاليق وأماليَّ كثيرة ، توفي سنة (٥٧٦ هـ) . ينظر : وفيات الأعيان (١/٣١) ، والأعلام (١/٢١٦) .

(٣) هو: أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن الخطاب العدويّ . توفي سنة (٧٣ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٣١٥ (ت ٣٤٩٠) ، والأعلام (٤/١٠٨) .

(٤) الإتقان (٤/١٩٨) .

(٥) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، من فقهاء الأمة ، توفي بالطائف سنة (٦٨ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٣٠٩ (ت ٣٤٠٩) ، والأعلام (٤/٩٥) .

(٦) لم نجده في : حلية الأولياء . وهو في : سنن الدارقطني (٤/١٤٤-١٤٥) ، وتفسير الطبرسي (١/٢٧) ، والجامع لأحكام القرآن (١/٢٣) ، والبرهان (٢/١٦٣) ، والإتقان (٤/١٩٨) ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٣/١٢٧) ، رقم (١٠٣٦) . وأبو نعيم هو : أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانيّ ، محدّث ، مؤرّخ ، صوفي ، توفي بأصبهان سنة (٤٣٥ هـ) . ينظر : طبقات الشافعية (٣/٧-١١) ، والأعلام (١/١٥٧) .

ومنه حديث عبد الله [١] : « ما مِنْ شيءٍ مِن كتاب الله إلا وقد جاءَ على أذلالِه » ، أي : على وجهه وطُرُقِه ، وهو جمع ذِلّ بالكسر، يقال : ركبْتُ أذلَّ الطريق ، وهو ما جهد منه . فقوله [٢] : ذلول ، له وجهان :

أحدهما : ممكن القراءة ، ينطلق به جميع الألسنة .

والثاني : أنه واضح المعاني حتى لا يقصُرَ عن أفهام المجتهدين فيه .

وقوله [٢] : ذو وجوه ، له وجهان :

أحدهما : أنّ نَظْمَ كلامه يحتمل من التأويل وجوهاً متناسبة لإعجازه .

ومنه حديث أبي الدرداء [٣] ﷺ : « لا تفقهُ حتى ترى للقرآن وجوهاً » أي : ترى له معانيَ يحتملها فتهاب [٤] الإقدام عليه .

ومنه حديث علي [٥] : « لا تُناظرهم بالقرآن فإنّهُ حَمّالٌ ذو وُجوه » ، أي : يُحْمَل عليه كلّ تأويل فيحمله ، وذو وجوه ، أي ذو معانٍ مختلفة .

و الثاني : أنه يجمع وجوهاً من الأمر والنهي والوعد والوعيد والتحريم والتحليل .

وقوله [٦] : فاحملوه على أحسنِ وجوهه ، له وجهان ؛ أحدهما : احملوا تأويله على أحسنِ معانيه . والثاني : أي : اعملوا بأحسنِ ما فيه من العزائم دون الرُّخَص ،

---

(١) ... بن مسعود، والحديث في الفائق (٢/١٤ ، والنهاية (٢/١٦٦) .

(٢) القول مستفاد من البرهان (٢/١٦٣) ، والإتقان (٤/٢١١) .

(٣) شرح السنة ، البغوي (١/٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٩٢) ، برواية : « لا تفقه كل الفقه » ، وهي الرواية التي سترد في سياق البحث . وأبو الدرداء هو : عويمر بن زيد بن قيس الأنصاريّ ، وقيل : عامر بن مالك ، صحابيّ جليل ، من الحكماء القضاة ، مات بالشام في آخر خلافة عثمان بن عفان ﷺ ، وقيل عاش بعد ذلك . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٤٣٤ (ت ٥٢٢٨) ، والأعلام (٥/٩٨) .

(٤) « فتأهب » في « س ، ق » . والصواب من شرح السنة .

(٥) النهاية (١/٤٤٤) . وفي « س ، ق » : « جمال » ، تصحيف .

(٦) تفسير الماوردي (١/٣٥-٣٦) ، والبرهان (٢/١٦٣) ، والإتقان (٤/٢١١) . وفيها : « دون الانتقام » في موضع : « دون الانتصاف » .

والعفوِ دونَ الانتصاف ، وهذا كله دليل جواز الاستنباطِ .

وقال ابن عباس [١] ﷺ : « التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ ؛ وجهٍ تعرفه العرب بكلامها ، ووجهٍ لا يُعذر أحدٌ بجهالته ، ووجهٍ يعلمه العلماء ، ووجهٍ لا يعلمه إلا الله تعالى » .

قالوا : فالأول : هو حقائق اللغة وموضوعُ الكلام . والثاني : هو التوحيد وأصول الشرائع . والثالث : فروعُ الأحكام وتأويلُ المحتملاتِ . والرابع : الغيوبُ من وقتِ قيام الساعة ووقتِ ظهور آياتها .

وما لا يُعذرُ أحدٌ بجهلِه ، فهو فرضُ عين ، وما يختص به العلماءُ ، فهو فرضُ كفاية .

فإنْ قلتَ : قد منعَ بعضهم جوازَ تأويلِ القرآن بشيء إلا أن يَرِدَ به نقلٌ صحيحٌ .

قلت : الذي يحتاجُ إلى نقل صحيح ، ولا يدخلُ فيه الرأي هو التفسير - كما تقدم - لا التأويلُ . ويؤيده أن جماعة من السلف الصالح والصحابة ﷺ اختلفوا في تأويل آيات ، ولو كان عندهم فيه نصّ عن النبيّ ﷺ لم يختلفوا فيه ، ولو كان حراماً لما تكلموا به ، ولكنْ على قدْر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه .

وقد دعا النبيّ ﷺ لابن عّباس ﷺ فقال [٢] : « اللهمَّ فقّهْه في الدين وعلمْهُ التأويلَ » ، فكان أكثر ما نُقِل عنه التفسير .

وأمّا استدلالُ البعضِ بما رُوي عن ابن عباس ﷺ ، عن النبيّ ﷺ أنه قال : « مَن قال

---

(١) البرهان (٢/١٦٤) ، والإتقان (٤/٢١٦) . وينظر : تفسير الطبري (١/٥٧) ، وتفسير الماوردي (١/٣٦) .

(٢) صحيح البخاري (١/٧٤) ، رقم (١٤٣) ، وروايته : « اللهم فقهه في الدين » ، والبرهان (٢/١٦٢) ، والإتقان (٤/٢٠٩) .

في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوّأ مقعده من النار » ، رواه أبو داود [١] والترمذيّ [٢] ، وحسَّنه وله طرق متعددة [٣] . وبحديث جندب [٤] عن النبي ﷺ : « مَن قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ » ، أخرجه أبو داود [٥] والترمذيّ [٦] ، والنسائي [٧] ، زاد رَزِين [٨] زيادةً – ولم توجد هذه الزيادة في الأصول – : « وَمَن قال برأيه فأخطأ فقد كفرَ » .

وبقول الصدّيق [٩] رضي الله عنه /١٤٩ أ/ لما سُئلَ عن قوله تعالى : ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [١٠] ، فقال : « ما أدري ما الأبُّ ؟ فقيلَ له : قلْ مِن ذاتِ نَفسكَ يا خليفةَ رسولِ الله ، فقالَ : أيُّ سماءٍ تُظِلّني ، وأيُّ أرض تُقِلّني إذا قلْتُ في كتابِ الله تعالى مالا علمَ لَي به ؟! » ، وفي روايةٍ قال : « إذا قلت في آيةٍ من كتابِ الله بغير ما أرَاد الله بها » ، فمحمولٌ على ما

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/١) . وأبو داود هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستانيّ ، توفي سنة (٢٧٥ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٢٥٠ (ت ٢٥٣٣) ، والأعلام (١٢٢/٣) .

(٢) سنن الترمذي (١٨٣/٥)، رقم (٢٩٥٠ ، ٢٩٥١). وينظر : مشكاة المصابيح (٧٩/١)، رقم (٢٣٤)، والبرهان (١٦١/٢) . والترمذي هو : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، من أئمة علماء الحديث ، توفي سنة (٢٧٩ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٥٠٠ (ت ٦٢٠٦) ، والأعلام (٣٢٢/٦) .

(٣) نص الحديث وما يتبعه مكرر في « ق » .

(٤) .. بن عبد الله بن سفيان البجليّ ، أبو عبد الله ، صاحب النبي ﷺ ونزل بالكوفة والبصرة ، ومات بعد الستين . وينظر : تقريب التهذيب صـ ١٤٢ (ت ٩٧٥) .

(٥) سنن أبي داود (٤٣١/٣) ، رقم (٣٦٥٢) ، ومشكاة المصابيح (٧٩/١) ، رقم (٢٣٥) ، وتفسير الخازن (٦/١) .

(٦) سنن الترمذي (١٨٤/٥) ، رقم (٢٩٥٢) ، وتفسير الخازن (٦/١) .

(٧) فضائل القرآن ، النسائي صـ ١٣٥ ، والبرهان (١٦١/٢) ، والإتقان (٢١٠/٤) .

(٨) هو : أبو الحسن رَزِين بن معاوية بن عمّار العبدريّ السرقُسطيّ ، إمام الحرمين ، من تصانيفه : « التجريد للصحاح الستة » ، توفي بمكة سنة (٥٣٥ هـ) . ينظر : شذرات الذهب (١٠٦/٤) ، والأعلام (٢٠/٣) . والنص في الجامع لأحكام القرآن (٣٢/١) . وينظر : البرهان (١٦٤/٢) .

(٩) فضائل القرآن ، أبو عبيد صـ٣٧٥ ، وتفسير الطبري (٥٨/١) ، وشعب الإيمان (٤٢٨/٢) ، رقم (٢٢٩٦) ، والبرهان (٢٩٥/١) .

(١٠) سورة عبس : ٣١ .

يتراءى له بخاطره ، ولم يعمل على شواهدِ ألفاظه بدلائله ، فإن أصابَ الحقّ فقد أخطأ الدليلَ .

وقيل : الرأيُ نوعان :

رأيٌ من هاجس نفس ، وهو الظنّ والحسبانُ ، وذلك هو المزجور عنه ، المحجور في القرآن ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ** ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ **وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [٢] .

ورأي [٣] ينشأ من عقل كامل وعلم ماهر وتأييد من الله ظاهر ، وهو الاستنباطُ المعهودُ والرأيُ المحمودُ مبنياً على تلك الأصول المحرّرة والقوانين المقرّرة ، يجبُ أنْ لا يُمنعُ ، وإلا لبطلت العلومُ إذ لا كتابَ إلا وهو مملوءٌ بما لا نقلَ فيه من الصحابةِ ممّا استنبط العلماءُ بحسب القواعد العربية .

قال الطيبيّ [٤] : كيف يُمْنَعُ الاستنباط والأئمة الأربعة والعلماء الراسخون قد استنبطوا من القرآن علوماً جمّةً ؛ كالفقه والأصول والنحو والمعاني والأخلاق وغيرِ ذلك ، وليس كل ما قالوه سمعوه ، ورَدُّ هذا ينتهي إلى سَدّ باب عظيم في الدين .

قال أبو الدرداء [٥] : « لا تَفقهُ كل الفقهِ حتى ترى للقرآنِ وجوهاً كثيرةً » ، أخرجه في: « شرح السنة » .

وسُئِلَ أميرُ المؤمنين عليّ كرم الله وجهَه : « هَل عِندَكُم شيءٌ مِنَ الوَحي مما ليس في

---

(١) سورة الإسراء : ٣٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٦٩ .

(٣) النص من هنا إلى نهاية الفقرة في حاشية القطب الشيرازي على الكشاف ، الورقة (٤أ) .

(٤) هو : الحسين بن محمد بن عبد الله ، شرف الدين ، إمام مشهور في المعقول والعربية والمعاني والبيان ، صاحب : « التبيان في المعاني والبيان » و« شرح الكشاف » ، توفي سنة (٧٤٣ هـ) . ينظر : طبقات المفسرين (١/ ١٤٦) ، والأعلام (٦/ ١٣٧-١٣٨) .

(٥) تقدم تخريجه .

القرآنِ ، قال : لا ، والذي خَلَقَ الحبَّة وَبَرأَ النَّسمَةَ إلا فهْمٌ يُعطيه الله رجلاً في القرآن » ، أخرجه الشيخان [١] وغيرهما .

وقال حُجّه الإسلام الغزاليّ في « الإحياء » [٢] : « ينبغي أن يكونَ اعتماد العلماء في العلوم على بصيرتهم بصفاء قلبهم لا على الصحفِ والكتبِ ، ولا على تقليد ما سمعوه من غيرهم ، فإنه إذا اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاءً للعلم لا عالِماً » ، انتهى .

قال أُبَيّ بن كعب [٣] ﷺ : « ما استبان لك - أي : على الرأي الصادقِ والفكرِ الحاذقِ - فاعملْ فيه وانتفعْ بِهِ ، وما شُبّه عليك فآمِن به ، وكِلهُ إلى عالِمِه » .

قال القُطْب الشيرازيّ رحمه الله تعالى في « حاشية الكشاف » [٤] : « علمُ التفسير ما يُبْحَثُ فيه عن مُراد الله تعالى من قرآنه المجيد ، وهو منحصر في قسمين ؛ التفسير والتأويل . لأن بيَان معاني القرآن إما بالنقلِ عَن النبي ﷺ ، أو عَن الصحابة ﷺ ، وهو التفسيرُ ، وإما بحسب قواعد العربية ، وهو التأويل .

وبالجملة التفسيرُ ما يتعلق بالرواية ، والتأويلُ ما يتعلق بالدراية [٥] ، وعلى هذا

---

(١) الحديث في صحيح البخاري (٢/٩٣٧) ، رقم (٣٠٤٧) ، (٤/٢١٥٤ ، ٢١٥٦) ، رقم (٦٩٠٣ ، ٦٩١٥) ، ولم نجده في صحيح مسلم . وينظر : سنن الترمذيّ (٤/٢٤-٢٥) ، رقم (١٤١٢) ، وتفسير ابن كثير (٢/٧٨) .

(٢) (١/١٤١-١٤٢) . وهو : أبو حامد محمد بن محمد الطوسيّ ، فيلسوف متصوف ، توفي سنة (٥٠٥ هـ) . ينظر : شذرات الذهب (٤/١٠-١٣) ، والأعلام (٧/٢٢-٢٣) .

(٣) ... بن قيس الأنصاريّ ، أبو المنذر، قارئ ، من فضلاء الصحابة ، توفي سنة (١٩ هـ) ، وقيل : (٣٢ هـ) ، وغير ذلك . ينظر : تقريب التهذيب صـ ٩٦ (ت ٢٨٣٩) .

(٤) الورقة (٤أ) . و هو : محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي ، قاض ، عالم بالعقليات ، مفسّر ، له : « فتح المنّان في تفسير القرآن » ، توفي سنة (٧١٠ هـ) . ينظر : الفلاكة والمفلوكون صـ ٧٣ ، والأعلام (٧/١٨٧) .

(٥) قاله البجليّ ، كما في البرهان (٢/١٥٠) . وهو في الإتقان (٤/١٩٣) بلا عزو .

أمكن أن يُوجَّه قوله عليه السلام : « مَن فسرَ القرآنَ برأيِه فقد كَفَرَ » بوجهين :

أحدهما : أن المراد من التفسير لـمَّا كان هـو النقـلَ ، فمعنـى « فسّـر » لا يكـون إلا « نَقَلَ » ، فمعنى الحديث أنّ مَنْ نقل معنى القرآنِ عن النبيّ ﷺ أو الصحابة رضي الله عنهم هوَ رجم ظنّ ، فقد كفر ؛ لأنه افترى على النبيّ ﷺ .

والثاني : أنه يستخرِج معانيَ القرآنِ لا بحسب القواعد بل بمجرد رأيه » ، انتهى .

وقد جعل **بعضُهم** أقسامَ التأويل بالرأي الفاسد خمسة :

- أحدها : التأويل /١٤٩ ب/ من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير ، وهي خمسةَ عشَرَ [(١)] : اللغة والنحوُ والتصريفُ والاشتقاقُ والمعاني والبيانُ والبديعُ والقراءات وأصولُ الدين وأصولُ الفقهِ وأسبابُ النزول والقصصُ والناسخ والمنسوخ والفقهُ والأحاديثُ المبيِّنة لتفسير المجمَل والمبْهَم وعلمُ الموهبةِ ، وهو علم يُوَرِّثـهُ الله تعالى لمـن عمـلَ بما [(٢)] علـمَ ، وإليه الإشارة بحديثٍ [(٣)] : « منْ عملَ بما علمَ وَرَّثَه الله ، علمَ ما لم يعلمَ » . فإنْ قيلَ : هذا علم ليس في قدرة الإنسان تحصيله ، فيقال : يمكنُ تحصيله باتباع الأسباب الموجبة له من العمل والزُهد .

قال في « البرهان » [(٤)] : « واعلم أنه لا يحصل للناظر فهمُ معاني الوحي ، ولا يظهر له أسرارُه ، وفي قلبه بدْعة أو هوى أو حبُّ الدنيا ، أو وهـو مصر على ذنـب ، أو غيرُ متحقق بالإيمان ، أو ضعيفُ التحقق ، أو معتمدٌ على قولِ مفسرٍ ليس عنده علم ، أو راجعٌ إلى معقوله . وهذه الأشياء كلُّها حُجُبٌ وموانعُ ، بعضها آكدُ من بعض » ، انتهى .

نسأله سبحانه أن يَمُدَّنا بمدد أهل القرآن والتحقيق ، ويُفهِمنا كلامَهم على الوجه المرضي ، إنه بالفضل حقيقٌ ، آمين .

---

(١) ينظر : البرهان (٤/٢١٣-٢١٥) .

(٢) « ممن » في « س ، ق » . والتصويب من البرهان (٤/٢١٥) .

(٣) حلية الأولياء (١٠/١٥) . وإحياء علوم الدين (١/١٣٠) . وتفسير ابن كثير (١/٥٢٩) .

(٤) (٢/١٨٠) ، ونقله السيوطي في الإتقان (٤/٢١٦) .

- الثاني : تأويل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، قال الشافعيّ [١] في « مختصر البُويطي » : « لا يحلّ تفسير المتشابه إلا بسند عن رسول الله ﷺ ، أو خبر عن أحد من الصحابة ﷺ ، أو إجماع العلماء ، رحمهم الله تعالى .

قال الإمام أبو الليث [٢] رحمه الله تعالى : النهي إنما انصرف إلى المتشابه منه ، لا إلى جميعه ، قال الله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ** ﴾ [٣] ، لأن القرآن إنما نزل حُجّةً على الخلق ، فلو لم يجزِ التأويل [٤] لم تكن الحُجَّة بالغة » ، انتهى .

- الثالث : التأويل المقرَّرُ للمذهبِ الفاسدِ بأن يُجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً له ، فيُرَدّ إليه بأي طريقٍ أَمكنَ وإنْ كان ضعيفاً .

- الرابع : التأويل أنّ مرادَ الله كذا على القطع من غير دليل .

- الخامس : التأويل بالاستخفاف والهوى ، انتهى [٥] .

وهو كما تستعمله الباطنية والخوارج وغيرهما من أهل البدَع في المقاصد الفاسدة ، ليغروا الناس وليصحّحوا بدعتهم ونفوذها ، وليلبسوا على أخصامهم ، وهم [٦] يعلمون أن المراد من الآية خلاف ما أرادوا - قبّحهم الله - . فالتأويل الحرام هو ما كان كذلك ، وأمّا ما كان موافقاً لما عليه الأمة فلا بأس به .

---

(١) هو : محمد بن إدريس ، إمام المذهب الشافعي ، توفي سنة (٢٠٤ هـ) . ينظر : طبقات الشافعية (١/٢٧٥) ، والأعلام (٦/٢٦) . ومختصر البويطي : لا يزال مخطوطاً ، وهو مما اقتبسه يوسف بن يحيى البويطي ، المتوفى سنة (٢٣١ هـ) من فقه الشافعي ، وكان قد صحبه ، وقام مقامه وتولى الإفتاء بعده . ينظر : طبقات الشافعية (١/٢٧٥-٢٧٩) ، ومعجم المؤلفين (١٣/٣٤٢) .

(٢) السمرقندي ، والنص في البرهان (٢/١٦٢) ، والإتقان (٤/٢١١) .

(٣) سورة آل عمران : ٧ .

(٤) « التفسير » في البرهان والإتقان .

(٥) بداية النص : « جعل بعضهم أقسام التأويل بالرأي الفاسد خمسة » . ويلاحظ أن العماديّ أقحم نصّين في نقله .

(٦) « وهم » مكررة في « ق » . والنص في تفسير الخازن (١/٦) .

قال المولى خُسْرُو رحمه الله تعالى : « قال علَمُ الهدى - يعني بذلك : الشيخ أبا منصور الماتُريدي [(١)] ﷺ - : أنكر بعض السلف صحةَ ذلك الخبر - يعني : حديثَ عدم العملِ بالرأي - لـمّا وجدوه خارجاً عمّا عليه عمل الأمَّة ، وخاصةً في الآيات التي تضمّنت الأحكامَ التي بالناس إلى معرفة ما فيها حاجةٌ /١٥٠ أ/ ، مما استنبط منها الفقهاءُ معانيَ فرّعوا عليها الفروعَ ، وفي ذلك تفسير بالرأي .

ومَنْ أقرَّ به ، فإنهم تفرقوا في ذلك :

فقال قوم : التفسير بالرأي وهو أن يحمل المراد على ما يراه بعقله بالتأمل فيه دون أنْ يتفحَّص عن ذلك بالعرض على ما ظهر تأويلُه بالمرفوع إلى النبي ﷺ وبالمتواتِر من الأحكام التي كادت تظهر ظهور ما يُوْصَفُ رادُّها بالمكابرة . وأما من أعرض عن ذلك فهو غير مفسّرٍ بالرأي ، ولكنه مفسّر بالدليل الذي أذن له الحكم بمثله في عامّه أمور الدين ، وذلك تفسير بالعلم .

وقال قومٌ : من ذمَّ به فرقتان :

فرقة من المجتهدين شهدوا على الله بما يرون أنه كذلك ، ثمّ ربما يبدو لهم في ذلك ، فيشهدون به على الله تعالى ، يعني المتصوِّبة [(٢)] من المعتزلة . فأمّا منْ يعمل على ما يتقرّر عنده من غير الشهادة به على الله تعالى ، ولكنْ يعمل على ما بلغه جهدُه ، وأدرك منتهى طَوقِه على ما جاء من القول بأنه إنْ كان خطأً فمني ، وإنْ كان صواباً فمن الله ، فلا بأسَ به إذ قد جاءتْ به الآثارُ وعملت به الأمة .

وفرقَةٌ جعلوا الرأيَ عياراً لما جاء به القرآنُ ، يبْنَي عليه أمره ، لا أنْ يتَّهم رأيه لدى القرآن ، ويتبعه المفهوم منه المتوارث فيه كصنيع كثير من المتكلّمة .

---

(١) هو : محمد بن محمد بن محمود ، المنسوب إلى ماتُريد ، محلة من محلات سمرقند ، واسع المعرفة الشرعية والعقلية ، وعلى جانب كبير من الأخلاق الحميدة ، لقب بإمام الهدى ، وإمام المتكلمين ، ورئيس أهل السنة ، مات بسمرقند سنة (٣٣٣ هـ) . ينظر : تاج التراجم فيمن صنف من الحنفية ص ٢٠١-٢٠٢ ، وهدية العارفين (٢/٣٦) . ولم نجد النص في القسم المطبوع من كتابه : « تأويلات أهل السنة » .

(٢) كذا .

وأمّا من اتبعَ رأيه دلالاتِ القرآنِ ، وعَرفَ بذلك ما لم يجئ فيه البيان ، فنرجو أن يكونَ غير داخل في ذلك الخبر .

وقال قومٌ : ذلك في المتشابه الذي ليس بالناس إلى معرفة ما فيه حاجةٌ ، فيكون تفسيرُه خارجاً مخرجَ الغلو فيه . وأما فيما لا بد للناس من معرفة ذلك والعمل به ، فيجب النظر فيه بما تبلغ به العقل ، وبالعرض على ما فيه الإيضاحُ » ، انتهى .

ونرجو منه تعالى التيسير والفلاح والسلوك على جادّة الحقّ والصواب ، ومضاعفة الأجر وإجزال الثواب بمنه وكرمه ، آمين .

ورأيتُ [(١)] في بعض المجاميع نقلاً عن تفسير الهنديّ [(٢)] - رحمه الله تعالى - ما صورته : قال عليه الصلاة والسلامُ [(٣)] : « مَن فَسَّر القرآن برأيه فَليتَبوّأ مَقعَدَه من النارِ » .

قال الإمام حُجّة الإسلام في « الإحياء » [(٤)] : « تحريم التكلم بغير المسموع باطل [(٥)] ، إذ لا يُصادفُ السَّماع من رسول الله ﷺ ، [إلا] [(٦)] في بعض الآيات ، والصحابة ومَنْ بعدهم اختلفوا اختلافاً لا يمكن فيه الجمعُ ، ويمتنع سماع الجميع من رسول الله ﷺ .

والأخبار والآثار [(٧)] تدلّ على اتّساع معانيه ، /١٥٠ ب/ قال عليه الصلاة والسلامُ لابن عبّاس ﷺ [(٨)] : « اللهُمَّ فقهه في الدينِ وعلّمه التأويلَ » . ولو كان مسموعاً فلا وجه

---

(١) النص من « رأيت » إلى « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين » منسوخ بخط مخالف لخط الرسالة في نسخة « س » ، وهو مما استدرك مصححها قسماً منه على حاشية الورقة (١٥٠ أ) ، والقسم الآخر على الورقة (١٥٠ ب) ، وأشار إلى ذلك بكلمة « صحّ » .

(٢) المعروف بـ« تبصير الرحمن وتيسير المنان » (١/٥-٦) . وهو : العلامة علي بن أحمد بن إبراهيم المهائمي الهنديّ المعروف بالمخدوم ، باحث ومفسر ، مولده ووفاته في مهائم بالهند سنة (٨٣٥ هـ) . ينظر : الأعلام (٤/٢٥٧) ، والإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٣/٨٠-٨١) .

(٣) الحديث بهذه الرواية في الإحياء (١/٧٦ ، ٤٩١) . وتقدمت روايات أخرى له في هذا البحث .

(٤) (١/٤٩١-٤٩٤) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن (١/٣٣-٣٤) .

(٥) « بهما » في « س ، ق » تحريف ، والتصويب من تفسير الهندي .

(٦) الزيادة من تفسير الهندي .

(٧) « الآيات » في « س ، ق » . والتصويب من تفسير الهندي .

(٨) تقدم .

للتخصيص ، وقال ﷻ : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [(١)] ، وقال أبو الدرداء [(٢)] : « لا يفقهُ الرجلُ حتّى يجْعلَ للقرآن وجوهاً » ، وقال [عليّ] [(٣)] عليه السلام : « لو شئتُ لأوقَرْتُ سبعين بعيراً [(٤)] من تفسيرِ فاتحةِ الكتاب » ، وقال ابن مسعود [(٥)] : « مَن أرادَ علم الأوّلين والآخِرِين فليثوِّر القرآنَ » ، وقال بعض العلماء [(٦)] : « لكل آيةٍ ستّون ألف فهمٍ ، وما بقي من فهمها أكثرُ » .

وفي القرآن إشارة إلى مجامع العلوم ، وكلُّ ما أشكل ففي القرآن رموزٌ إليه . فالنهي إمّا عن التأويل على وَفْق ما له من الرأي [الذي] [(٧)] لولاه لم يَلُحْ له ، كمن يُلْبِسُ على خصمه بالتمسُّكِ بآية على تصحيح مُدّعاه [(٨)] مع علمه بأنه ليس بمرادٍ ، وقد يكون له غَرض صحيح يتمسّك عليه بآية يعلم بأنه ليس المرادُ منها كمن يدعو إلى مجاهدة النفس ، فيتمسَّك بقوله تعالى : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [(٩)] ويشير إلى نفسه . وقد تكون الآية محتملةً فيميلُ فهمُه إلى ما فيه غرضُه ، وأما عن [(١٠)] التسارع إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، فأنّه كالبلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب .

قال شارح « التأويلات » [(١١)] : « اجتمعوا على استخراج معانيه بالرأي ، واختلفوا في التوفيق بينه وبين الحديث .

---

(١) سورة النساء : ٨٣ .
(٢) الحديث بهذه الرواية في الإحياء (١/٤٩٢) . وقد تقدمت له روايتان أخريان في المتن والهامش من هذا البحث .
(٣) الزيادة من الإحياء وتفسير الهندي .
(٤) « تفسيراً » في « س ، ق » تحريف ، والتصويب من الإحياء وتفسير الهندي .
(٥) فضائل القرآن ، أبو عبيد صـ ٩٦ ، والنهاية (١/٢٢٩) ، والبرهان (١/٨ ، ٤٥٤) ، (٢/١٥٤) . وتثوير القرآن التنقير عنه والتفكير فيه وتفسيره وقراءته .
(٦) البرهان (٢/١٥٤) .
(٧) الزيادة من تفسير الهندي .
(٨) « بدعته » في تفسير الهندي .
(٩) سورة طه : ٢٤ .
(١٠) « في » في : « س . ق » . وما أثبتناه من تفسير الهندي .
(١١) التأويلات لأبي منصور الماتريديّ .

فقيل : التفسير بيان سبب النزول ، والتأويل ما يحتمله اللفظُ ، وقد جعل الله القرآنَ أصلاً لجميع ما يُحتاج [إليه] [١] ، وليس كلُّه منصوصاً ، فلا بدَّ من الاستخراج بالرأي بالعرض على الأصول .

وقيل : التفسير بيان حقيقة اللفظ إذا عُلِمَتْ ، والتأويلُ صرفُ المتحمل إلى بعض وجوهه لموافقة الأصول ، فلو قُطِعَ منه كان تفسيراً بالرأي .

وقال الشيخ أبو منصور [٢] : « التفسير هو القطع ، فإن كان دليلَ قطعٍ صحَّ ، وإلا حرم لما فيه من [٣] الشهادة على الله بما لا [٤] يُؤْمَنُ فيه الكذبُ ، وَالتأويلُ بيان غاية الاحتمال بغالب الرأي بلا قطع .

وقيل باتحاد [٥] التفسير [والتأويل] [٦] فالذي بالرأي هو الصادرُ عن العقل دون العرض على الأصول من آية محكمة أو خبرٍ متواترٍ أو إجماعٍ ، فالسلف إنّما فسرّوا القرآنَ بدليل أذِنُوا [٧] بالعمل بمثله بأبلغ الاجتهادِ .

والعرض على الأصول نوعان :

– مذمومٌ يشهد على الله بكونه حقاً .

– ومحمودٌ يُعتقد [٨] فيه حقيقته [٩] بغالب الرأي مع إضمار الخطأ .

وقيل : المذموم جَعلُ الرأي عياراً لما جاء به القرآنُ ، فيفسّر على وَفْقه تقريراً له ، وتركُ ظاهر القرآن . والمحمود جَعلُ الرأي تابعاً لدلالة القرآن .

---

(١) الزيادة من تفسير الهدي .

(٢) الماتريديّ . ينظر : الإتقان (١٩٢/٤) .

(٣) « على » في « س ، ق » . والتصويب من تفسير الهندي .

(٤) الزيادة من تفسير الهندي .

(٥) « بإيجاد » في « س ، ق » . والتصويب من تفسير الهندي .

(٦) الزيادة من تفسير الهندي .

(٧) « أذنوي » في « س ، ق » . وما أثبتناه من تفسير الهندي .

(٨) « يعقد » في « س ، ق » . والتصويب من تفسير الهندي .

(٩) « حقيقة » في « س ، ق » . والتصويب من تفسير الهندي .

وقيل : المنهيّ تفسيرُ المتشابهِ فيما لا يُحتاجُ إليه ، وأمّا المحتاجُ إليه ، فتفسيره بالرأي مأمورٌ . هذا حاصل كلامه .

وأقول لك : انْ تحمل النهيَ على جميع [الوجوه] [١] المذمومة سوى تفسير المتشابه بما يوافق المحكم له فوائد لا تحصى ، والممنوعُ حمله على ظاهره أو على مايهواه .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال المؤلف - حفظه الله تعالى - : حُرِّر ذلك في شعبانَ سنة ستٍّ وثلاثين ومئة وألف .

وهذا آخرُ ما وُجِدَ من الرسالة المسّماة بالتفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل . لمؤلفها مالكِ هذا المجموع وما فيه من المجموع المولى حامد أفندي العماديّ شيخ الإسلام بدمشق الشام ، دامت فضائلُه على الدوام على يد الفقير أحمد بن محمد بن عبد الله الحمويّ .

تمَّ النسخ بدمشق يوم الخميس لخمس بقين من ذي الحجَّة الحرامِ ختام سنة ألفٍ ومئة وثمانٍ [٢] وأربعين ، والحمدُ لله وحدَه ، وصلى الله على من لا نبيَّ بعده وآلِه وصحبِه أجمعين .

---

(١) الزيادة من تفسير الهندي .

(٢) « وثمانية » في الأصل ، خطأ نحويّ ، والصواب ما أثبتناه .

فهرس المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات عزيزي .

٢- إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزاليّ . دار الوعي - حلب ، ط١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) .

٣- الأشباه والنظائر : ابن نُجيم . تحـ : محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر - دمشق ، تصوير سنة (١٩٨٦م) عن ط١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

٤- الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلانيّ ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٥- الأعلام : الزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٤ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .

٦- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، مكتبة دار عرفات - الهند ، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .

٧- إنباه الرواة على أنباه النحاة : القفطيّ ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي - القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، ط١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .

٨- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : إسماعيل باشا البغداديّ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .

٩- إيضاح الوقف والابتداء : أبو بكر الأنباريّ . تحـ : محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق ، (١٣٩٠هـ-١٩٧١م) .

١٠- البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - صيدا ، ط٢ (١٣٩١هـ-١٩٧٢م) .

١١- بغية الوعاة : السيوطي ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر ط١ (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) .

١٢- تاج التراجم فيمن صنّف من الحنفيّة : قاسم بن قطلوبغا ، تحـ : إبراهيم صالح ، دار المأمون للتراث - دمشق ، بيروت ، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .

١٣- تاج العروس من جواهر القاموس : مرتضى الزَّبيديّ ، تحـ : علي شيري ، دار الفكر - بيروت ، ط١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .

١٤- تاريخ الأدب العربي : بروكلمان . العصر العثماني ، القسم الثامن ، ترجمة : د. عمر صابر عبد الجليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .

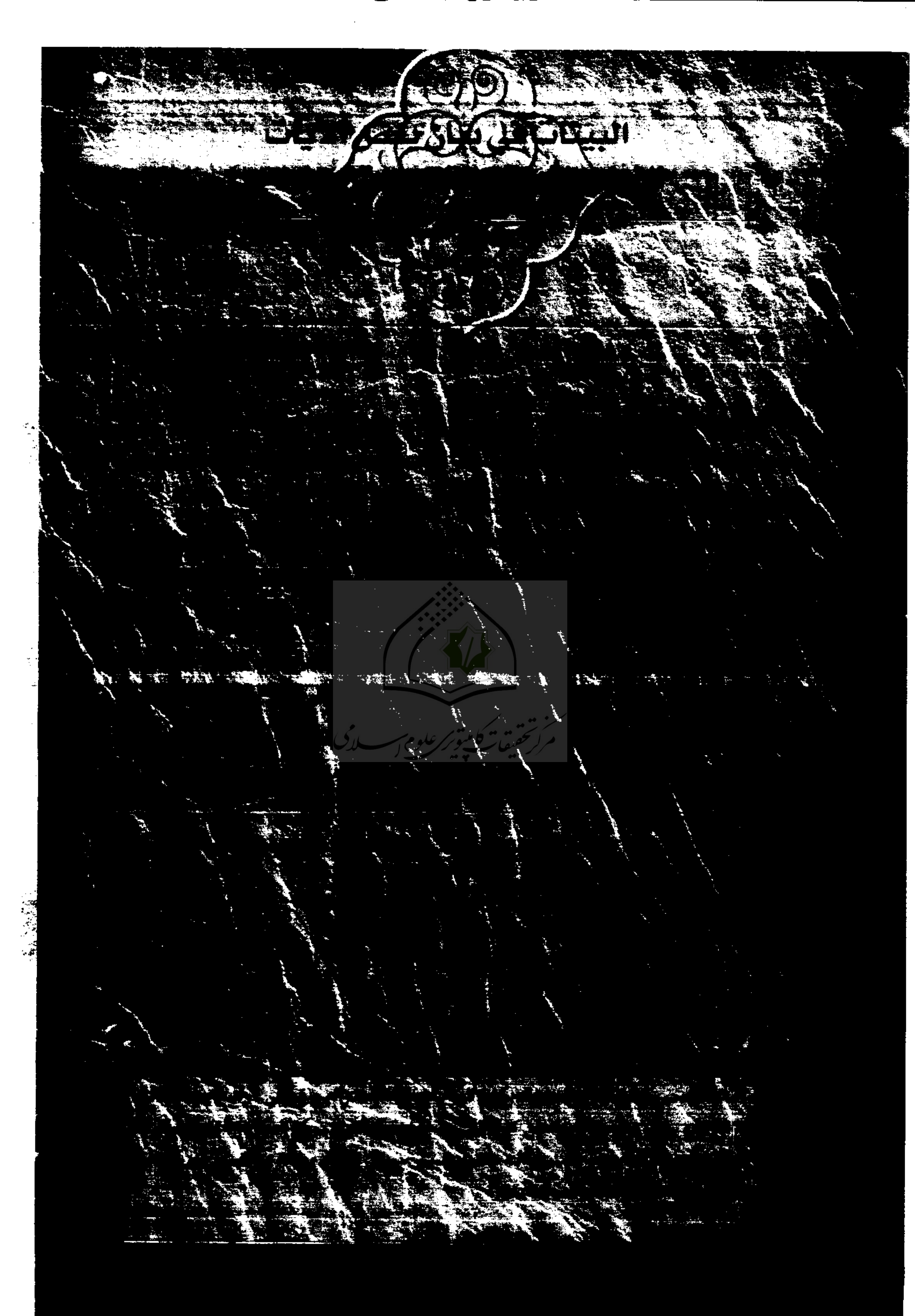
١٥- تأويلات أهل السنة : أبو منصور الماتريديّ السمرقنديّ ، تحـ : محمد مستفيض الرحمن ، مطبعة الإرشاد - بغداد ، (١٤٠٤هـ-١٩٨٣م) .

١٦- تفسير الثعلبي « الكشف والبيان في تفسير القران » : أبو إسحاق الثعلبيّ ، تحـ : أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) .

١٧- تفسير الخازن « لباب التأويل في معاني التنزيل » : علي بن محمد الخازن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط٢ (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م) .
١٨- تفسير السمرقنديّ « بحر العلوم » : أبو الليث السمرقنديّ ، تحـ : الشيخ علي محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود و د. زكريا النوتي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .
١٩- تفسير الطبرسي « مجمع البيان في تفسير القرآن » : الطبرسي ، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت .
٢٠- تفسير الطبريّ « جامع البيان في تأويل القرآن » : أبو جعفر الطبريّ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٣ (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) .
٢١- التفسير الكبير « البحر المحيط » : أبو حيّان الأندلسيّ ، مكتبة النصر الحديثة – الرياض .
٢٢- تفسير ابن كثير ، دار الفكر – بيروت (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .
٢٣- تفسير الهندي « تبصير الرحمن وتيسير المنّان » : علي بن أحمد المهائمي ، عالم الكتب – بيروت ، ط٢ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
٢٤- تهذيب اللغة : الأزهريّ ، تحـ : عبد السلام محمد هارون والنجار ، المؤسسة المصرية العامة – القاهرة .
٢٥- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، تحـ : أحمد عبد العليم البردونيّ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٢٦- الجامع الصحيح « سنن الترمذيّ » : الترمذيّ ، تحـ : كمال يوسف الحوت ، دار الفكر .
٢٧- حاشية القطب الشيرازيّ على الكشاف : القطب الشيرازيّ ، نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة الأحمديّة في حلب ، برقم (٩١٩) في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث – بدبي .
٢٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نُعيم الأصفهاني ، دار الفكر – بيروت .
٢٩- خطبة الرسول في حجّة الوداع : د. هاشم صالح منّاع ، دار الفكر العربي – لبنان ، ط٢ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .
٣٠- زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، دمشق ، ط٣ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
٣١- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر : المراديّ ، دار البشائر الإسلامية ، دار ابن حزم .
٣٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : محمد ناصر الدين الألبانيّ ، مكتبة المعارف – الرياض ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) .
٣٣- سنن أبي داود : أبو داود ، تحـ : الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة – بيروت ، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .
٣٤- سنن الدارقطني : علي بن عمر ، عالم الكتب – بيروت ، ط٤ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .
٣٥- سنن ابن ماجه : بن ماجه ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية – بيروت .
٣٦- سير أعلام النبلاء : شمس الدين الذهبي ، تحـ : شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي وآخرين ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

٣٧- شـذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبليّ ، دار المسيرة - بيروت ، ط٢ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .
٣٨- شرح السنة : البغويّ ، تحـ : شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي - بيروت ، دمشق ، ط٢ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
٣٩- شعب الإيمان : البيهقي ، تحـ : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .
٤٠- صحيح البخاريّ ، تحـ : الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري ، المكتبة العصرية - صيدا ، ط٢ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .
٤١- صحيح مسلم : مسلم بن الحجّاج ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية - بيروت .
٤٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : السخاويّ ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .
٤٣- صلاح العالَم بإفتاء العالِم : حامد العماديّ ، تحـ : علي حسن علي عبد الحميد ، دار عمار - عمّان ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
٤٤- طبقات الشافعية الكبرى : السُّبكي ، تحـ : الحلو والطناحي ، مطبعة البابي الحلبي - مصر ، (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) .
٤٥- طبقات المفسّرين : الداودي ، تعليق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط١ (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) .
٤٦- الطُّيوريّات : انتخاب السِّلفيّ ، تحـ : مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر ، دار البشائر - دمشق ، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .
٤٧- عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام : المراديّ ، تحـ : محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، مطبعة زيد بن ثابت - دمشق ، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .
٤٨- عقود الجمان شرح أرجوزة علم المعاني والبيان : السيوطي ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، (١٣٣٩هـ-١٩٢٠م) .
٤٩- الفائق في غريب الحديث : الزمخشريّ ، تحـ : عليّ محمّد البجاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبيّ ، ط٢ .
٥٠- فضائل القران : أبو عبيد الهرويّ ، تحـ : مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين ، دار ابن كثير - دمشق ، ط١ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .
٥١- فضائل القرآن : النَّسائيّ ، تحـ : د. فاروق حمادة ، دار إحياء العلوم - بيروت ، دار الثقافة - الدار البيضاء ، ط٢ (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .
٥٢- فضائل القرآن وتلاوته : أبو الفضل الرازيّ ، تحـ : عامر حسن صبري ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ، ط١ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م) .
٥٣- الفلاكة والمفلوكون : الدُّلْجي ، مطبعة الآداب - النجف ، (١٣٨٥هـ-١٩٨٥م) .

٥٤- القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، مؤسسة العربية - بيروت .
٥٥- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة : الغزّيّ ، تحـ : جبرائيل سليمان جبّور ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ط٢ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .
٥٦- لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر - بيروت .
٥٧- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث : عبد الفتاح أبو غدّة ، دار عالم الكتب - بيروت ، ط١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
٥٨- مجمل اللغة : ابن فارس ، تحـ : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
٥٩- المسند : الإمام أحمد بن حنبل ، تحـ : عبد الله محمد درويش ، دار الفكر ، ط١ (١٤١١هـ-١٩٩١م) .
٦٠- مسند البزّار « البحر الزخّار » : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ، تحـ : د. محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط١ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م) .
٦١- مسند أبي يعلى الموصليّ : أحمد بن علي التميميّ ، تحـ : حسين سليم أسد ، دار المأمون - دمشق ، بيروت ، ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
٦٢- مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزيّ ، تحـ : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلاميّ - بيروت ، ط٣ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .
٦٣- مطمح الواجد : المراديّ ، نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني برقم (٤٠٥٠) ، في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي برقم (٩٧٤١١) مراجع .
٦٤- معجم المؤلّفين : عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٦٥- معجم مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهانيّ ، تحـ : نديم مرعشلي ، دار الكاتب العربي .
٦٦- مقدمة جامع التفاسير : الراغب الأصفهاني ، تحـ : أحمد حسن فرحات ، دار الدعوة - الكويت ، ط١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) .
٦٧- مقدّمة ابن الصلاح ، تحـ : د. عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ » ، دار المعارف - مصر ، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .
٦٨- منتخبات التواريخ لدمشق : محمد أديب تقي الدين الحصني ، المطبعة الحديثة - دمشق ، (١٣٤٦هـ-١٩٢٨م) .
٦٩- النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير ، تحـ : محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي ، (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م) .
٧٠- هدية العارفين : إسماعيل باشا البغداديّ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .
٧١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلّكان ، تحـ : د. إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت ، (١٩٦٨-١٩٧٢م) .


البيان في تفسير القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فقد حظي تفسير الإمام ناصر الدين البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ المسمى بـ « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » باهتمام العلماء ومزيد عنايتهم به ، فأكبوا عليه دراسة وتدريساً ، ونقداً وتعليقاً ، ووضعوا عليه الشروح والرسائل والحواشي المتعددة ، حيث أخذت المكتبة التفسيرية من ذلك حيزاً كبيراً ، ومن هؤلاء المهتمين بهذا التفسير القيم الإمام علي القاري ـ رحمه الله تعالى ـ الذي تناول بعض ما فسره البيضاوي من الآيات ، فألف حوله رسائل نافعة من التعقيب والتعليق والتوضيح .

وقد وقفت على بعض النسخ المخطوطة من تلك الرسائل ، ومنها : الرسالة المسماة بـ « البينات في بيان بعض الآيات » ، وهي رسالة لطيفة شرح فيها بعض عبارات الإمام البيضاوي في تفسيره « أنوار التنزيل » ـ وهي الآية (١٥٨) من سورة الأنعام ـ ، فرأيت أن أقوم بتحقيقها وإخراجها لما لها من أهمية في الدراسات التفسيرية والعقدية .

وقسمت العمل فيها إلى قسمين :

الأول : في دراسة المؤلِّف .

الثاني : في دراسة المؤلَّف .

أما القسم الأول

فلست بحاجة إلى إطالة النفس فيه لأمرين :

أحدهما : لأن الإمام علي القاري ـ رحمه الله تعالى ـ لم يكن من العلماء المغمورين الذين لم يكشف النقاب عن مآثرهم بعدُ ، إنما هو من العلماء المشهورين الذين كثرت

الكتابة حولهم ، وقد أخذت المكتبة الإسلامية حيزاً لا بأس به من مؤلفاته المحققة في مختلف الفنون .

وثانيهما : أن هذا العمل لم يكن بأول عمل أقوم به في تحقيق رسائل هذا الإمام ، فقد سبق أن حققت رسالته المسماة بـ « قراءة البسملة أول سورة براءة »[١] ، وقد قدمت هناك دراسة عن المؤلف ، ولذا فسأقتصر ـ هنا ـ على ما لا بد منه في التعريف بهذا الإمام الجليل ، وبكتبه ورسائله التفسيرية ـ إن شاء الله تعالى ـ .

وتشتمل هذه الدراسة على :

اسمه ، ولقبه ، ونسبته ، ووفاته ـ رحمه الله تعالى ـ ، وثناء العلماء عليه ، وتعريف بأهم ما وصل إلينا من كتبه ورسائله في التفسير وعلوم القرآن ، ونقتصر على هذا ، حيث إن الرسالة التي نقوم بتحقيقها في التفسير .

اسمه :

نور الدين علي بن سلطان محمد القاري الهروي ثم المكي الحنفي ، لم يختلف العلماء في اسمه ولكن وقع خلاف في اسم أبيه ، فقيل : سلطان بن محمد ، وقيل : محمد بن سلطان ، وقيل : محمد سلطان .

والصحيح : ما ذكرناه ، لتصريح المؤلف بذلك في بعض تصانيفه ، ومنها : هذه الرسالة ، حيث قال في مقدمتها : « أما بعد : فيقول الملتجئ إلى حرم ربه الباري : علي ابن سلطان محمد القاري ـ غفر لهما وستر عيوبهما ـ » .

وقوله في مقدمة تفسيره « أنوار القرآن » : « خادم الكلام القديم ، والحديث

---

(١) نشرته مجلة الدراسات الإسلامية التي تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية ، إسلام آباد ـ باكستان ، العدد الرابع ، المجلد الثامن والعشرون ، سنة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) .

النبوي : علي بن سلطان محمد القاري الهروي »[١] ، وقوله في رسالة « المسألة في البسملة » : « وأنا أفقر عباد الله الغني المغني ، علي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي ، عاملهما بلطفه الخفي وكرمه الوفي »[٢] .

وبعد هذا ، فلا اعتبار بخلاف من خالف ، ولا معنى لإطالة النقاش في ذلك ، فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب[٣] .

لقبه :

للإمام ملا علي القاري ـ رحمه الله تعالى ـ ثلاثة ألقاب عرف بها ، وهي :

نور الدين ، الملاّ ، والقاري .

وسنذكر تعريفا مختصرا عن كل لقب من هذه الألقاب :

١ـ نور الدين[٤] : وهو لقب معروف ، لا سيما في وسط الأعاجم ، يطلق على من بلغ مرتبة متقدمة في العلم ، وربما وضعوه اسماً لبعض الأشخاص ، ومثله في ذلك : ضياء الدين وقمر الدين وشمس الدين ونجم الدين وبحر الدين وعلم الدين وحسام الدين ونحوها .

٢ـ ملاّ : وهي كلمة فارسية ـ على ما يبدو ـ تعني : العالم ، فقد جاء في كتاب « برهان قاطع » وهو باللغة الفارسية ما ترجمته : ملاّ ـ بضم الأول وتشديد الثاني ـ وتنطق « منلا » في اللغة التركية ، والظاهر أنها منحدرة من كلمة مولى بالعربية ،

---

(١) انظر مقدمة تفسير (أنوار القرآن) ق (١) ـ نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ـ .

(٢) انظر خاتمة الرسالة في البحث المشار إليه قبل قليل .

(٣) انظر مجمع الأمثال (٩١/٢) رقم (٢٨٣٠) ، أي قد استغني عن الخُطب ، وجهيزة ـ بفتح أوله ـ اسم أمة كانت قد أخبرتهم بالقول الفصل .

(٤) انظر كشف الظنون (٤٤٥/١ و ٧٤٣) ، إيضاح المكنون (٢١/١ و ٢٩٤ و ٢٩٨ و ٥٤١) ، هدية العارفين (٧٥١/١) .

ومعناها : السيد والمخدوم ... ومعناها في الفارسية الحديثة : فقيه ومثقف ومتعلم وفاضل وروحاني [١] .

وذكر الزبيدي أن النسبة إلى المولى مولوي ، قال : ومنه استعمال العجم المولوي للعالم الكبير ، ولكنهم ينطقون به ملاّ وهو قبيح [٢] .

وفي قاموس الفارسية : « ملاّ » رجل الدين ، المتعلم ، المثقف ، السيد ، الرئيس [٣] .

وفي المعجم الذهبي : « ملاّ » أستاذ ، شيخ ، معلم الأولاد في الكتاب ، رجل ديني [٤] .

أقول : وقوله « معلم أولاد في الكتاب » هو اللفظ المتبادر من إطلاق الملاّ في بلادنا ـ العراق ـ ، وقد يتوسع في ذلك فيطلق على بعض طلبة العلم ، وربما على بعض العلماء [٥] .

٣ـ القاري : هو اللقب الذي اشتهر به هذا الإمام ، حتى إنه ولقب الملاّ لا يكادان يفارقانه ، فكثيرا ما يقال : ملا علي القاري .

والقاري : اسم فاعل من قرأ يقرأ فهو قارئ ، وسهلت الهمزة في الآخر تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، فقيل : قاري بدل : قارئ .

وسبب إطلاق هذا اللقب عليه : تمكنه من علم القراءات ، وإتقانه لها وحذقه فيها [٦] .

---

(١) برهان قاطع ـ باللغة الفارسية ، للشيخ محمد بن خلف التبريزي ، تحـ : د. محمد معين (٤/٧٠٣) .
نقلا عن الأسرار المرفوعة لملا علي القاري تحقيق الشيخ الصباغ صـ ٢١ هامش (٢) .

(٢) انظر تاج العروس (١٠/٤٠١) .

(٣) انظر قاموس الفارسية صـ ٦٨١ .

(٤) انظر المعجم الذهبي صـ ٥٤٧ .

(٥) ومن اللطائف أن بعضهم يرى أن الملا منحوت من قولهم : مَن لا مثيل له !

(٦) انظر مختصر نشر النور (٢/٣٢١) ، البضاعة المزجاة صـ ٣ .

وأما نسبته :

فإلى ثلاث - أيضاً - وهي : الهروي ، المكي ، الحنفي .

١- الهروي : نسبة إلى هراة - بفتح الهاء والراء ثم ألف بعدها هاء - : وهي مدينة عظيمة مشهورة ، من أمهات مدن خراسان ، قال ياقوت : لم أر بخراسان عند كوني بها سنة ٦٠٧ هـ مدينة أجل ولا أعظم ولا أحسن ولا أكثر أهلاً منها .(١)

وقد ولد الإمام القاري في هذه المدينة العريقة ، وأخذ عن علمائها ، وتعد في عصرنا الحاضر ثاني أكبر المدن بجمهورية أفغانستان الإسلامية .

٢- المكي : نسبة إلى مكة المكرمة ، مأوى أفئدة المسلمين ، وقد هاجر إليها هذا الإمام فراراً بدينه من ظلم وبطش الصفويين بعد استيلائهم على هراة ، واستقر بها ، وفيها لمع نجمه ، وذاع صيته ، ومنها انتشرت مصنفاته .

٣- الحنفي : نسبة إلى مذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - لالتزامه به ، وهو وإن كان شديد التمسك به والدفاع عنه والانتصار له ، إلا أنه كان محارباً للتعصب ، داعياً لاتباع الحق ، متمسكاً بالدليل ، مقتدياً بالسنة ، يقول في رسالته « المسألة في البسملة » : « فافتح بصرك للإنصاف ، واغمض عين الاعتساف ، وانظر إلى ما قال ، ولا تنظر إلى مَنْ قال ، وتأمل ما صح عن أبي حنيفة ﷺ أنه قال : لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا ، وقد تبعه الشافعي في هذا المقال بقوله : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، واضربوا قولي عرض الحائط »(٢) .

---

(١) انظر معجم البلدان (٣٩٦/٥) وقال في صفتها : « فيها بساتين كثيرة ، ومياه غزيرة ، وخيرات كثيرة ، ومحشوة بالعلماء ، ومملوءة بأهل الفضل والثراء » . وانظر الأنساب (٤٠٣/١٣) ، واللباب (٣٨٦/٣) .

(٢) انظر البحث المشار إليه سابقاً .

وفاته :

توفي هذا الإمام الجليل بعد عمر مبارك قطعه في الجد والتحصيل ، والتدريس والتأليف ، في شهر شوال من سنة (١٠١٤هـ ـ الموافق ١٦٠٦م) ـ على أصح الأقوال وأرجحها ـ ، وذلك بمكة المكرمة ، ودفن بمقبرة المعلاة في الحجون ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ .

ثناء العلماء عليه :

لقد كان الإمام ملا علي القاري ـ رحمه الله تعالى ـ رجلاً صالحاً ، براً ، تقياً ، متعففاً ، يأكل من كسب يده ، ويأنف من الوقوف على باب الأمراء [١] ، كما إنه كان على درجة عالية من الضبط والإتقان ، والتضلع بمختلف العلوم السائدة في عصره ، وإن هذا ليتأكد من خلال ما سطره عنه العلماء الذين عاصروه ، والذين جاءوا بعده ، وكما قالوا : إنما يعرف الفضل من الناس ذووه ، وسنقتصر على بعض النماذج من أقوالهم ، متمشين مع منهج الاختصار الذي أردناه لهذه الدراسة لما ذكرنا في المقدمة ، فمن ذلك :

ـ ما كتبه الشيخ محمد أمين المحبي [٢] حيث قال :

« علي القاري ، نزيل مكة ، أحد صدور العلم ، فريد عصره ، الباهر السمت في التحقيق وتنقيح العبارات ، شهرته كافية عن الإطراء في وصفه » [٣] .

---

(١) جاء في سيرته : أنه كان ذا خط حسن ، وكان يكتب بيده كل سنة مصحفاً ثم يبيعه ، فيقتات من ثمنه ، وقد كان الناس يتنافسون في شراء ذلك المصحف ، ويزيدون في ثمنه ، وقد رأيت ورقة بخط يده كتبت فيها بعض قصار السور .

(٢) هو الشيخ الجليل محمد أمين بن فضل الله المحبي الدمشقي الحنفي ، مؤرخ ، أديب ، شاعر ، لغوي ، مشارك في بعض العلوم ، توفي سنة (١١١١هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ . انظر هدية العارفين (٢/٣٠٧) ، معجم المؤلفين (٩/٧٨) .

(٣) انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/١٨٥-١٨٦) .

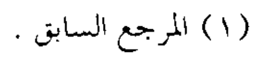
وقوله : « واشتهر ذكره ، وطار صيته ، وألف التآليف الكثيرة اللطيفة ، المتأدية المحتوية على الفوائد الجليلة » ، وذكر طرفاً منها [١] .

- وقد وصفه الشيخ العصامي [٢] بأنه :

« الجامع للعلوم العقلية والنقلية ، والمتضلع من السنة النبوية ، أحد جماهير الأعلام ، ومشاهير أولي الحفظ والأفهام » [٣] .

- وترجم له السيد محمد صديق خان [٤] في إتحاف النبلاء المتقين ، ونقل عبارة الشيخ العصامي المتقدمة [٥] .

- وقال الشيخ حسين المكي [٦] : علي بن سلطان محمد ، علامة زمانه ، وأوحد



(١) المرجع السابق .

(٢) هو الشيخ الفاضل عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ، صاحب التاريخ المشهور المسمى بـ « سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي » ، ولد بمكة المكرمة وتوفي بها سنة (١١١١هـ) - رحمه الله تعالى . انظر البدر الطالع (١/٤٠٢-٤٠٣) ، الأعلام (٤/٣٠٢) .

(٣) انظر سمط النجوم العوالي (٤/٣٩٤) .

(٤) هو السيد محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني ، البخاري القنوجي ، ولد في قنوج بالهند ، ثم سافر إلى بهوبال طلبا للمعيشة ، ففاز بثروة وافرة ، وتزوج ملكة بهوبال ، وصنف التصانيف الكثيرة ، توفي سنة (١٣٠٧هـ) . انظر الأعلام (٧/٣٦-٣٧) ، إيضاح المكنون (١/١٠) .

(٥) انظر إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين صـ ٣٢٥ .

(٦) هو الشيخ الجليل حسين بن محمد سعيد عبد الغني المكي ، من علماء القرن الرابع عشر الهجري ، درس في المدرسة الصولتية بمكة المكرمة ، وتخرج منها ، وتولى منصب إدارة المدرسة الهاشمية ، ودرس بالمسجد الحرام ، وعين في العهد السعودي عضواً بمجلس المعارف ، وعضواً برئاسة القضاء ، توفي سنة (١٣٦٦هـ) - رحمه الله تعالى - ، من مؤلفاته إرشاد الساري إلى مناسك القاري ، فتح الوهاب شرح تحفة الطلاب ، الإبانة في جعرانة وغيرها . انظر سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للشيخ عمر عبد الجبار صـ ٩٦-٩٨ .

عصره وأوانه ، والمتفرد الجامع لأنواع العلوم العقلية والنقلية ، والمتضلع من علوم القرآن والسنة النبوية ، وعالم بلد الله الحرام ، والمشاعر العظام ، وأحد جماهير الأعلام ، ومشاهير أولي التحقيق والأفهام [١] .

ـ وأما الشوكاني [٢] : فقد نوّه بعلو منزلته ، وأشار إلى بلوغه مرتبة الاجتهاد [٣] .

ـ كما عده العلامة اللكنوي [٤] من المجددين ، فقد ذكر في ترجمته : أن له رسائل لا تعد ولا تحصى (!) وأن كل مؤلفاته نفيسة في بابها ، فريدة مفيدة ، بلغته إلى مرتبة المجددية على رأس الألف من الهجرة [٥] .

---

(١) انظر إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري صـ ٥ هامش (٥) .

(٢) هو الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، من كبار علماء اليمن ، كان زيدي المذهب ثم مال إلى الاجتهاد ، وكان يرى تحريم التقليد ، نشأ بصنعاء وتوفي بها سنة (١٢٥٠هـ) ، وقد كتب ترجمة نفسه ـ رحمه الله تعالى ـ قال في آخرها : وهو الآن يسأل الله الذي لا إله إلا هو الحليم الكريم ، رب العرش العظيم ، أن يحسن ختامه ، وينيله من خيري الدارين مرامه ، ويسدده في أقواله وأفعاله ، وينزع حب الدينا من قلبه حتى ينظر إلى الحقيقة ، فيفوز نيل دقائق الطريقة .... ولا تخرجه من هذه الدنيا إلا بعد أن يسبح في بحار حبك ، ويغسل أدران قلبه بمياه قربك ، فأنت إذا شئت جعلت المريد مراداً فنال مراداً .

إذا كان هذا الدمع يجري صبابة على غير ليلى فهو دمع مضيع

انظر البدر الطالع (٢/٢١٤-٢٢٥) ، الأعلام (٧/١٩٠-١٩١) .

(٣) انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/٤٤٥-٤٤٦) .

(٤) هو العلامة الجليل الشيخ محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي ، الهندي ، أبو الحسنات الحنفي ، صاحب التصانيف الشهيرة في المنقول والمعقول ، وكان عالما بالفقه والحديث والتراجم ، توفي سنة (١٣٠٤هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ . انظر الرسالة المستطرفة صـ ١١٥ ، الفوائد البهية صـ ٢٤٨-٢٤٩ ، هامش (١) ـ وقد ترجم لنفسه ـ ، الأعلام (٧/٥٩) .

(٥) انظر التعليقات السنية صـ ٨-٩ ، وطرب الأماثل صـ ٢٨٦-٢٨٧ .

ـ وقال الشيخ المحقق محمد إدريس الكاندهلوي [١] : المحدث الجليل ، والفاضل النبيل ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، الشيخ نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي القاري [٢] .

ومما يدل على عظيم منزلة الملا علي القاري ، وعلو مقامه في نظر العلماء أن علماء مصر يوم بلغهم خبر وفاته ، صلوا عليه بجامع الأزهر صلاة الغائب في مجمع حافل يجمع أربعة آلاف نسمة فأكثر [٣] .

ما وصل إلينا من كتبه ورسائله في التفسير وعلوم القرآن :

لم تكن ثقافة الإمام علي القاري ـ رحمه الله تعالى ـ قاصرة على فن من فنون العلم ، بل كانت شاملة لكثير من فنون العلوم ، فهو كما برع في التفسير وعلوم القرآن ، برع في الحديث وعلومه ، وفي الفقه وأصوله ، وفي الصرف والنحو والبلاغة والمنطق ، وغيرها من العلوم العقلية والنقلية ـ كما تقدم في شهادات العلماء له ـ .

وقد ذكرنا هذا لئلا يفهم من اقتصارنا على كتبه في التفسير أنه لم يبدع في غيرها ، وإنما كان اقتصارنا على كتبه التفسيرية ، لأن الرسالة التي نقوم بتحقيقها في التفسير ، ولأن الباحثين قد تناولوا ذلك ـ كما تقدم ـ .

وسأكتفي ـ أيضا ـ بسرد أسماء كتبه ورسائله وحواشيه ، مع الإشارة إلى بعض أماكن وجودها ، وقسمتها إلى ثلاث مجموعات :

الأولى : في كتبه .　　　الثانية : في حواشيه .　　　الثالثة : في رسائله .

---

(١) هو الشيخ المحقق العلامة محمد إدريس الكاندهلوي ، كان عالماً جليلاً ، ذا باع طويل في التفسير والحديث والفقه ،وألف في ذلك عدة مصنفات ، منها : الفتح السماوي بتوضيح البيضاوي ، ومعارف القرآن (تفسير في تسع مجلدات) ، ومنحة الحديث في شرح ألفية الحديث ، ودلائل الفرقان على مذهب النعمان ، وغيرها ، توفي في لاهور سنة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م) ـ رحمه الله تعالى ـ . انظر تذكرة علماء البنجاب (٢ : ٦٠٩-٦١٥) .

(٢) انظر التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح ص ٦ .

(٣) انظر خلاصة الأثر (٣ : ١٨٦) .

كتبه في التفسير :

١- أنوار القرآن وأسرار الفرقان - في جزأين - وهو تفسير يجمع بين المأثور والمعقول ولطائف الإشارات ، توجد منه نسخ كثيرة في مكتبات العالم ، منها :

أ) جامعة استنبول بتركيا برقم (٦١٥ / ٨ / ٣٨٩٨) .

ب) الظاهرية / دمشق برقم (٧٣٢١ / علوم القرآن) - الجزء الثاني من سورة يونس إلى سورة القصص .

ج) بلدية الاسكندرية - مصر برقم (١٠٧٦ / ب) .

٢- تفسير القرآن أو تفسير الهروي في ثلاثة أو أربعة أجزاء ، وهو غير تفسير أنوار القرآن ، توجد منه - كذلك - نسخ كثيرة في مختلف مكتبات العالم ، منها :

أ) أسعد أفندي (السليمانية) - تركيا برقم (٢٧٠) ، بعنوان : تفسير الهروي .

ب) دار الكتب المصرية - القاهرة برقم (٢٠٩) بعنوان تفسير الملا علي القاري في ثلاث مجلّدات ، وبرقم (٢١٠) في مجلّدين .

ج) سليم آغا - استنبول- تركيا برقم (٨٥) .

د) سالار جنك حيدر آباد دكن - الهند برقم (f ٤٦٠) و (t / ٣٨) ناقص .

حواشيه التفسيرية :

١- الجمالين على تفسير الجلالين [١] .

---

(١) هما الإمامان : جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (ت : ٨٦٤ هـ) - وقد كتب الأخ الأستاذ محمد أمين أمود رسالته في الماجستير في منهجه بإشرافنا - وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي الإمام المشهور (ت : ٩١١ هـ) - رحمهما الله تعالى - .

وتوجد منه نسخ كثيرة في مختلف مكتبات العالم ، منها :

أ) الحرم المكي – مكة المكرمة برقم (١٨٠ / علوم القرآن) .

ب) رامبور – الهند برقم (٥٠٨ / تفسير) .

ج) العبدلية – جامع الزيتونة – تونس برقم (١٧٣ / ١٠٩) .

د) الفاتح (السليمانية) – استنبول – تركيا برقم (٤٨٩) .

هـ) دار الكتب المصرية – القاهرة – برقم (٩٨) .

٢– حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي [١] (ت : ٦٨٥هـ) .

كتب الله تعالى لتفسير الإمام البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل القبول والحظوة لدى العلماء ، فأقبلوا عليه يدرسونه ويدرّسونه ، وتناولوه بالشرح والتعليق ، واعتنوا بتخريج أحاديثه ، وتحقيق قراءاته .

وقد كان من بين هؤلاء العلماء الإمام ملاّ علي القاري ، فكتب عليه حواشيه وتعليقاته ، واعتنى بتخريج أحاديثه وتحقيق بعض عباراته ، وقد كانت تعليقاته بمثابة الرسائل الصغيرة . وتتمثّل جهوده في هذا التفسير بما يلي :

أ – الرسالة العطائية ، وهي رسالة في ورقتين في الكلام على عبارة في تفسير البيضاوي . توجد نسخة منها في مكتبة إسحاق الحسيني في القدس الشريف برقم (٢٩ / ٥) .

---

(١) هو الإمام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، أبو الخير أو أبو سعيد أو أبو محمد ، البيضاوي مولداً ، الشيرازي نشأة ، التبريزي وفاة ، الشافعي مذهباً ، الفقيه المفسر الأصولي النحوي المتكلم كان إماماً مبرزاً ، نظاراً ، صالحاً ، متعبداً ، زاهداً ، ولي قضاء القضاة بشيراز ، توفي سنة (٦٨٥ هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ . انظر طبقات الشافعية الكبرى (١٥٧/٨–١٥٨) ، البداية والنهاية (٦٠٦/١٧) ، طبقات المفسرين للداودي (٢٤٨/١–٢٤٩) ، معجم المفسرين (٣١٨/١) .

ب- صنعة الله في صيغة صبغة الله ، في تحقيق كلام البيضاوي ، وتوجد منه عدّة نسخ في مختلف المكتبات منها : مكتبة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٢٥٨٣) ، رئيس الكتاب بتركيا برقم (١٥ / ١١٤٦ ، الدولة - برلين - ٢٢٦٢ LBG ٢٩٥) .

ج- الفيض السماوي في تخريج قراءات البيضاوي . وهو كتاب يقع في (١٨٢) ورقة ، توجد منه نسخة في مكتبة الفاتح بتركيا برقم (٤١) .

د- رسالة فيما قاله البيضاوي في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [1] ، وهي التي نقوم بتحقيقها ، وسيأتي وصفها والكلام عليها في آخر هذه الدراسة ـ إن شاء الله تعالى ـ .

هـ- فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل : توجد نسخة منه في مكتبة رشيد أفندي برقم (١٠٨) ، السليمانية - استنبول .

و- رسالة في تحقيق كلام البيضاوي : توجد نسخة منها في الدولة - برلين برقم (٨٦٨ LBG ٢٩) .

ز- رسالة فيما ذكره البيضاوي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [2] ، (١٣٤٢ ب) ، وغير ذلك من التعليقات والحواشي .

رسائله التفسيرية :

تقدّم ذكر بعض الرسائل في تعليقاته على تفسير البيضاوي ، ويضاف إلى ذلك :

١) المسألة في البسملة [3] .

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٨ .

(٢) سورة التوبة : ٣٦ .

(٣) تقدمت الإشارة إليها في أول البحث .

٢) البينات في تفسير بعض الآيات . ولها أسماء أخر مثل : البينات في بعض الآيات ، أو البينات في بيان بعض الآيات ، وتوجد منها عدة نسخ في مختلف مكتبات العالم ، منها : الحميدية بتركيا رقم (١٨/١٤٣٩) .

٣) تفسير سورة القدر ، وأوائل سورة الدخان : توجد نسخة منها في مكتبة جاريت (يهودا) برنستون برقم (٤٢٩ - ٣٠٦٤) . وفي بعض المكتبات الأخرى .

٤) تفسير آية ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ الآية [١] : توجد في بعض المكتبات منها : أسعد أفندي - السليمانية - استنبول ضمن مجموع برقم (١٦٩٠) .

٥) توفيق المتعارضات في التفسير : توجد نسخة منها في مكتبة : كوبريلي زاده - استنبول - تركيا ، ضمن مجموع برقم (١٥٩٠) .

٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾ الآية [٢] : توجد نسخة منها في دار الكتب المصرية - القاهرة برقم (٣٦٠) مجاميع .

٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ الآية [٣] : توجد نسخة منها في ترنو والي بتركيا برقم (٢ / ١١٠١) .

٨) رسالة في التفسير : توجد نسخة منها في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل في العراق برقم (١٣٧٣٢) ، ومكتبة الأوقاف في بغداد برقم (١٣٧٣٢/٤) مجاميع [٤] .

٩) العلامات البينات في فضائل بعض الآيات : توجد نسخة منها في مكتبة الفاتح

---

(١) سورة الأعراف : ٣١ .

(٢) سورة الأعراف : ٩٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢١٠ .

(٤) قال الأستاذ الدكتور عبد الله الجبوري : والرسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ... نظر فهرس مخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد (١/١١١) ، فعلى هذا تكون هي الرسالة المتقدمة برقم (٤) .

بتركيا برقم (٥/٥٣٣٢) ، ونسخة بدار الكتب المصرية (الرقم الخاص ٦٢٤) ـ تفسير ، و(الرقم العام ٤٤٠٤٠) ، وفي مكتبتي نسخة عنها .

١٠) رسالة في علامات الوقف في القرآن : توجد نسخة منها بمكتبة لالهي بتركيا برقم (٥/٥٦) .

١١) رسالة في فضائل القرآن وتلاوته : توجد نسخة منها في مكتبة خسرو باشا برقم (٥٤ ـ ٧٤٩ ـ ٤ و) ضمن مجموع .

هذا عرض سريع لما ذكر في فهارس المخطوطات [١] ، ومن أراد الوقوف على مزيد من التفاصيل فليرجع إلى ما كتب في جهود الملا علي القاري في التفسير والحديث ، ومن ذلك :

١) ملا علي القاري الهروي محدثاً [٢] .

٢) ملا علي القاري وجهوده في التفسير [٣] .

٣) ملا علي القاري حياته وآثاره [٤] .

٤) الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث [٥] .

وللإمام ملا علي القاري ـ رحمه الله تعالى ـ كتب مطبوعة في شروح الشاطبية والمقدمة الجزرية في علم القراءات .

---

(١) وقد ذكر في الفهرس الشامل (٢/٦٦٢-٦٦٦) رسائل أخرى ، ولكن يبدو أن هناك تكراراً لبعض الرسائل للتشابه في الأسماء ـ والله تعالى أعلم ـ .

(٢) وهي رسالة دكتوراه من جامعة البنجاب ـ إعداد الأستاذ نافع أبو بكر ، وقد كان لي شرف متابعة الطالب فيها .

(٣) وهي رسالة ماجستير ـ إعداد هارون خطيبي بإشرافنا .

(٤) وهي رسالة دكتوراه من جامعة روم بتركيا ، إعداد عبد الباقي توران .

(٥) وهي رسالة ماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ إعداد خليل إبراهيم قوتلاي .

القسم الثاني : دراسة المؤلَّف

ويشتمل على : عنوانه ، وصفه ، أماكن وجوده ، صحة نسبته إلى مؤلفه ، ومنهجه فيه .

عنوانه :

اختلف في عنوان هذه الرسالة إلى ثلاثة عنوانات :

أولها : البينات في بيان بعض الآيات . وبعضها بدون « بيان » .

وثانيها : رسالة فيما قاله البيضاوي في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ .

وثالثها : البينات في تباين بعض الآيات .

وأنسب هذه العنوانات : الأول ، وهو الذي اعتمدته في التحقيق وذلك لموافقته للمضمون حيث بيّن فيه مؤلفه بعض آيات الكتاب الكريم وهو الآية (١٥٨) من سورة الأنعام .

وأما العنوان الثاني : فهو وإن كان أوضح من الأول ، في الدلالة على المضمون ، إلاّ أن الأول أخصر منه مع وفائه بالغرض فكان أنسب .

وأما الثالث : فلا يصحّ عنواناً لهذا المخطوط ، لمخالفته لمضمونه ، فالظاهر أنه تحرّف عن بيان ، وخطأ النسّاخ في مثل هذا وارد لتقارب حروف الكلمتين ، أو أنه عنوان لرسالة أخرى [١] .

وصف نسخة الأصل :

نص على عنوانها في الصفحة الأولى حيث كتب : رسالة المسمى : البينات في بيان بعض الآيات . وهو تحريف صوابه : الرسالة المسماة ـ وقد بينت ذلك في التحقيق ـ .

---

(١) وهو الراجح ، فقد وقفت على مخطوطة بهذا العنوان ، مغايرة هذه المخطوطة ، وفي مكتبتي نسخة عنها .

وهذه النسخة مصورة في ميكروفيلم عن أصل محفوظ في مكتبة الأسد بدمشق برقم (١٣٥٣٥) وفي الأحمدية بحلب برقم (٣٠٩) في الجمهورية العربية السورية .

ورقم الفيلم في مركز جمعة الماجد للتراث (٨٩٤) - فهارس المركز رقم (٣٨٧١) - برلين (٢٨٣/١) .

عدد الأوراق : (٨) ثماني أوراق ، ضمن مجموع يضم عدداً من رسائل الإمام ملا علي القاري ـ رحمه الله تعالى ـ ، تبدأ من (ل ١٠٨ب - ل ١١٥أ) .

وعدد الأسطر : (١٥) خمسة عشرسطراً بمعدل (١٣) ثلاث عشرة كلمة في السطر الواحد ، وهي نسخة واضحة ، وكلماتها مقروءة ما عدا بعض الكلمات اليسيرة ، كما أن بعض النقاط لم تظهر في الصورة التي عندي مثل : المجرد وكسبت ، وقد تظهر بعض الحروف دون بعض مثل : « اليأس »[1] ، وقد يختصر الناسخ بعض الكلمات و يرمز لبعض مثل : « المصـ » بدل « المصنّف » و« ح » بدل « حينئذ » ، وربما حذف بعض الحروف نحو : « القيمة » بدل « القيامة » ، و« منع » بدل « مانع » ، وقد يذكّر المؤنث ويؤنث المذكر ـ وتكرّر هذا في الرسالة ـ ، وقد يكتب جزء الكلمة في آخر السطر وبقيتها في أول السطر الجديد ، وقد يلحق بعض الكلمات بين السطرين أو في الحاشية ، وما تقدم قد تشترك فيه النسختان ، واكتفيت ببيان ذلك هنا لوضوحه ـ إلاّ ما دعت الحاجة إلى بيانه ـ ، ولئلا يثقل البحث بالهوامش .

وليس على هذه النسخة اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

وصف نسخة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة :

نص على عنوانها في صفحة مستقلّة أول الرسالة هكذا : « **رسالة المسمى بالبينات في بيان بعض الآيات ـ للملاّ** » .

---

(١) كتبت « البأس » بموحدة .

وقد يسر الله تعالى لي الوقوف على هذه النسخة ، وهي مصورة في ميكروفيلم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ضمن مجموع برقم (٢٤٣١) .

وعدد اللوحات : (٦) ست لوحات ، تبدأ من (ل ٣٢ أ - ل ٣٧ أ) .

وعليها بعض التعليقات لبعض القرّاء المتأخّرين - كما يبدو من الخط - ، و موضع واحد يظهر أنه بخطّ النسخة .

وخطها مقروء ، وقد أسعفني في تصحيح بعض ما أشكل عليّ قراءته من نسخة الأصل ، وفي هذه النسخة بعض الكلمات الساقطة وغير الواضحة ، وقد بينت ذلك في مواضعه من هوامش التحقيق .

ورمزت لهذه النسخة بالحرف (م) .

عملي في هذه الرسالة :

- كان أول ما قمت به أن نسخت المخطوط ، وقابلته بالنسخة الأخرى .

- ثم بعد هذا قارنته مع عبارة الإمام البيضاوي في تفسيره ﴿ أنوار التنزيل ﴾ ، فجعلت عبارته بين هلالين ، وكتبتها بخط بارز تمييزاً لها عن كلام المؤلف ، وقد ساق المؤلف عبارة البيضاوي كما هي ، إلاّ في أربعة مواضع حصل فيها تحريف أو إسقاط لبعض الجمل ، وهي :

١- نقل من تفسير البيضاوي « ينظرون » وفيه : ينتظرون .

٢- وعند قوله « وقرأ حمزة والكسائي بالياء » سقط قول البيضاوي بعده : « هنا وفي النحل » .

٣- وعند قوله « الدخان » سقط قول البيضاوي قبله : « عشر آيات » .

٤- وعند قوله : « والهلاك الكلي » سقطت قبله كلمة : « العذاب » .

وقد بينت ذلك في مواضعه .

منهج المؤلف ومصادره في هذه الرسالة :

ثم شرعت في دراسة الرسالة ، واستخلاص منهج المؤلف فيها ، وبيان موارده فأقول :

افتتح الملا علي القاري ـ رحمه الله ـ رسالته هذه بمقدمة قصيرة ضمنها براعة استهلال على طريقته في السجع الذي يفتتح به مؤلفاته ، وذكر اسمه واسم أبيه ولقبه ـ كما هي عادته ـ حيث قال : « أما بعد : فيقول الملتجئ إلى حرم ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري ـ غفر ذنوبهما وستر عيوبهما ـ .. » إلخ .

ثم بعد أن أثنى على الإمام ناصر الدين البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ ، شرع بنقل تفسيره للآية (١٥٨) من سورة الأنعام من تفسيره الشهير : « أنوار التنزيل » شارحاً ومعلقاً .

وقد تنوعت موارده في ذلك فشملت الأصول والتفسير والحديث والقراءات والنحو والعقيدة وغيرها ، وقد يفصح عن أسماء بعض المؤلفين كالإمام البغوي وابن الحاجب والطيبي والسيد معين الدين الصفوي وغيرهم ، وقد يكتفي باسم المرجع كأن يقول : « ذكر صاحب المدارك » ـ يريد الإمام النسفي ـ ، وقد يقول : « ومنها قول بعضهم » ، دون ذكر الاسم أو الكتاب .

وله تعقبات متنوعة ، منها :

تعقب العصام ـ وهو عصام الدين الإسفرايني ـ في موضعين : الأول عند قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ ، والثاني : عند قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [1] .

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٨ .

ومنها : تعقب الخطيب القزويني بقوله : « والعجب من الخطيب » ، وتعقب الجعبري ، بقوله : « وأما ما ذكره الجعبري ... » إلخ .

وقد يتعقب البيضاوي نفسه ، كقوله : « فالمصنف خالف الجمهور ... » إلخ .

وأما ما يتعلّق بالأحاديث الواردة في أشراط الساعة ، فقد نقل طرفاً مما ذكره السيوطي في الدر المنثور ، ذاكراً أسماء من عزا إليهم السيوطي من المحدثين كالإمام أحمد وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابن أبي حاتم وابن أبي شيبة والبيهقي وغيرهم ، إلا أنه لم يلتزم الترتيب الذي مشى عليه السيوطي في العزو ، فقد يقدم بعضهم على بعض ، وذلك كتقديمه ابن المنذر على الطبراني ، وعبد الرزاق على عبد بن حميد .

وبعد أن انتهى من بيان ما ذكره الإمام البيضاوي في تفسير الآية قال :

« بقي في تحقيق المقام مباحث منقولة عن العلماء الأعلام » .. فنقل عن أبي الليث السمرقندي من الحنفية وعن الحليمي من الشافعية وغيرهما ما يتعلق بهذه المسألة ، وذكر الأحاديث والآثار الواردة في ذلك وناقشها ، مبيناً الصحيح والأصح وما يتعارض منها .

وختم بالحديث الوارد في تحديد زمن مجيء الآيات ، وبين المراد بذلك .

هذا ملخص لبيان طريقة الملا علي القاري في تناوله لكلمة الإمام البيضاوي في تفسير هذه الآية الكريمة .

والآن أشرع في تحقيق نص الرسالة المسماة بالبينات في بيان بعض الآيات ، مستعيناً بالله تعالى ، سائله جل وعلا الفتح والتوفيق :

اللوحة الأولى من نسخة الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر يا كريم
الحمد لله الذي أظهر الآيات الواضحات في كلامه القديم . وأبرز العلامات
البينات في الآفاق من كل إقليم . وفي الأنفس المخلوقة في أحسن تقويم .
والصلاة والسلام على من خلق بالخلق العظيم . وخص بالقلب السليم
وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه الثابتين على الصراط المستقيم
والمنهاج على الطريق القويم . أما بعد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في مقام التعليل . وفي تحقيق هذه المسألة لا يستغني عن المعنى [illegible]
التفسير [illegible] بالخبر أهل [illegible] لأن الآية من
جملة السورة التي بأسرها مكية والأظهر أن الضمير لمن ذكر قبل هذه الآية بقوله
سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب . فكأنه قال هل ينظر المعرضون
عن الآيات البينات المقرونة بالمعجزات والعلامات الدالات المكونة في الآفاق
والأنفس من الكائنات وقد يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في الآية
فيكون الضمير لجميع الكفار الموجودين ومن بعدهم ليشمل المعاندين للآيات
[illegible] ولا يبعد أن يكون الضمير جميعاً للخلائق لزيادة العموم [illegible]
[illegible]

اللوحة الأولى من النسخة « م »

[الرسالة المسماة] (١) بالبينات في بيان بعض الآيات (٢) / ل ١٠٨ ب

بسم الله الرحمن الرحيم - رب زدني علماً يا كريم -

الحمد لله الذي أظهر الآيات الواضحات في كلامه (٣) القديم ، وأبرز العلامات اللائحات في الآفاق من كل إقليم (٤) ، والأنفس المخلوقة في أحسن تقويم (٥) ، والصلاة والتسليم على من خلق بالخلق (٦) العظيم (٧) ، وجبل بالقلب السليم ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه الثابتين على الصراط المستقيم ، والمقيمين على الطريق القويم (٨) . أما بعد :

فيقول الملتجئ إلى حرم ربه الباري (٩) علي بن سلطان محمد القاري - غفر ذنوبهما وستر عيوبهما - :

إن الحبر العلامة والبحر الفهامة ، عمدة المتبحرين وزبدة المتأخرين ، من أرباب الأصول والمفسرين ، مولانا القاضي البيضاوي (١٠) ، توالت عليه آثار الرحمة وأنوار

---

(١) في الأصلين : « رسالة المسمى » ، وصوابه ما أثبت .

(٢) كتب عنوان الرسالة في « م » في صفحة مستقلة .

(٣) الكلام : هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ، هو بها آمر وناه ومخبر ، عبر عنها نظم ما أوحاه إلى رسله - عليهم الصلاة والسلام - كالقرآن والتوراة والزبور والإنجيل ، ومن الأدلة قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ النساء : ١٦٤ . انظر : كبرى اليقينيات الكونية للبوطي ص ١٢٤ .

(٤) إشارة إلى آيات الله الكونية ، وفيه براعة استهلال .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ التين : ٤ .

(٦) لم تظهر نقطة الخاء في الأصل ، وظهرت في (م) .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ القلم : ٤ .

(٨) تكاد تقرأ في الأصل : « القديم » ، والمثبت من (م) .

(٩) يريد مكة المكرمة ، التي استوطنها بعد رحلته إليها كما تقدم في ترجمته - رحمه الله تعالى - .

(١٠) تقدمت ترجمته في الدراسة .

النعمة إلى يوم الدين ، قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ [١] : (أي ما ينتظرون) [٢] إشارة إلى أن هل استفهامية [٣] للإنكار ، والنظر بمعنى الانتظار ، وإنما لم يحمله على التقرير ليستقيم المعنى بالاستثناء الآتي في المبنى [٤] ، وأما قول العصام [٥] : جعل الاستفهام للإنكار وأنكر [٦] الرضا في الاستفهام بهل ، والأظهر أنه للتقرير [٧] . فقاصر في مقام التحرير [٨] .

وفي تحقيق هذه المسألة : لا يستغنى عن المغني [٩] المقوي [١٠] لأهل التفسير [١١]

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٨ ، وتمامها : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ .

(٢) في الأصل وفي (م) : « ينظرون » ، والتصويب من أنوار التنزيل (٢/٢٢٣) .

(٣) في (م) : « استفهام » بدل : « استفهامية » .

(٤) وهو قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ﴾ .

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن عربشاه من ذرية أبي إسحاق الإسفراييني ، المشتهر بعصام الدين ، كان بحراً في العلوم ، له التصانيف الحسنة النافعة في كل فن منها : « الأطول في شرح تلخيص المفتاح » للقزويني في علوم البلاغة ، و« حاشية على تفسير البيضاوي » ، وشروح وحواشي في المنطق والتوحيد والنحو ـ طبع بعضها ـ ، توفي سنة (٩٤٥ هـ) . انظر : شذرات الذهب (١٠/٤١٧) وفيها : توفي في حدود سنة (٩٥١ هـ) ، الأعلام (١/٦٦) .

(٦) فاعل جعل وأنكر : البيضاوي .

(٧) انظر حاشيته على البيضاوي ، (وهي مخطوطة في الهند بمكتبة خدا بخش ٣٦/٦٥ فهارس) ، وقد رجعت إلى هذه المخطوطة عند تفسير هذه الآية (ل ٣٠٩ أ) ، فلم أجد فيها هذه العبارة ، والظاهر أنها في الجزء الثاني ولم يتيسر لي الحصول عليه ، وأنا على أمل الوقوف عليها فيه ـ إن شاء الله تعالى ـ .

(٨) في (م) : « التعليل » بدل : « التحرير » .

(٩) يريد : « مغني اللبيب » لابن هشام النحوي ، انظر فيه : (١/٣٨٦-٣٩١) ـ الكلام على هل ـ .

(١٠) في م : « والمقوي » .

(١١) سئل ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ : ألا تفسر القرآن ؟ فقال : أغناني المغني ! ذلك لأنه ملأه بالحروف والكلمات والآيات القرآنية ، وانظر البحر المحيط لأبي حيان في بيان أهمية علم النحو للمفسر (١/٣) .

(يعني) : أي يريد الحق سبحانه بالضمير [١] (أهل مكة) [٢] أي كفارهم حينئذ [٣] ، لأن الآية /ل ١٠٩أ ـ من جملة السورة التي بأسرها مكية [٤] . [والأظهر] [٥] أن الضمير لمن ذكر قبل هذه الآية بقوله : ﴿ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [٦] فكأنه قال : هل ينظر [٧] المعرضون عن الآيات البينات المقرونة بالمعجزات ، والعلامات الدالات المكنونة في الآفاق والأنفس من الكائنات .

وقد يقال : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [٨] في القضية ، فيكون الضمير لجميع الكفار الموجودين ومن بعدهم ليشمل الشاهدين [٩] للآيات الآتية ، ولا يبعد أن يكون الضمير لجميع الخلائق [١٠] لزيادة التهويل ويشير إليه ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ .

---

(١) وهو الواو في قوله تعالى : ﴿ يَنظُرُون ﴾ .

(٢) سقط لفظ « مكة » من (م) .

(٣) كتب في الأصل وفي (م) « ح » بدل : « حينئذ » ، وهذه عادته في كل موضع .

(٤) سورة الأنعام من السور المكية المتفق عليها ، إلا أن منهم من ذكر أن فيها بعض الآيات المدنية ، والأصح أن السورة كلها مكية كما ذكر المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ . انظر التحرير والتنوير (١٢١/٧-١٢٣) . وأحسن تعريفات المكي : أنه ما نزل قبل الهجرة . انظر مناهل العرفان (١٦٠/١) قال : « وهو المشهور ، وهو تقسيم صحيح سليم لأنه ضابط حاصر ومطرد لا يختلف » .

(٥) في الأصل : « وأظهر » ، والتصويب من (م) .

(٦) سورة الأنعام : ١٥٧ ، وختامها : ﴿ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾ .

(٧) في (م) : « ينظروا » ، وهو خطأ ظاهر .

(٨) وهي قاعدة أصولية مذكورة في كتب الأصول وعلوم القرآن ، والمراد هنا : أن الأمر وإن نزل في أهل مكة إلا أن الحكم عام لهم ولغيرهم من الكفار .

(٩) في (م) : « المشاهدين » ، وكلاهما صحيح .

(١٠) أي : فيشمل المؤمنين ، وهذا بعيد ـ والله أعلم ـ لقوله في نهاية الآية : ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ وهو خطاب لغير أهل الإيمان .

ثم لا يخفى أن قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أبلغ من أن يقال : ما ينتظرون [١] ، لزيادة دلالة هل للإنكار على مجرد النفي في الأخبار ، وللمبالغة المفهومة من النظر الذي هو أقرب من المترقب [٢] في مقام العبر [٣] ، فعبر عن الانتظار بالنظر نظراً لكمال تحققه وقرب وقوعه ، (وهم ما كانوا منتظرين) : أي في الحقيقة (لذلك) ، أي لما سيأتي من إتيان الملائكة وغيره ، بل منكرين لما [٤] هنالك .

والعجيب من الخطيب [٥] في قوله : يعلم من [كلامه] [٦] أنه غير باق على معناه الحقيقي لكن لم يظهر أن معناه المجاز [٧] المستعمل منه أي شيء [٨] ، وكأنه نظر إلى قوله [٩] : (ولكن لما كان يلحقهم) ـ أي العذاب ـ (لحوق المنتظر) في هذا الباب (شبهوا بالمنتظرين) [١٠] لما يأتيهم من رب الأرباب .

---

(١) في (م) : « ينظرون » ، وهو تصحيف ، والصواب ما في الأصل .

(٢) في (م) : « المتقرب » .

(٣) في (م) : « القرب » .

(٤) لفظ « لما » : ساقط من (م) .

(٥) هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي قاضي القضاة ، جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق من كتبه : « تلخيص المفتاح في المعاني والبيان » ، و« الإيضاح في شرح التلخيص » ، كان أديباً بالعربية والتركية والفارسية ، توفي سنة (٧٣٩ هـ) . انظر البداية والنهاية (١٤/١٨٥) ، الدرر الكامنة (٤/٣) ، طبقات الشافعية الكبرى (٩/١٥٨-١٦١) ، هدية العارفين (٦/١٥٠) ، الأعلام (٦/١٩٢) .

(٦) غير واضحة في الأصل ، تكاد تقرأ : « مكانه » ، وأثبتها من (م) ، والمراد : كلام الإمام البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ .

(٧) في (م) : « المجازي » .

(٨) ولا وجه للعجب ، لأن الخطيب يريد أن هذا من باب : خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ـ والله تعالى أعلم ـ وقد رجعت إلى كتابي التلخيص والإيضاح فلم أقف على هذه العبارة .

(٩) أي قول البيضاوي .

(١٠) انظر أنوار التنزيل (٢ ٢٢٣) .

والمعنى : أقمنا حجج الوحدانية وأدلة صحة الرسالة ، وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة مما ينتظرون بعد إنكار /ل ١٠٩ب ـ القرآن وتكذيب رسول آخر الزمان شيئاً [١] من الأهوالَ حالاً من [الأحوال] [٢] .

﴿ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ : (ملائكة الموت) ، أي لقبض أرواحهم (أو العذاب) ، ولا مانع من الجمع بل هو أقرب إلى الصواب ، لأن الموت لا يشك أحد في إتيانه ، بل كل أحد ينتظر حلول زمانه .

ولعل الفرق مبني على أن التخويف إما بالعذاب في العقبى ، وإما بالعذاب النازل في الدنيا ، والمعنى : أنه لابد من أحدهما ، ولا مانع من اجتماعهما .

(وقرأ حمزة [٣] والكسائي [٤] : بالياء) [٥] ـ يعني بالتذكير ـ [٦] ، وكان حقه أن يبينه بالتحتية [٧] لئلا يشتبه بالفوقية .

---

(١) كذا في النسختين ، والظاهر أنه مفعول لينتظرون .

(٢) في الأصل : « أحوال » ، والتصويب من (م) .

(٣) هو الإمام العلم حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفي ، أبو عمارة أحد القراء السبعة ، كان عالما بالقراءات ، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول ، قال الثوري : « ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر » ، وقال ابن حجر : « صدوق زاهد ربما وهم » ، توفي سنة ست أو ثمان وخمسين ومائة . انظر الجرح والتعديل (٣/٢١٢) ، الوافي بالوفيات (١٣/١٧٢-١٧٣) ، تهذيب التهذيب (٣/٢٤-٢٥) ، تقريب التهذيب (١/١٩٩) .

(٤) هو الإمام أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي ، انتهت إليه رئاسة القراء بالكوفة بعد حمزة الزيات ، استوطن بغداد وكان يعلم بها الرشيد ثم الأمين من بعده ، من تصانيفه : « معاني القرآن » ، و« القراءات » ، و« المتشابه في القرآن » وغيرها ، الصحيح أنه توفي سنة (١٨٩ هـ) . انظر غاية النهاية (١/٥٣٥-٥٤٠) ، تاريخ بغداد (١١/٤٠٣-٤١٥) ، الأعلام (٤/٢٨٣) .

(٥) في أنوار التنزيل زيادة : « هنا وفي النحل » .

(٦) أي ﴿ إلا أن يأتيهم ﴾ ، وكذا في آية النحل .

(٧) أي يصرح بذلك كما في ضبط الأعلام ونحوها .

والحاصل : أن الجمهور قرءوا بتأنيث ﴿ يأتيهم ﴾ [١] نظراً إلى لفظ فاعله [٢] ، ومن قرأ بتذكيره نظر إلى أن فاعله غير مذكر [٣] ، وأما ما ذكره الجعبري [٤] من أن فاعله مذكر فغير مستقيم ؛ لأن الملائكة لا يوصفون بالذكورة والأنوثة .

﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ : إتيان الرب من [الآيات] [٥] المتشابهات المتعلقة بصفات الذات ، نؤمن به وننزهه عن ظاهره [٦] .

وحمل بعضهم هذه الآية ونحوها من سائر الآيات والأحاديث المتشابهات : على أن [لله] [٧] ـ سبحانه ـ تجلياً صورياً [٨] ، وهو بذاته على أكمل صفاته أزلياً وأبدياً ، (أي

---

(١) في الأصل : ﴿ تَأْتِيَهُمُ ﴾ والمثبت من (م) .

(٢) وهو لفظ ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ .

(٣) في حاشية الأصل كلام غير واضح في الصورة ، وقد رجعت إلى الميكروفلم ـ ل ١٠٩أ ـ فلم تتيسر لي قراءته .

(٤) هو الإمام إبراهيم بن عمر بن خليل أبو إسحاق الجعبري ـ بضم الجيم ـ ، عالم بالقراءات ، من فقهاء الشافعية ، توفي سنة (٧٣٢ هـ) . انظر طبقات الشافعية (١/٦٥ و ٦٦) ، الدرر الكامنة (١/٥٠) ، الأعلام (١/٥٦) .

(٥) كلمة « الآيات » سقطت من الأصل ، وأثبتها من (م) .

(٦) وهو مذهب السلف ، قال الإمام البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيرها (٢/١٤٤) : « بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة » .

(٧) في الأصل : « الله » ، والتصويب من (م) .

(٨) يريد آثار القدرة الإلهية في عباده ، وللقاضي المظهري ـ رحمه الله تعالى ـ كلام طويل في توضيح ذلك ، حيث قال في تفسيره (١/٢٥٠-٢٥١) : ولأصحاب القلوب في تلك الآيات ـ أي المتشابهات ـ سبيل آخر وهو : أن لله سبحانه تجليات في بعض مخلوقاته وظهورات لا كيف لها ... وتلك لا تستدعي حدوث أمر في ذاته تعالى وكونه محلا للحوادث ومتنزلاً عن مرتبة التنزيه ، بل هي مبنية على حدوث أمر في الممكن ، كما أن المرآة المحاذية للشمس كلما صقلت انجلت الشمس فيها ، ويظهر في المرآة آثارها من الإضاءة والإحراق ، وهذه التجليات هي المصداق لقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾ الأعراف : ١٤٣ ، وقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ البقرة : ٢١٠ ... » إلخ . وقد وضحه ملا علي القاري ـ رحمه الله تعالى ـ بمثل هذا في مخطوطته : « العلامات البينات في فضائل بعض الآيات » وقال : « ولكن هنا مزلة الأقدام لسالكي هذا المقام ... » إلخ .

أمره بالعذاب) ، إشارة إلى مضاف مقدر في المقام [١] ، ليستقيم معنى الكلام .

والمراد به : عذاب يوم القيامة لئلا تتكرر العبارة ، (أو كل آياته) بتقدير مضاف ومضاف إليه (يعني آيات القيامة) ، أي الآيات الواقعة في يوم القيامة [٢] ، (والهلاك الكلي) [٣] أي العقوبة الكاملة لأرباب الندامة وأصحاب الملامة ، وهذا أقرب /ل١١٠أ/ وأنسب (لقوله ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾) قال البغوي [٤] : يعني طلوع الشمس من مغربها ، عليه أكثر المفسرين ، ورواه أبو سعيد الخدري ﷺ [٥] حديثاً مرفوعاً [٦] ،

---

(١) وهو لفظ « أمر » أي أمر ربك . وقد جاء مصرحاً به في قوله تعالى : ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾ سورة النحل : ٣٣ . وهو مذهب الخلف ، والإمام أحمد وهو من أئمة السلف قال في هذا الموضع بالتقدير المذكور . انظر ما فصله الرازي في هذا الموضع في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب (٨/١٤) ، وفي تفسير الآية (٢١٠) من سورة البقرة (٥/٢٢٩-٢٣٦) .

(٢) غير واضحة في الأصل .

(٣) في أنوار التنزيل (٢/٢٢٣) : « والعذاب والهلاك الكلي » .

(٤) هو الإمام المفسر المحدث الفقيه الحافظ ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، قال الذهبي : « الإمام العلامة القدوة الحافظ ، شيخ الإسلام ، محيي السنة ، صاحب التصانيف » ، وقال ابن كثير : « برع في العلوم ، وكان علامة زمانه فيها وكان ديّناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً ، توفي سنة (٥١٦ هـ) - رحمه الله تعالى - . انظر طبقات الشافعية الكبرى (٧/٧٥-٨٠) ، النجوم الزاهرة (٥/٢٢٣) .

(٥) هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، أبو سعيد الخدري ، له ولأبيه صحبة ، وروى الكثير ، ومات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين ، وقيل : أربع وسبعين ﷺ . انظر الإصابة (٢/٣٥) .

(٦) انظر معالم التنزيل (٢/١٤٤) . وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ أخرجه الإمام أحمد (٣/٣١) ، والترمذي برقم (٣٠٧١) وقال : هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه ـ كتاب تفسير القرآن ـ ومن سورة الأنعام (٥/٢٤٧) . وأخرج الترمذي حديثاً آخر برقم (٣٠٧٢) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، الآية : الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب أو من مغربها » . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » (٥/٢٤٧) .

[فالمصنف] [١] خالف الجمهور بقوله : (يعني أشراط الساعة) يعني الآيات الخاصة التي هي مقدمة القيامة الصغرى ، وهي النفخة الأولى قبل النفخة الثانية التي هي حقيقة القيامة الكبرى .

وقد ورد أن ما بين النفختين أربعون سنة [٢] ، ويقول الحق سبحانه حينئذ : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ويجيب بنفسه : ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [٣] .

(وعن حذيفة) أي ابن أسيد ﷺ [٤] كما [٥] في حديث مسلم [٦] وغيره [٧] .

---

(١) غير واضحة في الأصل ، وأثبتها من (م) . والمراد بالمصنف : الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - .

(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٩٥٥ دون قوله (سنة) ، وتمامه : « قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوماً ، قال : أبيت ... » إلخ . كتاب الفتن وأشراط الساعة : باب ما بين النفختين (٣/٢٢٧٠-٢٢٧١) ، وقوله : « أبيت » أي أبيت أن أجزم بأن المراد أربعون يوماً أو سنة أو شهراً ، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم « أربعون سنة » كما ذكر المؤلف . انظر شرح النووي على مسلم (١٨/٩١-٩٢) ، وأخرج ابن جرير أثراً بإسناد صحيح عن قتادة : « ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ الزمر : ٦٨ . قال نبي الله : بين النفختين أربعون ، قال : قال أصحابه : فما سألناه عن ذلك ولا زادنا على ذلك ، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة » . جامع البيان (٢٤/٣٢) ، وما أورده المؤلف ذكره السيوطي في الدر (٥/٦٣٢) ، وقال : « أخرجه ابن المبارك عن الحسن وزاد : الأولى يميت الله بها كل حي ، والأخرى يحيي الله بها كل ميت » .

(٣) سورة غافر ، آية : ١٦ ، وتمامها : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ .

(٤) هو الصحابي الجليل حذيفة بن أسيد - بفتح أوله - ويقال : أمية بن أسيد بن خالد الغفاري ، أبو سريحة - بمهملتين وزن عجيبة - ، مشهور بكنيته ، شهد الحديبية ، وذكر فيمن بايع تحت الشجرة ، ثم نزل الكوفة ، وروى أحاديث ، أخرج له مسلم وأصحاب السنن ، قال ابن حبان : مات سنة اثنتين وأربعين ﷺ . انظر الإصابة (١/٣٣٢) ، أسد الغابة (١/٣٨٩) ، مشاهير علماء الأمصار رقم (٢٨٨) صـ ٥٨ .

(٥) في (م) : « كان » ، وهو تحريف ظاهر .

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٩٠١) في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، مع اختلاف في بعض الألفاظ وتقديم وتأخير (٤/٢٢٢٥-٢٢٢٧) .

(٧) وأخرجه - أيضاً - الترمذي بنحوه برقم (٢١٨٣) وقال : « وهذا حديث حسن صحيح » . في كتاب الفتن : باب ما جاء في الخسف (٤/٤١٤-٤١٥) .

وأما قوله : (والبراء بن عازب ﷺ) [١] فلم يعرف مخرج عنه :

(كنا) أي معشر الصحابة ([نتذاكر] [٢] الساعة) ـ أي ساعة القيامة وما فيها من الأحوال والأهوال ، وما ينفع حينئذ من الأقوال والأعمال ـ ، (إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ) أي ظهر وطلع وبرز ولمع من علية [٣] ـ كما في رواية ـ ، (فقال : ما تذاكرون ؟) وفي رواية : ماذا تذاكرون ؟ فما استفهامية وذا زائدة ـ وهو بفتح أوله على أنه حذف منه إحدى التائين ـ (قلنا : نتذاكر الساعة) ، أي لعل ذكرها يعيننا على الطاعة ، (قال : إنها) ـ أي القيامة الكبرى ـ (لا تقوم حتى تروا) أي تشاهدوا ـ أيها الأمة (قبلها) أي قبل مشاهدتها ـ (الدخان) [٤] ، قال تعالى في الدخان : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾ [٥] .

---

(١) هو الصحابي الجليل البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري ، الأوسي ، يكنى أبا عمارة ويقال : أبو عمرو ، صحابي بن صحابي ﷺ وقد روى عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث ، قال : « استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ، وشهدت أحداً » ، توفي سنة اثنتين وسبعين . انظر الإصابة (١/١٤٧) .

(٢) في الأصل : « نتذكر » ، والمثبت من (م) .

(٣) علية ـ بضم العين وكسرها ـ : غرفة ، والجمع : العلالي . النهاية (٣/٢٩٥) ، مادة : علا .

(٤) في أنوار التنزيل (٢/٢٢٣) : « عشر آيات : الدخان » ـ وهو الموافق لما في صحيح مسلم .

(٥) سورة الدخان : ١٠ و ١١ . وانظر تفسير الآية في : تفسير ابن كثير (٤/٢١٠-٢١٣) فقد ذكر خلاف العلماء في المراد بالدخان في الآية الكريمة ، فمنهم من يرى أن الدخان قد مضى ، وعلى هذا ابن مسعود وجماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير الطبري ، وقال آخرون : لم يمض الدخان بعد ، بل هو من أمارات الساعة، كما في حديث حذيفة ﷺ .

ثم ساق أثراً عن ابن عباس ﷺ يفيد أن الدخان لم يمض وقال : « وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ﷺ حبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا قول مَنْ وافقه من الصحابة والتابعين ﷺ أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها التي أوردوها مما فيه مقنع ، ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي بين واضح يراه كل أحد ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ أي يتغشاهم ويعمهم ، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه : ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ » .

وورد في حديث أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عمر ﷺ[١] : ثم يخرج الدخان / ل ١١٠ب ـ فيأخذ المؤمن منه كهيئة الزكمة ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالشيء الحنيذ[٢] (ودابة الأرض)[٣] .

وفي الحديث ـ أيضاً ـ : يبيت الناس يسيرون إلى جمع[٤] ، وتبيت دابة الأرض تسري إليهم فيصبحون وقد جعلتهم بين رأسها وذنبها ، فما من مؤمن إلا تمسحه ، ولا منافق ولا كافر إلا [تخطمه][٥] ، (وخسفاً بالمشرق وخسفاً بالمغرب) لكفار أهلهما[٦] لا على وجه الاستئصال ، فلا يرد فيه نوع من الإشكال[٧] ، (وخسفاً بجزيرة العرب) وحدها ـ معروفة ، وسميت[٨] جزيرة : لإحاطة بحر فارس وبحر السودان ونهر دجلة

---

(١) كلمة « عنهما » ساقطة من (م) .

(٢) لم تظهر نقطة الذال في الأصل ، وأثبتها من (م) . والحنيذ : هو الحار الذي يقطر ماؤه بعد الشيّ ، ومنه : حنذ الشاة يحنذها حنْذاً وتحناذاً : شواها وجعل فوقها حجارة محماة لتنضجها ، والحنيذ : الماء المسخّن . انظر القاموس (١/٦٦٢) ، وتاج العروس (٩/٣٩٨) مادة : حنذ .

(٣) أخرجه في الفتن والملاحم (٤/٤٨٥) ـ بزيادة فيه ستأتي ـ وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، تعقبه الذهبي فقال : « قلت : ابن البيلماني ضعيف وكذا الوليد » . في المستدرك وتلخيصه : « الدجال » بدل « الدخان » ، والظاهر أنه خطأ مطبعي .

(٤) لعله يريد : مزدلفة .

(٥) في الأصل : « تخطم » ، والمثبت من (م) ، وفيها تقديم كافر على منافق .

(٦) يفيد : أن المسلمين لا يخسف بهم .

(٧) حيث إن الله تعالى لم يعذب هذه الأمة بالاستئصال كرامة لنبيها ﷺ ، وهو أحد وجوه تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾ الأنبياء : ١٠٧ ، فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال : « من آمن تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من المسخ و الخسف والقذف » . انظر جامع البيان (١٧/١٠٦) ، الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٥٠) ، مدارك التنزيل للنسفي (٣/٩١) ، الدر المنثور (٤/٦١٣) ، فتح القدير (٣/٤٣٣) .

(٨) في (م) : « وسميتها » ، وهو تحريف .

والفرات بها ـ ، (والدجال ، وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج ومأجوج) ـ بالهمزة فيهما ويبدل [(١)] ـ ، (ونزول عيسى) عليه السلام ، ([ونارا]) [(٢)] تخرج من عدن) [(٣)] ـ الواو العاطفة فيها بمجرد الجمعية لا لترتيب وقوع أفراد القضية ، فإنه ثبت في الأحاديث النبوية :

أن الدجال يحصر المهدي في حصن ببيت المقدس ، فينزل عيسى عليه السلام ويقتل الدجال [(٤)] ، ثم يكون يأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها آخر الآيات ، وعند ظهور غيره باب التوبة مفتوح ، والدخول في الإسلام مفسوح . وكذا الروايات الحديثية مختلفة في نظم هذه الآيات المؤتلفة ، وتفاصيلها يحتاج إلى مجلدات مؤلفة .

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ : لم يتعرض المصنف لتفسير هذا البعض [(٥)] ، وكأنه فهم أنه من باب وضع الظاهر موضع المضمر .

قال [(٦)] السيد معين الدين الصفوي [(٧)] : أي الآيات التي تضطرهم / ل ١١١أ ـ

---

(١) أي تبدل الهمزة ألفاً للتسهيل .

(٢) في الأصل : « ونار » ، وهو خطأ نحوي ، والتصويب من (م) .

(٣) وعند مسلم : « وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم » .

(٤) أخرج الترمذي برقم (٢٢٤٤) عن مجمع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يقتل ابن مريم الدجال بباب لد » . قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » . كتاب الفتن : باب ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال (٤/٤٤٧) .

(٥) دخول « أل » التعريف على « بعض » لم يرتضه بعض العلماء .

(٦) في (م) : « وقال » .

(٧) هو السيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد ، معين الدين الحسني الحسيني الإيجي الشافعي ، عمل تفسيراً في مجلد ضخم ، ورسالة في تفسير سورة الكوثر ، قال صاحب كشف الظنون : « له جوامع البيان في التفسير » ، وذكر صاحب معجم المطبوعات أنه طبع مرتين باسم : « جامع البيان في تفسير القرآن » ، توفي سنة (٩٠٥ هـ) ، وقال السخاوي عنه : « ونعم الرجل أصلاً ووصفاً ـ رحمه الله تعالى ـ » . انظر الضوء اللامع (٨/٣٧-٣٨) ، كشف الظنون (١/٤٥٢ و ٦١٠) ، هدية العارفين (٢/٢٢٣) ، طبقات المفسرين للأدنه وي رقم (٤٩٦) صـ ٣٧٢-٣٧٣ ، معجم المفسرين (٢/٥٤٩) .

إلى الإيمان [وكلاهما] [١] مخالف لنص من أنزل عليه القرآن ، وفوّض إليه البيان في هذا الميدان ، حيث ثبت بطرق متظافرة كادت أن تكون متواترة ، أن المراد بها : طلوع الشمس من مغربها [٢] ، ولأن هذه الآية من بين الآيات هي التي يترتب عليها قوله سبحانه : ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ كالمحتضر) ـ بفتح الضاد أي : من حضره علامات الموت ـ ، فقد ورد أن الله يقبل توبة [العبد] [٣] ما لم يغرغر [٤] ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ [٥] ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [٦] [٧] (إذا صار الأمر عياناً) ، أي ولو بعض العيان ، (والإيمان برهاني) ـ جملة حالية ـ ، والمعنى : أن المطلوب من الإنسان هو الإيمان الغيبي الناشئ عن دليل محقق أو تقليد نبي مصدق .

والحاصل : أن الشارع جعل هذه الآية [٨] أعظم الآيات ، وما بعد ظهورها من جملة إيمان اليأس [٩] وتوبة اليأس في الحالات [١٠] ، وإلا فهي آية كسائر خوارق العادات ،

---

(١) في الأصل : « وكلاها » ، والتصويب من (م) ، والمراد : ما فهم عن المصنف وما ذكره السيد الصفوي .

(٢) من المعلوم في أصول التفسير : أنه إذا ثبت تفسير عن رسول الله ﷺ فلا يصار إلى غيره .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل ، وأثبته من (م) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد برقم (٦٣٧٢) من حديث سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ، والترمذي برقم (٣٥٣٧) في كتاب الدعوات : باب فضل التوبة والاستغفار ، وابن ماجه برقم (٤٢٥٣) في كتاب الزهد : باب ذكر التوبة .

(٥) في (م) : « ليست » ، بدون واو .

(٦) سورة النساء : ١٨ ، وتمامها : ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

(٧) وضع في (م) هنا : إشارة .

(٨) وهي آية طلوع الشمس من مغربها .

(٩) كتبت في الأصل بالموحدة .

(١٠) كذا في الأصل وفي (م) ، ولعله يريد : الحالات العيانية المتقدمة ، وهي التي لا يقبل فيها الإيمان ولا التوبة .

والإيمان نافع والتوبة مقبولة عند رؤية المعجزات . (وقرىء) أي في الشواذ [(١)] : (﴿ تنفع ﴾ ـ بالتاء) ـ أي التأنيث (لإضافة الإيمان إلى ضمير المؤنث) أي اكتسابه [(٢)] التأنيث بمجاورة [(٣)] النفس ، وفيه إشارة صوفية أن الميل إلى النفس يخرج الشخص عن مقام الرجال الكمل الأحوال [(٤)] [(٥)] ، وجوز أن يكون التأنيث باعتبار معنى الإيمان ، وهو : المعرفة أو العقيدة .

﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ : أي من قبل ظهور هذه الآية ، والجملة [(٦)] (صفة [(٧)] ﴿ نَفْسًا ﴾) أي : صفة احترازية [(٨)] .

(﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ : عطف على آمنت) ، أي : أو / ل ١١١ب ـ لم تكن كسبت في إيمانها خيراً ، أي ، توبة فإنها منبع الخيرات ، ومعدن المبرات ، [فتنوينه] [(٩)] [(١٠)] للتعظيم لا للتعميم .

---

(١) انظر كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٤٢ ونسبها إلى ابن سيرين وابن عمر ، وذكرها ابن جني في المحتسب ونسبها إلى أبي العالية (٢٣٦/١) ، البحر المحيط (٢٥٩/٤) ـ طبعة دار الفكر ـ .

(٢) في (م) : « واكتسابه » .

(٣) لم تظهر نقطة الجيم في الأصل ، والمثبت من (م) ، وانظر ما فصله ابن جني في المحتسب (٢٣٦/١-٢٣٨) .

(٤) كذا في الأصل ، وفي (م) بإدخال أل على المضاف ، وهذا كقول صاحب الأمالي في مقدمته (٢/١) : « ... المبارك الطلعة ، الميمون الغرّة ، الجمّ الفضائل ... » .

(٥) وهي إشارة بعيدة ، والتفسير الإشاري له شروطه وقواعده . انظر مناهل العرفان (٦٨/٢) .

(٦) أي : جملة ﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ .

(٧) كتب في الأصل بين السطرين كلام لم أستطع أن أقرأ منه غير هذه الكلمات : فيه أن التاء في المعرفة ليست للتأنيث بل في نفس كلمة اللهم إلا أن يقال : إن تاء الفعل .. إنها الصورة . ()

(٨) بمعنى : أن النفس المؤمنة تنتفع .

(٩) في الأصل ، معنوية ، والتصويب من م .

(١٠) أي : تنوين قوله : ﴿ خَيْرًا ﴾ .

وحاصله : أنه من باب اللف التقديري ، أي لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل أو لم تكن كسبت فيه خيراً ، والمعنى : أنه حينئذ لا ينفعهم تلهفهم على ترك الإيمان ولا تأسفهم على ترك التوبة عن العصيان .

وهذا هو الموافق للآيات الواردة والأحاديث الشاهدة على أن مجرد الإيمان نافع مع ارتكاب العصيان ، وهو المطابق لسياق الآية وسباقها ولحاقها ، حيث وردت تحسراً لمن ترك الإيمان وأخر التوبة عن العصيان إلى أن أغلق باب التوبة وفتح أبواب النعمة [١] . قال البغوي : « يريد لا يقبل إيمان [٢] كافر ولا توبة فاجر » [٣] ، وصاحب المدارك [٤] فسر ﴿ خَيْرًا ﴾ بالإخلاص [٥] وقال : « أي كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضاً » [٦] ، قلت : « وفي معنى المنافق المرائي الموافق » [٧] ، ثم قال [٨] : « أو توبة ، وتقديره : لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل [٩] انتهى » [١٠] .

والحاصل : أنه إذا لم يؤمن أحد قبل طلوع الشمس وآمن بعده لم يقبل إيمانه ، وإذا

---

(١) كذا في الأصل وفي (م) ، ولعلها تحرفت عن « النقمة » .

(٢) في (م) : « كل كافر » ـ وليست عند البغوي ـ .

(٣) انظر معالم التنزيل (٢/١٤٤) وفيه : « فاسق » بدل : « فاجر » .

(٤) وهو الإمام أبو البركات النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ .

(٥) في (م) : « إخلاصاً » .

(٦) انظر مدارك التنزيل (١/٦٨) وفيه : « أي إخلاصاً كما .. » إلخ .

(٧) كلمة « الموافق » ساقطة من (م) .

(٨) أي : الإمام النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب المدارك .

(٩) كلمة « قبل » ساقطة من (م) .

(١٠) انظر مدارك التنزيل (١/٦٨) وفيه : « أو توبته » .

آمن قبله إلا أنه لم يخلصه أو فسق فيه ولم يتب منه ، أو لم يعمل عملاً صالحاً ثم أخلص بعده أو تاب من معصيته ، أو زاد في طاعته لم يقبل ، فتأمل فانه موضع زلل ومحل خطل .

ولا يبعد أن يكون المراد : ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ تحصيلاً وإتيانها تكميلاً ، أو التقدير : ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ نفعاً مطلقاً / ل ١١٢أ ـ أو نفعاً كاملاً .

﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ ﴾ لم تكن ﴿ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ : على أنه من باب اللف من غير تقدير ولا كسبها كما اختاره ابن الحاجب [(١)] ، والطيبي [(٢)] وسائر أرباب التحقيق وأصحاب التدقيق والله ولي التوفيق .

(والمعنى) ـ أي بحسب الفحوى ـ : (أنه لا ينفع الإيمان حينئذ) أي وقت ظهور طلائع الايقان ﴿ نَفْسًا ﴾ : أي شخصا (غير مقدمة) أي هي (إيمانها) ، أي في زمانها

---

(١) هو الإمام العلامة الفقيه المالكي ، الأصولي ، النحوي ، المقري ، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، أبو عمرو جمال الدين ، ابن الحاجب ، من كبار العلماء بالعربية ، كردي الأصل ، كان أبوه حاجبا فعرف به ، من تصانيفه الكافية في النحو والشافية في الصرف ، وغيرهما ، توفي بالإسكندرية سنة (٦٤٦ هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ ترجم له شيخنا العلامة عبد الكريم المدرس في كتابه « علماؤنا في خدمة العلم والدين » الخاص بتراجم علماء الأكراد . انظر غاية النهاية (٥٠٨/١) ، وفيات الأعيان (٣١٤/١) ، علماؤنا في خدمة العلم والدين صـ ٣٧٣-٣٧٤ ، الأعلام (٢١١/٤) .

(٢) غير واضحة في الأصل ، وأثبتها من (م) ، والطيبي : هو الإمام المشهور الحسين بن محمد بن عبد الله ، شرف الدين الطيبي ، صاحب شرح المشكاة وحاشية الكشاف ، والتبيان في المعاني والبيان وغيرها ، من علماء الحديث والتفسير والبيان ، كان آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة ، وحاشيته على الكشاف هي أنفس حواشيه على الإطلاق دخل مسجداً عند بيته فصلى السنة قاعداً ، وجلس ينتظر الإقامة للفريضة فقضى نحبه متوجها إلى القبلة في يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة (٧٤٣ هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ . الدرر الكامنة (٦٨/٢) ، البدر الطالع (٢٢٩/١-٢٣٠) ، الأعلام (٢٥٦/٢) .

على ذلك اليوم مع بقائها على حالها وفي شأنها ، (أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيراً) ، أي عملاً من أعمال الخير مطلقاً ، (وهو دليل) أي بحسب الظاهر (لمن لم يعتبر الإيمان المجرد عن العمل) وهم المعتزلة وبعض المبتدعة [(١)] ، لأنه سوّى بين عدم الإيمان والإيمان الذي لم تكسب فيه خيراً من الأركان ، وقد ردت [(٢)] أدلتهم بالكتاب والسنة كما في عقائد علماء الأمة من أهل السنة والجماعة [(٣)] .

(وللمعتبر) أي للإيمان المجرد ـ وهو المعتبر عند الأكثر ـ :

* (تخصيص هذا الحكم) وهو اعتبار العمل السابق (بذلك اليوم) بقرينة تخصيص حكم الإيمان السابق بذلك اليوم باتفاق القوم ، ولا يلزم من عدم نفع الإيمان المجرد أو مع عدم الكسب الحادث في ذلك الزمان أن لا ينفع في الآخرة ما سبق [منهما] [(٤)] قبل ذلك من الأحيان .

* (وحمل الترديد) ـ أي وللمعتبر أيضاً حمل الترديد المفهوم من ﴿ أَوْ ﴾ ـ (على اشتراط النفع بأحد الأمرين) وهما : الإيمان وكسب الخير ، على أن ﴿ أَوْ ﴾ لعدم الخلو [(٥)] (على معنى لا ينفع نفساً [خلت] عنهما [(٦)] إيمانها) ، غايته أن الإيمان معتبر بدون العمل بخلاف العكس فتأمل .

---

(١) انظر الكشاف (٢/٦٣) وحاشيته الإنصاف لابن المنير ، حيث قال بعد أن بين رأي الزمخشري : « فهذا بأن يدل على رد الاعتزال أجدر من أن يدل له ـ والله الموفق ـ » .

(٢) في (م) : « وردت » ، وهو تحريف .

(٣) انظر حاشية العصام ل ٣٠٩ أ ، وأخرج الطبري برقم (١٤٢١٢) عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل » . قال محقق الطبري : « وهذا خبر صحيح الإسناد » . وانظر رقم (٤٠٦٨) عند ابن ماجه ، وسنن أبي داود ، كتاب الملاحم : أمارات الساعة ، وغيرها .

(٤) في الأصل : « منها » ، والتصويب من (م) .

(٥) في الأصل وفي (م) : « والخلع » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر حاشية العصام ل ٣٠٩ أ .

(٦) في الأصل وفي (م) : « خلا » ، وفي (م) : « عنها » ، والمثبت من أنوار التنزيل (٢/٣٢٢) .

* (والعطف) أي وله عطف كسبت / ل ١١٢ب ـ (على لم تكن) ، أي لا على آمنت كما سبق وأن أو بمعنى الواو ، (بمعنى لا ينفع نفساً إيمانها الذي أحدثته حينئذ) ، أي بعد مشاهدة هذه الآية الواضحة ، (وإن كسبت فيه خيراً) بكسر « إن » على أنها وصلية ، أو بفتحها على أنها مصدرية عطفاً على إيمانها ، أي : ولا ينفع نفساً كسبها فيه خيراً مما أحدثته حينئذ .

وللعصام هنا [1] من الكلام ما لا يوافق المرام ، بل يرد عليه الملام ، وهو قوله : يريد أن المراد أنهم ينتظرون في الإيمان وقت [إتيان] [2] ملائكة الموت ، أو العذاب ، أو أمر الرب بالعذاب ، أو كل آياته ـ يعني آيات القيامة والهلاك الكلي ـ ، أو بعض آيات القيامة ، ولا ينفع إيمانهم في شيء من هذه الأوقات .

ويأباه أنه لم يبيّن عدم نفع الإيمان إلا وقت إتيان بعض الآيات إلا أن يقال : بيان عدم النفع عند إتيان البعض يغني عن بيان عدم [النفع] [3] عند إتيان الكل . انتهى [4] .

ولا يخفى أن هذا ممنوع عند أرباب العقول ، ومرفوع عند أصحاب النقول ، لأن الإيمان بعد ظهور الدجال الذي من جملة الآيات مقبول ، بلا خلاف منقول ، وكذا سائر الآيات ، وإنما يختص عدم النفع بسطوع طلوع الشمس من مغربها كما جاء بالتصريح ، في الأحاديث الواردة في الصحيح .

---

(١) في (م) : « ههنا » .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من (م) .

(٣) في الأصل وفي (م) : « نفع » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت .

(٤) لم أجده فيما وقفت عليه من حاشيته ، والظاهر أنه في الجزء الثاني الذي لم يتيسر لي الحصول عليه .

منها [١] : ما أخرجه عبد الرزاق [٢] وأحمد [٣] وعبد بن حميد [٤] والبخاري [٥] ومسلم [٦] وأبو داود [٧] والنسائي [٨] وابن ماجه [٩] وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه [١٠] والبيهقي في البعث [١١] عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت [١٢] ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها » / ل ١١٣أ ـ ثم قرأ الآية .

ومنها : ما أخرجه الطيالسي [١٣] وسعيد بن منصور [١٤] وأحمد [١٥] وعبد بن

---

(١) الآثار الآتية نقلها المصنف من الدر المنثور (٣/١٠٩-١١٦) إلا أنه لم يلتزم بترتيب السيوطي في العزو .

(٢) أخرج في مصنفه بعض أحاديث أشراط الساعة ، وليس فيها هذا اللفظ (١١/٣٧٨) ـ باب أشراط الساعة ، وأخرج في تفسيره عن قتادة قال : آية موجبة ، طلوع الشمس من مغربها أو ما شاء الله (٢/٢٢٢) .

(٣) في المسند في مواضع متعددة ، انظر رقم (٧١٢١ و ٢٧٣٥٥) .

(٤) انظر الدر المنثور (٣/١٠٩) ، وذكره في فتح القدير (٢/١٨٢) وعزاه إلى الصحيحين وغيرهما دون تعيين .

(٥) أخرجه برقم (٤٦٣٦) في التفسير : باب ﴿ لا ينفع نفساً إيمانها ﴾ (١٠/٢٢٢) .

(٦) أخرجه برقم (١٥٧) في الإيمان : باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/١٣٧) .

(٧) أخرجه في سننه برقم (٤٣١٢) في كتاب الملاحم : باب أمارات الساعة (٥/٤٤) .

(٨) أخرجه في سننه الكبرى بنحوه برقم (١١١٧٧) ، (٦/٣٤٣) .

(٩) أخرجه في سننه برقم (٤٠٦٨) في كتاب الفتن : باب طلوع الشمس من مغربها (٢/١٣٥٢) .

(١٠) انظر الدر المنثور (٣/١٠٩) .

(١١) بحثت عنه في البعث والنشور فلم أقف عليه ، وعزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٣/١٠٩) ، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٩/١٨٠) .

(١٢) كلمة « طلعت » ساقطة من (م) .

(١٣) أخرجه في مسنده صـ ١٦٠-١٦١ وفيه : « أربعون عاماً أو مسيرة أربعين عاماً » ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه (٢/٢٢٢) .

(١٤) أخرجه في سننه برقم (٩٤٠) في آخر حديث مطول (٥/١١٩) .

(١٥) في المسند برقم (١٧٦٣٤) .

حميد [١] والترمذي وصححه [٢] والنسائي [٣] وابن ماجه [٤] وابن [المنذر] [٥] والطبراني [٦] وأبو الشيخ وابن مردويه [٧] والبيهقي [٨] عن صفوان بن عسّال عن النبي ﷺ قال : « إن الله جعل بالمغرب باباً عرضه سبعون عاماً مفتوحاً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله ، فذلك ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ » ، ولفظ ابن ماجه : « فإذا طلعت من نحوه لا ينفع نفساً إيمانها » .

ومنها : ما أخرجه عبد الرزاق [٩] وأحمد [١٠] وعبد بن حميد [١١] ومسلم [١٢]

---

(١) انظر الدر المنثور (٣/١١١) وفيه : « قبله » بإسقاط « من » .

(٢) أخرجه مطولاً في سننه برقم (٣٥٣٦) في الدعوات : باب في فضل التوبة والاستغفار وقال : « هذا حديث حسن صحيح » (٥/٥١٠-٥١١) .

(٣) أخرجه في سننه برقم (١١١٧٨) ، (٦/٣٤٤) .

(٤) أخرجه في سننه برقم (٤٠٧٠) في كتاب الفتن : باب طلوع الشمس من مغربها (٢/١٣٥٣) .

(٥) في الأصل : « منذر » ، والتصويب من (م) ، وانظر الدر المنثور (٣/١١١) .

(٦) أخرجه في الكبير برقم (٧٣٦٠ و ٧٣٦١) ، (٨/٥٩) .

(٧) انظر الدر المنثور (٣/١١١) .

(٨) أخرجه في سننه الكبرى في مواضع من كتاب الطهارة : في باب الوضوء من النوم (١/١١٨) ، وفي باب رخصة المسح على الخفين (١/٢٨٢) ، ولكنه اقتصر على صدر الحديث ، وليس فيه ما هو مذكور هنا ، وأخرجه في المدخل برقم (٣٥٠) صـ ٢٥٢ .

(٩) لم أقف على هذا اللفظ في مصنفه ولا تفسيره .

(١٠) في المسند برقم (٨٨٨٥ و ٩٢٢٥ و ١٠٢٠٣) .

(١١) انظر الدر المنثور (٣/١١١) .

(١٢) أخرجه برقم (٢٧٠٣) في كتاب الذكر والدعاء : باب استحباب الذكر والاستغفار (٣/٢٠٧٦) .

والبيهقي في البعث [١] عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .

ومنها : ما أخرجه أحمد [٢] وعبد بن حميد [٣] وأبو داود [٤] والنسائي [٥] مرفوعاً : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس [من مغربها] » [٦] .

ومنها : ما أخرجه ابن أبي شيبة [٧] ومسلم [٨] والنسائي [٩] وأبو الشيخ في العظمة [١٠] والبيهقي في الأسماء والصفات [١١] عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يبسط يده [بالليل] [١٢] ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » .

---

(١) بحثت عنه في « البعث والنشور » فلم أقف عليه ، وعزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٣/١١١) .

(٢) في المسند برقم (١٦٤٦٣) .

(٣) انظر الدر المنثور (٣/١١١) .

(٤) أخرجه في سننه برقم (٢٤٧١) في الجهاد : باب في الهجرة هل انقطعت ؟ (٣/٢٠١) .

(٥) أخرجه في سننه برقم (٨٧١١) ، (٥/٢١٧) .

(٦) سقطت من الأصل ، وأثبتها من مراجع التخريج .

(٧) في مصنفه برقم (٣٤٢٠٤) في كتاب ذكر رحمة الله : باب ما ذكر في سعة رحمة الله (٧/٦٠) .

(٨) أخرجه برقم (٢٧٥٩) في كتاب التوبة : باب قبول التوبة من الذنوب (٣/٢١١٣) .

(٩) أخرجه في سننه برقم (١١١٨٠)، (٦/٣٤٤) .

(١٠) أخرجه في كتاب العظمة برقم (١٠) ، (٢/٤٣١) ، وبأطول منه برقم (١١) ، (٢/٤٣٢) .

(١١) انظر (٢/٥٢) باب ما جاء في إثبات اليدين .

(١٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من (م) .

والأحاديث المرفوعة والموقوفة [١] في هذا المعنى [كثيرة] [٢] شهيرة - كما في الدر المنثور في التفسير المأثور - [٣] .

ومما يستعان به في تفسير الآية :

ما أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه[٤] عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صبيحة تطلع / ل ١١٣ب - الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة [٥] وخنازير ، وتطوى الدواوين وتجف الأقلام ، لا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة » فقرأ [٦] الآية ، وفيه دلالة على أن إحداث الإيمان ، وزيادة عمل الأركان ، لا يقبل في ذلك الزمان ، لمن كان قبله من أهل الكفر والكفران [٧] ، أو من أرباب الفسق والعصيان ، أو من أصحاب التقصير والتوان .

ويؤيده : ما أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج [٨] في تفسير الآية : « لا ينفعها الإيمان إن آمنت ، ولا أن تزداد في عمل لم تكن عملته » .

---

(١) الواو من قوله : « والموقوفة » ساقطة من (م) .

(٢) في الأصل : « كثير » ، والتصويب من (م) .

(٣) أوردها السيوطي - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية ، انظر (٣/١٠٨-١١٧) .

(٤) انظر الدر المنثور (٣/١١٢) وفيه ذكر الآية الكريمة : ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ .

(٥) لفظ « قردة » ألحقه في (م) بين السطرين .

(٦) كتب في الأصل وفي (م) « قرأ » هكذا : « قراء » .

(٧) هذا من باب المبالغة ، وفيه مراعاة السجع .

(٨) انظر الدر المنثور (٣/١١٠) وفيه : « ولا تزداد في عمل إن لم تكن عملته » .

وما أخرجه ابن أبي حاتم [١] وأبو الشيخ [٢] عن مقاتل [٣] في قوله : ﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ : « يعني المسلم الذي لم يعمل في إيمانه [٤] خيراً ، وكان قبل الآية مقيماً على الكبائر » .

وما أخرجه ابن أبي حاتم [٥] وأبو الشيخ [٦] عن السدي [٧] في قوله : ﴿ أَوْ كَسَبَتْ [٨] فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ يقول :

---

(١) أخرجه برقم (١١٩٨) ، وإسناده حسن (٢/٨٧٩) .

(٢) انظر الدر المنثور (٣/١١٠) ، وفتح القدير (٢/١٨٢) .

(٣) هو مقاتل بن حيان النبطي ـ بفتح النون والموحدة ـ أبو بسطام البلخي ، قال الذهبي : « كان إماماً صادقاً ناسكاً خيراً ، كبير القدر ، صاحب سنة واتباع » ، وقال ابن حجر : « صدوق فاضل ، أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعاً كذبه ، وإنما كذب الذي بعده » ـ مقاتل بن سليمان ـ ، توفي قبل الخمسين ومائة بأرض الهند . انظر تذكرة الحفاظ (١/١٧٤) ، التهذيب (١٠/٢٧٧-٢٧٩) ، التقريب (٢/٢٧٢) . أقول : إذا أطلق مقاتل ينصرف إلى ابن حيان ، وإذا أريد الآخر نص عليه .

(٤) كتبت ناقصة في (م) ، هكذا : « إيما خير » .

(٥) أخرجه برقم (١١٩٧) وإسناده حسن ، وفيه بعد قوله « تصديقها » : « خيراً » ، وبعد قوله : « صالحاً » : « هؤلاء أهل القبلة » .

(٦) انظر الدر المنثور (٣/١١٠) وزاد بعد قوله « صالحاً » : « هؤلاء أهل القبلة » ، وفتح القدير (٢/١٨٢) .

(٧) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي ـ بضم المهملة وتشديد الدال ـ أبو محمد الكوفي ، وهو السدي الكبير ، كان يقعد في سدة باب الجامع فسمّي السدي ، قال يحيى القطان : « لا بأس به » ، وقال أحمد : « ثقة » ، وقال ابن معين : « في حديثه لين » ، وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » ، وقال العجلي : « ثقة عالم بالتفسير راوية له » ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن حجر : « صدوق يهم ورمي بالتشيع » ، مات سنة سبع وعشرين ومائة . أقول : من المعلوم أن القطان من المتشددين في الحكم على الرجال ، فكونه يقول فيه : « لا بأس به » ، دال على صدقه وأن حديثه حسن . انظر الجرح والتعديل (٢/١٨٤-١٨٥) ، الميزان (١/٧١-٧٢) ، التهذيب (١/٣١٣-٣١٤) ، التقريب (١/٧١-٧٢) .

(٨) قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَسَبَتْ ﴾ ، ألحقه في الأصل بين السطرين .

« كسبت في تصديقها عملاً صالحاً ، وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيراً فعملت بعد أن رأت الآية لا [١] يقبل منها ، وإن عملت قبل الآية خيراً ثم عملت بعد الآية خيراً قبل منها » .

فهذا وأمثاله من كلام السلف ما يظهر فيه خلاف ما عليه بعض الخلف ، والسابقون الأولون أولى بالاعتبار عند أولي الأبصار ، فإن [قولهم] [٢] صدر عن منابع الأسرار وبدائع الأنوار .

﴿ قُلِ [٣] ٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ : أي ما تقدم من ظهور الأسباب .

﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ : لكم العذاب المضاعف بالحجاب [٤] ، (وعيد لهم) أي أمر تهديد (أي انتظروا إتيان أحد الثلاثة) هي :

قوله : ﴿ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ الخ ، (فإنا منتظرون له) [٥] أي : لأحدها (وحينئذ لنا الفوز) أي الظفر الجميل ، (وعليكم [٦] الويل) [٧] أي الهلاك الوبيل كما قام به الدليل / ل ١١٤ أ - وورد به التنزيل ، وفي هذا إقناط لهم عن إيمانهم ، وإشعار بإصرارهم على كفرانهم ، فختم الله لنا بالحسنى وبلّغنا المقام الأسنى .

---

(١) في (م) : « لم » بدل : « لا » ، وكذلك في الدر المنثور كما تقدم في تخريجه .

(٢) في الأصل : « نقولهم » ، وهو تحريف ، والتصويب من (م) .

(٣) في الأصل : « وانتظروا » ، والصواب ما أثبت ، وجاء في (م) على الصواب .

(٤) وهو حجابهم عن ربهم تبارك وتعالى ، قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ المطففون : ١٥ .

(٥) كلمة : « له » ساقطة من (م) .

(٦) الواو ساقطة من (م) .

(٧) انتهى هنا كلام الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - .

بقي في تحقيق هذا المقام : مباحث منقولة عن [العلماء] [١] الأعلام :

منها : ما نقل عن الإمام أبي الليث السمرقندي [٢] منا [٣] والحليمي [٤] من الشافعية : أن عدم نفع الإيمان الحادث في ذلك الزمان وكذا نفي فائدة كسب الإحسان في تلك الأحيان ، إنما هو بالنسبة إلى من آمن ومات عقيب إيمانه وقت المعاينة ، وأما من امتد أجله وعاش واستمر على ذلك الإيمان ، فان توبته مقبولة وإيمانه مقبول ، ففيه نظر ظاهر لأنه خلاف ظاهر الآية ، وما ورد من الأحاديث في السنة حيث وقع الإطلاق من غير تفصيل في المسألة [٥] ، فلابد من رواية نقل صريح ، أو دلالة عقل صحيح .

ومنها قول بعضهم [٦] : « إن بعد مشاهدة هذه الآية لا تقبل التوبة إلى قيام الساعة » ـ وهو ظاهر الآية ـ ، ويؤيده حديث : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » [٧] .

وكذا حديث : « لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » [٨] .

---

(١) في الأصل وفي (م) : علماء ، وهو خطأ صوابه ما أثبت .

(٢) هو الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، المعروف بإمام الهدى ، من كتبه : « تفسير القرآن » ، و« النوازل في الفقه » ، و« تنبيه الغافلين وبستان العارفين » وغيرها ، توفي سنة (٣٧٣ هـ) ، وذكر الذهبي وفاته سنة خمس . انظر سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٦) ، الجواهر المضية (٥٤٤/٣-٥٤٥) ، تاج التراجم صـ ٢٧٥ رقم (٣٠٨) .

(٣) أي من الحنفية لأن المصنف حنفي .

(٤) هو الإمام الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم ـ باللام ـ ، الشيخ الإمام أبو عبد الله الحليمي ، شيخ الشافعيين بما وراء النهر ، توفي سنة (٤٠٣ هـ) . انظر طبقات الشافعية الكبرى (٣٣٣/٤-٣٤٣) ، شذرات الذهب (١٦٧/٣) .

(٥) قوله « في المسألة » ساقط من (م) .

(٦) لم أعرف من هو .

(٧) تقدم تخريجه .

(٨) تقدم تخريجه .

إذ لابد في هذا التخصيص من فائدة ، وقد صرح في حديث : « أنه إذا أغلق[١] باب التوبة لا يقبل لعبد بعد ذلك توبة ، ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك »[٢] .

ومنها قول بعضهم[٣] : « إن هذا الحكم ـ وهو عدم صحة[٤] التوبة ـ خاص بمن شاهد تلك الآية ، وأما من ولد بعدها ولم يشاهدها فإيمانه مقبول وتوبته صحيحة ، وكذا من لم يكن من أهل التمييز[٥] حال رؤية الآية » .

وهذا هو الموافق للأصول الدينية والقواعد الشرعية ، لأنه سبحانه دعا الخلق إلى التوحيد وتصديق / ل ١١٤ب ـ النبوة ، فإذا كان الإيمان أو التوبة وجد غير اضطرارية[٦] يكون مقبولاً بالضرورة ، إلا أنه يحتمل أن لا[٧] يمتد قدر هذه المدة قبل قيام الساعة ، فقد ورد : « أنه لو نتج رجل[٨] مهراً[٩] لم يركبه[١٠] حتى تقوم الساعة ، من لدن

---

(١) في (م) : « غلب » ، وهو تحريف .

(٢) ذكره في الدر المنثور ضمن حديث مطول (١١٥/٣) . وقال : « أخرجه ابن مردويه بسند واه عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ » (١١٤/٣-١١٥) ، وفيه : « لم تقبل » بدل : « لا يقبل » ، و« تنفعه » بدل : « ينفعه » .

(٣) لم أعرف من هو .

(٤) كلمة « صحة » ساقطة من (م) .

(٥) كلمة التمييز غير منقوطة الزاي وكتبت بياء واحدة في الأصل ، وفي (م) : تكاد تقرأ : « اليمين » .

(٦) كذا في الأصل وفي (م) .

(٧) كلمة « لا » سقطت من (م) .

(٨) نتج فلان الشئ : تولاه حتى أتى نِتاجه . المعجم الوسيط (٨٩٩/٢) ، وانظر القاموس (٤٢٩/١) ، النهاية (١٢/٥) مادة : نتج .

(٩) في (م) : « مهر » وهو خطأ نحوي جاء على الصواب في الأصل .

(١٠) في (م) : « يرتكبه » ، وفي الدر : « لم يركب » .

طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور »[(١)] .

لكنه معارض لحديث : « لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران فيقول أحدهما لصاحبه : متى ولدت ؟ فيقول : زمن طلعت الشمس من مغربها »[(٢)] . إلا أن الحديث الأول أصح والله أعلم .

فإن قلت : قد ورد أن أول الآيات خروجاً : طلوع الشمس من مغربها ، وإذا كان أول الآيات مشاهدة هذا الحال ، فبالضرورة يكون قبل خروج الدجال ، ومن المقرر : أن عيسى عليه السلام يقتله ، والإيمان في زمانه مقبول حتى ترتفع الجزية من الأحكام ، ولم يكن[(٣)] إلا السيف أو الإسلام ؟ قلت : الظاهر أن المراد بأول الآيات[(٤)] : الآيات السماوية من اختلال نظام الأفلاك والكواكب وأمثالها .

ويؤيده ما ورد في أحاديث متعددة : « أن الآيات خرزات منظومات فإذا انقطع السلك تبع بعضها بعضاً »[(٥)] .

وعن أبي هريرة ﷺ : « الآيات كلها في ثمانية أشهر » . وعن أبي العالية : « في

(١) ذكره في الدر المنثور (٣/١١٥) ضمن حديث مطول وقال : « أخرجه ابن مردويه بسند واه عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ » .

(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس ﷺ برقم (٧٥٢٩) بلفظه إلا أنه قال : « يقول » بدل : « فيقول » (٥/٨٣) ، وهو في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث باختلاف يسير برقم (٧٩٨) : باب طلوع الشمس من المغرب صـ ٢٥٠ ، وميزان الاعتدال (٦/١٦٠) ، والكامل في الضعفاء (٦/١١٨) .

(٣) في (م) : ولم يبق .

(٤) في حاشية (م) : وضع إشارة وكتب : فيه أن أولها نزوله . ولم يتبين لي موضع الإشارة .

(٥) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ برقم (٧٠٠٠) ، ولفظه قال ﷺ : « الآيات خرزات منظومات في سلك ، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً » .

ستة أشهر »[١] . وعن قتادة : « أن كل آية في سنة » ـ والله أعلم ـ[٢] .

فإن قلت : قد ورد في حديث صحيح : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل[٣] : الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها »[٤] / ل ١١٥أ ـ .

قلت : يحمل على المجموع لا على كل فرد ، إذ[٥] ثبت بطرق متعددة كادت أن تكون متواترة ـ بل هي متواترة المعنى ـ : أن بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إيمان[٦] ولا توبة ، بل صح حديث : « لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها »[٧] ، ولم يأت في حديث صريحاً أن بعد خروج الدجال مخصوصة[٨] أو الدابة ينقطع[٩] التوبة .

ولعله[١٠] كان في بدء الأمر مبهماً عنده عليه السلام ، ثم تبيّن على وجه النظام .

ويؤيّده : ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه[١١] مرفوعاً : « خمس لا أدري أيتهن أول من

---

(١) ذكرهما في الدر المنثور (١١١/٣) .

(٢) لم أقف على من نسبه إلى قتادة .

(٣) كتب في (م) : « أو ك... » كأنه يريد أن يكتب : ﴿ أَوْ كَسَبَتْ ﴾ ثم ترك ذلك ، وهي ثابتة في صحيح مسلم كما سيأتي في التخريج .

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٥٨) في كتاب الإيمان : باب بيان الزمن الذي لا تقبل فيه الإيمان ، وفيه : تقديم طلوع الشمس ، وتتمة الآية ﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ .

(٥) في (م) : « إذا » ، وهو تحريف .

(٦) في (م) : « إيمانه » .

(٧) تقدم تخريجه .

(٨) كذا في الأصل وفي (م) ، ولعلها : « بخصوصه » .

(٩) في (م) : « ينفع » بدل : « ينقطع » .

(١٠) في (م) : « ولعل » .

(١١) كلمة « عنه » كتبت في حاشية الأصل .

الآيات ، وأيتهن جاءت لا ينفع نفساً إيمانها : طلوع الشمس من مغربها ، والدجّال ، ويأجوج ومأجوج ، والدخان ، والدابة [١] .

ولعل هذا هو السر في إبهام الأمر بقوله : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ [٢] ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ مع ما فيه من التبجيل والتهويل .

ويقويه أنه ورد في حديث صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله ﷺ : « أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى ، فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها » ، قال عبد الله ـ وكان يقرأ الكتب ـ [٣] : وأظن أولهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها [٤] .

وقد صحّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « مضت الآيات غير أربع : الدجال والدابة ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، والآية التي يختم بها الأعمال : طلوع الشمس من مغربها » ، ثم قرأ : ﴿ يَوْمَ [٥] يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ الآية قال : « فهي طلوع الشمس من مغربها » [٦] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (م) : ألحق كلمة بعض بين السطرين .

(٣) أي كتب بني إسرائيل ، حيث نسب إليه أنه أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب يوم اليرموك ، انظر ما ورد في ذلك والتعليق عليه في كتاب : « الإسرائيليات في التفسير والحديث » صـ ٦٥-٧٠ للدكتور محمد حسين الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد مطولاً برقم (٦٨٤٢) ، (٢/٢٠١) ، وأبو داود برقم (٤٣١٠) في الملاحم : باب علامات الساعة (٥/٤٣) ، وابن ماجه برقم (٤٠٦٩) في كتاب الفتن : باب طلوع الشمس من مغربها ، وأخرجه مسلم برقم (٢٩٤١) بمثله دون قوله : « قال عبد الله ... » إلخ . كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٦٠) .

(٥) كتب في (م) بعد كلمة « يوم » : « القيامة » وضرب عليها .

(٦) ذكره في الدر المنثور (٣/١١٠٢) ، وقال : « أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن مردويه والحاكم وصححه » ، وفيه : « أربعة » ، ولم يذكر لفظ : « مأجوج » .

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر ﷺ : « أن دابة الأرض تخرج ثم الدخان ، وإن التوبة لمفتوحة حتى [١] تطلع الشمس من مغربها » [٢] .

وقد ورد عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً : « أن الدجال يخرج فيقتله عيسى ﷺ ، فيمكث الناس في ذلك حتى يكسر سد يأجوج ومأجوج فيموجون ويفسدون ، ويستغيث الناس ولا يستجابون ، فيبعث الله [٣] دابة من الأرض ، ولا يلبثون إلا قليلاً حتى تطلع الشمس من مغربها ، وجفت الأقلام وطويت الصحف ، ولا تقبل من أحد توبة » [٤] فنسأل الله حسن الخاتمة ، وتوفيق التوبة الخالصة .

ثم رأيت أخرج ابن ماجه [٥] والحاكم وصححه [٦] ـ لكن الدميري [٧] تعقبه [٨] ـ عن أبي قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : « الآيات بعد المائتين » .

---

(١) في (م) : « ثم » بدل « حتى » ، وهو الموافق لما في المستدرك .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) في (م) : فيبعث الله عليهم .

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٥٩١/٢ و ٥٩٤) ، والعقيلي في الضعفاء برقم (٩٠٠) ، (٣١٤/٢) ، والطبراني في الكبير مطولاً برقم (٩٧٦١) ، (٣٥٤/٩-٣٥٧) .

(٥) في سننه برقم (٤٠٥٧) في كتاب الفتن : باب الآيات (١٣٤٨/٢) وفي الزوائد : « في إسناده عون بن عمارة العبدي وهو ضعيف » ، وقال السيوطي : « هذا الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات » ... إلخ .

(٦) أخرجه في الفتن والملاحم (٤٢٨/٤) وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، وتعقبه الذهبي فقال : « قلت : أحسبه موضوعاً ، وعون ضعفوه » .

(٧) هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، أبو البقاء كمال الدين ، باحث أديب ، من فقهاء الشافعية ، من كتبه : « حياة الحيوان » ، و« الديباجة شرح كتاب ابن ماجه في الحديث » ، توفي سنة (٨٠٨ هـ) . انظر الأعلام (١١٨/٧) .

(٨) لعله في كتابه « الديباجة » ، ولم أقف عليه .

والظاهر ـ والله أعلم ـ : أن يكون المراد بالمائتين [(١)] بعد [الألف] [(٢)] السابع ، ولكن [(٣)] هل المراد بالآيات مطلق أشراط الساعة ، أو الآيات المتتابعة التي تكون مبدؤها طلوع الشمس من مغربها ؟ الله [(٤)] سبحانه أعلم بحقيقتها [(٥)] .

تم بحمد الله سبحانه [(٦)] .



(١) كتب في (م) بعد المائتين : « مطلق أشراط الساعة » وضرب عليها .

(٢) في الأصل : « ألف » ، والتصويب من (م) .

(٣) في (م) : لكن بدون واو .

(٤) في (م) : « والله » .

(٥) قال السندي في شرح ابن ماجه (٣٨٩/٤) : « قوله : (الآيات بعد المائتين) : المراد بالآيات الصغار التي هي كالمقدمات للكبار ، مثل : فشوّ الكذب ، أو الكبائر ، والمراد بالمائتين : المائتان بعد الألف ، ويحتمل أن يكون الكلام مسوقاً لإفادة أن المائتين من الآيات ، وليس المراد أنها متصلات بمضي المائتين » .

(٦) في (م) : كتب بدل هذه الجملة : « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

فهرس أهم المراجع

ـ بعد القرآن الكريم :

١ـ إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء والمحدثين ، الشيخ صديق حسن خان القنوجي (ت : ١٣٠٧هـ) ، مطبوع باللغة الأردية وفيه كثير من العبارات باللغة العربية ، (١٢٨٨هـ) .

٢ـ الإسرائيليات في التفسير والحديث ، د. محمد حسين الذهبي (ت : ١٣٩٦هـ) ، دار التوفيق النموذجية ـ القاهرة ، ط٣ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .

٣ـ الأسماء والصفات ،الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ، تحـ : الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط٢ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م) .

٤ـ الإصابة في تمييز الصحابة ﷺ ، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٥ـ الأعلام ، الأستاذ خير الدين بن محمود الزركلي (ت : ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين .

٦ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، الإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت : ٦٨٥هـ) ، بهامش حاشية محيي الدين شيخ زاده ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٧ـ أنوار القرآن ، الإمام ملا علي القاري (ت : ١٠١٤هـ) ، مخطوط ، توجد صورة منه في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٨ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، العالم الفاضل إسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني البغدادي (ت : ١٣٣٩هـ) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .

٩ـ البحر المحيط ، الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان (ت : ٧٥٤هـ) ، مطابع النصر الحديثة ـ الرياض .

١٠ـ البداية والنهاية ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) ، تحـ : د. عبد الله عبد المجيد التركي ، هجر للطباعة ، ط١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) .

١١ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) ، دار المعرفة ـ بيروت .

١٢ـ البضاعة المزجاة لمن يطالع المرقاة في شرح المشكاة ، العلامة محمد عبد الحليم بن عبد الرحيم الجشتي ، المكتبة الإمدادية ـ ملتان ـ باكستان ، ط١ (١٣٩٢هـ-١٩٧٤م) .

١٣ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت : ٨٠٧هـ) ، تحـ : مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، دار الطلائع للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

١٤ـ تاج التراجم فيمن صنف من الحنفية ، الإمام الحافظ أبو العدل قاسم بن قَطْلُوبْغا الحنفي (ت : ٨٧٩هـ) ، تحـ : إبراهيم صالح ، دار المأمون للتراث ـ دمشق ، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .

١٥ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، الإمام اللغوي محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت : ١٢٠٥هـ) .

١٦ـ تذكرة علماء البنجاب (باللغة الأردية) ، د. أختر واهي ، طبعة المكتبة الرحمانية لاهور ـ باكستان ، ط١ (١٤٠٠هـ-١٩٨١م) .

١٧ـ التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح ، الشيخ المحقق محمد إدريس الكاندهلوي (ت : ١٣٩٤هـ) ، طبع دمشق .

١٨ـ التعليقات السنية على الفوائد البهية ، الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت : ١٣٠٤هـ) ، قديمي كتب خانة ـ كراتشي ـ باكستان .

١٩ـ تفسير القرآن ، الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت : ٢١١هـ) ، تحـ : د. مصطفى مُسْلم محمد ، مكتبة الرشد ـ الرياض ، ط١ (١٤١٠هـ-١٩٨٩م) .

٢٠ـ تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت : ٣٢٧هـ) ، رسائل علمية مطبوعة على الآلة الكاتبة .

٢١ـ التفسير الكبير « مفاتيح الغيب » ، الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر الطبرستاني الملقب بفخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦هـ) ، دار الفكر ـ بيروت ، ط٣ .

٢٢ـ تقريب التهذيب ، الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ، تحـ : عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .

٢٣ـ تهذيب التهذيب ، الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، مطبعة دائرة المعارف النظامية في الهند ، ط١ (١٣٢٥هـ) .

٢٤ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن « تفسير الطبري » ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ) ، تحـ : محمود محمد شاكر ، دار المعارف ـ مصر ، ورجعت ـ أيضا ـ إلى طبعة دار الفكر ـ بيروت .

٢٥ـ الجامع لأحكام القرآن ، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت : ٦٧١هـ) ، دار الكتاب العربي للطباعة النشر ـ القاهرة ، (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) .

٢٦ـ الجرح والتعديل ، الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت : ٣٢٧هـ) ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ، ط١ .

٢٧ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، الإمام محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفا محمد بن محمد القرشي (ت : ٧٧٥هـ) ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ـ حيدر آباد الدكن الهند ، ط١ .

٢٨- حاشية العصام على البيضاوي ، مخطوطة في مكتبة خدا بخش - الهند (ميكروفيلم بمكتبة الأخ الفاضل الدكتور ولي الدين الندوي) .

٢٩- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، الشيخ محمد بن فضل الله المحبي الدمشقي (ت : ١١١١هـ) ، طبع بمصر ، (١٢٧٤هـ) .

٣٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت : ٩١١هـ) - دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤١١هـ-١٩٩٠م) .

٣١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، الإمام ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - الهند ، ط١ (١٣٤٨هـ) .

٣٢- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، الإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٢ (١٤٠٠هـ) .

٣٣- زوائد الهيثمي - مسند الحارث بن أسامة (ت : ٢٨٢هـ) ، تحـ : د. حسين أحمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة - المدينة المنورة ، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .

٣٤- سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ، الشيخ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي (ت : ١١١١هـ) ، المطبعة السلفية .

٣٥- سنن الترمذي (ت : ٢٩٧هـ) ، تحـ وشرح : الأستاذ أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٣٦- سنن سعيد بن منصور (ت : ٢٢٧هـ) ، تحـ : د. سعد بن عبد الله آل حميد ، دار الصميعي - الرياض ، ط١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .

٣٧- سنن ابن ماجه (ت : ٢٧٥هـ) ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٣٨- سنن ابن ماجه بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي (ت : ١١٣٨هـ) ، تحـ : الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة - بيروت .

٣٩- سنن النسائي الكبرى ، تحـ : د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤١١هـ-١٩٩١م) .

٤٠- سير أعلام النبلاء ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت .

٤١- سير وتراجم علمائنا في القرن الرابع عشر ، الشيخ عمر عبد الجبار ، جدة ، ط٣ (١٤٠٣هـ-١٩٨٢م) .

٤٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الإمام شهاب الدين عبد الحي أحمد بن محمد المشهور بابن العماد الحنبلي (ت : ١٠٨٩هـ) ، تحـ : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير - دمشق - بيروت ، ط١ (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) .

٤٣- صحيح البخاري (ت : ٢٥٦هـ) مع شرحه فتح الباري ، الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ، دار أبي حيان .

٤٤- صحيح مسلم (ت : ٢٦١هـ) ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٤٥- الضعفاء ، الإمام أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي (ت : ٣٢٢هـ) ، تحـ : عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .

٤٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، المؤرخ الناقد الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت : ٩٠٢هـ) ، منشورات مكتبة الحياة - بيروت .

٤٧- طبقات الشافعية الكبرى ، الإمام تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت : ٧٧١هـ) ، تحـ : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .

٤٨- طبقات المفسرين ، الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الداودي (ت : ٩٤٥هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٤٩- طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنه وي - من علماء القرن الحادي عشر ، تحـ : سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة دار العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .

٥٠- طرب الأماثل بتراجم الأفاضل ، الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت : ١٣٠٤هـ) ، مطبوع مع التعليقات السنية - المتقدم - .

٥١- العظمة ، الإمام عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ (ت : ٣٦٩هـ) ، تحـ : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة - الرياض ، ط١ (١٤٠٨هـ) .

٥٢- العلامات البينات في فضائل بعض الآيات ، الإمام علي بن سلطان محمد القاري (ت : ١٠١٤هـ) ، نسخة مصورة عن مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٦٢٤ - تفسير) .

٥٣- غاية النهاية في طبقات القراء ، الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري (ت : ٨٣٣هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٣ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .

٥٤- الفتن ، الإمام أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي (ت : ٢٨٨هـ) ، تحـ : سمير أمين الزهيري ، مكتبة التوحيد - القاهرة ، ط١ (١٤١٢هـ) .

٥٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر .

٥٦- الفردوس بمأثور الخطاب ، أبو شجاع شيرويه بن شهريار الديلمي (ت : ٥٠٩هـ) ، تحـ : السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٩٨٦م) .

٥٧- الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت : ١٣٠٤هـ) ، مطبعة قديمي كتب خانة - كراتشي - باكستان .

٥٨- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، مؤسسة آل البيت - مآب - الأردن - عمّان ، (١٩٨٩م) .

٥٩- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، د. عبد الله الجبوري ، مطبعة الإرشاد - بغداد ، ط١ (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) .

٦٠- قاموس الفارسية ، د. عبد المنعم محمد حسنين ، نشر الكتاب اللبناني - بيروت .

٦١- القراءات الشاذة ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالويه (ت : ٣٧٠هـ) ، المطبعة الرحمانية - مصر ، ط١ (١٩٣٤م) .

٦٢- الكامل في ضعفاء الرجال ، الإمام أبو محمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت : ٣٦٥هـ) ، تحـ : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر - بيروت ، ط٣ (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م) .

٦٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

٦٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، العلامة المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي المعروف بحاجي خليفة (ت : ١٠٦٧هـ) ، دار الفكر - بيروت .

٦٥- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الميداني (ت : ٥١٨هـ) ، تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار القلم - بيروت .

٦٦- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت : ٣٩٢هـ) ، تحـ : علي النجدي ناصف وغيره ، لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ، (١٣٨٦هـ) .

٦٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل « تفسير النسفي » ، الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت : ٧٠١هـ) ، دار الفكر - بيروت .

٦٨- المستدرك على الصحيحين في الحديث ، الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم (ت : ٤٠٥هـ) ، مطابع النصر الحديثة - الرياض .

٦٩- مسند الطيالسي ، الحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود – المعروف بأبي داود الطيالسي (ت : ٢٠٤هـ) ، دار المعرفة - بيروت .

٧٠- المصنف ، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت : ٢٣٥هـ) ، تحـ : كمال يوسف الحوت ، دار التاج - بيروت ، ط١ (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) .

٧١- المصنف ، الإمام أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت : ٢١١هـ) ، تحـ : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط٢ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

٧٢- معالم التنزيل « تفسير البغوي » ، الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت : ٥١٦هـ) ، تحـ : خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة - بيروت .

٧٣- معجم البلدان ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت : ٦٢٦هـ) ، دار صادر - بيروت ، (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) .

٧٤- المعجم الذهبي : فارسي - عربي ، د. محمد القنوجي ، دار العلم للملايين - بيروت .

٧٥- المعجم الكبير ، الإمام سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (ت : ٣٦٠هـ) ، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم - الموصل ، ط٢ (١٤٠٤هـ-١٩٨٣م) .

٧٦- معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية ، الأستاذ عمر رضا كحالة (ت : ١٤٠٨هـ) ، مطبعة الترقي - دمشق ، (١٣٧٩هـ-١٩٦٠م) .

٧٧- معجم المفسرين ، عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط٢ .

٧٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، الإمام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري النحوي (ت : ٧٦١هـ) ، تح : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار نشر الكتب الإسلامية - لاهور ، ط١ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .

٧٩- مناهل العرفان في علوم القرآن ، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحـ : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط٢ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .

٨٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) ، تح : الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٩٩٥م) .

٨١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت : ٨٧٤هـ) ، طبعة مصورة عن دار الكتب .

٨٢- النهاية في غريب الحديث والأثر ، الإمام أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت : ٦٠٦هـ) ، تحـ : محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط١ (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م) .

٨٣- هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني البغدادي (ت : ١٣٣٩هـ) ، استنبول ، (١٩٥١م) .

٨٤- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت : ٧٦٤هـ) ، طبع على نفقة الجمعية الألمانية للبحث العلمي ، ط٢ (١٤١١هـ-١٩٩١م) .

قلائد العقيان في قوله تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)

للعلامة مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي (ت: ١٠٣٣هـ)

تحـ : د. عبد الحكيم الأنيس*

التعريف بالبحث :

موضوع هذا البحث تحقيق مخطوطة نافعة ؛ تعالج تفسير آيةٍ عظيمةٍ من كتاب الله وُصفتْ بأنها " قطب القرآن " وهي قوله سبحانه وتعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاىء ذي القربى﴾، وقد أحسن المؤلف العلامة مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي باختيارها، وإبراز معانيها، وتوضيح مبانيها، والتذكير بها وبما احتوته من توجيهات سامية وإرشادات هادية.

وقد انطلق التحقيق من ثلاث نسخ، وقام على المنهج العلمي المتبع، وقدم لذلك بمقدمات فيها نبذة عن المؤلف، ثم كلام في رحاب هذه الآيات اشتمل على: خبر نزولها، وموقعها عند النبي ﷺ والصحابة، وتاريخ نزولها، وفنونها البلاغية، والخبر عن الإعلان بها على المنابر، وذكر من ألف في تفسيرها من العلماء.

ثم كلام على هذه الرسالة اشتمل على: مضمونها، وعنوانها، وتوثيق نسبتها، ومصادرها، وتاريخ تأليفها، وأثرها فيمن بعدها، ونسخها، وطريقة العمل في إخراجها.

والله المرجو أن يوجه قلوبنا إلى كتابه، وأن يرزقنا الإخلاص والسداد والقبول.

---

* باحث أول في دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ولد عام (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م)، وحصل على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن عام (١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ثم على درجة الدكتوراه كذلك عام (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، وكانت رسالته "العجاب في بيان الأسباب - أسباب النزول - للإمام ابن حجر العسقلاني: دراسة وتحقيق"، وله عدة بحوث ومحققات منشورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذه رسالة جديدة للعلامة الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي نزيل القاهرة المتوفى فيها سنة (١٠٣٣) هـ . قمت بخدمتها وتقريبها ، وإتمام عمل المؤلف فيها ، راجياً من الله ﷻ الإخلاص والقبول ، وأن يكتب لي ولمؤلفها أجر خدمة كتابه الكريم ، ونشر تفسيره ، وتيسير فهمه .

وقبل الشروع في تقديم نص الرسالة أقدم بهذه الفقرات :

أولاً : المؤلف

١- التعريف به :

كنت قد كتبت كلمة عن المؤلف في صدر تحقيقي لرسالته « الكلمات البينات في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ ﴾ » [(١)] وأكتفي هنا بالإحالة على ذلك ، وأشير في الحاشية إلى عدد من المصادر التي ترجمت له [(٢)] .

---

(١) نشرت في العدد السادس من مجلة الأحمدية الصادر في جمادى الأولى سنة (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) .

(٢) من ذلك :

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/٣٥٨) .
- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (٢/٢٤٤) ، كلاهما للمحبي (ت : ١١١١ هـ) .
- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل للغزي (ت : ١٢٠٧ هـ) صـ١٨٩ .
- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد (ت : ١٢٩٥ هـ) (٣/١١١٨) .
- الأعلام للزركلي (ت : ١٣٩٦ هـ) (٧/٢٠٣) .
- معجم المؤلفين لكحالة (ت : ١٤٠٨ هـ) (٣/٨٤٦) .

٢- مؤلفاته :

حاولت إحصاء مؤلفات الشيخ الكرمي في تصديري لـ « الكلمات البينات » ووصلت عندي إلى (٨٣) كتاباً ، وهي في التفسير والحديث والعقيدة علم الكلام والفقه والوعظ والتهذيب والتصوف والسلوك والسير والتاريخ والنحو والصرف والبلاغة والأدب والشعر وشؤون الحكم ، وقد علّمت على المطبوع والمخطوط ، وما أعرف عنه شيئاً سكت عنه .

وأحب أن أذكر هنا ما استجد لديَّ عن كتاب من كتبه القرآنية التي سردتها هناك وهو : « فرائدُ فوائدِ قلائدِ المَرْجان » وهو مختصر كتابه : « قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن » فقد كنت علقت عليه قائلاً [1] :

« منه نسخة في التيمورية ، وجاء في فهرسها : فرغ من تأليفه سنة (١٠٣٠) هـ . قال أصحاب الفهرس الشامل : « وهو لا يتفق مع وفاته » . قلت : فإن ثبتت هذه العبارة كان الاختصار لشخص آخر » .

هذا ما قلته هناك ، وقد حصلت الآن على مصورة من الكتاب المذكور ، فعلمت أن الكتاب للشيخ مرعي قطعاً ، إذ يقول في مقدمته : « وبعد فقد استخرت الله تعالى في جمع جمل من الفرائد الحسان ، وتلخيص فوائد جمة عظيمة الشان ، من كتابي الموسوم بـ « قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن » ... وسميتها : « فرائد فوائد قلائد المرجان وموارد مقاصد منسوخ القرآن » .

وبهذا يكون التاريخ المثبت في آخره خطأ من الناسخ ، فمن المتفق عليه أن وفاة الشيخ مرعي كانت سنة (١٠٣٣) هـ ، وقد فرغ من « قلائد المرجان » سنة (١٠٢٢) هـ فيكون المختصر بعد هذا التاريخ . وقد نسخ سنة (١٣٠٩) هـ .

---

(١) مجلة الأحمدية ، العدد (٦) ، صـ ٢١ .

ثانياً : هذه الآية

هذه الآية من الآيات التي كان لها شأن في تاريخ الدعوة ، وهي من مفاخر الإسلام والمسلمين ، وعنوان بارز لهذا الدين ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يقرؤونها على من يدعونه إلى الإسلام .

وقال أبو طالب المكي ، ونقله ابن عجيبة : « هي قطب القرآن »[١] .

١- خبر نزولها :

قال الإمام أحمد في المسند : « حدثنا أبو النضر [هاشم بن القاسم] ، قال : حدثنا عبد الحميد [بن بهرام] ، حدثنا شهر [بن حوشب] ، حدثنا عبد الله بن عباس ، قال : بينما رسول الله ﷺ بفِنَاءِ بيته بمكةَ جالسٌ ، إذ مرَّ به عثمانُ بنُ مظعون فَكَشَرَ[٢] إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « ألا تجلس ؟ » قال : بلى . قال : فجلس رسول الله ﷺ مستقبله ، فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء ، فنظر ساعةً إلى السماء ، فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض ، فتَحَرَّفَ رسولُ الله ﷺ عن جليسه عثمان إلى حيثُ وضعَ بصره ، وأخذ يُنْغِضُ رأسه كأنه يستفقه ما يُقالُ له ، وابن مظعون ينظر ، فلما قضى حاجته ، واستفقه ما يُقالُ له ، شَخَصَ بَصَرُ رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة ، فأَتْبَعَهُ بصرَه حتى توارى في السماء ، فأقبل إلى عثمانَ بجِلْسَتِه الأولى ، قال : يا محمد ، فيما كنت أجالسك وآتيك ، ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة ! قال : « وما رأيتني فعلتُ ؟ » قال : رأيتك تشخص ببصرك إلى السماء ، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك ، فتحرفت إليه وتركتني ، فأخذت تُنْغِضُ

---

(١) قوت القلوب (١/٢٢٩) ، والبحر المديد (٣/١٥٧) .

(٢) أي ابتسم إليه . القاموس (كشر) صـ٤٧٠ .

رأسَك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك . قال : « وفطنت لذلك ؟ » قال عثمان : نعم . قال رسول الله ﷺ : « أتاني رسول الله آنفاً ، وأنت جالس » . قال : رسول الله ؟! قال : « نعم » . قال : فما قال لك ؟ قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل : ٩٠] . قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي ، وأحببت محمداً »[١] .

٢- النبي ﷺ والصحابة وهذه الآية :

سيأتي معنا أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية على وفد من بني شيبان بن ثعلبة ، وعلى رسل أكثم بن صيفي ، وعلى الوليد بن المغيرة .

وكذلك فإن عثمان بن مظعون قرأها على عم النبي ﷺ أبي طالب .

وأخرج ابن النجار في « تاريخه » من طريق العكلي عن أبيه قال : مرَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوم يتحدثون . فقال : فيم أنتم ؟ فقالوا : نتذاكر المروءة . فقال : أوما كفاكم الله عز وجل ذاك في كتابه إذ يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ فالعدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضل ، فما بقي بعد هذا ؟[٢] .

---

(١) مسند أحمد (٥/٨٨) برقم (٢٩١٩) . وقال المحققان : « إسناده ضعيف » . ومن قبلُ قال ابن كثير في تفسيره (٤/٢٢٠) : « إسناده جيد متصل حسن ، قد بين فيه السماع المتصل ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصراً » . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٤٨) : « رواه أحمد والطبراني ، وشهر وثقه أحمد وجماعة ، وفيه ضعف لا يضر ، وبقية رجاله ثقات » ، وصححه أحمد شاكر في تحقيق المسند (٤/٣٢٩-٣٣٠) برقم (٢٩٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٤١) نسبته إلى البخاري في الأدب المفرد صـ٣٠٧ برقم (٨٩٣) وابن مردويه . والحديث في أسباب النزول للواحدي صـ٢٣٤ ، واللباب لابن عادل (١٢/١٤٢) ولم يذكره المؤلف الشيخ مرعي .

(٢) الدر المنثور (٤/١٤٣) .

وجاء عن عبد الله بن مسعود قوله : إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشر ، آية في سورة النحل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ الآية [١] .

٣- تاريخ نزولها :

هذه الآية مكية من سورة مكية ، ولا يصح قول من قال بمدنيتها [٢] .

وأضيف : أن الإمام أحمد روى خبراً [٣] قد يفيد مدنية الآية ، وهو ما أخرجه من طريق ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب ، عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند رسول الله ﷺ جالساً ، إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض ، قال : ثم شخص ببصره فقال : « أتاني جبريل عليه السلام ، فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ ... ﴾ » .

وعثمان بن أبي العاص إنما أسلم في المدينة في وفد ثقيف [٤] ؟ والجواب عن هذا أن في هذا السند ليث بن أبي سليم ، وهو صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك [٥] .

وكأنه اشتبه عليه عثمان بن مظعون بعثمان بن أبي العاص .

وكان ابن كثير قد قال في تفسيره : « هذا إسناد لا بأس به ، ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين ، والله أعلم » [٦] ، وقال الهيثمي : « إسناده حسن » [٧] .

---

(١) تفسير الطبري (١٤/١٦٣) .

(٢) انظر : المكي والمدني في القرآن الكريم لعبد الرزاق حسين أحمد (١/٣٥٣-٣٥٧) .

(٣) انظر : المسند (٤/٢١٨) .

(٤) انظر : الإصابة (٢/٤٦٠) .

(٥) تقريب التهذيب صـ٥٤٢ .

(٦) تفسير ابن كثير (٤/٢٢٠) .

(٧) مجمع الزوائد (٧/٤٩) .

وإذا صح قول ابن كثير والهيثمي ، فيقال : لعل عثمان بن أبي العاص يحكي هذا عما رآه قبل إسلامه ، أو أن جبريل نزل بها هذه المرة لتحديد موضعها ، أو تكرر نزوله بها ، على أن في الخبرين تشابهاً قد يرجح الوهم في ذكر « ابن أبي العاص » هنا . والله أعلم .

٤- فنونها البلاغية :

في هذه الآية جملة من الأفانين البلاغية بيّنها الأستاذ محمود صافي - على تداخلٍ بينها- ، وهي :

« أ- الإيجاز : فقد أمر في أول الآية بكل معروف ، ونهى بعد ذلك عن كل منكر، وختم الآية بأبلغ العظات ، وصاغ ذلك في أوجز العبارات .

ب- صحة التقسيم : فقد استوفى فيها جميع أقسام المعنى ، فلم يبق معروف إلا وهو داخل في نطاق الأمر ، ولم يبق منكر إلا وهو داخل في حيز النهي ، وقدم ذكر العدل لأنه واجب ، وتلاه بالإحسان لأنه مندوب ، ليقع نظم الكلام على أحسن ترتيب .

ج- حسن النسق : في ترتيب الجمل وعطف بعضها على بعض كما ينبغي ، حيث قدم العدل وعطف عليه الإحسان ، لكون الإحسان اسماً عاماً وإيتاء ذي القربى خاص ، فكأنه نوع من ذلك الجنس ، ثم أتى بجملة الأمر مقدمة ، وعطف عليها جملة النهي .

د- حسن البيان : لأن لفظ الآية لا يتوقف مَنْ سمعه في فهم معناه ، إذ سلم من التعقيد في لفظه ، ودل على معناه دلالة واضحة بأقرب الطرق وأسهلها ، واستوى في فهمه الذكي والغبي » (١) .

٥- على المنابر :

هذه الآية تقرأ على المنابر في آخر خطبة الجمعة منذ أكثر من (١٣٠٠) سنة .

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (٧/٣٧٥-٣٧٦) . ولم أجد أحداً فصل تفصيله .

قال السيوطي ناقلاً - ولم يسم القائل - : « كان بنو أمية يسبون علي بن أبي طالب، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله ، وكتب إلى نوابه بإبطاله ، وقرأ مكانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ الآية . فاستمرت قراءتها في الخطبة إلى الآن »[١] .

قال الخفاجي ثم القاسمي : « وهو من أعظم مآثره »[٢] ، وقال ابن المنيِّر : « ولعل المعوِّض بهذه الآية عن تلك الهناة ، لاحظ التطبيق بين ذكر النهي عن البغي فيها ، وبين الحديث الوارد في أن المُناصِب لعلي باغ ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب علي : تقتلك الفئة الباغية . فقتل مع علي يوم صفين »[٣] ، ثم قال القاسمي - مستفيداً من الخفاجي - : « ولما فيها أيضاً من العدل والإحسان إلى ذوي القربى ، وكونها أجمع آية لاندراج ما ذكر فيها والله أعلم »[٤] .

وقد أعرض عن هذا بعض المفسرين ، وعلل قراءتها تعليلاً آخر :

قال أبو البركات النسفي : « وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر ، ولهذا يقرأها

---

(١) تاريخ الخلفاء صـ ٢٣٥ ، وانظر الكشاف (٢/٦٢٩) ، وحياة الحيوان الكبرى (١/٦٣) ، ونهر الذهب في تاريخ حلب (١/٣٣٠) ، ومثل هذا بحاجة إلى دراسةٍ تاريخيةٍ كاشفة تبين من قام بهذا ومن لم يقم .

(٢) حاشية الخفاجي (٥/٣٦٤) ، وتفسير القاسمي (٤/٥٤٣) .

(٣) الانتصاف من الكشاف (٢/٦٢٩) .

(٤) تفسير القاسمي (٤/٥٤٣-٥٤٤) ، والخفاجي (٥/٣٦٤) . ويذكر هنا أن للشريف الرضي قصيدة قالها في عمر بن عبد العزيز أولها :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيـ ـنُ فتىً من أميةٍ لبكيتُك

أنت نزهتنا عن السب والقذ ف ، فلو أمكن الجزاء جزيتك

انظر : الديوان (١/٢١٥) .

كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة ، لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي »[١] .

٦- من ألف في تفسير هذه الآية :

المؤلفون في تفسير هذه الآية :

١- الشيخ المفسر الفقيه النحوي ابن الموصلي : محمد بن محمد بن عبد الكريم البعلي (٦٩٩-٧٧٤ هـ) . له : « نهاية الإحسان في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ »[٢] .

٢- الشيخ مرعي الكرمي : وهذه رسالته ، وسيأتي الكلام عليها .

٣- الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب الشربيني الشافعي المصري . له : « فتح الرحيم الرحمن في تفسير آية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ » . وهذا المؤلف ذكره إسماعيل باشا البغدادي في إيضاح المكنون ، وبيض لوفاته ، وذكره في هدية العارفين وقال : « المتوفى في حدود (١٠٣٠) هـ » ، وذكر أنه فرغ من الرسالة المذكورة سنة (١٠٢٨) هـ[٣] .

وقد ذكرت هذه الرسالة في « الفهرس الشامل » منسوبة إلى : الخطيب الشربيني : شمس الدين محمد بن أحمد (ت : ٩٧٧) هـ صاحب « السراج المنير في الإعانة ببعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير » . ومنها نسخة في جامعة استنبول في (٤٠) صفحة ، وتاريخها (١٠٢٨) هـ[٤] ، فإن كان

---

(١) تفسير النسفي (٢/٢٣٠) ، وانظر تنوير الأذهان (٣/٣١٧) .

(٢) انظر الوافي بالوفيات (١/٢٦٢) .

(٣) إيضاح المكنون (٢/١٦٥) ، وهدية العارفين (١/٧٥٤) ، وللشيخ ذِكرٌ في معجم المؤلفين (٧/١٢٠) ومعجم المفسرين (١/٣٦٥) اعتماداً على البغدادي ، ولم يترجم في خلاصة الأثر !

(٤) الفهرس الشامل (١/٦١٦) .

هذا تاريخ النسخ فالنسبة مترددة ، وإلا فالرسالة لأبي الحسن علي ، وهذا هو الراجح لتصريح البغدادي بأنه فرغ منها في هذا التاريخ .

٤- في مكتبة كوبريلي مجموع برقم (١٦٠٦/٢٧) فيه رسالة في تفسير هذه الآية من (١٨٩ب - ٢٠٠أ) ولم يذكر المؤلف [١] .

٥- وقد تطرق إلى ذكر هذه الآية العلامة المفسر المربي الشيخ عبد الله سراج الدين (ت : ١٤٢٢ هـ) في كتابه: « هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان »، تحت عنوان : « النور القرآني وإضاءته على العقول والقلوب » ، وقال : « إن تفصيل الكلام على هذه الآية الكريمة يتطلب كتاباً مستقلاً ، ولكن لابد من كلمة مجملة حول جانب من جوانبها » ، ثم قال : « إن تفصيل الكلام على بقية معاني الآية الكريمة له موضع آخر إن شاء الله تعالى » [٢] . وقد صدر هذا الكتاب سنة (١٤٠٨) هـ ، ولا أدري هل تيسر للشيخ كتابة شيء عنها أو لا .

(١) الفهرس الشامل (١/٩٢٤) ، وقد ذكروا أن المجموع من القرن العاشر !

(٢) هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان صـ٢٥٢ ـ ٢٥٩ .

ثالثاً : هذه الرسالة

١- مضمونها :

هذه الرسالة - كما هو واضح من عنوانها - تتناول الكلام على الآية (٩٠) من سورة النحل ، بل على جزء من هذه الآية وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ .

وقد قدم المؤلف لذلك بمقدمة عن فضل هذه الآية وعظمتها ، ثم ذكر مناسبتها لما قبلها ، ثم ذكر الأقوال المقولة في بيان « العدل » المقصود هنا ، وفضل العدل في الحكم والسلوك ، وفضل الحاكم العادل ، وأتبع هذا بالأقوال الواردة في المراد من ﴿ ٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ وما يدخل فيه ، وفضله ، ثم ذكر نبذة عن فضل صلة الرحم .

وختم بخاتمة جميلة شرح فيها الأخلاق التي يحتاج إليها مَنْ يعاشر الناس وهي أربعة أخلاق : الحلم ، والبسط ، والعدل ، والإحسان . وقال بأن هذه الأخلاق الأربعة مجموعة في هذه الآية الشريفة ، بل في قوله : ﴿ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ ، وإنها مجموعة في آيتين أخريين من سورتي الأعراف والمؤمنون .

ثم عقب بأن الجامع لهذه الأخلاق المحمودة كلها هو حسن الخلق ، وبعد أن ذكر فضله ومعناه ختم رسالته قائلاً : « وفي هذا القدر كفاية ، وهو تمام النهاية ، وإلا فالكلام على هذه الآية كلها مما يطول ، وفيه أبواب وفصول » .

وقد أتى بنقولات نافعة ، وخلل ذلك بتنبيهات ولطائف .

وكان مقصوده الكلام على ما أمر الله به من مكارم الأخلاق في هذه الآية .

٢- عنوانها وتوثيق نسبتها :

اتفقت المصادر على تسميتها وذكرها بـ « قلائد العقيان في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ »[1] . وجاء العنوان في الأصل المخطوط مختصراً : « قلائد العقيان » للشيخ مرعي الحنبلي .

وهذه النسخة بالذات صحيحة النسبة ، فالأسلوب واحد ، والمصادر متكررة ، وقد ذكر المؤلف فيها رسالته : « إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان » .

٣- مصادرها :

استقيت مادة هذه الرسالة من المصادر الآتية :

أ- المصادر المصرح بأسمائها :

١- تفسير أبي الليث السمرقندي .

٢- تفسير القرطبي : وهو ينقل من أحكام القرآن لابن العربي .

٣- تفسير ابن عادل : وهو ينقل من تفسير الرازي والدر المصون للسمين .

٤- تفسير المفتي - يريد أبا السعود - .

٥- إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان : للكرمي نفسه .

وقد صرح المؤلف بنقله عنها في مواضع وأغفلها في أخرى .

ب- المصادر المصرح بأسماء مؤلفيها :

١- أحمد : ويريد مسنده .

---

(١) انظر: خلاصة الأثر (٣٥٩/٤) ، والنعت الأكمل صـ١٩٣ ، ومختصر طبقات الحنابلة صـ١١٠ ، والسحب الوابلة (١١٢١/٣)ـلكن فيه : « في آية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ .. ﴾ » ، وهدية العارفين (٤٢٧/٢) .

والعقيان : الذهب الخالص . وقيل : هو ما ينبت نباتاً وليس مما يُحصل من الحجارة . مختار الصحاح صـ٢١٥ .

٢- الأئمة الستة : ويريد كتبهم المشهورة .

٣- البخاري وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي . ويريد كتبهم : الأدب المفرد ، والتفسيرين ، والمعجم الكبير للطبراني ، والمستدرك ، وتاريخ نيسابور كلاهما للحاكم ، والأسماء والصفات ، والبعث والنشور كلاهما للبيهقي . والظاهر أنه نقل عن هذه الكتب بوسائط أغفلها .

٤- ابن تيمية : ويريد كتابه « الاستقامة » .

ج- مصادر أغفل أسماءها : من ذلك :

١- الترغيب والترهيب للمنذري .

٢- النهر الماد لأبي حيان .

٣- الدر المنثور للسيوطي .

٤- الجامع الصغير للسيوطي .

٥- سراج الملوك للطرطوشي . أو :

٦- المستطرف للأبشيهي .

٧- المغني لابن قدامة .

د- أبهم عدداً من مصادره ، كأن يقول :

١- قال بعض العارفين .

٢- قال بعضهم .

٣- قال بعض المحققين .

٤- تاريخ تأليفها :

جاء في أقدم نسخة من هذه الرسالة ، وهي المرموز لها بـ (ح) كما سيأتي : « تم في الجامع الأزهر سنة وعشرين بعد الألف » وفيه سقط بدلالة وجود حرف العطف ، ويؤكد هذا ذكره لرسالته « إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان » التي

لخصها من كتابيه : « بهجة الناظرين وآيات المستدلين » و « أرواح الأشباح في الكلام على الأرواح » في يومي السبت والأحد في العشرين من رمضان سنة (١٠٢٢) هـ .

فتأليف القلائد إذن بعد هذا التاريخ .

٥- أثرها فيما بعدها :

وقفت على أثر واحد في كتاب « النفع الغزير في صلاح السلطان والوزير » للشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (ت : ١١٩٢ هـ) ، فقد أورد نصاً منها ، ولكنه لم يعزه إليها كما سيأتي .

٦- نُسَخ الرسالة والنسخ المعتمدة :

لم يذكر مَنْ كتب عن مؤلفات الشيخ مرعي نسخاً لهذه الرسالة ، ولم يذكر في الفهرس الشامل سوى نسخة جاريت بجامعة برنستون في أمريكا ، وقد وقفت لها على أربع نسخ ، ثلاث في مكتبة الأوقاف العامة في مدينة الموصل بالعراق ، هي :

١- نسخة في مجموع في مدرسة الحجيات برقم (٩/٢٢) [(١)] ، وفيه للمؤلف :

- رسالة في زيادة العمر ونقصه (وهي : إرشاد ذوي العرفان) .
- تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف .
- قلائد العقيان .
- نصيحة .
- إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ .

وهذه الرسائل كتبها محمد بن محمد بن موسى العبدلي البغدادي الموصلي بدمشق

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (١٠٧/٣) .

- وهو عائد إلى وطنه - سنة (١١٢٨ هـ) [١] من خط من نقلها من خط مؤلفها سنة (١٠٢٨ هـ) كما جاء في آخر قلائد العقيان وإتحاف ذوي الألباب .

ورسالة « قلائد العقيان » تقع مع « النصيحة » في (٦) أوراق ، في كل ورقة (١٩) سطراً .

٢- ونسخة ثانية في مكتبة الرضوانية في مجموع رقمه (١٨/١٢٦) ، وأول هذا المجموع « نصاب الاحتساب » وناسخه خير الله العمري سنة (١١٣٤ هـ) .

وفي هذا المجموع الرسائل المذكورة للمؤلف عدا « النصيحة » وكأنها منقولة من النسخة السابقة ، وهي تقع في (٥) أوراق ، في كل ورقة (٢٣) سطراً [٢] .

٣- ونسخة ثالثة في مجموع في المدرسة الأحمدية برقم (٢٤/٨١) مع الرسائل الثلاث المذكورة ، وناسخ هذا المجموع أمين بن خير الله العمري الخطيب سنة (١١٧٥) هـ في الموصل [٣] ، ومن الواضح أنها منقولة من النسخة الثانية .

وهي في (٧) أوراق ، في كل ورقة (٢٣) سطراً .

٤- ونسخة رابعة ذكرت بعنوان : « عرائس من الحور الحسان ، ونفائس لؤلؤ وجواهر وعقيان في الكلام على قول الملك الديان : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ » .

---

(١) هكذا ذكر التاريخ صاحب الفهرس المذكور ، ولم يتضح لي في التصوير .

(٢) الفهرس المذكور (٨/٢٠٠) .

(٣) انظر الفهرس المذكور (٥/٢٨١) . ويوجد في مجموع في مكتبة الأوقاف العامة بالموصل أيضاً : تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ . والناسخ : يحيى بن ملا بكر في جامع الأمينية في الموصل . ولم يُذكر المؤلف ولا ديباجة الرسالة ، فلا أدري أهي نسخة من القلائد أم غيرها ؟ انظر الفهرس (٨/١٤٦) .

في مكتبة جاريت (يهودا) في (٥) أوراق من القرن الثالث عشر [١] . وهذا العنوان جزء مقتطع من المقدمة .

وقد تيسر لي الحصول على صور من النسخ الموصلية الثلاث ، ومنها أخرجت هذه الرسالة ، وأفضلها الأولى ، ورمزها (ح) ، ثم الثانية ، ورمزها (ر) ، ثم الثالثة ، ورمزها (أ) .

٧- عملي في الرسالة :

١- نسختها من (ح) مفصلاً جملها وعباراتها ونقولها ، مرقماً أقوالها ، وقابلتها بـ (ر) و (أ) ، وفي الأخيرة سقط وأخطاء من الناسخ لم ألتزم ذكره كله .

٢- وضعت لها علامات « التفهيم » .

٣- عزوت الآيات والأحاديث إلى أماكنها ، وخرّجت ما لم يخرج منها .

٤- قابلت النصوص المنقولة بأصولها ، وعزوت ما لم يعز ، ووثقتها كلها .

٥- علقت عليها بما يزيدها فائدة ويتمم قصد مؤلفها ، وقابلت ما جاء عنده في تفسير الآية بما جاء لدى المفسرين - قدر الإمكان - .

٦- استدركت ما فيه حاجة إلى استدراك .

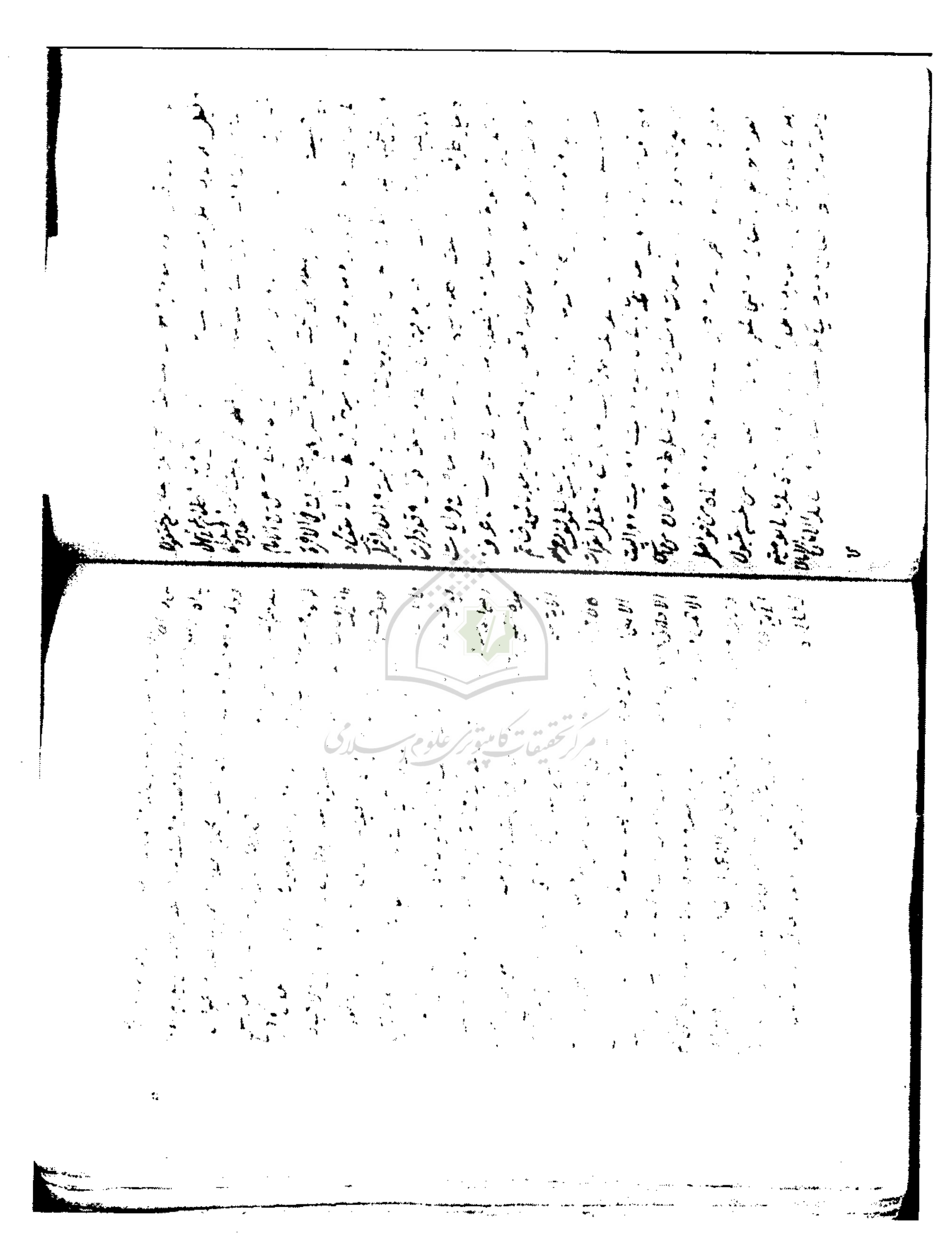
٧- عزوت إلى جملة من التفاسير لمن يريد تفسير تتمة هذه الآية الكريمة .

٨- قدمت لها بهذه الدراسة عن المؤلف ، والآية المفسرة ، والرسالة .

ومن الله أستمد العون والتوفيق .

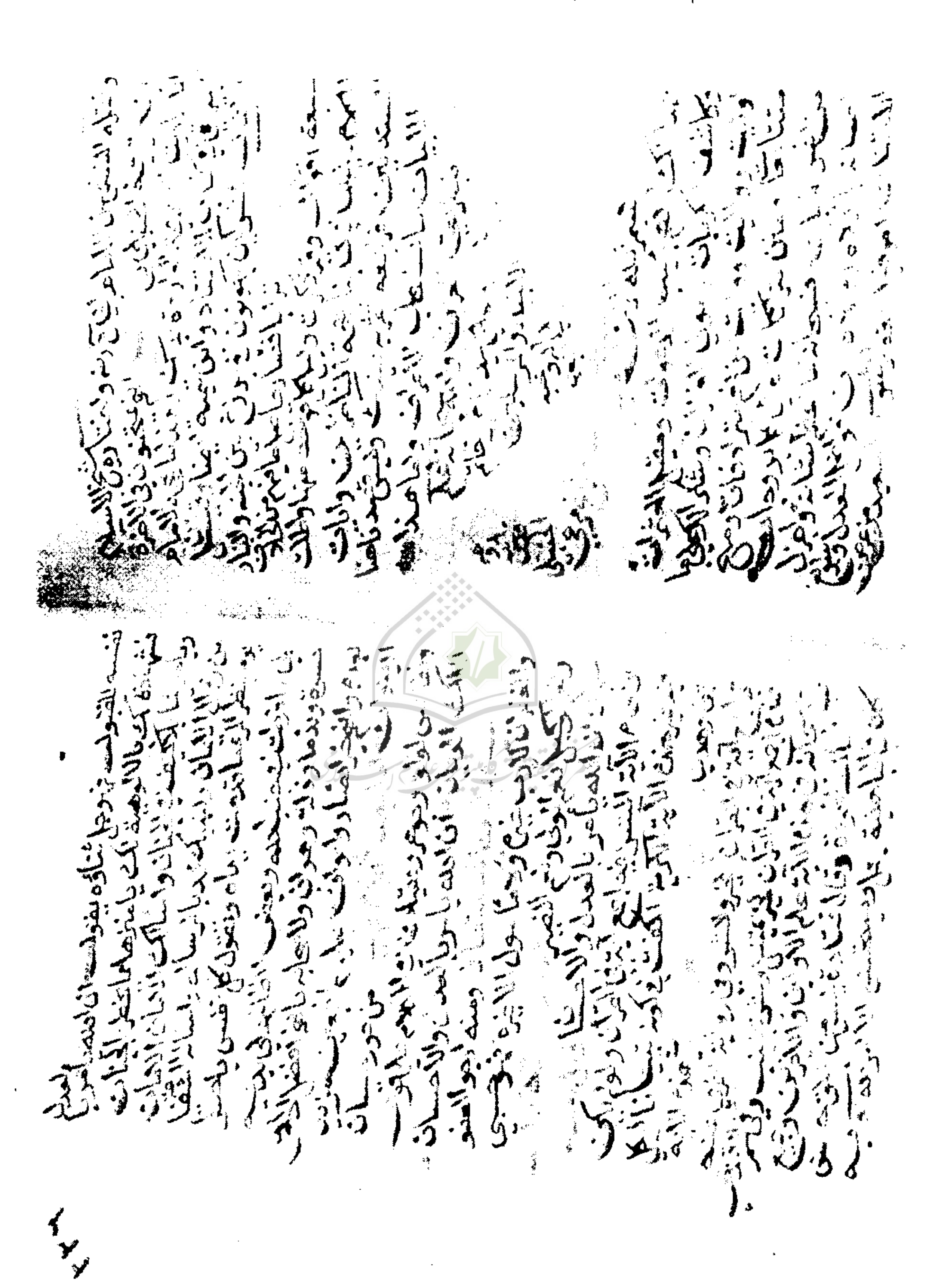
---

(١) الفهرس الشامل (٢/٦٧٧) .



النسخة (ح)

النسخة (ر)



النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك اللهم مجيب الدعوات ، ومقيل العثرات ، وكاشف الكربات ، ومولي الغفران ، وشكراً لك على ما أوليت وواليت وواليت [١] من نعم مترادفات ، ومنح متتابعات ، ومنن متراكمات ، على كل بر وجان ، من إنس وجان ، فسبحانه ما أعظم شانه ، وأجزل إحسانه ، بما أولاه ووالاه من فواضل العدل وسوابغ الامتنان ، أمر فيما بلغه الرسول - والسعيد من عرض نفسه للقبول - فهو جلَّ ثناؤه يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ .

فشهادة لك بالألوهية يا منزهاً عما يخطر بالجَنان ، ويا مرئياً بلا كيف في الجِنان ، وأسألك الأمان الأمان من زوال الإيمان .

ولنبيك محمد ﷺ بالرسالة ، وأسأله الشفاعة يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، وتقول كلُّ نفس : يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ، ويعض الظالم على يديه ندماً وذلةً وهوان [٢] .

ولأصحابه بأنهم أفضل الخلق بعده ، وأنهم خير أنصارٍ وأعوان ، عليهم أجمعين مزيد الرضوان .

أما بعد : فهذه عرائس من حور حسان ، ونفائس لؤلؤ وجوهر وعقيان ، في الكلام على قول الملك الديان : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ .

فأقول وبالله المستعان ، ومنه أرجو العفو والغفران ، لا رب غيره ، ولا مأمول إلا خيره ، فهو حسبي ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير :

---

(١) كذا في (ح ، ر) ، وفي (أ) : ووليت . والظاهر أن أحد الفعلين مكرر بدلالة ما بعده .

(٢) الوقف بحذف التنوين وسكون الآخر لغة نسبها ابن مالك إلى ربيعة . انظر شرح الأشموني بحاشية الصبان (٤/٢٠٤) .

مقدمة

قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل : ٩٠] .

قال العلماء [١] : إنّ هذه الآية الشريفة أجمعُ [٢] آية في القرآن ، ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفتْ في كونه تبياناً لكل شيءٍ وهدىً .

قال ابن مسعود ﷺ في هذه الآية : هي أجمع آية في القرآن للخير والشر [٣] . وفي رواية أخرى عنه : هذه أجمع آية في القرآن لخيرٍ يُمتثل وشرٍ يُجتنب [٤] .

وفي تفسير [٥] السمرقندي : جَمَعَ سبحانه في هذه الآية علم الأولين والآخرين ، وجميع الخصال المحمودة [٦] .

وقال قتادة [٧] : ليس من خُلق حَسَنٍ كان في الجاهلية يُعمل ويستحسن إلا أَمَرَ الله تعالى به في هذه الآية ، وليس من خُلق سيءٍ إلا نهى الله عنه في هذه الآية .

---

(١) هذا اللفظ لأبي السعود في تفسيره (١٣٦/٥) ، والقول للبيضاوي في تفسيره صـ٣٦٤ ، وعلق عليه الخفاجي في حاشيته (٣٦٤/٥) بقوله : « ووجه التنبيه أنه إذا جمعت هذه الآية ما ذكر مع وجازتها أيقظت عيون البصائر ، وحركتها للنظر فيما عداها » .

(٢) في (ح) : من أجمع . و « من » ليس في مصادر القول .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور ، والبخاري في الأدب المفرد صـ١٧١ ، برقم (٤٨٩) ، ومحمد بن نصر في الصلاة ، وابن جرير (٦٣/١٤) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني والحاكم في المستدرك وصححه (٣٥٦/٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٨/٢، ٣٧٣) برقم (٢١٧٣ ، ٢٢١٦) . الدر المنثور (١٤٣/٤) . والقول في تفسير الثعلبي (٣٧/٦) ، واللباب لابن عادل (١٤٢/١٢) .

(٤) هذا اللفظ في أحكام القرآن لابن العربي (١٥٥/٣) ، وتفسير القرطبي (١٦٥/١٠) .

(٥) قوله : « تفسير » سقط من (ر ، أ) .

(٦) تفسير أبي الليث السمرقندي (٢٤٧/٢) ونصه : « ... فقد أمر بثلاثة أشياء ، ونهى عن ثلاثة أشياء ، وجمع في هذه الأشياء ... الخ » والقول في تفسير روح البيان بلا نسبة . انظر تنوير الأذهان (٣١٧/٢) .

(٧) أخرج هذا القول الطبري (١٦٣/١٤) ، وابن أبي حاتم . الدر المنثور (١٤٣/٤) ، وأورده السمرقندي (٢٤٧/٢) ، والواحدي في الوسيط (٧٩/٣) ، وابن عادل في اللباب (١٤٢/١٢) ، وغيرهم .

وقال أيضاً : إنَّ الله تعالى من كرمه نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامِّها [١] .

وقال الحسن [٢] : والله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من الطاعة إلا جمعاه [٣] .

ولما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية على المشركين قال فصحاؤهم : دعوتَ واللهِ إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال [٤] .

---

(١) هذا من تتمة القول السابق كما في تفسير الطبري ، ونصه هناك : « وإنما نهى ... الخ » .

(٢) أخرج قوله البيهقي في شعب الإيمان . الدر المنثور (١٤٣/٤) ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٨٤/٤) .

(٣) في (ح ، ر) : جمعا ، وفي (أ) : جمعه .

(٤) يشير المصنف إلى الأخبار الآتية :

١- قال الرازي في تفسيره (١٠٤/٢٠) : « روى القاضي في تفسيره عن ابن ماجه عن علي عليه السلام أنه قال : أمر الله تعالى نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب ، فخرج وأنا معه وأبو بكر ، فوقفنا على مجلس عليهم الوقار ، فقال أبو بكر : ممن القوم ؟ فقالوا : من شيبان بن ثعلبة ، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الشهادتين وإلى أن ينصروه فإن قريشاً كذبوه . فقال مقرون بن عمرو : إلام تدعونا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ عليهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ الآية . فقال مقرون بن عمرو : دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك » وأورد الخبرَ ابن عادل (١٤٢/١٢-١٤٣) ، وتفصيله في دلائل النبوة للبيهقي (٤٢٢/٢-٤٢٧) وأبي نعيم (٢٠٣/١-٢٠٨) .

٢- وفي الدر المنثور (١٤٢/٤-١٤٣) : « أخرج الباوردي وابن السكن وابن منده وأبو نعيم في معرفة الصحابة عن عبد الملك بن عمير رضي الله عنه قال : بلغ أكثم بن صيفي مخرجُ رسول الله ﷺ فأراد أن يأتيه ، فأتى قومه فانتدب رجلين فأتيا رسول الله ﷺ فقالا : نحن رسل أكثم ، يسألك مَنْ أنت وما جئت به ؟ فقال النبي ﷺ : أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله . ثم تلا عليهم هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ قالوا : ردد علينا هذا القول . فردده عليهم حتى حفظوه . فأتيا أكثم فأخبراه ، فلما سمع الآية قال : إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها ، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا فيه أذناباً .

ورواه الأموي في مغازيه وزاد : فركب متوجهاً إلى النبي ﷺ ، فمات في الطريق .

قال : ويقال : نزلت فيه هذه الآية : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ ﴾ الآية » .

٣- وفي تفسير أبي البركات النسفي (٢٣٠/٢): « قال أبو جهل : إن إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق » .

ولما قرأ ﷺ هذه الآية على الوليد بن المغيرة قال له : يا ابن أخي أعد ، فأعاد عليه ، فقال : والله إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنّ أعلاه لمثمر ، وإنّ أسفله لمغدق ، وما هو بقول البشر [١] .

وقال أبو طالب : يا معشر قريش اتبعوا دين ابنِ أخي ترشدوا وتفلحوا ، فإنّ ابن أخي لا يأمر إلا بمكارم الأخلاق [٢] .

وقال علي كرم الله وجهه : يا آل غالب اتبعوه تفلحوا ، فوالله إن الله أرسله ليأمر بمكارم الأخلاق [٣].

ولما نزل جبريل بهذه الآية قال : يا محمد إن الله يأمرك بـ ﴿ ٱلْعَدْلِ ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾: القيام بالفرائض، ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ صلة القربى أي الرحم[٤].

---

(١) ذكره السمرقندي (٢/٢٤٧) راوياً له عن شيخه أبي منصور عبد الله الفرائضي بسمرقند بإسناده إلى عكرمة « أن النبي ﷺ قرأ ... » ولم يذكر السند . وأورده القرطبي (١٠/١٦٥) وقال : « وذكر الغزنوي أن عثمان بن مظعون هو القارئ » .

(٢) هذه قطعة من حديث إسلام عثمان بن مظعون وردت في سياق السمرقندي (٢/٢٤٧) ، ولم ترد في سياق الإمام أحمد (٥/٨٧) برقم (٢٩١٩) ، وذكرها القرطبي (١٠/١٦٥) وابن عادل في اللباب (١٢/١٤٢) .

(٣) هذا القول في تفسير القرطبي (١٠/١٦٥) هكذا ، ومن قبله أورده ابن عطية في تفسيره (٨/٤٩٣-٤٩٤) ونصه : « ورُوي عن عثمان بن مظعون ﷺ أنه قال : لما نزلت هذه الآية قرأتها على علي بن أبي طالب ﷺ ، فعجب وقال : يا آل غالب اتبعوه تفلحوا فوالله إن الله أرسله إليكم ليأمر بمكارم الأخلاق » . وأرى في هذا السياق وهماً ، وهو إنما قرأ الآية على أبي طالب ، كما في الخبر السابق .

(٤) لم أجده هكذا ، ورأيت في الدر المنثور (٤/١٤٣) : « أخرج ابن جرير (١٤/١٦٢) وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٢٧٢) برقم (٢٠٦) عن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ قال : أداء الفرائض ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ قال : إعطاء ذوي الرحم الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم ... » .

إذا تقرر هذا « فاعلم أنه جلَّ ثناؤه لما شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب قبل هذه الآية ، أتبع ذلك بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ فجمع في هذه الآية الشريفة ما يتصل بالتكليف فرضاً ونفلاً ، وما يتصل بالأخلاق والآداب عموماً وخصوصاً »[١] كما سيأتي .

« ومناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه تعالى لما ذكر ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] وصل به ما يقتضي التكاليف فرضاً ونفلاً وأخلاقاً وآداباً »[٢] كما ستسمع .

أما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ ﴾ فمعلوم أن ﴿ إِنَّ ﴾ معناها التوكيد كما هو مقرر في علم المعاني والبيان[٣] .

وأن ﴿ ٱللَّهَ ﴾ لفظ مبحثه معلومٌ مِن أنه هل هو مشتق كما ذهب إليه قوم ، أو ليس بمشتق كما ذهب إليه آخرون[٤] .

والمقصود هنا إنما هو الكلام على ما أمر الله به من مكارم الأخلاق في هذه الآية .

ومعلوم كما قال المفتي في « تفسيره » أن الإيثار في قوله ﴿ يَأۡمُرُ ﴾ بصيغة

---

(١) ما بين الهلالين كلام الرازي في تفسيره (١٠٣/٢٠) وأورده البقاعي في نظم الدرر (٢٣٥/١١)، وابن عادل في اللباب (١٤١/١٢-١٤٢) كلاهما بلا عزو .

(٢) هذا نص أبي حيان في النهر الماد (٥١٧/٣) ، والبحر المحيط (٥٢٩/٥) ، وهو مستفاد من الرازي ، ونسب الخازن هذا المعنى إلى أهل المعاني . انظر تفسيره (١٣١/٣) .

(٣) انظر مغني اللبيب (٣٥/١) بحاشية الأمير .

(٤) انظر تفسير البيضاوي صـ٣ وتفسير النسفي (٢٧/١-٢٨) ، وممن توسع في هذا البحث الإمام الفيروزآبادي (ت : ٨١٧ هـ) في كتابه « تسيير فائحة الأناب [المسك أو عطر يضاهيه] في تفسير فاتحة الكتاب » .

الاستقبال لإفادة التجدد والاستمرار [١] .

ومعلوم أنه تعالى إنما لم يذكر متعلقاتِ العدل والإحسان ليعم جميعَ ما يعدل فيه ويحسن به إليه [٢] .

واعلم أن الله تعالى أمر في هذه الآية بثلاثة أشياء ، وهي : العدل ، والإحسان ، وإيتاء ذي القربى .

فأما قوله تعالى ﴿ بِٱلْعَدْلِ ﴾ :

١- فقيل : هو الإنصاف [٣] .

٢- وقيل : هو التوحيد [٤] . وقيل : هو الإخلاص في التوحيد [٥] .

---

(١) تفسير المفتي أبي السعود (١٣٦/٥) ، ولفظه : « وإيثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده ... » .

(٢) هذا في الدر المصون (٢٨٠/٧) ، واللباب (١٤٣/١٢) ، ولفظه : « ... لم يذكر متعلقات العدل والإحسان والبغي ... ويبغى فيه » .

(٣) ذكره الثعلبي (٣٧/٦) والقرطبي (١٦٥/١٠) ، واقتصر عليه النحاس في إعراب القرآن (٤٠٦/٢) ، وروى أبو نعيم في الحلية (٢٩١/٧) عن سفيان بن عيينة قال : « سئل علي عن قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ ، فقال : العدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضل » ، فما جاء في الشهب اللامعة للمالقي صـ٩٣ من نسبة هذا القول إلى ابن عيينة غير دقيق .

(٤) هذا قول ابن عباس كما تقدم نقله من الدر المنثور قبل قليل . وأورده الثعلبي (٣٧/٦) وعزاه هو والبغوي في تفسيره (٣٨/٥) إلى مقاتل ، انظر تفسيره (٤٨٣/٢) ، وهو في اللباب (١٤٣/١٢) ، وهو والذي قبله في تفسير الجلالين صـ٢٢٣ .

(٥) في هذا نظر ، فقد ذكره الرازي (١٠٤/٢٠) في تفسير الإحسان ، ومن قبله ذكره الثعلبي (٣٧/٦) والبغوي في تفسيره (٣٨/٥) كذلك ، ووهم المؤلف لمتابعته ابن عادل وهو قد نسبه إلى ابن عباس !

٣- وقيل : العدل في الأفعال ، والإحسان في الأقوال ، فلا تفعل إلا ما هو العدل ، ولا تقل إلا ما هو إحسان [١] .

٤- وقيل : العدل : الفرض [٢] .

٥- وقيل : العدل هو [فعل] [٣] كلّ مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظلم ، والإنصاف وإعطاء الحق [٤] . قاله علي بن أبي طالب ﷺ [٥] .

٦- وقال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية [٦] : العدل وضع كل شيء في موضعه ، كما أنَّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه . [و] [٧] قال [٨] : والعدل جماع الدين والحق والخير كله ، والعدل الحقيقي قد يكون متعذراً [٩] ؛ إما علمه ، وإما العمل به [١٠] ،

---

(١) ذكره الثعلبي (٦/٣٧) ، والواحدي في الوسيط (٣/٧٩) ، والرازي (٢٠/١٠٤) ، وابن عادل (١٢/١٤٣) .

(٢) ذكره القرطبي (١٠/١٦٥) .

(٣) من المحرر الوجيز (٨/٤٩٤) .

(٤) هذا قول ابن عطية (٨/٤٩٤) ، وذكره القرطبي (١٠/١٦٥-١٦٦) وسقط منه : « وسير مع الناس في » ، وذكَره في البحر المحيط (٥/٥٢٩) معزواً .

(٥) هذا سبق نظر أو خاطر . والذي في تفسير القرطبي (١٠/١٦٥) : « [قال] علي بن أبي طالب : العدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضل » ثم ذكر قول ابن عطية .

(٦) في كتابه الاستقامة (١/٤٦٤) .

(٧) زيادة مني .

(٨) في كتابه الاستقامة (١/٤٣٤) ، والنص كذلك في مجموع الفتاوى (٢٢/١٣٢) ضمن « فصل في محبة الجمال » .

(٩) في الفتاوى زيادة وهي : « أو متعسراً » .

(١٠) في المصدرين المذكورين هنا : « لكون التماثل من كل وجه غير ممكن ، أو غير معلوم » ا.هـ مصححاً.

فيكون الواجب في مثل ذلك ما كان أشبه بالعدل وأقرب إليه وهي الطريقة المثلى . انتهى [١] .

وبالجملة [٢] : العدل عبارة عن الأمور المتوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط ، وهو رأسُ الفضائل كلها ، وواجب الرعاية في جميع الأشياء .

وتحقيقه أنَّ التكاليف في شيئين : إما في الاعتقاد ، وإما في أعمال الجوارح .

فأما الاعتقادات فلها أمثلة :

فمنها ما قاله ابن عباس ﷺ : إن العدل هو قولنا لا إله إلا الله . وتحقيقه أنَّ نفيَ الإله تعطيلٌ محض ، وإثباتَ أكثر من إلهٍ واحد تشريك محض ، وهما مذمومان ، والعدل هو إثبات إله واحد .

ومنها : أنَّ القول بأنَّ الإله ليس بموجود ولا شيءٍ تعطيل محض ، والقول بأنه جسم مركب ومتحيز تشبيهٌ محض ، والعدل إثبات إله موجود منزهٍ عن الجسمية والأجزاء والمكان .

ومنها : أنَّ القول بأنَّ الإله غير موصوف بالصفات من العلم والقدرة تعطيلٌ محض ، والقول بأنَّ صفاته حادثة متغيرة تشبيه محض ، والعدلُ إثباتُ أنَّ الإله عالم قادر حي ، وأن

---

(١) وفات المصنف أن يذكر قول سفيان بن عيينة : العدل : استواء السر والعلانية من كل عامل لله عملاً . وهو في عدد من التفاسير ، منها تفسيره صـ٢٨٥ ، وتفسير البغوي (٥/٣٩) .

(٢) من هنا إلى قوله الآتي : « وبالجملة فالعدل هو مراعاة التوسط ... » هو من كلام الفخر الرازي ، وقد اختصر منه وتصرف يسيراً . ومن قبله نقله بتلخيص أبو حيان في البحر (٥/٥٣) ، وابن عادل في اللباب (١٢/١٤٤-١٤٥) ، وتبع المصنفُ ابن عادل تقريباً .

وما قاله الرازي في تفسير العدل والإحسان هو محور ما أتى به الشيخ الشعراوي في تفسيره (١٣/٨١٥٨-٨١٦٨) .

صفاته ليست محدثة ولا متغيرة « سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً » (١) .

ومنها : أن القول بأن العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبرٌ محض ، والقول بأن العبد مستقل بأفعاله قَدَرٌ محض ، وهما مذمومان ، والعدل أن يقال : إن العبد يفعل الفعل بواسطة قدرةٍ وداعيةٍ يخلقها الله تعالى فيه ، « فيضاف الفعل لله خلقاً ، وللعبد كسباً » (٢) .

وأما أفعال الجوارح فلها أمثلة :

فمنها ما قاله قوم : لا يجب على العبد شيءٌ من الطاعات ، ولا يجب عليه الاحتراز من شيءٍ من المعاصي ، ونفوا التكاليف أصلاً ، وقوم يَخْصُون (٣) أنفسهم ويرمونها من شاهق ، والطرفان مذمومان ، والعدل شرعنا (٤) .

ومنها : أنه قيل : كان في شرع موسى عليه السلام في القتل العمد استيفاءُ القصاص لا محالة ، وفي شرع عيسى عليه السلام العفو ، وفي شرعنا : إنْ شاء استوفى القصاص ، وإنْ شاء عفا عن القصاص وأخذ الدية (٥) ، وإن شاء عفا مطلقاً .

ومنها : أنه قيل : كان في شرع موسى عليه السلام الاحتراز العظيم عن الحائض حتى إنه

---

(١) من إضافة المؤلف .

(٢) من إضافة المؤلف ، وهو يشير إلى اعتناقه القول بالكسب . هذا وقد علق الصاوي في حاشيته على الجلالين (٣/٢٨٤) على هذا الاعتدال بقوله : « وهذا مذهب أهل السنة ، خرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً للشاربين » .

(٣) في (ح ، ر) : يحضون . وفي (أ) : يحصنون .

(٤) لتوضيح الطرف الثاني أنقل أصل الكلام من تفسير الرازي (٢٠/١٠٥) : « وقال قوم من الهند ومن المانوية : إنه يجب على الإنسان أن يجتنب عن كل الطيبات ، وأن يبالغ في تعذيب نفسه ، وأن يحترز عما يميل الطبع إليه ، حتى إن المانوية يخصون أنفسهم ، ويحترزون عن التزوج ، ويحترزون عن أكل الطعام الطيب ، والهند يحرقون أنفسهم ، ويرمون أنفسهم من شاهق » .

(٥) في (ح) : « وإن شاء عفا عن الدية » ، وفيه سقط واضح .

يجب إخراجُها من الدار ، وفي شرع عيسى عليه السلام حل وطئها ، والعدل شرعنا وهو تحريم وطئها [فقط] (١) .

ومنها : أنه سبحانه قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝ ﴾ [الفرقان : ٦٧] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] . وقال ﷺ : « خير الأمور أوسطها » (٢) .

وبالجملة فالعدل هو مراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط : كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب (٣) ، ولذلك قال ﷺ : « أحب العمل إلى الله أدومه وإنْ قلّ » (٤) .

لطيفة : قال في « تفسير » القرطبي (٥) : « قال ابن العربي (٦) : العدل بين العبد

---

(١) زدتها من اللباب (١٤٥/١٢) .

(٢) الحديث كأنه من إضافة ابن عادل ، فليس في تفسير الفخر ، وقد أورده ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند فيه مجهول عن علي مرفوعاً . وانظر التفصيل في المقاصد الحسنة صـ٢١٥ .

(٣) في النسخ الثلاث : الترهيب .

وهذا مقتطع من تفسير البيضاوي صـ ٣٦٤ ، والظاهر أنه بواسطة أبي السعود في تفسيره ، « والبطالة : ترك العمل لعدم فائدته إذ الشقي والسعيد متعين في الأزل - كما ذهب إليه بعض الملاحدة - والترهب : المبالغة في التزهد بترك المباحات تشبهاً بالرهبان لأنه لا رهبانية في الدين ، وليس إخلاص الزهد منه » ا.هـ من حاشية الخفاجي على البيضاوي (٣٦٣/٥) .

(٤) اللفظ المذكور هنا أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين (٢١٧١/٤) برقم (٢٨١٨) . وفي كتاب الإيمان في صحيح البخاري من قول عائشة : « وكان أحب الدين إليه - ﷺ - ما دام عليه صاحبه » . الفتح (١٠١/١) .

(٥) (١٦٦/١٠) .

(٦) في أحكام القرآن (١٥٣/٣-١٥٤) باختلاف يسير .

وبين ربه إيثار حقه تعالى [١] والامتثال للأوامر ، وأما العدل بينه وبين نفسه : فمنعُها مّما فيه هلاكها قال تعالى : ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠] ، وأما العدل بينه وبين الخلق : فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر ، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه ، ولا يكون منك إساءةٌ إلى أحد بقولٍ ولا فعل لا في سرٍّ ولا علن ، والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى ، وأقل ذلك : الإنصاف وترك الأذى » .

تنبيه : المتبادر من العدل حيث أُطلق الإنصاف الذي هو ضد الظلم والجور ، فالعدل خلاف الجور ، يقال : عدل عليه [٢] في القضية فهو عادل ، وبسط الوالي عدله ، فيجب على كل مسلم سيما [٣] الحاكم أنْ يعدل في أقواله وأفعاله وأحكامه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النساء : ١٣٥] .

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان في الدنيا ، ومنه إيصال الحقوق لمستحقيها ، وقد يتخلف ، وهو واقع في الآخرة من غير تخلف :

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي [٤] عن أبي هريرة ﷺ قال : يحشر الخلق [٥] كلهم يوم القيامة : البهائم والدواب والطير وكل شيء ، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ

(١) في أحكام القرآن وتفسير القرطبي هنا تتمة هي : « على حظ نفسه ، وتقديم رضاه على هواه ، والاجتناب للزواجر ، وعزوب الأطماع عن الاتباع ، ولزوم القناعة في كل حال ومعنى » .

(٢) كذا في النسخ الثلاث .

(٣) انظر بحثاً مفصلاً عن « لاسيما » : تركيبها واستعمالها وإعرابها في : « كشف العما عن معاني لاسيما » للمزجاجي .

(٤) انظر تفسير الطبري (٣٠/٢٦) ، والحديث في الدر المنثور « النبأ » (٦/٣٤٥) ، وذكر من مخرجيه أيضاً : عبد بن حميد وابن المنذر ، وبيّن أن البيهقي أخرجه في البعث والنشور . وليس هو في البعث والنشور المطبوع بتحقيق عامر أحمد حيدر ، وقد استدركه في كتابه استدراكات البعث والنشور صـ٩٥ ناقلاً له من الدر المنثور .

(٥) في الدر المنثور : الخلائق .

للجمَّاء [١] من القرناء ، ثم يقول : كوني تراباً ، فذلك حين يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً .

وأخرج إمامنا أحمد [٢] ﷺ بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : يقتص للخلق بعضهم [من بعض ، حتى] [٣] للجماء من القرناء ، وحتى للذرة من الذرة .

وأخرج إمامنا أحمد ﷺ والبخاري والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي [٤] عن عبد الله بن أُنيس ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الله العباد يوم القيامة عراة غرلاً [٥] بهماً . قلنا : وما بهماً ؟ قال : ليس معهم [٦] شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه مَنْ بعد كما يسمعه مَنْ قرب : أنا الملك أنا الديان ، [و] لا ينبغي لأحد من [أهل]

(١) الجماء : التي لا قرن لها . النهاية (١/٣٠٠) .

(٢) في المسند (١٤/٣٦٤) برقم (٨٧٥٦) وقال المحققان شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد : « صحيح دون قوله : « وحتى الذرة من الذرة » وهذا إسناد حسن ، رجاله رجال الصحيح ، إلا واصلاً - وهو مولى ابن عيينة - ويحيى بن عقيل ، فإنهما يقصران عن رتبة الثقات وأهل الضبط ، وسلف الحديث من طريق عبد الرحمن بن يعقوب دون هذه الزيادة برقم (٧٢٠٤) وإسناده صحيح » .

(٣) سقط من (ح ، ر) ، وكتب في حاشية (أ) : « من بعض » فقط .

(٤) عزاه في الدر المنثور « تفسير سورة غافر » (٥/٣٨٣) إلى الحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات، وما هنا زيادة في التخريج . انظر مسند أحمد (٢٥/٤٣١) برقم (١٦٠٤٢) وما بين المعقوفتين منه ، والأدب المفرد صـ ٩٧٠ ، ومجمع الزوائد (١/١٣٣) وقد عزاه إلى المعجم الكبير للطبراني . وهو في الأوسط برقم (٨٥٨٨) أيضاً ، والمستدرك (٢/٤٣٧ ، ٤/٥٧٤) والأسماء والصفات صـ٧٨ ، ٢٧٣ . وانظر تفصيلاً عن الحديث في حاشية الإمام أحمد .

(٥) في (ح ، أ) : عزلاً ، وكذا في الموضع الثاني في النسخ الثلاث . وغرلاً : جمع الأغرل ، وهو الأقلف - أي غير المختون - . النهاية (٣/٣٦٢) .

(٦) في (ر) : معهما .

النار [١] أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه [منه] ، حتى اللطمة . قلنا : وكيف وإنما نأتي عراة غرلاً بهماً ؟ قال : [بـ] الحسنات والسيئات . وتلا رسول الله ﷺ : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ [غافر : ١٧] .

فيجبُ على كلِّ مكلفٍ أنْ يعلمَ أنَّ الله سبحانه هو الديان يوم القيامة الذي يُجازي كلاً بعمله ، فيقتص للمظلوم من الظالم ومن السيد لعبده ، و [٢] « البر لا يبلى ، والإثم لا يُنسى [٣] ، والدّيان لا يموت ، فكن كما شئت ، كما تَدين تُدان » [٤] .

---

(١) في النسخ الثلاث : الناس !

(٢) في (ح) فقط : وفي . ولعله يريد : وفي الحديث .

(٣) قال المناوي في فيض القدير (٣/٢١٩) : « أي لا بدَّ أن يجازى عليه ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ ونبه به على شيء دقيق يغلط الناس فيه كثيراً، وهو أنهم لا يرون تأثير الذنب فينساه الواحد منهم ، ويظن أنه لا يغبِّرُ بعد ذلك ، وأنه كما قال :

إذا لم يغبِّرْ حائط في وقوعه ... فليس له بعد الوقوع غبارُ

قال ابن القيم [في الجواب الكافي صـ٦٦] : وسبحان الله ماذا أهلكت هذه النكتة [في الفيض : هذه البلية ، وهو تحريف وافق محلاً] من الخلق ، وكم أزالت من نعمة ، وكم جلبت من نقمة ، وما أكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء ، فضلاً عن الجهال ، ولم يعلم المغتر أن الذنب ينقض ولو بعد حين ، كما ينقض السم ، وكما ينقض الجرح المندمل على الغش والدغل » ا.هـ مصححاً .

(٤) رواه عبد الرزاق في الجامع عن أبي قلابة مرسلاً ، ورواه عنه البيهقي في الزهد صـ٢٩٦ برقم (٧٠٤) ، وفي « الأسماء والصفات » (١/١٩٧) برقم (١٣٢) . ووصله أحمد فرواه في « الزهد » من هذا الوجه بإثبات أبي الدرداء من قوله ، وهو منقطع مع وقفه . ورواه أبو نعيم والديلمي في الفردوس (١/٤٩) برقم (٢٠٢٤) مسنداً عن ابن عمر يرفعه ، وفيه محمد بن عبد الملك الأنصاري ، وهو ضعيف ا.هـ من « الجامع الصغير » و« فيض القدير » (٣/٢١٨-٢١٩) ، وانظر كشف الخفاء (١/٣٣٦) .

ونسبه ابن عبد البر في بهجة المجالس (٢/٣٣٢) إلى التوراة .

لطيفة : قال بعض العارفين [١] : العدل ميزان الله تعالى في الأرض ، يُؤخذ به للضعيف من القوي ، وللمحق من المبطل [٢] ، وعدلُ الحاكمِ يوجب محبتَهُ ، وأفضل الأزمنة أزمنةُ أئمةِ العدل [٣] ، والعدل يُوجب دوام الملك وثباته ، والظلم يوجب زواله ، ولهذا قيل : إنَّ الله تعالى يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإنْ كانت مسلمة [٤] ، فالدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام .

واعلم أنَّ الله تعالى يحب العادل : قال تعالى : ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) المادة العلمية الواردة هنا إلى آخر حديث مسلم الآتي وردت في كتاب النفع الغزير في صلاح السلطان والوزير للشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (ت : ١١٩٢ هـ) صـ ٤٩-٥٠ بلا عزو إلى مصدر .

وأعادها المؤلف في كتابه « المسرة والبشارة في أخبار السلطنة والوزارة » صـ٧٨-٧٩ .

(٢) في نصيحة الملوك للماوردي صـ ٢٥١-٢٥٢ : « وجدنا في بعض عهود الهند : أن العدل ميزان الله في الأرض ، يؤخذ به للضعيف من الشديد ، وللمحق من المبطل ، فمن أزال ميزان الله عما وضعه الله من القيام بالقسط بين عباده فقد أعوز أشد الإعواز ، واغتر بالله أشد الغرة » .

وفي الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لابن الحداد الموصلي صـ١٢٢ : « رُوي في الخبر الجلي عن الجانب المقدس النبوي أنه قال ﷺ : العدل ميزان الله في الأرض ، فمن أخذ به قاده إلى الجنة ، ومن تركه قاده إلى النار » !

وفي الشهب اللامعة صـ٨٥ أنه جاء في الزبور : « العدل ميزان الباري ... » .

(٣) هذا في سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي (ت : ٥٢٠ هـ) الباب (١١) صـ٩٥ ، ٩٦ ، وفي المستطرف في كل فن مستظرف لمحمد بن أحمد الأبشيهي (ت : ٨٥٠ هـ) الباب (١٩) في العدل والإحسان صـ١٥٣ باختلاف يسير .

(٤) في تسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي صـ١٨٤ : « قال بعض العلماء : الملك يبقى على الكفر ، ولا يبقى على الظلم » وانظر تعليق المحقق . وربيع الأبرار (٣/٣١٢) ، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/٦٢) . وفي المنهج المسلوك في سياسة الملوك للشيزري صـ٢٤٣ : « قال الحسن : إن استقامة الملك بالثلاثة المأمور بها في الآية ، واضطرابه بالثلاثة المنهي عنها فيها » .

ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٤٩ وغيرها] ، والقسط هو العدل ، والعدل وضع الأشياء في مواضعها التي أمر الله بها ، وإعطاء الحق ، لكل ذي حق حقه [١] .

وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ [٢] ﴾ [لقمان : ١٧] : هو العدل وإنصاف كل أحد من [٣] حقه، لأن الأمر بالمعروف والعرف المعتاد ، يقتضي [٤] توفية الحقوق ديناً ودُنيا .

وقد ورد في العدل وأهله عدةُ أحاديث :

منها ما أخرج مسلم [٥] عن ابن عمرو [٦] ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إن

---

(١) انظر عن العدل :

١- نصيحة الملوك صـ ٢٤٩ فما بعدها .

٢- قوانين الوزارة صـ ٤٥-٤٨ .

٣- تسهيل النظر وتعجيل الظفر صـ ١٨١ فما بعدها ، وثلاثتها للماوردي (ت : ٤٥٠ هـ) .

٤- ربيع الأبرار للزمخشري (ت : ٥٣٨ هـ) الباب (٥٢) (٣/٣٨٧-٣٨٨) .

٥- المنهج المسلوك في سياسة الملوك للشيزري (ت : ٥٨٩ هـ) صـ ٢٤٢-٢٥٥ .

٦- الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لمحمد بن منصور بن حبيش المعروف بابن الحداد الموصلي (كان حياً سنة ٦٧٣ هـ) صـ ١٢٢-١٢٥ .

٧- الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان المالقي (ت : ٧٨٣ هـ) صـ٨٥-١٠٠ .

٨- الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء لمحمود بن إسماعيل الخيربيتي (ت : بعد ٨٤٣ هـ) صـ ١٤٣ فما بعدها .

٩- النصائح المهمة للملوك والأئمة لعلوان الحموي (ت : ٩٣٦ هـ) .

(٢) في « النفع الغزير » : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

(٣) كرر ناسخ (ر) « من » . وفي النفع الغزير : وإنصاف كل ذي حق ، وتمكينه من حقه .

(٤) في (ح ، ر) : ويقتضي . ولم أر داعياً للواو .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام (٣/١٤٥٨) ، والنسائي في كتاب آداب القضاء ، باب فضل الحكم (٨/٢٢١) ، وغيرهما ، وهو في الترغيب والترهيب للمنذري (٣/١٦٧) ، وتخريج أحاديث العادلين للسخاوي صـ٦٢ .

(٦) في النسخ الثلاث : عمر !

المقسطين عند الله يـوم القيامة على منابر من نور عن يمين العرش [١] ، هـم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا .

وروى البيهقي عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : السلطان ظل الله في الأرض ، فمن غشه ضل ، ومن نصحه اهتدى [٢] .

وفي حديث آخر [٣] : السلطان العادل المتواضع ظل الله ورحمته [٤] في الأرض يرفع [٥] له عمل سبعين صديقاً .

إذا [٦] فهمت هذا علمت أن الراعي والإمام كلما كثرتْ رعيتُهُ وعَظُمَ ملكه وكـان من المقسطين كان أفضلَ الناس ، وأقربَهم إلى الله تعالى وأعظمهم درجةً وأكرمهم مرتبةً .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ :

فهو معطوف على ﴿ ٱلْعَدْلِ ﴾ ، وأما : أحسن إحساناً عطف على عـدل ، وهـو

---

(١) في الحديث : « الرحمن » بدل « العرش » وفيه عند مسلم : وكلتا يديه يمين . ولـيس فيـه : يـوم القيامة .

(٢) أورده السيوطي في الجامع الصغير ، وقال المناوي في الفيض (١٤٣/٤) : « فيه محمد بن يونس القرشي وهو الكديمي الحافظ ، اتهمه ابن عدي بوضع الحديث ، وقال ابن حبان : كان يضع على الثقات ، قال الذهبي في « الضعفاء » عقبه : قلت : انكشف عندي حاله » . وانظر تفصيلاً عنه في تخريج أحاديث العادلين للسخاوي صـ٧٢-٧٤ .

(٣) أورده في الجامع الصغير ونسبه إلى أبي الشيخ ابن حيان عن أبي بكر الصديق ، وسكت المناوي عنه لكن قال (١٤٤/٤) : « ورواه عنه الديلمي أيضاً » ، وانظر كشف الخفاء (٥٥٣/١) .

(٤) في الجامع الصغير : ورمحه . وبمثل ما أثبته جاء في النفع الغزير صـ٣٩ .

(٥) في النسخ الثلاث : يرجع .

(٦) في (ح) : هذا إذا !

مصدر أحسنت كذا ، وفي كذا [١] . وفيه أقوال :

١- فقيل : هو الإحسان إلى الناس .

٢- وقيل : هو أداء الفرائض [٢] .

٣- وقيل : الإحسان : النافلة [٣] .

٤- وقيل : هو العفو [٤] .

---

(١) في (ر) : أحسنت كذا وكذا . وقد سقط حرف الجر « في » ، وجاءت العبارة في (أ) :
« وأما قوله تعالى : ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ فهو معطوف على العدل ، من أحسن إحساناً ، وهو مصدر أحسنت كذا وكذا » . والمؤلف يريد ما قاله القرطبي (١٠/١٦٦) :
« وأما الإحسان فقد قال علماؤنا : الإحسان مصدر أحسن يحسن إحساناً .
ويقال على معنيين :
أحدهما متعد بنفسه ، كقولك : أحسنت كذا أي حسنته وكملته ، وهو منقول بالهمزة من حَسُن الشيء .
وثانيهما : متعد بحرف جر ، كقولك : أحسنت إلى فلان ، أي أوصلت إليه ما ينتفع به ».

(٢) في هذا القول نظر لابن عطية ، قال في المحرر الوجيز (٨/٤٩٤-٤٩٥) : « لأن أداء الفرائض هي الإسلام حسب ما فسره رسول الله ﷺ في حديث سؤال جبريل عليه السلام ، وذلك هو العدل ، وإنما الإحسان : التكميلات والمندوب إليه ، حسب ما يقتضيه تفسير النبي ﷺ لسؤال جبريل عليه السلام بقوله : (أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، فإن صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما فإنما أراد أداء الفرائض مُكملة » .

(٣) أورده القرطبي (١٠/١٦٥) .

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٤٨٣) : « رواه الضحاك عن ابن عباس » وعزاه الثعلبي (٦/٣٧) والبغوي في تفسيره (٥/٣٨) إلى مقاتل ، انظر تفسيره (٢/٤٨٣) ، ونصه : « العفو عن الناس » .

٥- وقيل : هو أن تعبد الله كأنك تراه [١] .

٦- وقيل : هو أن تكون السريرة أحسن من العلانية [٢] .

٧- وقيل : هو فعل كل مندوب إليه [٣] . ويجمع العفو والإحسان لأن الواجب قد يقع فيه نقص فينجبر بما ليس [٤] بواجب .

وبالجملة : فهو كما قال المفتي في « تفسيره » [٥] : « فهو الإتيان بما أمر الله به على الوجه اللائق ، وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل [٦] ، أو بحسب الكيفية كما أشار إليه قوله ﷺ : والإحسان أن تعبد الله كأنك

---

(١) ذكره الرازي (٢٠/١٠٤) وله تتمة . وهذا القول والقول الثاني في تفسير الجلالين صـ٣٢٣ .

(٢) هذا قول سفيان بن عيينة . انظر تفسيره صـ ٢٨٥ ، وتفسير الثعلبي (٦/٣٧) ، وجاء في تفسير الطوسي : التبيان (٦/٤١٩) منسوباً إلى أبي عيينة . وهو خطأ من النساخ . وورد القول في تفسير أبي المظفر السمعاني (٣/١٩٦) بلا نسبة . أما العدل في هذا القول فهو استواء السر والعلانية ، وقد سبق ذكره .

(٣) وهذا قول ابن عطية كما تقدم .

(٤) في (ر ، أ) : يسن . وهو تحريف . وقد جاء في الكشاف (٢/٦٢٩) : « إن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ، ولذلك قال رسول الله ﷺ - لمن علمه الفرائض فقال : والله لا زدت فيها ولا نقصت - : « أفلح إن صدق » . فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط ، وقال ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا » فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط ، من النوافل » .

(٥) تفسير أبي السعود (٥/١٣٦) ، وهو مستفاد من كلام الرازي (٢٠/١٠٧) ، وأورده البيضاوي صـ٣٦٤ .

(٦) في النسخ الثلاث : بحسب النوافل !

تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك [١] » [٢] .

وقال بعض المحققين : حاصل الإحسان راجع إلى إتقان العبادات كلها بأدائها على وجهها المأمور به مع رعاية حقوق الله تعالى فيها ، واستحضار عظمته وجلاله ابتداءً واستمراراً .

وفي « تفسير » ابن عادل [٣] : إنَّ الزيادة على العدل قد تكون إحساناً ، وقد تكون إساءة [٤] فالعدل في الطاعات هو أداء الواجبات ، والزيادة على الواجبات طاعات، فهي من جملة الإحسان ، ولهذا قال ﷺ لجبريل حين سأله عن الإحسان : أن تعبد الله

---

(١) رواه مسلم برقم (٨) وآخرون . انظر شرحه والتوسع في تخريجه في جامع العلوم والحكم وحاشيته صـ٩٤ .

(٢) وللإمام الغزالي كلام حسن عن العدل والإحسان قاله في الإحياء كتاب الكسب والمعاش (٢/٩٠) : « قد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً ، والعدل سبب النجاة فقط ، وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال . والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة ، وهو يجري من التجارة مجرى الربح ، ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله ، فكذا في معاملات الآخرة ، فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ، ويدع أبواب الإحسان ، وقد قال الله : ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص : ٧٧] ، وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] . ونعني بالإحسان : فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ، ولكنه تفضل منه ، فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه ، وتنال رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور » ثم ذهب يشرحها فانظر ما قاله فهو مهم نافع .

وللراغب الأصفهاني كلام جيد عن العدل والإحسان ، ولا يتسع المجال لنقله ، فانظره في المفردات صـ ٥٥٢، ولم يخرج عنه السمين الحلبي في عمدة الحفاظ (٣/١٦٧٢) .

(٣) تفسير ابن عادل (١٢/١٤٥) .

(٤) في النسخ الثلاث : إشارة !

كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . انتهى .

وهذا منه ﷺ من جوامع الكلم لأنه جمع - مع وجازته - بيانَ مراقبةِ العبد ربَّهُ في إتمام الخضوع والخشوع وغيرهما في جميع الأحوال ، والإخلاصَ له في جميع الأعمال مع بيان سببهما الحامل عليهما لملاحظة أنه لو قدّر أن أحداً قام في عبادة وهو يعاين ربه تعالى : لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن الصمت [(١)] واجتماعه بظاهره وباطنه مع الاعتناء بتتميمها على أحسن الوجوه « وسمّى هذا المعنى بالإحسان لأنه بالمبالغة في الطاعة كأنه يُحسن إلى نفسه بإيصال الخير والفعل الحسن .

ويدخل في الإحسان التعظيمُ لأمر الله والشفقة على خلقه ، ويدخل في الشفقة أقسامٌ كثيرة » [(٢)]، وقال القرطبي [(٣)] : « إنه تعالى يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض « حتى إن الطائر في حبسك والسنور في دارك لا ينبغي أن تقصر في تعهده » [(٤)] بإحسانك . وحكى النقاش قال : يقال : زكاة العدل الإحسان ، وزكاة القدرة العفو ، وزكاة الغنى المعروف ، وزكاة الجاه كَتْبُ الرجل إلى إخوانه » [(٥)] .

لطيفة : قال بعضهم [(٦)] : « لو وسع الخلائقَ العدلُ ما قرن الله تعالى به الإحسان ،

---

(١) كذا في النسخ الثلاث . ولعل الأولى : السمت .

(٢) ما بين الهلالين من اللباب (١٤٥/١٢) ، وأصله من تفسير الرازي (١٠٧/٢٠) .

(٣) تفسير القرطبي (١٦٦/١٠) . ومن هنا إلى آخر حديث « إن الله كتب الإحسان » أورده المؤلف في كتابه « المسرة والبشارة » صـ٨٨-٨٩ .

(٤) جملة : حتى إن الطائر ... لابن العربي . انظر أحكام القرآن (١٥٤/٣) ولها تتمة .

(٥) هكذا جاءت العبارة فيما نقله القرطبي عن النقاش . وفي تفسير أبي المظفر السمعاني (١٩٧/٣) بدون نسبة : « ويقال : إن العدل زكاة الولاية ، والعفو زكاة القدرة ، والإحسان زكاة النعمة ، والكتب إلى الإخوان زكاة الجاه - يعني : كتب الوسيلة - » .

(٦) هو الطرطوشي في كتابه سراج الملوك ، الباب (١١) صـ٩٥ . وذكره بلا عزوٍ الأبشيهي في المستطرف صـ١٥٣ .

وليس كلُّ النفوس تصلح على العدل ، بل تطلب الإحسان وهو فوقَ العدل » ولذلك حكى القرطبي في « تفسيره » [(١)] أنَّ جماعةً رفعت عاملها إلى أبي جعفر المنصور ، فحاجها العامل وغلبها لأنهم لم يثبتوا عليه كبير [(٢)] ظلم ولا جور في شيء ، فقام فتى من القوم فقال : يا أمير المؤمنين إن الله أمر بالعدل والإحسان ، وإنه عَدَلَ ولم يُحسِن . قال : فعجب أبو جعفر من إصابته ، وعزل العامل .

وقد ورد في الإحسان عدة أحاديث :

منها - وهو أجمعها - قوله ﷺ : إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء .. الحديث رواه إمامنا أحمد رضي الله عنه ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه [(٣)] .

وفي حديث الحاكم [(٤)] عن ابن عَمْرٍو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من أحسن فيما بينه وبين الله تعالى كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته [(٥)] .

وفضل الإحسان مشهور .

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/١٦٨) ، والخبر في تفسير ابن عطية (٨/٤٩٧) .

(٢) في (ر ، أ) : كثير .

(٣) انظر مسند أحمد (٢٨/٣٧٦) برقم (١٧١١٣) وغيره ، وصحيح مسلم (١٩٥٥) ، وسنن أبي داود (٣/٣٦٨) برقم (٢٨٠٧) ، والترمذي (١٤٠٩) ، والنسائي (٧/٢٢٧) برقم (٤٤٠٥) ، وابن ماجه (٣١٧٠) . وهو الحديث السابع عشر من الأربعين النووية ، وقد تكلم عليه ابن رجب كلاماً حسناً فانظره في جامع العلوم والحكم (١/٣٧٩) .

(٤) في كتابه تاريخ نيسابور ، كما في الجامع الصغير ، وقال المناوي (٦/٣٨) : « هو من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده » . ولذلك زدت الواو لـ : « عَمْرو » ..

(٥) تتمة الحديث كما قال المناوي : « ومن عمل لآخرته كفاه الله ﷻ دنياه » .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ :

فهو صلة الرحم ، وهو داخل في الشفقة على الخلق ، بل هو أعظمها لما فيه مع الشفقة من صلة الرحم فهو تخصيصٌ إثر تعميم اهتماماً بشأنه ، وحضاً على الإحسان إليه ، (« وإنما خصَّ ذا القربى لأن حقوقهم آكد وصلتهم أوجب ، لتأكيد حق الرحم التي اشتق اسمها من اسمه تعالى ، وجعل صلتها من صلته » فقال سبحانه في الحديث القدسي الصحيح : أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك [(١)] ؟) [(٢)] .

وقد ورد في صلة الرحم عدة أحاديث :

منها ما روى البخاري [(٣)] أن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت : « يا نبي الله إنك أمرت اليوم بالصدقة ، وكان عندي حلي [لي] فأردت أن أتصدق به فزعم ابن مسعود أنه هو وولده أحق مَنْ تصدقتُ [به] عليهم ؟ فقال ﷺ : صدق ابن مسعود زوجُك وولدك أحقُّ مَنْ تصدقت [به عليهم] » .

و[قال رسول الله ﷺ : الصدقة على المسكين صدقة ، وهي] [(٤)] على ذي الرحم

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها كتاب التفسير ، باب تفسير سورة محمد . الفتح (٥٧٩/٨) ، ومسلم في كتاب البر ، باب صلة الرحم (١٩٨٠/٤) برقم (٢٥٥٤) .

(٢) ما بين القوسين الكبيرين من تفسير القرطبي (١٦٧/١٠) ، وما بين الهلالين الصغيرين أفاده القرطبي من كلام ابن العربي في أحكام القرآن (١٥٥/٣) .

(٣) كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الأقارب برقم (١٤٦٢) . الفتح (٣٢٥/٣) ، وما بين المعقوفتين منه. وللحديث طريق آخر عند البخاري (١٤٦٦) ، ومسلم (٦٩٤/٢) برقم (١٠٠٠) ، وانظر عن فقه الحديث فتح الباري (٣٢٩/٣-٣٣٠) .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة مني لا بد منها سقطت من النسخ الثلاث .

اثنتان : صدقة وصلة . رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم [1] .

وقال الشعبي رحمه الله : ما من مال أعظم أجراً من مالٍ يتركه الرجل لولده يغنيهم به عن الناس [2] لا سيما [3] ومع ذلك فقد قال ﷺ : صلة الرحم تزيد في العمر [4] ، وفي طريق آخر : صل رحمك يُزد في عمرك [5] .

وفي آخر : مَنْ أَحَبَّ أن يُنسأ له في عمره فليصل رحمه [6] .

وقد أطلت الكلام على هذا في كتابي « إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان » .

---

(١) انظر مسند أحمد (٤/١٧ ، ١٨ ، ٢١٤) ، وسنن الترمذي في الزكاة ، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة (٦٥٨) ، وسنن النسائي (٥/٩٢) ، وابن ماجه (١٨٤٤) ، والمستدرك (١/٤٠٧) ، ورواه آخرون انظر الإحسان (٨/١٣٣) برقم (٣٣٤٤) . وهو في الترغيب والترهيب (٢/٣٧) .

(٢) ذكره ابن قدامة في المغني (٨/٣٩٣) ، وقد رواه المروزي في كتاب البر والصلة صـ٩٨ ، برقم (١٨٥) ، وابن أبي الدنيا في إصلاح المال صـ ٣٤٤ ، برقم (٤٢٣) .

(٣) كذا في (ح ، ر ، أ) ، وكأنَّ فيه سقطاً .

(٤) رواه أبو الشيخ في الثواب ، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود . انظر كشف الخفاء (٢/٢٩) .

(٥) هذا من حديث لفظه : « يا ابن آدم ، اتق ربك وبر والديك ، وصل رحمك يزد لك في عمرك ، وييسر لك يسرك ، وتجنب عسرك ، ويبسط لك في رزقك ، يا ابن آدم ، أطع ربك تسمى عاقلاً ، ولا تعص ربك فتسمى جاهلاً » . وقد ذكره الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، وهو من كتاب العقل لداود بن المحبر ، وأحاديثه موضوعة . انظر المطالب العالية لابن حجر (٣/٢١٥) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم . الفتح (١٠/٤١٥) برقم (٥٩٨٦) وغير هذا الموضع . ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٤/١٩٨٢) برقم (٢٥٧٧) وغيرهما . وصلة الرحم كما قال المناوي في الفيض (٦/٣٤) : « تختلف باختلاف حال الواصل ، فتارة تكون بالإحسان ، وتارة بسلام وزيارة ونحو ذلك » .

خاتمة

اعلم – أيدك الله تعالى – أن مُعاشر الخلق يحتاج إلى أربعة أخلاق تجمع لصاحبها الفضائل كلّها وهي : الحلم والبسط والعدل والإحسان :

فبالحلم يحتمل الأذى والجفا ويكظم الغيظ ويداري الناس ويكون متأدباً ، وينفي عنه الطيش والحدة وغير ذلك من أضداد الحلم .

وبالبسط يكون مألوفاً ، مفشياً للسلام ، واسع الصدر ، قليل الغل والحقد ، متواضعاً ، وملاعباً ممازحاً بالحق للأهل والإخوان ، غير متكبر ولا معجب ، إلى غير ذلك من أضداد البسط المحمود .

وبالعدل يستقيم حالُهُ ويحسن مآلُهُ فينصف من نفسه ويكون منصفاً ، والإنصاف من النفس من أعظم الأخلاق الإيمانية ، ويأمر غيره بالإنصاف إذا رأى عنده انحرافاً أو غشاً ، وينفي عنه بذلك صفات الحيل والمداهنة « والخديعة والمكر إلى غير ذلك من أضداد العدل ، فإنّ المداهنةَ »[1] والملق في الدين مضيعةٌ ، والغضبُ في الله محمود وهو من العدل لأنه توفيةٌ لحق الله تعالى ، وكذلك النصح في الدين .

وبالإحسان يملك الكل فيحسن معاشرةَ عياله وأهله في الإنفاق وغير ذلك ، ويُحسن إلى ملك اليمين بالرفق ، ومع البهائم والحيوان كذلك ، وبالإحسان يعفو ويصفح ويكرم مَنْ أكرمه ، فإن زاد الإحسانَ فوصل مَنْ قطعه وأعطى مَنْ حرمه وعفا عمن ظلمه فقد عظم حظه وكان ممن قال الله تعالى فيه : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥] .

واعلمْ أنّ هذه الأخلاق الأربع مجموعةٌ في هذه الآية الشريفة ، بل في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ ، ومجموعة في قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

(١) ما بين القوسين سقط من (ر ، أ) .

[الأعراف : ١٩٩] مع قوله تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [المؤمنون : ٩٦ ، وغيرها] ،

فقوله : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ فيه معنى البسط كله الذي هو اللين والتنزل إلى كل أحد في أخلاقه ، ومعاشرته بما يليق به .

وقوله : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ هو العدل وإنصاف كل أحد من حقه ، لأن الأمر بالمعروف والعرف المعتاد يقتضي توفية الحقوق ديناً ودنيا .

وقوله : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ يقتضي الحلم والعفو والصفح وما في معناه [١] ، وقوله : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ يقتضي الإحسان والمداراة ومقابلة المسيء بالإحسان ، وما في معنى ذلك .

واعلم - أيدك الله - أنّ الجامع لهذه الأخلاق المحمودة كلها هو [٢] حسن الخلق :

روى أبو ذر أن رسول الله ﷺ قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » [٣] فجعل الخلق الحسن أكمل الإيمان .

وروى أبو ذر ﷺ قال : قلت : يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم خلقاً [٤] . فجعل حسن الخلق أفضل الإيمان .

---

(١) قال السيد الجليل جعفر الصادق رحمه الله ورضي عنه : ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية . اللباب لابن عادل (٤٣٢/٩) « الأعراف » . وقد خصها بعض العلماء برسالة ، وهي مخطوطة في مكتبة خدابخش بالهند « المجاميع (٢٦٣٥/٣١) » مؤرخة بـ (١٢٠٠ هـ) في (١٦) ورقة . انظر الفهرس الشامل (٩٣١/٢) .

(٢) في (ح ، ر) : هي .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢/٨) : « رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه علي بن سعيد بن بشير ، قال الدارقطني : ليس بذاك ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . وقد رواه غير أبي ذر ، وانظر الجامع الصغير بشرح المناوي (٩٧/٢-٩٨) ، ومجمع الزوائد (٢٠/٨-٢٢) .

(٤) حديث : « أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً » جاء عن أكثر من صحابي ، فأما حديث أبي ذر فهو حديث الأسئلة الطويل ، وقد رواه الحسن بن سفيان ، وابن حبان في الصحيح (٧٦/٢) برقم (٣٦١) - وانظر تعليق المحقق عليه - ، ورواه أبو نعيم في الحلية (١٦٦/١) ، وابن عساكر كما في كنز العمال (١٣١/١٦-١٣٤) برقم (٤٤١٥٨) ، ورواه أبو الحسن الخلعي في الجزء الثالث عشر من فوائده - كما في الفتح القدسي للبقاعي ص٩٣ - .

وقال ﷺ : إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون [(١)] .

وقد أكثر الناس الأقاويل في معنى حسن الخلق [(٢)] ، والذي يجمعها و [(٣)] يفسرها حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيح حين سئلت عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم : ٤] فقالت : « كان خلقه القرآن » [(٤)] يغضب لغضبه ويرضى

---

(١) ذكر الهيثمي عدة أحاديث في هذا السياق ، أقربها إلى المذكور هنا حديث عن أبي هريرة رواه الطبراني في الصغير والأوسط قال : « وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف » ا.هـ مجمع الزوائد (٢١/٨) وليس فيه : « وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة » . وهذه العبارة وردت في حديث عبد الله بن عمرو . قال الهيثمي (٢١/٨) : « رواه أحمد وإسناده جيد » .

(٢) قال المناوي في فيض القدير في شرح حديث : « إن أحسن الحسن الخلق الحسن » (٤١٧/٢) : « قال الغزالي : جمع بعضهم [هو الإمام يحيى بن معاذ كما جاء في تنبيه المغترين للشعراني صـ١٠٩] علامات حسن الخلق فقال : أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، بر وصول ، وقور صبور ، شكور حليم ، رفيق عفيف شفيق ، لا لعان ولا سباب ولا نمام ولا مغتاب ولا عجول ولا حقود ولا بخيل ولا حسود » . وانظر في هذا الموضوع الفيض أيضاً (٤٨٩/٣) ، وتفسير الخازن (٢٩٤/٤) .

(٣) سقط من (ر ، أ) .

(٤) روى مسلم (٥١٢/١) برقم (٧٤٦) من حديث سعد بن هشام في سؤالاته عائشة ... قال : فقلت : يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن .

وما بعده فلعله من حديث عائشة أيضاً : « .. ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه ، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها » رواه البخاري (٣٣٦٧) ط البغا ، ومسلم (٢٣٢٧) .

ومن حديث الحسن بن علي في سؤاله هند بن أبي هالة ، وفيه : « ... ولا تغضبه الدنيا ، ولا ما كان لها ، فإذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ... » . رواه الترمذي في الشمائل ، باب كيف كان كلام رسول الله ﷺ صـ١٣٣ ، برقم (٢٢٥) .

وروى البيهقي في دلائل النبوة (٣٠٩/١-٣١٠) بسنده إلى أبي الدرداء قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : « كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه » .

لرضاه ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله ﷻ فيغضب لله ، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد .

وفي هذا القدر كفاية ، وهو تمام النهاية ، وإلا فالكلام على هذه الآية كلها مما يطول [١] ، وفيه أبواب وفصول ، والله المسؤول أن يبلغ القصد والسول ، وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

قال مؤلفه – عليه رحمة الله [٢] – : تم بالجامع الأزهر سنة ..... [٣] وعشرين بعد الألف ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .



(١) لتتمة تفسير الآية انظر :

تفسير الطبري (١٤/١٦٢-١٦٣) ، والسمرقندي (٢/٢٤٧) ، وابن أبي زمنين (٢/٤١٦) ، والثعلبي (٦/٣٧) ، والواحدي « الوسيط » (٣/٧٩) ، وأبي المظفر السمعاني (٣/١٩٧) ، والبغوي (٥/٣٨-٣٩) ، وابن عطية (٨/٤٩٦-٤٩٧) ، وابن العربي « أحكام القرآن » (٣/١٥٥) ، وابن الجوزي « الزاد » (٤/٤٨٣-٤٨٤) ، والرازي (٢٠/١٠٧-١٠٨) ، والقرطبي (١٠/١٦٧-١٦٨) ، والنسفي (٢/٢٣٠) ، والبيضاوي صـ ٣٦٤ وحاشية الخفاجي عليه (٥/٣٦٣-٣٦٤) ، وأبي حيان : البحر (٥/٥٢٩-٥٣٠) والنهر (٣/٥١٧) ، والخازن (٣/١٣١) ، والبقاعي (١١/٢٣٨-٢٣٩) ، وابن عادل (١٢/١٤٢) ، والسيوطي : الدر (٤/١٤٣) والجلالين صـ ٢٢٣ ، وأبي السعود (٥/١٣٦) ، وابن عجيبة (٣/١٥٧) ، والشنقيطي (٣/٣٤٧) .

(٢) من (ر) ، وفي (أ) : تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته . وأثبت هذا لما فيه من الدعاء للمؤلف .

(٣) سهى ناسخ (ح) عن لفظ هنا ، بدلالة قوله : وعشرين . وجاء التاريخ في (ر ، أ) : سنة عشرين بعد الألف ! وهو غير صحيح .

المصادر

- كتب التفسير

١- أحكام القرآن ، ابن العربي ، تحـ : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١٦-١٩٩٦) .

٢- إرشاد العقل السليم ، أبو السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي - ط٤ (١٤١٤) .

٣- أضواء البيان ، الشنقيطي ، عالم الكتب - بيروت .

٤- الانتصاف من الكشاف ، ابن المنير : انظر الكشاف .

٥- أنوار التنزيل ، البيضاوي ، مصور عن الطبعة العثمانية (١٣٠٥) .

٦- البحر المحيط ، أبو حيان ، مصورة مؤسسة التاريخ العربي - بيروت .

٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ابن عجيبة ، تحـ : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، القاهرة (١٤١٩-١٩٩٩).

٨- التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٩- تفسير أبي الليث السمرقندي ، تحـ : علي معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية-بيروت ، ط١ (١٤١٣-١٩٩٣) .

١٠- تفسير أبي المظفر السمعاني ، تحـ : ياسر بن إبراهيم وزميله ، دار الوطن-الرياض ، ط١ (١٤١٨-١٩٩٧) .

١١- تفسير الجلالين ، البابي الحلبي ، القاهرة .

١٢- تفسير سفيان بن عيينة ، جمعه : أحمد صالح محايري ، المكتب الإسلامي ، ط١ (١٤٠٣-١٩٨٣) .

١٣- تفسير الشعراوي ، أخبار اليوم-القاهرة (د . ت) .

١٤- تفسير القرآن العزيز ، ابن أبي زمنين ، تحـ : حسين عكاشة ومحمد الكنز ، الفاروق الحديثة - القاهرة ، ط١ (١٤٢٣-٢٠٠٢) .

١٥- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الفكر-بيروت .

١٦- تفسير مقاتل بن سليمان ، تحـ : د. عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط؟ (١٤٢٣-٢٠٠٢) .

١٧- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، اختصره الصابوني ، دار القلم-دمشق ، ط١ (١٤٠٨-١٩٨٨) .

١٨- جامع البيان ، الطبري ، دار الفكر-بيروت .

١٩- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، مصور عن الطبعة المصرية بتصحيح أحمد البردوني .

٢٠- حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي ، مصورة دار صادر-بيروت .

٢١- حاشية الصاوي على الجلالين ، دار الكتب العلمية-بيروت .
٢٢- الدر المنثور ، السيوطي ، الأنوار المحمدية-القاهرة .
٢٣- زاد المسير ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي-بيروت ، ط٤ (١٤٠٧-١٩٨٧) .
٢٤- الفتح القدسي في آية الكرسي ، البقاعي ، تحـ : د . عبد الحكيم الأنيس ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث-دبي ، ط١ (١٤٢٢-٢٠٠١) .
٢٥- الكشاف ، الزمخشري ، دار الكتاب العربي-بيروت .
٢٦- الكشف والبيان ، الثعلبي ، تحـ : الإمام أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ (١٤٢٢-٢٠٠٢) .
٢٧- الكلمات البينات في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ ، الكرمي المقدسي ، تحـ : د . عبد الحكيم الأنيس ، مجلة الأحمدية ، العدد (٦) ، جمادى الأولى/١٤٢١- آب/٢٠٠٠ .
٢٨- لباب التأويل ، الخازن ، دار الفكر-بيروت .
٢٩- اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل ، تحـ : عادل أحمد عبد الموجود وزميله ، دار الكتب العلمية-بيروت ، ط١ (١٤١٩-١٩٩٨) .
٣٠- محاسن التأويل ، القاسمي ، دار إحياء التراث العربي-بيروت .
٣١- المحرر الوجيز ، ابن عطية ، تحـ : الرحالي الفاروق وآخرين ، الدوحة ، ط١ (١٣٩٨-١٩٧٧) .
٣٢- مدارك التنزيل ، النسفي ، تحـ : يوسف علي بديوي ، دار ابن كثير-دمشق ، ط١ (١٤١٩-١٩٩٨) .
٣٣- معالم التنزيل ، البغوي ، تحـ : محمد النمر وآخرين ، دار طيبة-الرياض (١٤٠٩) .
٣٤- مفاتيح الغيب ، الرازي ، دار الفكر-بيروت ، (١٤١٤-١٩٩٣) .
٣٥- نظم الدرر ، البقاعي ، الطبعة الهندية .
٣٦- النهر الماد ، أبو حيان ، تحـ : د . عمر الأسعد ، دار الجيل-بيروت .
٣٧- هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان ، عبد الله سراج الدين ، مطبعة الأصيل-حلب ، ط١ (١٤٠٨-١٩٨٨) .
٣٨- الوسيط ، الواحدي ، تحـ : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية-بيروت ، ط١ (١٤١٥-١٩٩٤).

- كتب علوم القرآن

٣٩- أسباب النزول ، الواحدي ، تحـ : أيمن صالح شعبان ، دار الحديث-القاهرة .
٤٠- إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس ، تحـ : زهير غازي زاهد ، عالم الكتب-بيروت ، ط٢ (١٤٠٥) .
٤١- الجدول في إعراب القرآن وصرفه ونحوه ، محمود صافي ، دار الرشيد-دمشق ، ط٣ (١٤١٦-١٩٩٥) .

٤٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي ، تحـ : د . أحمد الخراط ، دار القلم-دمشق ، ط١ (١٤٠٦-١٩٨٦) .
٤٣- فرائد فوائد قلائد المرجان ، الكرمي المقدسي (مخطوط) .
٤٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، السمين الحلبي ، تحـ : عبد السلام التونجي ، ليبيا .
٤٥- مفردات القرآن ، الراغب ، تحـ : صفوان داوودي ، دار القلم-دمشق ، ط١ (١٤١٢-١٩٩٢) .
٤٦- المكي والمدني في القرآن الكريم ، عبد الرزاق حسين أحمد ، دار ابن عفان-القاهرة ، ط١ (١٤٢٠-١٩٩٩) .

- **كتب الحديث النبوي وعلومه**

٤٧- الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان ، ابن بلبان ، تحـ : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ (١٤١٤-١٩٩٣) .
٤٨- الأدب المفرد ، البخاري ، دار البشائر الإسلامية ، ط٤ (١٤١٧-١٩٩٧) .
٤٩- الأربعون النووية : انظر جامع العلوم والحكم .
٥٠- استدراكات البعث والنشور ، عامر أحمد حيدر ، دار الفكر-بيروت ، (١٩٩٣) .
٥١- إصلاح المال ، ابن أبي الدنيا ، تحـ : مصطفى مفلح القضاة ، دار الوفاء-المنصورة ، ط١ (١٤١٠-١٩٩٠).
٥٢- البر والصلة ، المروزي ، تحـ : د. محمد سعيد بخاري ، دار الوطن-الرياض ، ط١ (١٤١٩) .
٥٣- البعث والنشور ، البيهقي ، تحـ : عامر أحمد حيدر ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية-بيروت ، ط١ (١٤٠٦-١٩٨٦).
٥٤- تخريج أحاديث العادلين ، السخاوي ، تحـ : مشهور سلمان ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ (١٩٨٨) .
٥٥- الترغيب والترهيب ، المنذري ، تحـ : مصطفى عمارة ، دار الريان للتراث ، (١٤٠٧-١٩٨٧) .
٥٦- الجامع ، الترمذي ، تحـ : د . بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي-بيروت ، ط١ (١٩٩٦) .
٥٧- الجامع الصغير ، السيوطي : انظر فيض القدير .
٥٨- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، تحـ : شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ (١٤١٤-١٩٩٤).
٥٩- دلائل النبوة ، أبو نعيم الأصبهاني ، عالم الكتب-بيروت ، ط١ (١٤٠٩-١٩٨٨) .
٦٠- دلائل النبوة ، البيهقي ، تحـ : عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤٠٥-١٩٨٥) .
٦١- السنن ، أبو داود ، تحـ : محمد عوامة ، دار القبلة-جدة ، ط١ (١٤١٩-١٩٩٨) .
٦٢- السنن ، ابن ماجه ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، مصورة دار إحياء التراث العربي-بيروت .
٦٣- السنن ، النسائي ، بعناية عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية-بيروت ، ط٤ (١٤١٤-١٩٩٤) .

٦٤- شعب الإيمان ، البيهقي ، الطبعة الهندية .
٦٥- شمائل النبي ﷺ ، الترمذي ، تحـ : ماهر ياسين فحل ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ (٢٠٠٠) .
٦٦- صحيح البخاري ، (إن لم يذكر فتح الباري معه فالمقصود طبعة الدكتور مصطفى البغا) .
٦٧- صحيح مسلم ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية-بيروت ، (١٤١٣) .
٦٨- فتح الباري ، ابن حجر ، السلفية .
٦٩- الفردوس ، الديلمي ، طبعة فواز زمرلي وزميله ، دار الكتاب العربي ، ط١ (١٤٠٧-١٩٨٧) .
٧٠- فيض القدير ، المناوي ، مصورة دار الفكر-بيروت .
٧١- كشف الخفاء ، العجلوني ، مؤسسة الرسالة ، ط٦ (١٤١٦-١٩٩٦) .
٧٢- كنز العمال ، المتقي الهندي ، مؤسسة الرسالة .
٧٣- مجمع الزوائد ، الهيثمي ، دار الكتاب العربي-بيروت .
٧٤- المستدرك ، الحاكم ، مصورة دار الفكر-بيروت .
٧٥- مسند أحمد ، طبعة أحمد شاكر ، دار المعارف-مصر . وطبعة مؤسسة الرسالة .
٧٦- المعجم الأوسط ، الطبراني ، تحـ : طارق عوض الله وزميله ، القاهرة (١٤١٥-١٩٩٥) .
٧٧- المطالب العالية ، ابن حجر ، تحـ : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار المعرفة-بيروت ، (١٤١٤-١٩٩٣) .
٧٨- المقاصد الحسنة ، السخاوي ، مصورة دار الكتب العلمية-بيروت ، ط١ (١٤٠٧) .
٧٩- النهاية ، ابن الأثير ، تحـ : الزاوي والطناجي ، المكتبة العلمية-بيروت .

- كتب التراجم والرجال والفهارس

٨٠- الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، مصورة مؤسسة التاريخ العربي-بيروت .
٨١- تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، تقديم عبد الله مسعود ، دار القلم العربي-حلب ، (١٤١٣-١٩٩٣) .
٨٢- تقريب التهذيب ، ابن حجر ، تحـ : محمد عوامة ، دار ابن حزم ، ط١ (١٤٢٠-١٩٩٩) .
٨٣- حلية الأولياء ، أبو نعيم ، مصورة دار الكتاب العربي-بيروت .
٨٤- خلاصة الأثر ، المحبي ، مصورة مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة .
٨٥- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ، ابن حميد ، تحـ : بكر أبو زيد وعبد الرحمن العثيمين ، مؤسسة الرسالة ، ط١ (١٤١٦-١٩٩٦) .
٨٦- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (قسم التفسير) ، مؤسسة آل البيت-عمان ، (١٩٨٩) .
٨٧- فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ، سالم عبد الرزاق أحمد ، مطابع دار الكتب-الموصل ، ط٢ (١٤٠٢-١٩٨٢) .
٨٨- مختصر طبقات الحنابلة ، الشطي ، دراسة (!) فواز زمرلي ، دار الكتاب العربي-بيروت .

٨٩- معجم المؤلفين ، كحالة ، مؤسسة الرسالة-بيروت ، ط١ (١٤١٤-١٩٩٣) .
٩٠- النعت الأكمل ، الغزي ، تحـ : محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة ، دار الفكر-دمشق .
٩١- نفحة الريحانة ، المحبي ، تحـ : عبد الفتاح الحلو ، البابي الحلبي .
٩٢- نهر الذهب في تاريخ حلب ، بشير الغزي ، دار القلم العربي - حلب ، ط٢ (١٤١٢-١٩٩١) .
٩٣- هدية العارفين ، البغدادي ، مصورة دار إحياء التراث العربي-بيروت .
٩٤- الوافي بالوفيات ، الصفدي ، تحـ : مجموعة من المحققين ، النشرات الإسلامية الألمانية .

- كتب في النظام السياسي الإسلامي

٩٥- تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، الماوردي ، تحـ : محيي هلال السرحان ، دار النهضة العربية-بيروت ، ط١ (١٤٠١-١٩٨١) . وله طبعة بعنوان « درر السلوك في سياسة الملوك » ، فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن-الرياض ، (١٤١٧-١٩٩٧) .
٩٦- الجوهر النفيس في سياسة الرئيس ، محمد بن منصور بن حبيش (ابن الحداد) ، مكتبة نزار الباز-مكة، ط١ (١٤١٧-١٩٩٦) .
٩٧- الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ، محمود بن إسماعيل الخيربيتي ، مكتبة نزار الباز-مكة ، ط١ (١٤١٧-١٩٩٦) .
٩٨- سراج الملوك ، أبو بكر الطرطوشي ، المكتبة المحمودية - القاهرة ، ط١ (١٣٥٤-١٩٣٥) .
٩٩- الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، أبو القاسم ابن رضوان المالقي ، تحـ : د . علي سامي النشار ، دار الثقافة-الدار البيضاء ، ط١ (١٤٠٤-١٩٨٤) .
١٠٠- قوانين الوزارة ، الماوردي ، تحـ : د . فؤاد عبد المنعم أحمد و د . محمد سليمان داود ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ط٣ .
١٠١- المسرة والبشارة في أخبار السلطنة والوزارة ، مرعي الكرمي المقدسي ، تحـ : د. محمد عبد القادر خريسات ، مركز زايد للتراث والتاريخ - العين ، ط١ (١٤٢٣-٢٠٠٢) .
١٠٢- المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، عبد الرحمن بن عبد الله الشيزري ، تحـ : علي عبد الله الموسى ، مكتبة المنار-الزرقاء ، ط١ (١٩٨٧) .
١٠٣- النصائح المهمة للملوك والأئمة ، علي (علوان) بن عطية الهيتي الحموي ، تحـ : نشوة العلواني ، دار المكتبي-دمشق ، ط١ (١٤٢٠-٢٠٠٠) .
١٠٤- نصيحة الملوك ، الماوردي ، تحـ : د . فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة-الإسكندرية ، (١٩٨٨) .
١٠٥- النفع الغزير في صلاح السلطان والوزير ، أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري ، تحـ : د . فؤاد عبد المنعم أحمد ، مركز الإسكندرية للكتاب ، (د . ت) .

- كتب السلوك

١٠٦- إحياء علوم الدين ، الغزالي ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٦-١٩٨٦) .

١٠٧- الاستقامة ، ابن تيمية ، تحـ : د . محمد رشاد سالم ، مكتبة السنة ، ط٢ (١٤٠٩) .

١٠٨- تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر ، الشعراني ، ضبطه وعلق عليه : عبد الجليل العطا « البكري » ، دار البشائر - دمشق ، ط٧ (١٤٢١-٢٠٠١) .

١٠٩- الجواب الكافي ، ابن القيم ، تحـ : عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث-القاهرة .

١١٠- قوت القلوب ، أبو طالب المكي ، مطبعة الأنوار المحمدية-القاهرة ، (١٤٠٥-١٩٨٥) .

- كتب اللغة وآدابها

١١١- بهجة المجالس ، ابن عبد البر ، تحـ : محمد مرسي الخولي ، مصورة دار الكتب العلمية-بيروت .

١١٢- حاشية الصبان على شرح الألفية للأشموني ، البابي الحلبي .

١١٣- ديوان الشريف الرضي ، دار صادر-بيروت .

١١٤- ربيع الأبرار ، الزمخشري ، تحـ : عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمي-بيروت ، ط١ (١٤١٢-١٩٩٢) .

١١٥- القاموس ، الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة .

١١٦- كشف العما عن معاني لاسيما ، إبراهيم بن محمد المزجاجي ، تحـ : د. محمد عادل شوك ، مجلة تهامة الصادرة عن جامعة الحديدة-اليمن ، العدد (٣) ، (٢٠٠١م) .

١١٧- مختار الصحاح ، الرازي ، المكتبة العصرية .

١١٨- المستطرف في كل فن مستظرف ، الأبشيهي ، اعتنى به : محمد خير طعمة حلبي ، دار المعرفة - بيروت ، ط١ (١٤١٩-١٩٩٨) .

- كتب أخرى متنوعة

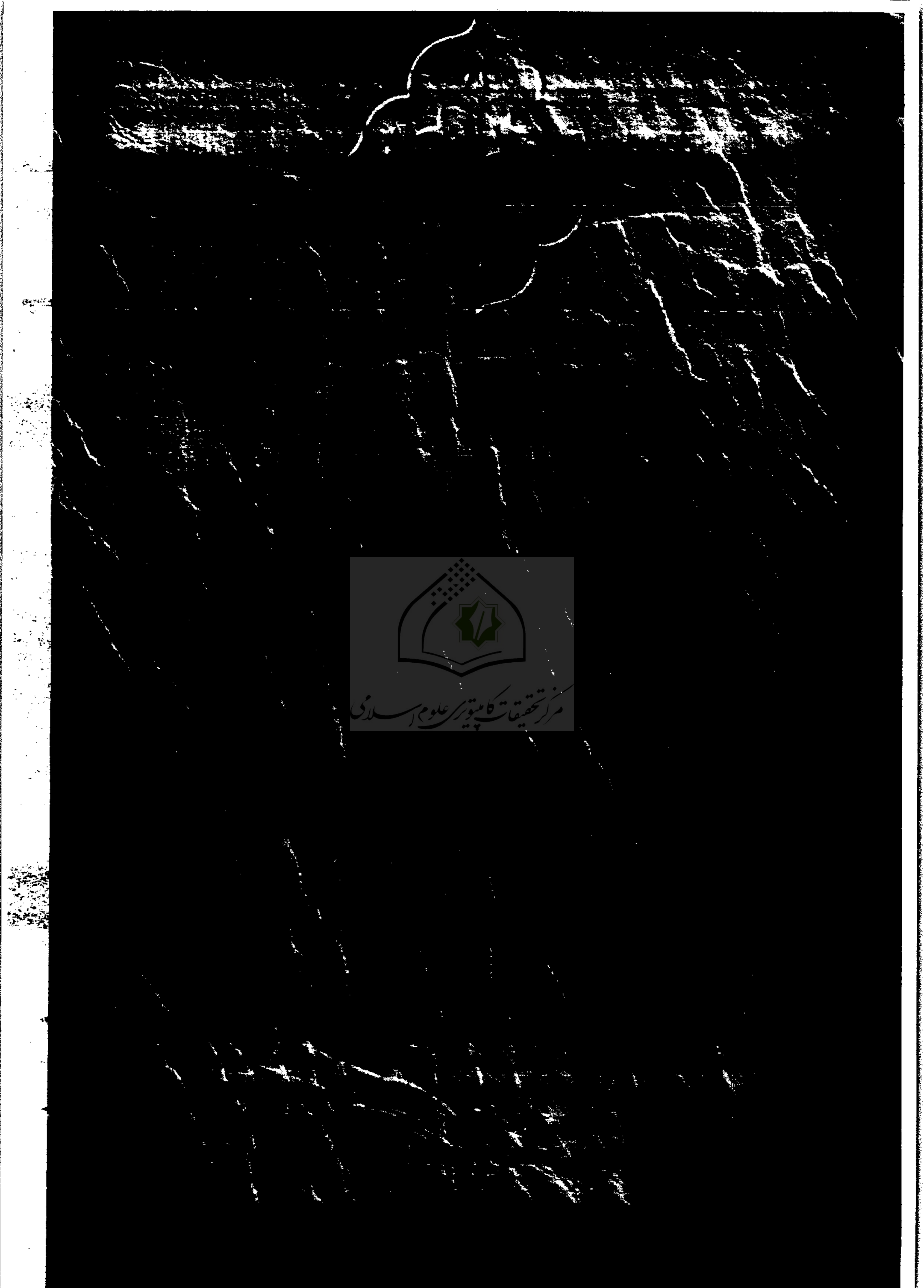
١١٩- إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان ، الكرمي المقدسي ، تحـ : مشهور سلمان ، دار عمار ، ط١ (١٤٠٥) .

١٢٠- الأسماء والصفات ، البيهقي ، تحـ : عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي-جدة ، ط١ (١٤١٣-١٩٩٣) .

١٢١- حياة الحيوان الكبرى ، الدميري ، مصورة دار إحياء التراث العربي .

١٢٢- مجموع فتاوى ابن تيمية ، الرياض ، (د . ت) .

١٢٣- المغني ، ابن قدامة ، تحـ : التركي والحلو ، هجر للطباعة-القاهرة ، ط٢ (١٤١٢-١٩٩٢) .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة

الحمد لله ذي المنن العلية ، المتفضل على الخلائق بالنعم الخفية والجلية ، الذي يسر القرآن العظيم بلسان خير البرية ، فصلى الله عليه وسلم صلاة أبدية سرمدية ، تليق بالصفات الإلهية ، وعلى آله وصحبه ذوي المراتب العلية، والأنوار البهية . أما بعد :

فإن فضل رسول الله ﷺ لا تحيط به الأفهام ، ولا تناله الأوهام ، وهو أعز وأجل من أن تخطه الأقلام ، وما كتبه أهل العلم في شمائله إنما هي شذرات تشير إلى سموّ مقامه ، وعلو مرتبته على الخلق ؛ لأنه لا يعرف مقدار سيدنا رسول الله ﷺ إلا الله ﷻ . ورحم الله القائل :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وكلما نظر الدارس في آيات الله ﷻ وجدها تنظم تاج المجد والشرف ، وتعقد الألوية، لسناءاته وفضائله عليه الصلاة والسلام ، ومن بين تلك الألوية الخفاقة في سماء المجد، ومن بين تيجان الفخار تيسير القرآن العظيم بلسانه الشريف ﷺ ، وهو بحث يخاض فيه لأول مرة على هذا الوجه من الدراسة ، مع العلم أنّ موضوع تيسير القرآن الكريم بلسان النبيّ ﷺ أمر اكتنفه الغموض ، ولا سيّما إذا عرفنا أنّ المفسرين قد حملوا التيسير بلسانه ﷺ على اللغة العربية ، وهو قصر للمعنى على أقلّ مايحتمله ، وربما كان من أدنى المعاني المحتملة . ومع هذا الغموض يلاحظ عدم عناية الدارسين من قبل بهذا الجانب ، ومن ثمّ عدم تجلية معنى هذا التيسير بالمعنى الشمولي العام . لذا توجه الباحث لدراسة هذا الموضوع ؛ خدمة للقرآن المجيد ، وخدمة لجناب الحبيب المصطفى ﷺ ، راجياً المولى ﷻ إلهام الصواب والرشاد ، وأن أكون بذلك في عداد خدام كتاب الله ﷻ ، و ممّن خدم جنابه الشريف ﷺ . ورحم الله القائل :

وما التزمتُ قوافي الشعر أمدحكم إلا لأدعى لكم من جملة الخدم

وهذا هو البحث بين يدي القارئ الكريم فإن أصبت فمن الله ﷻ وله الفضل والمنة، وإن جانبت الصواب فمن نفسي ومن الشيطان ، وحسبي أني بذلت الجهد وأفرغت الوسع ، والله حسبي وهو نعم الوكيل .

الدراسة التحليلية

المبحث الأول : آيات التيسير المطلق

قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧ و٢١ و٣٠ و٤٠] وردت هذه الآية مكررة في سورة واحدة أربع مرات، وهي سورة مكية حملت كل صفات وخصائص السور المكية وآياتها .

وكانت الخاتمة لأربع قصص من القصص القرآني :

١- قصة نوح عليه السلام مع قومه .

٢- قصة هود عليه السلام مع عاد .

٣- قصة صالح عليه السلام مع ثمود .

٤- قصة لوط عليه السلام مع قومه .

المطلب الأول : مناسبات هذه الآيات وأجواؤها

الفرع الأول : افتتاحية سورة القمر : افتتحت السورة بالحديث عن اقتراب الساعة وانشقاق القمر، ثم فصلت أحوال العرب في مواجهة سيدنا رسول الله ﷺ ، فقد جاءهم من الآيات والأخبار ما فيه ازدجار لهم ، ومنع عمّا هم فيه من القبائح . وهذه الأنباء إنما هي حكمة بالغة واصلة غاية الدقة والإحكام لا خلل فيها ، ولكن دأب هؤلاء القوم أنهم : ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ ﴾ [القمر : ٢] عن التأمل فيها ليقفوا على وجه دلالتها وعلو طبقتها . ولم يكتفوا بالإعراض فحسب بل راحوا يكيلون التهم الباطلة ﴿ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر: ٢] أي : إن ما يرونه من الآيات البينات إنما هو سحر مستمر مطرد دائم يأتي به محمد ﷺ على مرّ الزمان ، وهو ظاهر في ترادف الآيات وتتابع المعجزات .

والنتيجة :

١- أنهم كذبوا الرسول وكذبوا المُرْسِل وكذّبوا الآيات البينات .

٢- لما تنازع الحق والهوى ، تغلبت الأهواء على الحق ، فاتبعوا أهواءهم .

٣- اتبعوا العادات المستقرة في الآباء ، وتركوا الحق الذي جاءهم به الرسول ﷺ .

ثم أُمِر النبي ﷺ بالإعراض والتولي عنهم ، ليبصر حالهم وقد دعاهم الداعي إلى أمر فظيع منكر ، فهذه أبصارهم خاشعة ، يخرجون من القبور كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموُّج والانتشار في الأقطار ، مع افتقاد جهة الأمان ، حيث يموجون فزعين مذهولين لا يهتدون طريقاً إلا طريق جهنم ، زد إلى ذلك السرعة الفائقة في الاستجابة للدعوة ، مادين أعناقهم، فاتحين آذانهم إلى الصوت ، ناظرين إليه ، كأنها سمرت في جهة الصوت .

حينذاك يقول الكافرون : ﴿ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ﴾ صعب شديد ، لما يشاهدون من ألوان الهول، وما يرقبون من سوء المنقلب [١] .

الفرع الثاني : قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه : بعد أن عرضت الآيات السابقة مشهد الكفار يوم القيامة ، لفتت الآيات التالية الأنظار إلى النموذج الأول في التكذيب وهم قوم نوح عليه السلام ؛ أي : ليس هؤلاء هم المكذبون فحسب ؛ بل هناك من سبقهم ، وأول السابقين في هذا الميدان هم قوم نوح عليه السلام ، حيث كذبوا نوحاً عليه السلام ، واتهموه بالجنون ، ومنعوه من تبليغ أمر الله عز وجل ، فلما يئس من إيمانهم ، وعلم أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ، ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ ﴾ [القمر : ١٠] ؛ فانتقم لي منهم ، وانتصر لنفسك إذ كذبوا رسولك . فاستجاب الله عز وجل له في إهلاك قومه وإنجائه ومن معه ، فأهلك قومه بالطوفان ، حيث فتحت السماء أبوابها بماء منهمر مدة أربعين يوماً وانفجرت الأرض عيوناً ، فاختلط ماء السماء وماء الأرض لقضاء مراد الله تعالى في إهلاك قوم نوح عليه السلام . ونجّاه تعالى بأن حمله هو والذين آمنوا معه في السفينة ، فكانت تطفو على وجه الماء تحت رعاية الله عز وجل و عنايته .

فكانت هذه العقوبة جزاء كفران قوم نوح عليه السلام ، ولقد أبقى الله عز وجل هذه السفينة آية بينة لإنجاء نوح عليه السلام ومن معه وإغراق من كفر به ، بقيت السفينة بخشبها ودسرها [٢]

---

(١) ينظر روح المعاني (٢٧/٧٦-٨١) ، حاشية الشهاب (٨/١١٧-١٢٢) .
(٢) الدسر : المسامير . مفردات ألفاظ القرآن صـ ٣١٤ .

كما اكتشفها علماء الآثار ، وبقيت بخبرها أو بقيت بجنسها بإبقاء السفن ، فهل من معتبر بتلك الآية الحريَّة بالاعتبار ؟

وختمت هذه القصة بقوله ﷻ : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ١٦] وهو استفهام تعظيم وتعجيب ، والمعنى : أنهما كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف[(١)] .

مناسبة السباق والسياق :

مناسبة السباق : للمفسرين فيها وجوه :

أ – لما كان هذا التفصيل مما أنزل أول القرآن تيسيراً على هذه الأمّة نبه على ذلك بقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧][(٢)] .

ب– لما أبلغت هذه النذارات بالقرآن الكريم ، والمشركون معرضون عن استماعه ، حارمين أنفسهم من التمتع بفوائده ، ذيّل خبرهم بالتنويه بشأن القرآن العظيم ؛ بأنه من عند الله ﷻ ، وأن الله ﷻ يسّره وسهّله ، ليذكّر الخلق بما يحتاجون إليه من ألوان التذكير في طريق الهدى والرشاد ، فقال ﷻ :﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[(٣)] .

مناسبة السياق : ولما انقضت قصة نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم ، كان ذلك موجباً لكل سامع أن يظن أنه لن يكذّب أحد بعدهم ، ولا يقصر مقصر في حق الله ﷻ ورسله ، حتى وإن لم يرسل الله ﷻ رسولاً ، فكيف إذا أرسل ؟! فكأن القلب حينذاك قد تشوّق إلى علم ما كان بعده : هل كان الأمر كما ظنه ، أم أن الناس رجعوا إلى طباعهم وأهوائهم ؟ فأجيب بقوله ﷻ : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ١٨] ؛ لأن قصة عاد أعظم قصة جرت بعد قوم نوح عليه السلام فيما يعرفه العرب ؛ فيصلح أن يكون واعظاً لهم ، حيث أوقعت عاد التكذيب العام المطلق الذي أوجب تكذيبهم برسول الله هود عليه السلام[(٤)] .

---

(١) ينظر روح المعاني (٢٧/٨١–٨٤)، نظم الدرر (٧/٣٤٥–٣٥٢)، حاشية الشهاب (٨/١٢٢–١٢٤) .
(٢) نظم الدرر (٧/٣٥٢) .
(٣) التحرير والتنوير (٢٧/١٨٧–١٨٨) .
(٤) نظم الدرر (٧/٣٥٥) .

فكأنّ قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ في ختام قصة قوم نوح عليه السلام وبداية قصة عاد مع هود عليه السلام ، تذكير لهذه الأمة بالمنة العظمى والنعمة الكبرى التي أسداها الله ﷻ بفضل هذا الرسول الكريم ، الموجبين لدوام العرفان بالجميل ودوام الشكر ، وبذلك يقف المسلم على لمحة وبارقة من كونه ﷺ رحمة للعالمين ، ويفهم من ظلال هذه الآيات :

١- أن أمة سيدنا محمد ﷺ لن تكون كأمة نوح جحوداً أو كفراً .

٢- أن هذه الأمة لن يهلكها الله ﷻ بالغرق كما أهلك قوم نوح عليه السلام .

٣- أن كتاب هذه الأمة مميز عن كتب جميع الأنبياء والمرسلين وصحفهم فهو ميسر للذكر ، ميسر للعظة والاعتبار، أكثر مما سواه .

٤- إذا كانت نهاية قوم نوح تدعو إلى الاعتبار والاتعاظ ، وحياة نوح عليه السلام كذلك ؛ فإن القرآن الكريم أيسر منالاً وأقرب مأخذاً .

الفرع الثالث : قصة هود عليه السلام مع قومه عاد : افتتحت القصة بالإخبار عن تكذيب عاد لرسول الله هود عليه السلام ، ثم انتقلت إلى ذكر العذاب الذي حل بهم ؛ حيث أرسل الله ﷻ عليهم ريحاً شديدة باردة ذات أصوات مدوية ، في يوم مشؤوم عليهم حتى يهلكهم في الدنيا ، ثم لم يزالوا معذبين في البرزخ حتى يدخلوا جهنم يوم القيامة . سخّر الله ﷻ هذه الريح عليهم سبع ليال وثمانية أيام (والمراد النهار) ، فكانت تنزع الناس من أماكنهم ، كما تقتلع الأشجار من جذورها ، وتلقيها حيث يشاء الله ﷻ ، وشبههم الله ﷻ بأصول النخل المنقعر ، الذي أكلت الآفات لبّ جذعه وبقيت حوافه فلا قوة فيها ولا حياة، وبالسهولة اقتلاعها من مغارسها .

وقيل : شبهوا بأعجاز النخل ؛ لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى أجساداً بلا رؤوس ، ويزيد هذا التشبيه حسناً : أن قوم عاد ذوو جثث عظيمة وقامات طويلة .

وختمت القصة بقوله ﷻ : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ٢١] ؟ استفهام تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما [١] .

---

(١) نظم الدرر (٧/٣٥٦-٣٥٧) ، حاشية الشهاب (٨/١٢٤) ، روح المعاني (٢٧/٨٥-٨٧) .

مناسبة السباق والسياق :

مناسبة السباق : لمّا أتمّ الله ﷻ تحذيره من مثل حالهم ، أتبع ذلك التنبيه على أنه ينبغي للسامع أن يتوقع الحث على ذلك ، فقال مؤكداً لما لأكثر السامعين من التكذيب بالقال أو بالحال ، معلماً أنه سهل طريق الفرار من مثل هذه الفتن الكبار إليه ، وسوى طريق الاعتماد عليه ، عائداً إلى مظهر العظمة ، إيذاناً بأن تيسير القرآن لما ذكر من إعجازه لا يكون إلا لعظمة تفوت قوى البشر ، وتعجز عنها القدر ، فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ [القمر :٢٢] .

مناسبة السياق : لما كان هذا الموضع موضع الإقبال على تدبر مواعظ القرآن ، وكانت أخبار ثمود أعظم عظة كانت بعد عاد ، وذلك لما في الصيحة التي أرسلت عليهم من الخروج عن المعهود ، وفيها تصوير الساعة ونفخاتها وصعقاتها المميتة للخلق والمحيية لهم ، قال الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴾ [القمر : ٢٣] فأنّث فعلهم إشارة إلى ضعفهم وسفول هممهم ، وتدني مستوى أفعالهم [١] . قلت : صحيح أن التأنيث دليل على الضعف على جهة العموم لكن ليس ذلك أمراً لازماً . وإنما المراد أنّ الإنسان عندما ينحط عن مستوى بشريته إلى حضيض أهوائه وشهواته فإنّ همته تسفل وفعله يتدنى .

فكان قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ إعادة تذكير لهذه الأمة بالأفضال والمنن ، وما يجب عليها إزاء ذلك من جميل الشكر وحسن الطاعة والاتباع ، ويفهم من ظلال هذه الآيات :

١- أنّ الأمة الإسلامية لن يهلكها الله ﷻ بالريح العقيم ، كما أهلك عاداً .

٢- أن الله ﷻ سيمهل هذه الأمة إكراماً لنبيها ، على خلاف قوم عاد فإن الله ﷻ لم يمهلهم ، بل سلّط عليهم عذاب الاستئصال ، فلم يبق منهم أحداً ، وهذه الأمة لا تُستأْصَل وإن خالفت .

---

(١) نظم الدرر (٣٥٧/٧) .

٣- أن التيسير الحاصل في القرآن الكريم ليس موجوداً في دعوة هود ﷺ ، وأن هذه النعمة أسبغت على الأمة الإسلامية ، ولم تحظ بها عاد .

٤- أن إهلاك المكذبين بريح صرصر في يوم نحسٍ مستمر ، كانت تنْزع الناس من مساكنهم وأكنانهم وتقذفهم خارجها ، فيها عبرة لكل معتبر ، وزجر لكل من يخاف عذاب الله ﷻ ونذره .

ولكنّ في القرآن العظيم عبراً ميسورة أسهل استخلاصاً ، وأقرب منالاً ؛ إذ شتان ما بين عبرة تكون بعد العذاب والمشاق والآلام ، وعبرة تنال بأيسر السبل وأسهل المسالك من غير مآس ولا آلام .

الفرع الرابع : قصة صالح ﷺ مع قومه ثمود : افتتحت القصة بالإخبار عن تكذيب ثمود للمرسلين ، ثم ذكرت وجه اعتراضهم على صالح ﷺ ، ويبدو أنهم أول من استعمل هذه الحجة ؛ لأن الله ﷻ لم يذكرها من قبل ، أو أنها كانت إلا أن ثمود بلغت الغاية في الاحتجاج بها ، وهي :

١- أن الرسول بشر منهم : وهذه الحجة تكررت عند جميع الأمم ، لذلك كان وصف الرسول بالبشرية مجرداً عن النبوة والرسالة من شعائر الكفار والمشركين [١] .

٢- أنه من جنسهم ، لا فضل له عليهم ، فما وجه اختصاصه بذلك من بينهم ؟

٣- أنه واحد في رسالته ليس معه رسول آخر يعينه ، وليس معه من يؤمن به ويتبعه ، وهو واحد من آحادهم لا من أشرافهم وساداتهم .

٤- أنهم إن اتبعوا صالحاً ﷺ كانوا في ضلال يقودهم في النهاية إلى السعير .

٥- أن صالحاً ﷺ كذاب أشر ، حملته شدة بطره على طلب الترفع والتعظيم عليهم على ادعاء النبوة والرسالة .

ولما كان هذا غاية الذم لمن هو بالمدح حقيق ، أجاب الله ﷻ عنه مهدداً لهم ، وواعظاً عباده المؤمنين ، لئلا يقولوا ما يعلمون بطلانه ، أو يقولوا ما لا يعلمون صحته ،

---

(١) للمزيد ينظر : مقدمة مواضع الاقتران في القرآن الكريم بين اسم الله تعالى والرسول محمد ﷺ في المسائل الاعتقادية ، للباحث . رسالة دكتوراه .

بقوله ﷻ : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ [القمر : ٢٦] ، ثم ذكر الله ﷻ مبادئ ضلالهم ، وأنّ الله ﷻ أرسل لهم الناقة معجزة لسيدنا صالح الطَّيِّلا ، وفتنة لهم ، حيث قسم الماء يوماً للناقة ويوماً لهم ، فلم يرضهم ذلك فتنادوا لعقرها ، ورشحوا لهذا الأمر أجرأهم على ذلك وهو أحمر ثمود ، فعقر الناقة عن رضا قومه ، فكان عقرها إيذاناً بنهاية الإمهال وبداية وقوع العذاب .

فأرسل الله ﷻ عليهم صيحة واحدة ، صاحها جبريل الطَّيِّلا ، كانت بمثابة الصاعقة ، فأحرقت أجسادهم بالشحنة الكهربائية التي في الصعقة ، فصاروا كالعشب اليابس الذي يجمعه من يريد حرقه أو إطعامه لماشيته [١] .

مناسبة السباق والسياق :

مناسبة السباق : لما كان التقدير فلقد أبلغنا في الموعظة لكل من يسمع هذه القصة ، عطف عليه قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٣٢] . مؤكداً بذلك لمن يعرض عن هذا القرآن ، معللاً إعراضه عنه بصعوبته [٢] .

مناسبة السياق : لما كان النذير كأنه قال : إن المنذَرين لم يتعظوا به ، فزاد في وعظهم ، وكانت قصة لوط الطَّيِّلا أعظم ما كان بعد ثمود ، مما تعرفه العرب بالأخبار ورؤية الآثار، ومع ما في قصتهم من تقريب صور أحداث الساعة ؛ إذا بدلت الأرض غير الأرض ، قال الله ﷻ : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴾ [القمر : ٣٣] [٣] .

وفي ذكر هذه الآية بعد قصة ثمود مع صالح الطَّيِّلا ، وبيان عاقبتهم إعادة لإثارة كوامن النفس لحسن الاتعاظ والاعتبار ، وإظهار لسوابغ نعم الله ﷻ على هذه الأمة ، ويفهم من ظلال هذه الآيات ، مع ما فيها من الإشارات والتنبيهات :

١- أن الله ﷻ لن يعامل هذه الأمة كما عامل ثمودا .

٢- أن اعتراضات الكافرين على الرسل واحدة، قديمها وجديدها سواء .

---

(١) نظم الدرر (٧/٣٥٧-٣٦١) ، جاشية الشهاب (٨/١٢٥-١٢٦) ، روح المعاني (٢٧/٨٧-٩٠) .

(٢) نظم الدرر (٧/٣٦١) .

(٣) نظم الدرر (٧/٣٦١) .

٣- أن البلاء الذي حل بالأمم السابقة ، أشد من البلاء الذي كتبه الله ﷻ على هذه الأمة.

٤- أن أعداء الإسلام إذا عجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان فإنهم سيلجأون إلى المكايد والمؤامرات والدسائس ، وأنهم سيغررون ببعض الجهلة لقتل أهل الحق سرّاً أو علناً ، فهذه سبيل الجبابرة ، لأنه كلما عجزوا عن البيان استعملوا الافتراء والبهتان ، ثم السيف والسنان .

٥- أنه مهما كان في قصة صالح عليه السلام مع قومه من العبر والآيات والمواعظ ؛ فإن في القرآن ما هو أغنى وأقنى، وأيسر وأعذب لأنه ميسر للعالمين .

الفرع الخامس : قصة لوط عليه السلام مع قومه : افتتحت القصة كسائر سابقاتها بالإخبار عن تكذيب قوم لوط المرسلين ، ثم ذكرت عقوبتهم ، ثم عللت هذه العقوبة :

١- بالتمادي في تكذيب الرسل ، وأنواع الإنذارات .

٢- ارتكاب الفواحش ، وأعلاها إتيان الرجال شهوة من دون النساء حتى بلغ بهم المدى أن راودوه عن ضيفه ؛ ليفجروا بهم .

وكانت عقوبتهم :

١- طمس الأعين : بإزالة أثرها ، أو بإذهاب نورها .

٢- أرسل إليهم ملائكة تحصبهم ؛ أي : ترميهم بالحصباء .

٣- أن الله ﷻ أرسل جبريل عليه السلام ليبطش بهم ، فحملهم على جناحه حتى سمعت الملائكة في السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ، ثم أكفأهم ، فجعل عاليها سافلها .

٤- تسبب عن ذلك من يقول لهم بلسان القال وبلسان الحال : ﴿ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القمر : ٣٧] .

٥- استمرار العذاب عليهم في الدنيا ، وفي حياة البرزخ ، حتى يسلمهم إلى النار ، لا يدفعه عنهم دافع [١] .

مناسبة السباق والسياق :

مناسبة السباق : لما كرر الله ﷻ قوله : ﴿ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القمر : ٣٩]

---

(١) نظم الدرر (٣٦١/٧-٣٦٣) ، حاشية الشهاب (١٢٦/٨) ، روح المعاني (٩٠/٢٧-٩٢) .

هذا التكرير في السورة في كل قصة ، علم أن سبب العذاب التكذيب بالإنذار لأي رسول من الرسل ، وكان استئناف كل قصة منبّها على أنها أهل على حدتها لأن يتعظ بها ، علم أن التقدير ؛ لقد بلغت هذه المواعظ النهاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فعطف عليه قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٤٠] ، مذكّراً بالنعمة التي لا عدل لها [١] .

مناسبة السياق : لما كان ينبغي للآخِر أن يحذر مما وقع فيه الأول ، وكان قوم فرعون قد جاءوا بعد قوم لوط عليه السلام ، فلربما ظن ظانّ أنهم لم ينذروا اكتفاءً بما بلغهم من أخبار المكذبين ومصائر المعاندين ، وأن العادة قد جرت على إهلاك مكذب الرسل ، قال الله ﷻ مقسماً : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر :٤١] [٢] .

المطلب الثاني : تحليل الألفاظ

الفرع الأول : يَسّرْنا : في اللغة : من يسّر مضعف العين يُيَسّر تيسيراً ، وأصله من يَسَر يَيْسر يَسَراً ويَسْراً ويُسْراً ، والياء والسين والراء أصل يدل على اللين والسهولة والانقياد : وهو ضد العسر .

ومنه يسَّر الرجل تيسيراً : سهل الأمر تسهيلاً ، وياسره : ساهله ولاينه ، والميسرة : السهولة والغنى ، وأيسر فلان : صار ذا غنى [٣] .

في الاصطلاح : اليسر : ضد العسر ، قال الله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وتيسّر الأمر : إذا تسهّل وتهيأ [٤] . واليُسر : سهولة تعاطي الأمر ، وعدم الكلفة في تحصيله ، بمعنى أنه يجري وفق ما هيأه الله ﷻ وسهله ، مع زوال الموانع والمعوقات . والتيسير ، تفعيل وهو إيجاد أثر الفعل في الشيء ،

---

(١) نظم الدرر (٣٦٤/٧) .

(٢) نظم الدرر (٣٦٤/٧) .

(٣) معجم مقاييس اللغة صـ ١٠٧٠-١٠٧١ ، القاموس المحيط صـ ٦٤٣-٦٤٤ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن : (٨٩١-٨٩٢) ، بصائر ذوي التمييز (٥٨٣/٥-٣٨٧) .

فيكون التيسير : إيجاد اليسر في الشيء المراد تيسيره من قول أو فعل [١] .

الفرع الثاني : الذكر : في اللغة : من ذكر يذكر ذكراً فهو ذاكر ومذكور . والذكر : ضد النسيان ، وهو حفظ الشيء في الذاكرة ، وجريانه على اللسان ، وسمي الصيت والثناء والشرف والصلاة والدعاء ذكراً ؛ لحفظ شأن أصحابها في الذاكرة ، وجريان أسمائهم على الألسنة . والذكر : اسم للتذكر ، والتذكرة : ما يستذكر بها الحاجة ، والاستذكار الدراسة للحفظ [٢] .

في الاصطلاح : الذكر يطلق على عدة معان :

١- الهيئة النفسية التي تمكن الإنسان من حفظ ما يحصل عليه من العلوم والمعارف ، والذكر بهذا المعنى كالحفظ إلا أن الحفظ يقال باعتبار الإحراز ، والذكر يقال باعتبار الاستحضار .

٢- الحضور في القلب .

٣- الحضور في اللسان .

ولذلك يقال : الذكر ذكران : ذكر بالقلب ، وهو خلاف الغفلة ، وذكر باللسان ، وهو خلاف النسيان .

ومن هنا كانت للذكر مرتبتان متباينتان :

الأولى : ذكر عن تذكر ، أي : ذكر مسبوق بغفلة في القلب ، أو نسيان في اللسان .

الثانية : ذكر عن حضور، أي : ذكر لا عن نسيان ولا عن غفلة، بل عن إدامة الحضور .

ولما حصل لأصحاب رسول الله ﷺ فضل قوّة بمعرفة الله ﷻ أمرهم الله ﷻ أن يذكروه بغير واسطة ، بقوله : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

ولما ضعفت قلوب بني إسرائيل ، وهذا شأن غالب أهل الإيمان ، ولم يعرفوا الله ﷻ إلا بآلائه ، أمرهم الله ﷻ أن يتذكروا نعمه وعجائب خلقه ليتوصلوا بها إلى معرفته ﷻ ،

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/١٨٨) .

(٢) مقاييس اللغة صـ ٣٦٨ ، القاموس المحيط صـ ٥٠٧-٥٠٨ .

بقوله : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة : ٤٠] [١] .

المطلب الثالث : النكات التفسيرية والبلاغية

الفرع الأول : قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ الجملة قسمية : الواو : واو القسم ، واللام موطئة للقسم ، فيكون المعنى : والله لقد يسرنا القرآن لقومك يا محمد ! بأن أنزلناه على لغتهم ، وشحنّاه بأنواع المواعظ والعبر ، وصرفنا فيه من ألوان الوعد والوعيد [٢] . « وتأكيد الخبر باللام وحرف التحقيق مراعى فيه حال المشركين الشاكين في أنه من عند الله ﷻ » [٣] ؛ ولأن التأكيد لا يكون غالباً إلا للمنكر ، قد ابتدأت الآية بثلاثة تأكيدات : واو القسم ، واللام الموطئة للقسم ، وحرف قد الذي يفيد تحقيق وتأكيد وتكثير ما بعده في هذه الآية .

الفرع الثاني : قوله ﷻ : ﴿ لِلذِّكْرِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بـ ﴿ يَسَّرْنَا ﴾ ، واللام ظرف لغو غير مستقر ؛ لكنه يدل على أن الفعل الذي تعلق به فعل لانتفاع مدخول هذه اللام به ، فمدخولها لا يراد منه مجرد تعليل فعل الفاعل ، كما هو معنى التعليل المجرد ، ومعنى المفعول لأجله ، المنصوب بإضمار لام التعليل البسيطة ، وإنما يراد منه أن مدخول هذه اللام علة خاصة مراعاة في تحصيل فعل الفاعل لفائدته .

ومجرور هذه اللام بمنزلة مجرور باء الملابسة في نحو قوله ﷻ : ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ ﴾ [المؤمنون : ٢٠] .

وأصل معاني لام الجر هو التعليل ، وتنشأ من استعمال اللام في التعليل المجازي معان شاعت فساوت الحقيقة ؛ فجعلها النحويون معاني مستقلة لقصد الإيضاح [٤] .

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن صـ ٣٢٨-٣٢٩ ، مفاتيح الغيب (٣٣/٣) ، بصائر ذوي التمييز (٣/٩-١٦) .

(٢) روح المعاني (٨٤/٢٧) .

(٣) التحرير والتنوير (١٨٨/٢٧) .

(٤) التحرير والتنوير (١٨٩/٢٧-١٩٠) .

وللمفسرين في معنى الذكر أقوال :

١- التذكر : وهو التذكر العقلي لا اللساني ، الذي في تذكره جلب نفع ودفع ضر ، أي ينشأ عنه : الاتعاظ والاعتبار ، لا مجرد التذكر .

٢- الاتعاظ والإدّكار : مما تضمنه من الوعظ والوعد والوعيد .

٣- التدبر : وذلك أن يُعمل الإنسان قواه في فهم مراد الله ﷻ من آياته في القرآن الكريم ، والآيات المبثوثة في الكون ، ليصل إلى الاعتبار .

٤- الفهم : ولو شاء الله ﷻ لأعلاه إلى الحد الذي تعجز القوى عن فهمه ، كما أعلاه إلى رتبة وقفت القوى عن معارضة نظمه .

٥- الحفظ : وذلك بالإيجاز ، وعذوبة اللفظ ، وقرب الفهم ، وجلالة المعاني ، وجزالة السبك ، وتنويع الفنون ، وتكثير الشعب ، وإحكام الربط .

٦- التشريف لمن يراعيه في الدارين ، وحصول النباهة به في الدارين ، بحسن الذكر ، وجميل الأحدوثة ، وطيب الأثر ، وروعة الثناء .

٧- العلم : ولو شاء الله ﷻ لأعلاه إلى الحد الذي لا يتشبث مطلع بأذيال أدنى علمه ، أو أن يخصه بأفراد من حذّاق العباد[١] .

الفرع الثالث : قوله ﷻ : ﴿ فَهَلْ ﴾ حرف استفهام يستدعي الأفهام التي ركبها الله ﷻ فيهم وجعلها حجة عليهم ، ولم يستعملوها الاستعمال الحق فتكون حجة لهم . وهو استفهام مستعمل في معنى التحضيض على التذكر بهذه الآية ، واستقصاء خبرها ، وهو تحضيض موجه إلى جميع من تبلغه هذه الآيات[٢] .

الفاء للتفريع . والهاء : للاستخراج . واللام : للاستعراض[٣] .

قوله ﷻ : ﴿ مِن ﴾ : للدلالة على عموم الجنس في الإثبات[٤] .

---

(١) نظم الدرر (٣٥٢/٧ و ٣٥٧ و ٣٦١ و ٣٦٤) ، البحر المحيط (١٧٨/٨) . روح المعاني (٨٤/٢٧) ، التحرير والتنوير (١٩٠/٢٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) ، التحرير والتنوير (١٨٦/٢٧-١٨٧) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) .

(٤) التحرير والتنوير (١٨٧/٢٧) .

الفرع الرابع : قوله ﷻ : ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ الاستفهام إنكاري ، يتضمن النفي للمتعظ على أبلغ وجه وآكده، مما يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم [١] .

وللمفسرين في معاني الادّكار أقوال :

١- الادكار : الاعتبار والمعنى : فهل من معتبر بتلك الآيات الحرية بالاعتبار [٢] ؟

٢- الادكار : الاتعاظ ، والمعنى : فهل من متعظ ؟ قاله ابن زيد [٣] .

٣- الادكار : الانزجار ؛ أي : فهل من منْزجر عن المعاصي والموبقات ؟ قاله محمد بن كعب القرظي [٤] .

٤- الادّكار : التذكير : والمعنى فهل من مجتهد في التذكير بسبب هذا الأمر ، نظراً لما يجب على الخلق من شكر الخالق ، بما هدت إليه رسله [٥] .

٥- هل فيهم من يقبل على حفظ كتاب الله ﷻ ثم تدبره وفهمه ، ويتعظ بما حلّ بالأمم السالفة ويتذكر جميع ما صرف من الأقوال ، وينزلها على نفسه وما لها من الأحوال ، ويجعل كل ذلك لوجه الله ﷻ ، فيتشرف به في أمر دنياه وأخراه ، وتكون زواجره وعلومه حاضرة في النفس ، قائمة في الذهن [٦] .

٦- فهل من ناظر فيه بعين الإنصاف ، متجرداً عن الهوى ليرى كل ما أخبر الله ﷻ به ، فيعينه الله ﷻ على ذلك [٧] .

٧- فهل من مفتك لنفسه من مثل هذا الذي أوقع فيه هؤلاء الأقوام أنفسهم ، ظناً منهم أن الأمر لا يصل إلى ما وصل إليه ، جهلاً منهم ، وعدم اكتراث بالعواقب [٨] .

الفرع الخامس : الحكمة من تكرار قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ :

---

(١) روح المعاني (٨٤/٢٧) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٨٣/٤) ، حاشية الشهاب (١٢٤/٨) ، روح المعاني (٨٣/٢٧) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢٨٣/٤) ، البحر المحيط (١٧٨/٨) ، حاشية الشهاب (١٢٤/٨) .

(٤) البحر المحيط (١٧٨/٨) .

(٥) نظم الدرر (٣٥١/٧) .

(٦) نظم الدرر (٣٥٧/٧) ، البحر المحيط (١٧٨/٨) .

(٧) نظم الدرر (٣٦١/٧) .

(٨) نظم الدرر (٣٦٤/٧) .

تساءل الزمخشري عن فائدة تكرير هذه الآية بعد كل قصة من القصص الأربع ، ثم قال : « فائدته : أن يجدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكاراً واتعاظاً . وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه . وأن يقرع لهم العصا مرّات، ويقعقع لهم الشنّ تارات ؛ لئلا يغلبهم السهو ، ولا تستولي عليهم الغفلة » (١) .

وقال البيضاوي : « كرر ذلك في كل قصة :

١- إشعاراً بأن تكذيب كلّ رسول مقتض لنزول العذاب ، واستماع كل قصة مستدع للادّكار والاتعاظ .

٢- واستئنافاً للتنبيه والإيقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة » (٢) .

وقال الآلوسي : « جملة قسمية وردت في آخر القصص الأربع : تقريراً لمضمون ما سبق من قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝ ﴾ [القمر : ٤] ... إلخ . وتنبيهاً على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الادكار ، كافية في الازدجار ، ومع ذلك لم يحصل فيها اعتبار » (٣) .

وقال القرطبي : « إن الله ﷻ اقتصّ في هذه السورة على هذه الأمة أنباء الأمم وقصص المرسلين وما عاملتهم به الأمم ، وما كان من عقبى أمورهم وأمور المرسلين ، فكان في كل قصة ونبأ ذكر للمستمع أن لو ادّكر ، وإنما كرر هذه الآية عند ذكر كل قصة بقوله : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ ؛ لأن « هل » كلمة استفهام تستدعي أفهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم » (٤) .

وقال سيد قطب : « وهذا هو التعقيب الذي يتكرر بعد كل مشهد يصوّر ، ويقف السياق عنده بالقلب البشري، يدعوه دعوة هادئة إلى التذكر والتدبر، بعد أن يعرض عليه حلقة من العذاب الأليم، الذي حلّ بالمكذبين » (٥) .

---

(١) الكشاف (٤/٤٣٩) .
(٢) أنوار التنزيل (٥/٢٦٩) ، حاشية الشهاب (٨/١٢٦) .
(٣) روح المعاني (٢٧/٨٤) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٣٤) .
(٥) في ظلال القرآن (٦/٣٤٣١) .

المبحث الثاني : آيات التيسير المقيد

الآية الأولى

قال الله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [مريم : ٩٧]

المطلب الأول : تحليل الألفاظ

الفرع الأول : ﴿ فَإِنَّمَا ﴾ : الفاء يجوز فيها وجهان :

الأول : فاء الفصيحة : وهي الفاء المؤذنة بكلام مقدر يدل عليه المذكور . فيكون التقدير : بلّغ يا محمد ما أنزل إليك من ربك ، ولو كره الكافرون والمشركون والمنافقون ما فيه من إبطال ما هم عليه ، وأنذرهم بسوء العاقبة إن هم تمادوا في غيهم وضلالهم ، فما أنزل إليك إلا ما هو للبشارة أو النذارة ، ولا تعبأ بما يحصل من الغيظ والحقد ، وذلك أن المشركين كانوا يقولون : لو كففت عن شتم آلهتنا وآبائنا ، وتسفيه آرائنا لاتبعناك .

الثاني : فاء التفريع : وهي التي تكون للتفريع على ما تقدم ، فتكون الفاء في الآية للتفريع على وعيد للكافرين ووعد للمؤمنين ، والمفرّع هو مضمون البشارة والنذارة ؛ أي : أن ذلك ثمرة الإعراض عما جاء به النبيّ ﷺ من النذارة ، وأثر الإقبال على ما جاء به من البشارة مما يسره الله ﷻ بلسانه ﷺ ؛ فإنه ما أنزل إلا لذلك [(١)] .

إنّما : مكونة من « إنّ » : التي هي حرف مشبه بالفعل يدخل على الجملة الاسمية ، فينصب المبتدأ ويرفع الخبر مع إفادة التوكيد . و « ما » المصدرية ، التي عندما دخلت عليها كفّتها عن العمل ، وهيأتها للدخول على الجملة الفعلية ، فصارت تفيد الحصر والقصر : فهي تثبت حكم ما ذكر بعدها وتحصره فيه وتنفيه عما عداه ؛ وتفيد تعيين الحكم وتقصره على شيء، فقوله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ يفيد أن صفة التيسير خلصت للسان

(١) التحرير والتنوير (١٦/١٧٥-١٧٦) ، (٢٥/٣٢٠-٣٢١) ، إعراب القرآن ، الدرويش (٦/١٥٧) ، (٩/١٣٧) .

رسول الله ﷺ وتمحضت له، من غير أية شائبة تشوبه (١) .

والقصر المستفاد من « إنما » قصر قلب ، وهو ردّ على المشركين ؛ إذ سهل لهم طريق سماعه وعلمه وفهمه والعمل به فقابلوه بالشك والهزء ، وما جعله الله ﷻ ميسراً بلسان نبيه ﷺ إلا ليتذكروا فيعتبروا ، لكنهم لم يتذكروا ولم يعتبروا (٢) .

الفرع الثاني : ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ : اتفقت أقوال المفسرين فيما اطلعت عليه من أقوال على أن المراد من اللسان اللغة من باب إطلاق اسم الشيء على سببه ؛ لأن اللسان أداة النطق والكلام، وعليه تدور اللغات ، ولما كانت لغة رسول الله ﷺ عربية ، كان لسانه عربياً . وإطلاق اللسان وهو الجارحة المعروفة في الفم على اللغة مجاز شائع ؛ لأن أهم ما يستعمل فيه الكلام . وليس المقصود من اللسان الجارحة وإنما اللغة ، وعلى هذا فنسبة اللسان إلى النبيّ ﷺ عناية بجانبه وتعظيم له ؛ وإلا فاللسان لسان العرب .

واختلفوا في الباء على أقوال :

١- ذهب بعض المفسرين إلى أن الباء بمعنى على ، وهو في ذلك مجاز مشهور ، والمعنى أنزلناه على لسانك بلا كتابة ؛ لكونك أميّاً . فاللسان بمعناه المشهور أنه اللغة ، وليس الجارحة .

٢- وذهب آخرون إلى أن الباء تفيد الإلصاق، لتضمين : « يسَّرْنا » معنى أنزلنا ؛ أي : يسرناه منزلين له بلغتك ، وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل العذب الرصين .

٣- وذهب بعضهم إلى أن الباء للسببية : والمعنى : فإنما يسرناه بسبب لغتك العربية .

٤- وذهب غيرهم إلى أن الباء للمصاحبة ، والمعنى : فإن التيسير جاء مصاحباً للغتك (٣) .

اللسان : في اللغة : من لسن يلسن لسناً ، والاسم اللسان ، وجمع القلة : ألسن ،

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن صـ ٩٢، الكاشف (١/١٣٧-١٣٨) ، لسان العرب « أنن » (١٣/٣٢٣١)، معاني النحو ، د. فاضل السامرائي (١/٣٥٤-٣٦٠) ، إعراب القرآن ، الدرويش (٦/١٥٧) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/٣٢١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/١٤٨) ، نظم الدرر (٤/٥٦٠) ، أنوار التنزيل (٥/٢٦٦-٢٦٩) ، حاشية الشهاب (٨/١٤) ، روح المعاني (١٦/١٤٤) ، التحرير والتنوير (١٦/١٧٦) ، (٢٥/٣٢١) .

والكثرة : ألسنة ، واللسان : الجارحة الموجودة في الفم ، ويطلق مجازاً على اللغة أو الرسالة ، والمتكلم عن القوم ؛ لأن أداة الكل اللسان الجارحة [١] .

في الاصطلاح : جاء اللسان في القرآن الكريم على أربعة معان :

الأول : القوّة الناطقة في اللسان : قال الله ﷻ على لسان موسى ؑ : ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ [طه : ٢٧] [٢] ؛ يعني قوة من لسانه ؛ لأن العقدة لم تكن في الجارحة ، وإنما كانت في قوة اللسان ، التي هي النطق .

الثاني : الجارحة : قال الله ﷻ : ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝ ﴾ [البلد : ٨-٩] [٣] .

الثالث : اللغة : قال الله ﷻ : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝ ﴾ [الشعراء : ١٩٥] ، وقال ﷻ : ﴿ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ ﴾ [الروم : ٢٢] [٤] ، فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات ؛ إذ لكل قوم نغمة مخصوصة ولغة مخصوصة يميزها السمع [٥] .

الرابع : القول الذي ينطق به اللسان في الذم أو المدح : الذم : قال الله ﷻ : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب : ١٩] ؛ أي : بألسنة سليطة صارمة ماحية ، يؤثر كلامها في الإنسان كما يؤثر الحديد في غيره [٦] .

وقال ﷻ : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝ ﴾ [المائدة : ٧٨] .

---

(١) الصحاح (٦/٢١٩٥) ، معجم مقاييس اللغة صـ ٩١٨ ، القاموس المحيط صـ ١٥٨٨ ، لسان العرب (١٣/٣٨٥-٣٨٧) .

(٢) ينظر : الشعراء صـ ١٣ .

(٣) ينظر : سورة المائدة : ٧٨، مريم : ٩٧ ، الدخان : ٥٨ ، القيامة : ١٦ ، الأحزاب : ١٩ . وغيرها .

(٤) ينظر : سورة إبراهيم : ٤ ، النحل : ١٠٣ ، القصص : ٣٤ ، الأحقاف : ١٢ . وغيرها .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن صـ ٧٤٠ ، بصائر ذوي التميز (٤/٤٢٩) .

(٦) مفردات ألفاظ القرآن صـ ٢٢٢ .

المدح : قال الله ﷻ على لسان إبراهيم ﷺ : ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء : ٨٤] . فهو سؤال الله ﷻ أن يجعله أهلاً للثناء الحسن الجميل على الألسنة .

الفرع الثالث : ﴿ لِتُبَشِّرَ ﴾ : في اللغة : من بشّر يُبَشِّر تَبْشيراً ، والاسم البشارة والبشرى ، من بَشَر يَبْشُر بِشْراً ، وأصله ظهور الشيء مع حسن وجمال ، والبشارة : إخبار بالأمر الخيّر [١] .

في الاصطلاح : البشارة : إخبار بما يسر ، يقال : بشّرته : أخبرته بما يسرّه ، والسرور يؤدي إلى بسط بشرة الوجه ؛ وذلك أن النفس إذا سرّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر ، ومن ثم تظهر إشراقة الوجه ، وتظهر آثار الفرحة على قسماته ! فالبشارة : إخبار فيه سرور [٢] .

وقوله ﷻ : ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ أي : تخبرهم بما يسرهم ، وبما يكون لهم من الثواب على تقواهم لله ﷻ ، وحسن طاعته [٣] . واللام : لام التعليل ، وهي التي تجعل ما بعدها علة لما قبلها ؛ فالغاية من تيسير القرآن الكريم بلسان النبيّ ﷺ وعلته : إنذار الكافرين وتبشير المؤمنين الصادقين المتقين .

الفرع الرابع : ﴿ وَتُنذِرَ ﴾ : في اللغة : من أنذر ينذر إنذاراً ، والإنذار : الإبلاغ بما هو مخيف ، لذلك لا يكون الإنذار غالباً إلا في التخويف أو التخوف [٤] .

---

(١) مقاييس اللغة صـ ١١٧-١١٨ ، القاموس المحيط صـ ٤٤٧-٤٤٨ ، الصحاح (٢/٥٩٠) ، تهذيب اللغة (٨/٣٦٠-٣٦٢) ، لسان العرب (٤/٥٩/٦٣) ، تاج العروس (١٠/١٨٣-١٩٦) .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن صـ ١٢٤-١٢٧ و ٧٩٧ ، بصائر ذوي التمييز (٢/٢٠١) ، النهاية في غريب الحديث (١/١٢٩) .

(٣) البحر المحيط (٦/٢٢١) .

(٤) مقاييس اللغة صـ ٩٨٤ ، القاموس المحيط صـ ٤٤٧ و ٦١٩ ، الصحاح (٢/٨٢٥-٨٢٦) ، لسان العرب (٥/٢٠٠-٢٠٣) ، تاج العروس (١٤/١٩٧-٢٠٣) .

في الاصطلاح : الإنذار : إخبار فيه تخويف [١] . وذلك لأذى أو مكروه يتوقع وقوعه عاجلاً أو آجلاً في النفس أو الأهل أو المال .

الفرع الخامس : ﴿ لُدًّا ﴾ : في اللغة : اللدّ جمع الألدّ ، من لدّ يلدّ لداً فهو لادّ وألدّ ، ومعناه الالتفات وإبداء صفحة العنق ؛ لأن اللديدان : هما صفحتا العنق دون الأذنين ، ثم أطلقا على جانبي كل شيء ، ثم أطلق اللدد على الشديد الخصومة ، لانحرافه عن الحق ودخوله في كل طريق ابتعاداً عن الحق ومجانبة للصواب [٢] .

في الاصطلاح : أصل الألد : الشديد اللديد ؛ أي : انحراف وميل صفحة العنق ، ويطلق على المعرض عن الحق، الشديد الخصومة ، الشديد التأبي للحق والعدل ، الذي لا يمكن صرفه عما يريد بالحجة والإقناع ، وألوان البراهين والدلائل [٣] .

المطلب الثاني : مناسبة السباق والسياق

الفرع الأول : مناسبة السباق : للمفسرين فيها وجوه :

١- قال الآلوسي : « والفاء لتعليل أمر ينساق إليه النظم الكريم ، كأنه قيل : بعد إيحاء هذه السورة الكريمة بلغ هذا المنْزل ، وأبشر به ، وأنذر ؛ فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين » [٤] .

٢- لما كان إنزال هذا القول الثقيل، ثم تيسيره حفظاً وعملاً سبباً لما جعل لأهل الطاعة في الدنيا من الود : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم : ٩٦] ؛ بما لهم من التحلّي والتزيّن بالصالحات ، والتخلّي والتصوّن من السيئات ،

(١) مفردات ألفاظ القرآن صـ ٧٩٧-٧٩٨ ، بصائر ذوي التمييز (٣٥/٥) .

(٢) مقاييس اللغة صـ ٩٠١ ، القاموس المحيط صـ ٤٠٥ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن صـ ٧٣٩ ، بصائر ذوي التمييز (٤٢٥/٤) .

(٤) روح المعاني (١٤٤/١٦) .

الدال على ما لهم عند مولاهم ﷻ من عظيم العزّ والقرب ، وكان التقدير : والذين كفروا ليكسبنهم الجبار بغضاً وذلاً ومهانة ، فأخبر كلاً من الفريقين بما له من البشارة والنذارة ، مسبباً عن إفصاح ذلك وإفهامه بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾[1] .

٣- لما ذكرت الآيات السابقة أن المشركين آتون يوم القيامة مفردين وهذا مشعر بأنه مغضوب عليهم ، وأعقب ذلك بذكر حال المؤمنين الصالحين ، وأنهم يكونون في مقام المودة والتبجيل ، حيث يجعل لهم الرحمن ﷻ أوِدّاء من الملائكة والإنس والجنّ بل وجميع الخلق ، بيّن أن هذه الفضيلة إنما حصلت بسبب تيسير الله ﷻ القرآن الكريم بلسان رسوله الأمين ﷺ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ .

٤- قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ « إيذان بانتهاء السورة ؛ فإن شأن الإتيان بكلام جامع بعد أفنان الحديث أن يؤذن بأن المتكلم سيطوي بساطه ، وذلك شأن التذييلات والخواتم ، وهي ما يؤذن بانتهاء الكلام . فكما احتوت السورة على عبر وقصص وبشارات ونذر جاء هنا في التنويه بالقرآن وبيان بعض ما في تنْزيله من الحكم »[2] .

الفرع الثاني : مناسبة السياق : للمفسرين فيها وجوه :

١- بعد أن بين الله ﷻ تيسير القرآن بلسان رسول الله ﷺ وبين الغاية من ذلك، وهو بشارة المؤمنين المتقين ، وإنذار الكفرة والمشركين ، والعصاة والمجرمين ، ختمت الآية الإنذار : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ مرشدة بذلك على قدرة الله ﷻ على إهلاكهم ، وعلى جميع ما يريد منهم ، بعد كل ذلك عطف عليها قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [مريم : ٩٨] ، أهلك ﷻ أمماً كثيرة ، و أقواماً كثراً ، كانوا أشد منهم بطشاً ، وأكثر عدداً وعدة ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، فلم تغن عنهم

---

(١) نظم الدرر (٥٦٠/٤) .

(٢) التحرير والتنوير (١٧٥/٦) .

من بأس الله شيئاً ، فتلك مساكنهم خاوية خالية ، ذهبت رسومهم وبقيت أخبارهم [١] .

٢- لما ذكر الله ﷻ تيسير القرآن للبشارة والنذارة ، ونوّه بأنّ المنْذَرين أهل عناد ومكابرة ، أتبع ذلك بالتعريض بتهديدهم على ذلك ، وذلك بتذكيرهم بالأمم التي استأصلها على ما كانت عليه من قوة وقهر وجبروت وتعنت ، فتكون لهم قياساً ومثلاً ، ومثار عظة وعبره .

٣- الجملة معطوفة على جملة : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ باعتبار ما تضمنته من بشارة المؤمنين ونذارة المعاندين ؛ لأن في التعريض بالوعيد لهم نذارة لهم وبشارة للمؤمنين باقتراب إراحتهم من ضرهم وأذاهم [٢] .

المطلب الثالث : النكات التفسيرية والبلاغية

الفرع الأول : قوله ﷻ : ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فيه أقوال :

١- المستجيبين لله المصدقين لرسوله [٣] .

٢- المؤمنين [٤] .

٣- المتصفين بالتقوى ؛ لامتثال ما فيه من الأمر والنهي .

٤- الصائرين إلى التقوى [٥] .

٥- الذين يجعلون بينهم وبين ما يسخط الله ﷻ وقاية ، فلا يبطلون حقاً ، ولا يقرّون باطلاً ، ومتى بدرت منهم هفوة أو زلّة بادروا بالتوبة والرجوع إلى الحق والصواب [٦] .

---

(١) نظم الدرر (٤/٥٦١) .

(٢) التحرير والتنوير (١٦/١٧٧) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/١٤٨) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١١/١٦٢) .

(٥) روح المعاني (١٦/١٤٤) .

(٦) نظم الدرر (٤/٥٦٠) .

الفرع الثاني : قوله ﷻ : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ اللدّ الألد ، وهو الشديد الخصومة وللمفسرين في معناه أقوال :

١- العوج عن الحق المائلين إلى الباطل . أبو صالح .

٢- لا يستقيمون . مجاهد .

٣- اللد : الفجار . مجاهد .

٤- الصم عن الحق . الحسن .

٥- الذين لا يقبلون الحق ، ويدعون الباطل . أبو عبيدة .

٦- لا يؤمنون به لجاجاً وعناداً .

٧- اللدود: ذو الجدل بالباطل ، أي : الآخذون في كل لديد ؛ أي : جانب بالمراء . قتادة .

٨- اللد : الظَّلَمة . ابن عباس ﵄ .

٩- الألد : هو الذي يتمادى في غيه ، ولا يرجع لدليل ، ويركب كل مركب عناداً للحق ولا يكون هذا إلا ممن يحتقر خصمه ، وهمه تصوير الحق بصورة الباطل ، والباطل بلبوس الحق [(١)] .

١٠- شديدُ الخصومة ، يريدون بذلك العزّ ، نظراً لما لهم عند الله ﷻ من الذل والهوان الناشئ عن المقت ، الذي هو ثمرة سوء أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم ، والإنذار يحمل داخله التهديد بالهلاك ؛ أي : إن لم يرجعوا عن لددهم فإنه سوف يهلكهم [(٢)] .

قال الآلوسي : « وكل ذلك تفسير باللازم » [(٣)] ؛ أي : بلازم اللدادة ، وليس ماهيتها .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/١٦٢) ، البحر المحيط (٦/٢٢١) ، تفسير القرآن العظيم (٣/١٤٨) ، نظم الدرر (٤/٥٦٠) ، روح المعاني (١٦/١٤٤) ، الأساس في التفسير (٦/٣٣٠٥) .

(٢) نظم الدرر (٤/٥٦٠) .

(٣) روح المعاني (١٦/١٤٤) .

الفرع الثالث : وعبّر الله ﷻ عن الكفار بأنهم : قوم لدّ ، ذماً لهم ، بأنهم أهل إيغال في المراء والمكابرة ؛ لأنهم أهل تصميم وإصرار على باطلهم ، مع الإباية من الاعتراف بالحق . ومما جرّ الإشراك إلى العرب من مذام الأخلاق التي خلطوا بها محاسن الأخلاق : أنهم تمدحوا باللدد في الخصومة ..

لذلك حسنت المقابلة بين المتقين وبين القوم اللّدّ ؛ لأنّ التقوى عنوان امتثال أوامر الله ﷻ والتزام طاعته ، والشرك عصيان ولدد . وفي ذلك تعريض بأن كفرهم عن عناد وجحود؛ لأن إيقاع لفظ القوم عليهم إشارة إلى أن اللدد شأنهم ، وهي صفة تقومت منها قوميتهم(١) .

الآية الثانية

قال الله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [الدخان : ٥٨]

المطلب الرابع : مناسبة السباق والسياق

الفرع الأول : مناسبة السباق : للمفسرين فيها وجوه :

١- لما قدم الله ﷻ في السورة ما للقرآن من البركة والخير والنور ، وما اشتمل عليه من البشارة والنذارة ، والجمع والتفريق ، وذكر السامعين بما يقرّون به من أنه بديع السموات والأرض ، وهذا يستلزم إقرارهم بتوحيده ، والإقرار بالتوحيد يستلزم الإقرار بأنّ الله ﷻ يفعل ما يشاء من خلق وإيجاد ، وإرسال وإنزال وتنبيه وبعث وغير ذلك . وهددهم بما لا يقدر عليه غيره من الدخان والبطشة ، وفعل بعد ذلك . وذكرهم بما يعرفون من أخبار من مضى من قديم القرون ، وأنهم مع ذلك أنكروا البعث والنشور ، ثم ذكر ما يقتضي التحذير والتبشير ، كل ذلك في أساليب فاتت كل المدى ، فأعجزت جميع القوى ، مع مالها من المعاني الباهرة ، والبدائع الزاهرة القاهرة ، سبب عن قوله

---

(١) التحرير والتنوير (١٦/١٧٦-١٧٧) .

فذلكة [١] السورة : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَهُ بِلِسَانِكَ ﴾ ؛ أي : جعلنا له يسراً عظيماً بسهولة كبيرة [٢].

٢- ذهب الطاهر بن عاشور إلى أن الفاء في قوله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَهُ بِلِسَانِكَ ﴾ للتفريع، وذلك إشارة إلى أن ما بعدها متفرع عما قبلها ؛ لأن المذكور بعد الفاء فذلكة للسورة ؛ أي : إجمال لأغراضها بعد تفصيلها فيما مضى ، إحضاراً لتلك الأغراض وضبطاً لترتب علتها .

٣- ولما كان جل غرض السورة إثبات إنزال القرآن من الله ﷻ ، كما أشارت إليه افتتاحيتها : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾ [الدخان : ١-٣] ، فكانت هذه الآية تفريعاً مرتبطاً بذلك الافتتاح ، وهو من باب ردّ العجز على الصدر ؛ فهذا التفريع لمعنى الحصر الذي في قوله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَهُ بِلِسَانِكَ ﴾ لبيان الحكمة في إنزال القرآن باللسان العربي ؛ فيكون تفريعاً على ما تقدم في السورة وما تخلله وتبعه من المواعظ [٣].

٤- في هذه الآية الخاتمة رد العجز على الصدر ؛ إذ كان صدر السورة فيه ذكر إنزال الكتاب المبين ، وأنه رحمة من الله ﷻ ، بواسطة رسالة سيدنا ﷺ ، فجاءت هذه الآية : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَهُ بِلِسَانِكَ ﴾ تبين أن تيسير الرسالة قد تم بلسان رسول الله ﷺ لا غير .

الفرع الثاني : مناسبة السياق : وللمفسرين فيها وجوه :

١- بعد أن بين الله ﷻ تسهيله لكتابه الكريم وتيسيره ؛ حيث أنزله باللغة العربية ، لعلهم يفهمونه ، ولما لم يتذكروا ويتعظوا جاء قول الله ﷻ : ﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩ ﴾ [الدخان : ٥٩] تهديداً لهم ، وإيناساً للنبيّ ﷺ وتثبيتاً لفؤاده الشريف ، وهو على تقدير شرط قوله ﷻ : ﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ جواباً له ؛ لأن جواب لما يجوز اقترانه بالفاء ، كما صرح به النحاة .

---

(١) الفذلكة : التذكير والشرح لما مضى ، من قول الحساب : فَذَلَك كذا ؛ فيكون تذكيراً وشرحاً لما مضى ، وفذلكة السورة : إجمال لما فيها من التفصيل . حاشية الشهاب (١٤/٨) .

(٢) نظم الدرر (٨٦/٧)

(٣) التحرير والتنوير (٣٢٠/٢٥-٣٢١) .

والمعنى : فانتظر ما يحل بهم ، فإنهم منتظرون ما يحل بالنبيّ ﷺ وما يحل بهم[١] .

٢- لما كان مع وضوح القرآن وبيانه قد وجد في الناس من كفر به وخالف وعاند ، قال الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ مسلياً له ، وواعداً له بالنصر ، ومتوعداً لمن كذّبه بالعطب والهلاك : ﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ [الدخان : ٥٩][٢] .

٣- ختمت الآية التي نحن بصدد دراستها بقوله ﷻ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ؛ « أي ليكونوا عند من يراهم وهو عارف بلسانهم ممن شأنه كشأنهم ، على رجاء من أن يتذكروا أن هذا القرآن شاهد بإعجازه بصحة ما فيه من التوحيد والرسالة وغيرهما مما سبق إليك ، وإلا لقدروا هم ، وهم أفصح الناس على معارضة شيء منه فيتذكروا ما غفلوا عنه من أنه عزيز بإهلاكه الجبابرة ، وأنه حكيم بنصبه الآيات لأنبيائه وتأييدهم بالمعجزات ، ومن أن الكبير منهم لا يرضى أن يطعن أحد في كبريائه ، ولا أن يترك من له عليه حكم وهو تحت قهره أن يبغي بعضهم على بعض ، ثم لا ينصر المظلوم منهم على ظالمه ، ويأخذ بيده حتى لا يُسَوّي المحسن بالمسيء ، فإذا تذكروا ذلك مع ما يعرفون من قدرة الملك وكبريائه ، وحكمته علموا قطعاً أنه لا بد من البعث للتمييز بين أهل الصلاح والفساد ، والفصل بين جميع العباد ، فتسبب عن ذلك قوله : ﴿ فَٱرْتَقِبْ ﴾ ؛ أي : ما رجيتك به من تذكرهم المستلزم لهدايتهم . ولما كانوا يظهرون تجلداً ولدداً أنهم لا يعبؤون بشيء من القرآن ولا غيره مما يأتي به ولا يعدون شيئاً منه آية ، أخر عما يبطنون من خوفهم وانتظارهم لجميع ما يهددهم به مؤكداً لأجل ظن من حمل تجلدهم على أنه جلد فقال : ﴿ إِنَّهُم ﴾ وزاد الأمر بالإخبار بالاسم الدال على الثبات والدوام فقال : ﴿ مُّرْتَقِبُون ﴾ أي تكليفهم أنفسهم المراقبة وإجهادهم أفكارهم في ذلك دائم لا يزايلهم بل قد قطع قلوبهم وملأ صدورهم ، فقد انطبق آخر السورة على أولها ، بل وعلى المراد من مجملها ومفصلها ، بذكر الكتاب والارتقاب لأنواع العذاب ،

---

(١) حاشية الشهاب (١٤/٨) .

(٢) الأساس في التفسير (٣٣٠٥/٩) .

والله الهادي إلى الصواب ، إنه الكريم الوهاب »[١] .

٤- قال ابن عاشور : « وباعتبار هذه المعاني المتوافرة حسن أن يفرع على هذه الجملة تأييد النبيّ ﷺ ، وتهديد معانديه بقوله : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ أي : فارتقب النصر الذي سألته بأن تعان عليهم بسنين كسني يوسف عليه السلام ؛ فإنهم مرتقبون ذلك وأشد منه ، وهو البطشة الكبرى »[٢] .

المطلب الخامس : النكات التفسيرية والبلاغية

قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ للمفسرين فيه أقوال :

١- لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا ؛ لموافقته لغتهم[٣] .

٢- لعلهم يتعظون[٤] .

٣- لعلهم يتعظون وينْزجرون[٥] .

٤- ليكونوا عند من يراهم ، وهو عارف بلسانهم على رجاء أن يتذكروا أن هذا القرآن شاهد بإعجازه على صحة ما فيه من التوحيد والرسالة وغيرهما ؛ وإلا لقدروا على معارضة شيء منه ، وهم أفصح الناس ، فيتذكروا ما غفلوا عنه من أن الله عز وجل عزيز بإهلاكه الجبابرة[٦] .

٥- لأجل أن يتذكروا ، لأن « لَعَلَّ » مستعملة في التعليل ، والصيغة تفيد الأمر بالتذكير بالقرآن ، والتقدير : فذكرهم به ولا تألم لفسادهم فيه ، ودم على ذلك حتى يحصل التذكر[٧] .

---

(١) نظم الدرر (٨٧/٧) .

(٢) التحرير والتنوير (٣٢٢/٢٥) .

(٣) أنوار التنزيل (١٦٦/٥) ، حاشية الشهاب (١٤/٨) .

(٤) الأساس في التفسير (٥٣٣٠/٦) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٥٥/١٦) .

(٦) نظم الدرر (٨٧/٧) .

(٧) التحرير والتنوير (٣٢١/٢٥) .

المبحث الثالث : الدراسة الموضوعية

تمهيد :

مرّ معنا أن أربع آيات في سورة القمر بصيغة واحدة ولفظ واحد نصت : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧ ، ٢١، ٣٠ ، ٣٧] .

وقال ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [مريم : ٩٧] .

وقال ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الدخان : ٥٨] .

ولم أعثر على دراسة تربط ما بين الآيات ، وتحدد الصلة فيما بينها ، ومن ثم توضح الترابط بينها .

والدارس لهذه الآيات يرى أن الآيات في سورة القمر ورد فيها التيسير مطلقاً [١] ، إذ لم تحدد سبله ووسائله وآلاته ، بينما ورد التيسير في آية مريم والدخان مقيداً [٢] بلسان النبيّ ﷺ وبصيغة الحصر والقصر ، وكأنه لا تيسير لكتاب الله ﷻ إلا بلسان رسول الله ﷺ .

---

(١) المطلق عندهم : هو اللفظ الدال على فرد أو أفراد على سبيل الشيوع ، كأسماء الأجناس : رجل ، كتاب .

(٢) والمقيد : هو اللفظ الدال على فرد أو أفراد على سبيل الشيوع ، مقيد بقيد من القيود ؛ وذلك باقترانه بصفة من الصفات أو بصفات متعددة ؛ لأن الوصف قيد ، وكلما تعددت الأوصاف كثرت القيود . نحو : رجل مؤمن ، رجل مؤمن عالم مجاهد . ونحو ذلك .

وعليه : فإذا ورد اللفظ مطلقاً في نص ، ومقيداً في آخر ، فهل يحمل المطلق على المقيد أولاً ؟ (١)

---

(١) هنا لا يخلو الأمر إما أن يكون الإطلاق والتقييد في نفس الحكم ، أو في سببه : فإن كان الإطلاق والتقييد في سبب الحكم حمل المطلق على المقيّد عند الجمهور ، وقالت الحنفية : لا يحمل المطلق على المقيد .

أما إذا كان الإطلاق والتقييد في نفس الحكم فإن له أربع صور :

الأولى : اتحاد الحكم والسبب : وهنا يحمل المطلق على المقيد بالاتفاق ، كالدم المحرّم تناوله ، فإنه جاء مطلقاً في سورة البقرة : ١٧٣ ، والمائدة : ٣ ، والنحل : ١١٥ ، وجاء مقيداً في سورة الأنعام : ١٤٥ : ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ .

الثانية : اختلاف الحكم والسبب : وهنا لا يحمل المطلق على المقيّد بالاتفاق ، وذلك كاليد : حيث أطلقت في آية السرقة : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة : ٣٨] ، وقيدت في آية الوضوء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة : ٦].

الثالثة : اختلاف الحكم مع اتحاد السبب : وهنا لا يحمل المطلق على المقيد بالاتفاق ، وإنما يبحث عن الحكم من دليل آخر كـ « اليد » حيث جاءت في آية التيمم مطلقة : ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم ﴾ [النساء : ٤٣ ، المائدة : ٦] ، ومقيدة في آية الوضوء : ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة : ٦] .

الرابعة : اتحاد الحكم مع اختلاف السبب : اختلف الأصوليون في هذه الصورة : فذهب الأكثرون إلى حمل المطلق على المقيد . وذهب أبو حنيفة والزيدية وأحمد في رواية وبعض الشافعية : إلى أنه لا يحمل المطلق على المقيد . وذلك في الرقبة في الكفارة : حيث جاءت مطلقة في آية الظهار : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ [المجادلة : ٣] . وجاءت مقيدة في آية القتل الخطأ : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء : ٩٢] .

فاشترط الجمهور في رقبة كفارة الظهار الإيمان حملاً للمطلق على المقيد ، ولم يشترط أبو حنيفة ومن وافقه الإيمان في ذلك ، لعدم حملهم المطلق على المقيد .

إحكام الأحكام ، الآمدي (٢/١٦٤) ، تيسير التحرير (١/٣٣٠) ، البحر الزخار (١/١٦٦) ، مسائل من الفقه المقارن (١/١٦-١٨) ، أصول الفقه ، لزكي شعبان صـ ٢٩٠ .

من خلال المباحث الأصولية في حمل المطلق على المقيد يتبين للدارس أن المطلق يحمل على المقيد في تيسير القرآن الكريم ، ولا سيما أن الآيات المقيدة جاءت بصيغة الحصر والقصر ، فيصير المعنى - والله أعلم - : ولقد يسرنا القرآن للذكر بلسانك يا محمد لا بأمر آخر ، لتبشر به المتقين ، وتنذر به قوماً لدّا ، لعلهم يتذكرون ، فهل من مدّكر يدّكر ، وهل من متذكر يتذكر ؟! ومن ثم فحمل اللسان على الحقيقة « الجارحة » أولى من حمله على المجاز « اللغة » ؛ إذ القاعدة الأصولية تقول : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ولا يحمل على المجاز إلا لوجود قرينة صارفة ، ولا وجود للقرينة هنا .

وحمل التيسير على إنزال القرآن باللغة العربية جاء في آيات مصرحاً به ، ولا يحتاج إلى استنباط أولي الألباب والنهى ، إذاً فما هي مزية التيسير ؟!

إذا كانت اللغة العربية ميسرة على العرب فليست ميسرة على الأعاجم ، والعرب بالنسبة للأعاجم كالشعرة البيضاء في الجلد الأسود ، فأين تيسير القرآن للأمم الأخرى ، وما هو ؟

أما إضافة التيسير إلى لسانه الشريف ﷺ ففيه زيادة مزية مع ما فيه من الخصوصية التي تستدعي الانتباه ، وتسترعي الاهتمام . والتيسير الحاصل بلسان رسول الله ﷺ أعظم بكثير مما لاحظه المفسرون ؛ لأنه شامل لجميع ما قاله المفسرون في تيسير القرآن مطلقاً ، بالإضافة إلى أمور أخرى لم يذكرها المفسرون ولم يتطرقوا لها في تفاسيرهم ودراساتهم .

فالآيات الكريمة ذكرت طرفي التيسير ، الميّسر الأول وهو الله تبارك وتعالى في البداية ، ثم الوسيلة النهائية في التيسير ، وهي لسان النبيّ ﷺ ، ولم تتعرض الآيات الكريمة لمراحل التيسير وأطواره من البداية إلى النهاية .

وقد بينت آيات الكتاب الكريم والسنة المطهرة مراحل التيسير من خلال مراحل نزول القرآن الكريم :

المرحلة الأولى : القرآن كلام الله تبارك وتعالى ، والكلام صفة المتكلم ، والكلام صفة من صفات الذات ، حيث لم يزل الله عز وجل متكلماً .

المرحلة الثانية : تنزيله إلى أم الكتاب : قال الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٤] .

المرحلة الثالثة : تنْزيله إلى اللوح المحفوظ : قال الله ﷻ : ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾ [البروج : ٢١-٢٢] .

المرحلة الرابعة : تنزيله إلى بيت العزّة في السماء الدنيا .

المرحلة الخامسة : تنزيله على قلب النبيّ ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام خلال ثلاث وعشرين سنة [١] . عن ابن عباس رضي الله عنه قال : « أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك » . وفي رواية : « فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزّة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل عليه السلام ينزل به على النبيّ ﷺ » [٢] .

المرحلة السادسة : انتقاله من قلب النبيّ ﷺ إلى لسانه الشريف .

المرحلة السابعة : انتقاله من لسانه الشريف ﷺ إلى أسماع الناس . حيث تم تيسيره على الخلق .

ومما يقرب لنا الصورة مثال البث التلفازي - وخير أنيس في العلوم مثال - : حيث يرى المشاهد أمرين : الساحة المنقول عنها ، والجهاز المستقبل للبث وهو التلفاز ، دون أن يرى الفريق التلفازي المنهمك في نقل الحديث : من عاملين في الإنارة ، والتصوير ، والإخراج ، ثم البث ، ثم الاستقبال في مركز الإذاعة والتلفاز ، ثم إعادة البث من جديد ، إلى غير ذلك من الأعمال التي لا شأن للمشاهد بمعرفة كيفيات آليات العمل فيها .

وفي الحياة أمور كثيرة هذا شأنها يذكر فيها طرفا المسألة، مع ترك ما بينهما اعتماداً على فهم السامع أو أن هذا هو الذي يهم عامة الناس ، فالناس عموماً يعرفون الحمل والولادة

---

(١) مناهل العرفان ، الزرقاني (١/٣٦-٤٤) ، البرهان (١/٢٢٨-٢٣١) ، الإتقان (١/١١٦) ، المرشد الوجيز صـ ٢٠-٢٨ .

(٢) تنظر هذه الروايات في : الإتقان ، السيوطي (١/١١٦-١١٨) ، مناهل العرفان (١/٣٧-٤٠) .

في الأحياء ، ويهمهم وقت الحمل والولادة دون إجراءات النمو والتطور في الجنين خلال مراحل الحمل . ولعلي بهذين المثالين قد قربت الصورة للأخ القارئ ، والله ولي التوفيق .

فاللسان إذاً هو الجارحة ، والجارحة وسيلة الكلام ، وعن طريقها يدار الكلام ، حيث اللسان واللغة واسطة البشارة و النذارة ، وتبشير المتقين الذين ليس لهم لغة معينة ولا جنس ولا لون يحتاج إلى التيسير ، وإنذار الكفار والمشركين والمنافقين والعصاة يحتاج إلى التيسير بواسطة اللسان الآخذ عن القلب .

وبهذا يتأكد لكل ذي لب عظيم فضل رسول الله ﷺ على الخلق عامة والمسلمين خاصة، مع التنبيه إلى سعة جاهه ، وعلوّ منزلته ، وعميم فضله ، وذلك ليعلم الناس كل الناس حقّ هذا الرسول عليهم فيقبلوا على الإيمان به واتباعه ، ثم ليشكروا هذه النعمة ويقدروها قدرها ، إذ تيسرت في القرآن الكريم أمور كثيرة أهمها : الذكر ، والتلاوة ، والحفظ، والفهم ، والنور ، والتعلم والتعليم ، والهيبة ، والثقل ، بلسان رسول الله ﷺ .

خلاصة أقوال المفسرين في التيسير في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾. للمفسرين في بيان معنى التيسير في الآية أقوال :

١- هوّنّا قراءته ، وسهّلنا تلاوته على أهل كل لسان . فهل من قارئ لهذا القرآن منتفع به ؟ فيقرأه وينتفع به .

٢- سهلنا علم ما فيه ، واستنباط معانيه ، وفهمها . فهل من متعلم علم ما فيه ومستنبط من لطيف معانيه ، ومستخرج لجواهره ودراريه ؟

٣- هوّنّا حفظه ، فهو أيسر كتاب يحفظ ، فكل مريد لحفظه فإنه معان مع ما فيه من الاختصار ، وعذوبة اللفظ ، فهل من مقبل على حفظه ليعان ؟

٤- سهلناه للاتعاظ والادّكار ؛ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر . فهل من متعظ ؟ وهل من معتبر ؟

٥- هيأناه للذكر، والتهيئة : رفع الموانع ، وإحضار الدواعي . فهل من مغتنم للفرصة ؟ وهل من مقبل عليه ؟

٦- بيناه وفصلناه للذكر . فهل من شاكر لهذه النعمة ، ومن مهتبل لهذه السانحة ؟

٧- جعلناه بحيث يعلق بالقلوب ، ويستلذ سماعه ، فلا يسأم سامعه ، وكلما ازداد له سمعاً ازداد لذة وعلماً وفهماً . فهل من قلوب مقبلة على كتاب الله ﷺ آناء الليل وأطراف النهار ؟

٨- جعلناه تذكرة لكل أحد ، وتحدّى به العالمين ، فهو باق على مرّ الدهور وتعاقب العصور معجزة خالدة وآية شاهدة وحجة قائمة ، لا يحتاج متبعه إلى المعجزات ، ولا إلى مزيد من الآيات والدلالات . فهل من مستفيد من أسلوبه ومنهاجه ؟ وهل من متبع لهداه وإرشاده .

٩- ظهور أمره حتى لا يتعلق به نكر أو ريب، فمن تمسك به أغناه عن مراجعة غيره ومعاودة سواه . فهل من مؤمن به ؟ مستيقن بما فيه ؟ مستغن به عمن سواه ؟ مقبل عليه معرض عمن عداه ؟

١٠- أنزلناه على لغتهم ؛ أي اللغة العربية المجيدة . فهل من مدرك لهذا المجد ؟ وهل من مدرك لهذا الرشد ؟ وهل من معتبر مبصر لهذه النعمة ؟ فأين الشكر ، والاتباع ؟ وأين الجهاد بالمال والنفس والأهل والأتباع [١] ؟

قال ابن برّجان [٢] : « أنزلناه باللسان العربي ، ونزّلناه للأفهام تنزيلاً ، وخاطبناهم بعوائدهم ، وأعلمناهم من قبل أعمالهم ، وأقبسناهم المعرفة واليقين من قبل ذواتهم ، وضربنا لهم الأمثال، وأطلنا لهم في هذه الأعمال: ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم » [٣] .

---

(١) جامع البيان (٩٦/٢٧) ، الدر المنثور (٦٧٦/٧) ، النكت والعيون (٤١٣/٥) ، الكشاف (٤٣٥/٤)، مفاتيح الغيب (٤٣/٢٩-٤٤)، الجامع لأحكام القرآن (٨٨/٨٧/١٧) ، مختصر ابن كثير (٤١٠/٣) ، روح البيان (٢٧٤/٩) ، حاشية الشهاب على البيضاوي (١٤/٨ و ١٢٤) ، روح المعاني (٨٤/٢٧) .

(٢) ابن برّجان : هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي المشهور بابن برجان ؛ له تفسير القرآن الكريم المسمى « الإرشاد » والمشهور بـ« تفسير ابن برجان » ، وأكثر الكلام فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات . الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى (٧٦/١-٧٧) ، كشف الظنون (٤٣٤/١ و ٤٣٧) .

(٣) نظم الدرر (٣٥٢/٧) .

وقال القشيري : « يسّر قراءته على ألسنة قوم ، وعلمه على قلوب قوم ، وفهمه على قلوب قوم ، وحفظه على قلوب قوم ، وكلهم أهل الله وخاصته » (١) .

وقال برهان الدين البقاعي : « فالمعنى : أنا لو شئنا بما لنا من العظمة لجئناهم بعبارات لا يشمّون رائحتها ، وبلاغات لا يهتدون إلى وجه معناها أصلاً ، لكننا لم نفعل ذلك ، بل خاطبناهم بأبلغ من بلاغتهم ، مع تيسير فَهْمِ ما خاطبناهم به ، فكان في ذلك إعجازان :

أحدهما : أنه فوق بلاغتهم .

والثاني : أنه مع علوّه يشترك في أصل فهمه الذكيّ والغبيّ » (٢) .

وبعد هذه المقدمة آن لنا الشروع في تبيين بعض مظاهر التيسير بلسان رسول الله ﷺ :

المطلب الأول : تيسير هيبة القرآن العظيم وجلاله :

من أجل إثبات ذلك لابدّ من بيان هيبة القرآن العظيم وجلاله حتّى نتبين بعد ذلك وجه التيسير :

الفرع الأول : هيبة القرآن العظيم وجلاله في القرآن الكريم :

أ - قال الله ﷻ : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٢١] . اختلفت أقوال المفسرين في المراد بالخطاب على أقوال :

الأول : أن الخطاب لرسول الله ﷺ : يبين الله ﷻ في هذه الآية منّته على رسوله ﷺ بأنه لو أنزل هذا القرآن على جبل شامخ راسخ ، عريض صلب لما ثبت بل انصدع وتشقق من نزوله عليه ، ولكن أنزل هذا القرآن على حبيبه محمد ﷺ فثبته له ، وما انصدع منه شيء .

(١) نظم الدرر (٣٥٢/٧) .

(٢) نظم الدرر (٣٥٢/٧) .

الثاني : أن الخطاب للأمة : فيبين الله ﷻ منّته على الخلق ؛ إذ أن هذا القرآن لو أنذرت به الجبال لتصدعت وتهدمت من خشية الله ، والإنسان أقل قوة وأكثر ثباتاً ، والإنسان مخير بين الطاعة والانقياد ، والرد والعصيان ؛ لأنه موعود بالثواب والعقاب ، ففي ذلك إظهار للمنّة ، وحضّ على الخضوع والخشوع للقرآن الكريم .

الثالث : أن الخطاب للكفار : وهو مثل ضربه الله ﷻ لهم ؛ ليحثهم على تأمل مواعظ القرآن وتدبر معانيه ؛ وأن لا عذر في ترك تدبره ، فإنه لو خاطب بهذا القرآن الجبال الرواسي لانقادت له ، ولرأيتها على صلابتها ومتانتها خاشعة متصدعة متشققة منهارة من خشية الله ﷻ ، وأنتم أيها الكفار المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده ، ولا ترهبون من وعيده (١) .

والأولى أن يحمل الخطاب على العموم ليتناول المخاطب الأول وهو الرسول ﷺ ، وأصحابه ﷺ ، ثم أمته من بعده ، ثم الكفار والمشركين على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم على تطاول الأيام ومرور الأزمان ؛ لأن كل إنسان أراد أن يتدبر في آي القرآن لا بد أن يرى بعينه وعقله وقلبه عظمة القرآن وسطوة هيبته على القلوب والنفوس ، فلو أن الله ﷻ قدر أن ينزله على الجبال لرآها كل من يريد أن يرى خاشعة خاضعة متذللة مع قساوتها وصلادتها ، ولكن شأن ابن آدم عجيب وأمره غريب فلقد آتاه الله ﷻ قلباً وحكمة فيه ؛ فإن شاء لان وخضع وخشع لله ربّ العالمين ، وإن شاء عصى الله ﷻ فكان قلبه كالحجارة أو أشد قسوة، وصدق الله العظيم إذ قال : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة : ٧٤] .

فأي قلب هذا الذي امتلكه بعض الناس !! تتصدع الصخور والجبال ولا ينصدع ، وتقع الجبال هدّاً ولا ينثني ، ولا يؤدي حق الله المفترض عليه في تعظيم القرآن !! يستخف

---

(١) جامع البيان (٢٨/٥٣-٥٤) ، النكت والعيون (٥/٥١٢) ، الجامع لأحكام القرآن (١٨/٣٠) ، مختصر ابن كثير (٣/٤١٨-٤٧٩) ، مفاتيح الغيب (٢٩/٢٩٣) .

بأحكام القرآن وعبره وعظاته ، بل هو معرض عنها كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً ! يقول الحسن البصري : « إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم » [(١)] .

وأخرج ابن المنذر عن مالك بن دينار قال : « أقسم لكم لا يؤمن عبدٌ بهذا القرآن إلا صدع قلبه » [(٢)] . أي : لا يؤمن عبد إيماناً صادقاً كاملاً بهذا القرآن الكريم إلا أصابه ما يصدع قلبه من شدة ما يجد من الثقل والهول . ولا بد من القول : إنّ القلوب التي تحس بوقع آيات الله ﷻ هي القلوب اللينة الرقيقة ، ومن ثمار هذا الانصداع الطاعة والانقياد ، أما القلوب القاسية والغليظة فلا تحس بذلك الوقع وإنما تجد بعض آثاره ؛ لأنها منصرفة عن جهة التلقي والتأثير ، ومن ثمار ذلك الإعراض والعصيان .

فانظر أيها الأخ القارئ ! أيّ قلب كان لرسول الله ﷺ قوّة وثباتاً، حتى تلقّى هذا القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام ؟! ثم أي قلب يستطيع تحمل هذا القرآن العظيم لولا أنه يُسّر بلسانه ﷺ ؟!

ب - إن القلوب والأجسام العادية لا تتحمل الوحي ولا أنواره ولا سماع خطابه : بل إن هذه القلوب والأجسام لا تتحمل الخطاب الميسر على لسان رسول الله ﷺ ، ولقد انصدعت قلوب ، وطاشت عقول ، وذهبت ألباب عندما كوشفت بشيء من هيبة القرآن الكريم الميسر ! ومن أجل معرفة حقيقة هيبة القرآن ننتقل إلى الملأ الأعلى ، لنتعرف على أحوالهم عندما يريد الله ﷻ إيحاء أمر من الأمور .

يقول الله ﷻ : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ : ٢٣] . اختلف أهل التفسير في زمن التفزيع عن القلوب ، وفي الذين فزّع عن قلوبهم :

---

(١) مختصر ابن كثير (٣/٤٧٩) .

(٢) الدر المنثور (٨/١٢١) .

فذهب جمهور المفسرين إلى أن الزمن البرزخ أو يوم القيامة ، وذلك لأنهم ذهبوا على اختلاف أقوالهم إلى أن المفزّع عن قلوبهم الإنس أو الجن كما سنرى .

وذهب بعض المفسرين إلى أن الأمر متعلق بالدنيا ؛ لأنهم حملوا التفزيع على الملائكة، ولم ينفوا أن يكون ذلك يوم القيامة .

أما الذين فزع عن قلوبهم فللمفسرين فيهم ستة أقوال :

١- أنهم المؤمنون : معناه خلّي عن قلوبهم الفزع ، قال قطرب : « أخرج ما فيها من الخوف » .

٢- أنهم سائر الإنس : كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة . وذلك عند الفزع ؛ لأن القبر أول منازل الآخرة .

٣- أنهم الشياطين فزّع عن قلوبهم ففارقوا ما كانوا عليه من إضلال أوليائهم .

٤- أنهم الكفار والعصاة دُعوا فاستجابوا من قبورهم ، مأخوذ من الفزع الذي هو الدعاء والاستصراخ .

٥- أنهم المؤمنون الصادقون فزّع ما في قلوبهم من الشك والشرك .

٦- أنهم الملائكة ، فزعوا عند سماع الوحي من الله ﷻ .

٧- أنهم المشركون كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت ، فسألتهم الملائكة فأقرّوا حين لا ينفع الإقرار [١] .

والسياق القرآني للآية يتعلق فيمن يؤذن لهم بالشفاعة يوم القيامة ، فإذا ورد عليهم الإذن بالشفاعة صعقوا لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل ، والخوف الشديد ، تهيباً لكلام الله ﷻ ، والخشية من التقصير في تنفيذ ما أذن الله به [٢] .

وهذا الحال أليق بالملائكة في الدنيا والآخرة ، وليس من شأن البشر ذلك ، ولا

---

(١) جامع البيان (٢٢/٨٩-٩٣) ، النكت والعيون (٤/٤٤٨) ، الكشاف (٣/٥٨٠) ، مفاتيح الغيب (٥/٢٥٦-٢٥٧) ، الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٨٩-١٩٠) ، معالم التنزيل (٣/٥٥٧-٥٥٨) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٨٩) .

سيما وقد وردت أحاديث كثيرة وآثار تدل على أنه حال الملائكة منذ نزول الوحي .

الفرع الثاني : هيبة القرآن العظيم وجلاله في السنّة المشرّفة : أخرج ابن مردويه عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « لما نزل جبريل بالوحي على رسول الله ﷺ ، فزع أهل السموات لانحطاطه ، وسمعوا صوت الوحي كأشد ما يكون من صوت الحديد على الصفا ، فكلما مرّ بأهل سماء ﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ فيقولون : يا جبريل ! بماذا أمرت ؟ فيقول : نور العزة العظيم ، كلام الله بلسان عربي »[١] .

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة والكلبي في قوله ﷻ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ قالا : لما كانت الفترة بين عيسى ﷺ ومحمد ﷺ فنزل الوحي مثل صوت الحديد، فأفزع الملائكة عليهم السلام ذلك ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ قالوا ، إذا جلّى عن قلوبهم ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[٢] .

وأخرج ابن جرير وابن خزيمة وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن النوّاس بن سمعان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله أن يوحي بأمر تكلم بالوحي ، فإذا تكلم بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله ﷻ ، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخرّوا سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ﷺ فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، فيمضي به جبريل ﷺ على الملائكة عليهم السلام ، كلّما مرّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبرائيل : قال : ﴿ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ﷺ ، فينتهي جبريل ﷺ بالوحي حيث أمره الله من السماء والأرض »[٣] .

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى

---

(١) الدر المنثور (٦/٦٩٩-٧٠٠) .

(٢) الدر المنثور (٦/٧٠٠) .

(٣) جامع البيان (٢٢/٩١) ، الدر المنثور (٦/٦٩٨) .

يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل فزّع عن قلوبهم ، قال : فيقولون يا جبريل : ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحق ، فيقولون : الحق ، الحق »[(١)] .

ورواه البخاري معلقاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه قال : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً ، فإذا فزع عن قلوبهم ، وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ، ونادَوْا ، ماذا قال ربكم ؟ قال : الحق »[(٢)] .

وعن أبي هريرة ﷺ يبلغ به النبيّ ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفُذُ هم ذلك ، فإذا فُزّع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العليّ الكبير »[(٣)] .

فإذا كان هذا حال الملائكة بل حال أعظمهم عند سماع كلام الله ﷻ ، وهم أجسام نورانية اعتادت سماع الخطاب الرباني ، فكيف يمكن للبشر العاديين سماع كلام الله والاستفادة منه ؟

ومن هنا يعلم أن الناس مسلمهم وكافرهم لا يقدرون على تحمل خطاب القرآن الكريم بصورة مباشرة ؛ لأن الله ﷻ لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله ، والإنسان أقل قوة من الجبال ، ولكنه بفضل رسول الله ﷺ لطفت هذه الهيبة على لسانه ﷺ فأعطي الإنسان الثبات لتلقي هذا القرآن ؛ فإن آمن بالرسول ﷺ كان قادراً على القيام بحقّه ، وإن كان كافراً كان قادراً على ردّه ، وإن أمر الكافر لأعجب من العجب العجاب ؛ إذ كيف يرد هذا القرآن ويكفر به ، مع أنه لو نزل على جبل لخشع لوعده ، ولتصدع لوعيده ، ثم هو بعد ذلك لا يرغب في وعده ، ولا يرهب من وعيده .

---

(١) سنن أبي داود (٢٣٥/٤) ، برقم (٤٧٣٨) كتاب السنة ، صحيح ابن حبان (٢٢٤/١) برقم (٣٧) .

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري (٤٥٢/١٣-٤٥٣) ، كتاب التوحيد (٣٢) .

(٣) صحيح البخاري بشرح الفتح (٤٥٣/١٣) برقم (٧٤٨١) ، سنن الترمذي (٣٦٢/٥) برقم (٣٢٢٣) ، سنن ابن ماجه (٦٩/١) برقم (١٩٤) ، فتح الباري (٣٨٠/٨-٥٣٧) ، دلائل النبوة ، البيهقي (١٩/٢ و ٢٣٥) .

لذلك كان للقرآن وقع شديد على القلوب المؤمنة والكافرة ، فما سمع القرآن كافر إلا وأثر فيه وهزّ كيانه ، وهذا الأثر واضح في رؤساء قريش وزعمائهم ، ولكن منهم من يستجيب لنداء الحق فيعلن إسلامه ويشهد شهادة الحق ، ومنهم من يتبع هواه فيضله الله ﷻ على علم فيعلن عداوته للحق الذي استيقنه .

وما سمعه مؤمن إلا ازداد خشيةً لله ﷻ ، ولقد مرض عمر بن الخطاب شهراً لسماع أوائل آيات سورة الطور [١] ، وأغمي على آخرين ، وفارق بعضهم الحياة لسماع آية واحدة من كتاب الله .

ولقد كان تأثير القرآن الكريم شديداً على كفار قريش ، حيث حارت به ألبابهم وطاشت له عقولهم ، وانخلعت له قلوبهم ، ولقد قرأ رسول الله ﷺ آيات يوماً ثم سجد فسجد معه كفار قريش لشدة وقعها على قلوبهم [٢] ، وقصة الوليد بن المغيرة خير شاهد على عظم الأثر وشدة الوقع .

فهذا أثر القرآن وقد لطفت هيبته بلسان رسول الله ﷺ فكيف يكون الحال لو لم يُيَسّر ؟!؟!

الفرع الثالث : هيبة القرآن العظيم وجلاله في الآثار وأقوال أهل العلم : ذكر أهل العلم من وجوه إعجاز القرآن الكريم : ما يقع في النفوس منه عند تلاوته من الروعة ، وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة ، وما يلحقها من الخشية ، سواءً كانت فاهمة لمعانيه أو غير

---

(١) ينظر الدر المنثور (٧/٦٣٠-٦٣١) ، وفيه : أخرج سعيد بن منصور وابن سعد وأحمد عن جبير بن مطعم قال : « قدمت المدينة في أسارى بدر على رسول الله ﷺ ، فوقفت إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة المغرب ، فسمعته يقرأ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ ، فكأنما صدع قلبي » . وأخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن أن عمر بن الخطاب قرأ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ ، فربا لها ربوة عيد لها عشرين يوماً. وأخرج أحمد في الزهد عن مالك بن مغول قال : قرأ عمر : ﴿ وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝ ﴾ ، قال : قسم إلى قوله : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ ، فبكى ثم بكى حتى عيد من وجعه ذلك .

(٢) ينظر خبر سجود قريش : صحيح البخاري (١٠٦٧ و ١٠٧٠ و ٤٨٦٣) ، صحيح مسلم (٥٧٦) ، سنن أبي داود (١٤٠٦) ، سنن النسائي (٩٥٨ و ٩٥٩) ، سنن الترمذي (٥٧٥) .

فاهمة ، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة [١] ، ولذلك قال ﷺ : « إن هذا القرآن صعب مستصعب لمن كرهه ، ميسر لمن تبعه ، وإن حديثي صعب مستصعب لمن كرهه ، ميسر لمن تبعه ، من سمع حديثي فحفظه وعمل به جاء يوم القيامة مع القرآن ، ومن تهاون بحديثي فقد تهاون بالقرآن ، ومن تهاون بالقرآن خسر الدنيا والآخرة » [٢] .

والفرق بين المؤمن والكافر أن المؤمن يستديم هذه الخشية فيمضي في طاعة الله ﷻ ورضوانه ، والكافر يصرفها عن نفسه ويتغافل عنها فيبقى على ما هو عليه .

وقد عُلِّق على هذا الوجه : بأن هذه الهيبة لم تزل تعتري من سمعه . وقد اعترت جماعة من الصحابة قبل الإسلام وبعده ، فقد صح أن جبير بن مطعم قال : « سمعت النبيّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۝** ﴾ [الطور : ٣٥-٣٧] ، كاد قلبي أن يطير » [٣] .

ومن شواهد هيبة القرآن على القلوب ما ذكره أصحاب السير : أنّ عتبة بن ربيعة - وكان سيداً من سادات قريش - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ! ألا أقوم إلى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ؟ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ! قم إليه فكلّمه . فقام إليه عتبة حتى جلس إليه ، فقال : يا ابن أخي ! إنك منّا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة، والكمال في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرّقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم، وكفّرت من مضى من آبائهم ، فاسمع منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل مني

---

(١) الفوائد المشوق صـ ٣٤١ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١٨٩/٢) ، ذكره ضمن الأحاديث المسندة إلى رسول الله ﷺ ، الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٨) .

(٣) الفوائد المشوّق صـ ٣٤١ ، وانظر : صحيح البخاري : المغازي (٢٠/٥) ، البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (١٠٦/٢) .

بعضها ! فقال رسول الله ﷺ : « قل أبا الوليد أسمع » ! قال : يا ابن أخي ! إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً [١] لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ ، وبذلنا فيه أموالنا ، حتى نبرئك منه ، فإنه ربّما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة من كلامه ، ورسول الله ﷺ يستمع إليه ، قال : « فقد فرغت يا أبا الوليد » ؟ قال : نعم ! قال : « فاسمع منّي » ! قال : أفعل . قال الرسول ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ﴾ [فصلت : ١-٦] ، ثم مضى رسول الله ﷺ يقرأ هذه السورة ، وعتبة مُنصِت إليه ، ملق يديه خلف ظهره معتمداً عليهما ، حتى إذا بلغ النبيّ ﷺ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ ﴾ [فصلت : ١٣] ، فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه .

والذي يبدو من الروايات : أن النبيّ ﷺ مضى في تلاوة السورة حتى انتهى إلى السجدة [فصلت : ٣٨] ، فسجد النبيّ ﷺ ، ثم قال ﷺ : « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » . فقام عتبة لا يدري بما يراجعه ، فأتى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم ، قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنّي سمعت قولاً والله ! ما سمعت مثله قط ، والله ! ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . يا معشر قريش ! أطيعوني ، واجعلوها بي ، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ! فوالله ! ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

---

(١) أي ما تراه : من الجن .

قالوا : قد سحرك والله ! يا أبا الوليد بلسانه ! قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم . ثم رجع إلى بيته ، ولم يخرج إلى قومه ، حتى أتوه فاعتذر لهم ، وأنه سمع من سيدنا محمد ﷺ كلاماً ما هو سحر ولا شعر ولا كهانة ، وأنه تلا عليه آيات حتى بلغ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝ ﴾ [فصلت : ١٣] ، قال : فأمسكت بفيه ، وناشدته الرحم ، ولقد علمتم أنّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب[١].

فهذه صورة حية لمدى تأثير القرآن العظيم على القلوب والنفوس بعد تيسيره بلسان النبيّ ﷺ ، فكيف سيكون الحال لو أنه لم ييسر بلسانه ﷺ ؟ مع أن السامع كافر لم يؤمن ، وظهرت عليه آثار أنوار القرآن العظيم ، حتى رآها الكفار الذين طمس الله ﷻ بصائرهم ؟!

وذُكِرَ أنّ هذه الهيبة قد اعترت عند سماعه جماعة من المسلمين بعد الإسلام فمات منهم خلق كثير من المؤمنين ، وسلبت به عقول كثير من الموقنين ، وتدلهت به ألباب جماعة من المدنفين ، و راجع الأمر من المذنبين العاصين ، وهو كثير لا يمكن حصره، ولا يسع المرء ذكره ، فكتب الرقائق فيها من ذلك كثير[٢].

المطلب الثاني : تيسير ثقل القرآن الكريم :

القرآن الكريم كلام الله ﷻ ، وربّما توهم بعضهم وتساءل : من أين يأتي الثقل للقرآن الكريم ؟ والحق أنّ القرآن الكريم فيه من الثقل على الأبدان والقلوب والنفوس والعقول والأرواح ما لا يعلمه إلا الله ﷻ ؛ لأن الطاقات الروحية والمعنوية تتحول إلى قوىً أخرى عند تعلقها بالأجسام :

الفرع الأول : ثقل القرآن الكريم في القرآن الكريم : قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝

(١) الخصائص الكبرى ، السيوطي (٢٨٣/١) ، الفوائد المشوّقة صـ ٣٤١-٣٤٢ ، البداية والنهاية (٩٠/٤-٩١) .

(٢) انظر : الفوائد المشوّق صـ ٣٤٢ .

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل : ١-٥] ، وهذا الثقل وإن كان في الأصل معنوياً ؛ فإن له آثاراً مادية ، إذ من المعلوم أنّ القول الثقيل هو القرآن العظيم ؛ لأنه عظيم قدره ، جليل خطره ، ولقد أمر الله نبيه ﷺ بقيام الليل وترتيل القرآن استعداداً وتأهيلاً لتلقي هذا القول الثقيل القرآن المجيد ؛ لأن القرآن كلام الله القديم وأنّى للمخلوق أن يتحمل أنوار القديم ؟! ولولا لطف الله ﷻ لما استطاع رسول الله ﷺ تلقي هذا القرآن العظيم ، ومع ذلك كان إذا نزل إليه الوحي ثقل عليه وتربد وجهه ، وتفصد وجهه عرقاً في اليوم الشديد البرد ، ولا يقدر على الحركة حتى ينجلي عنه (١) .

عن ابن عباس ﷺ في قوله ﷻ : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر : ٢١] قال : « يقول : لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حمّلته إيّاه تصدع وخشع من ثقله ، ومن خشية الله ، فأمر الله ﷻ الناس إذا أنزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع » (٢) .

الفرع الثاني : من وجوه ثقل القرآن الكريم : إن القرآن الذي يسّره الله بلسان رسوله ثقيل في ميزان الحق ، ثقيل في أثره على القلوب ، فأنزله الله ﷻ على قلب الحبيب المصطفى ، الذي هو أثبت من الشم الرواسي ، لأن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه لثقيل ، وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة لثقيل ، وإن الاتصال بالملأ الأعلى ، وأرواح الخلائق الحية ، والجاحدة على النحو الذي تهيأ لرسول الله ﷺ لثقيل ، وإن العمل بما فيه من واجبات و محرمات و مندوبات و مكروهات ومباحات لثقيل ، وإن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب ولا التفات لثقيل ، وإن تلاوة القرآن وترتيله ، واستقبال إشعاعاته وإيحاءاته وإيقاعاته لثقيل ، وإن حمل هذا القرآن والدعوة إليه ، وما في ذلك من عبء باهظ ، وجهد مرير ، وبلاء عظيم ، ومحن وشدائد لثقيل ، وإن كون القرآن الرسالة الخاتمة إلى الناس كافة فمن شأنه البقاء على وجه الدهر ، فالدعوة إليه وحمله ، والمحافظة عليه والجهاد من أجله

---

(١) النكت والعيون (١٢٦/٦) ، مفاتيح الغيب (١٧٤/٣٠) .

(٢) جامع البيان (٥٣/٢٨) ، الدر المنثور (١٢١/٨) ، مختصر ابن كثير (٤٧٨/٣) .

وبذل الغالي والنفيس في سبيله لأمر ثقيل ، لذا لا يفي بإدراج فوائده ومعانيه بالكلية عمل واحد ، ولا يحقق مقاصده فرد واحد ، وإنما على الأمة أن تكثف جهودها وتوحدها خدمة لهذا القرآن ، فأهل العقائد غاصوا في بحار توحيده ، والفقهاء أقبلوا على البحث في أحكامه ، وأهل اللغة والمعاني بحثوا في إعجازه ، وأهل القلوب وجدوا بغيتهم فيه ، وهو مرد العلوم الذي لا ينقطع ، فعلمنا أن الإنسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله ، فهو إذن لثقيل [(١)] .

يقول سيد قطب : « إن لهذا القرآن لثقلاً وسلطاناً وأثراً مزلزلاً لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته .. واللحظات التي يكون فيها الكيان الإنساني متفتحاً لتلقي شيء من حقيقة القرآن يهتز فيها اهتزازاً ويرتجف ارتجافاً ، ويقع فيه من التغييرات والتحوّلات ما يمثله في عالم المادة فعل المغناطيس والكهرباء بالأجسام ، أو أشد . والذين أحسّوا شيئاً من مسّ القرآن في كيانهم يتذوقون هذه الحقيقة تذوقاً لا يعبر عنه إلا هذا النص القرآني المشع الموحي » [(٢)] .

الفرع الثالث : أثر ثقل القرآن الكريم : القرآن الكريم يحمل طاقة هائلة قابلة للتمثل بصورة متعددة ، شأنها شأن الطاقة الكهربائية ، إذ إنها تتحول تحولات متعددة ، لذا حدثتنا كتب السنن والتاريخ عن أثر ثقل القرآن على النبيّ ﷺ ، وعلى الصحابة الكرام ﷺ ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان على مر العصور والأجيال .

١- إحساس النبيّ ﷺ بثقل القرآن الكريم : كان النبيّ ﷺ يعاني شدّة هائلة عند نزول الوحي ، قال ابن حجر : « وكانت الشدة تحصل له عند نزول الوحي لثقل القول » [(٣)] . وقد تحدث النبيّ ﷺ عمّا كان يلاقيه من شدة الوحي ، فقال : « أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال » [(٤)] .

---

(١) النكت والعيون (٦/١٢٦-١٢٧) ، مفاتيح الغيب (٣٠/١٧٤-١٧٥) ، الظلال (٦/٣٧٤٥) .

(٢) في ظلال القرآن (٦/٣٥٣٢) .

(٣) فتح الباري (١/٣٠) .

(٤) صحيح البخاري (١/٣٠) برقم (٢) ، وينظر : رقم (٣٢١٥) ، صحيح مسلم برقم (٢٣٣٣) ، سنن الترمذي برقم (٣٦٣٤) ، سنن النسائي برقم (٩٣٣ و ٩٣٤) ، الموطأ برقم (٤٧٤) ، مسند أحمد برقم (٢٤٧٢٤ و ٢٥٦٦٦) .

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : سألت النبيّ ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ! هل تحسّ بالوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم ! أسمع صلاصل ، ثم أسكت عند ذلك ، فما من مرّة يوحى إليّ إلا ظننت أنّ نفسي تفيض »(١) .

٢- ظهور آثار تلك الشدة على بدنه حتى يدركها من حوله : لم يكن الإحساس بشدة الوحي مقصوراً على النبيّ ﷺ ، بل كان كل من حوله يشعر بتلك الشدة : عن زيد بن ثابت ﷺ قال : « كان إذا نزل عليه الوحي ، ثقل لذلك وتحدّر جبينه عرقاً؛ كأنه جمان، وإن كان في البرد »(٢) .

وروت أم المؤمنين السيدة عائشة ﷺ ما كان يصيب رسول الله ﷺ من الشدة والكرب عند نزول الوحي فقالت : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه ، وإنّ جبينه ليتفصد عرقاً »(٣) .

٣- تأثر الصحابة بثقل القرآن الكريم عند نزوله : إذ كان ينتقل ثقل الوحي من النبيّ ﷺ إلى من حوله : عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : « كان إذا نزل عليه الوحي نكس رأسه، ونكس أصحابه رؤوسهم، فإذا أقلع عنه رفع رأسه »(٤) .

ومن المعلوم أن نكس الرأس عند رؤية الأكابر وعلية القوم إنّما هو أثر من آثار الهيبة ، والهيبة أثر لقوة الروح المنبثة ، التي تجعل العيون غير قادرة على النظر في وجه المهاب ، فكيف يمكن إحداد النظر في وجوه تنبثق منها الأنوار ، انعكاساً لأنوار تجليات الحق على القلوب المنورة بأنوار المتحلية بأسراره ؟؟

---

(١) مسند أحمد (٢/٢٢٢) برقم (٧٠٣١) .

(٢) المعجم الكبير ، للطبراني (٥/١١٥) برقم (٤٧٨٧) ، المعجم الأوسط (٦/٨٨) برقم (٥٨٨٠) ، صحيح الجامع برقم (٤٧٩٣) .

(٣) صحيح البخاري (١/٣٠) برقم (٢) وينظر : رقم (٣٢١٥) ، صحيح مسلم برقم (٢٣٣٣) ، سنن الترمذي برقم (٣٦٣٤) ، سنن النسائي برقم (٩٣٣ و ٩٣٤) ، الموطأ برقم (٤٧٤) ، مسند أحمد برقم (٢٤٧٢٤ و ٢٥٦٦٦) .

(٤) صحيح مسلم (٤/١٨١٧) برقم (٢٣٣٥) .

٤- إحساس من لامس النبيّ ﷺ بثقل الوحي : عن زيد بن ثابت ﷺ قال : « كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة ، وعرق عرقاً شديداً ، مثل الجمان ، ثم سرّي عنه ، فكنت أدخل إليه بقطعة الكتف أو كسرة ، فأكتب وهو يملي عليّ ، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن ، وحتى أقول : لا أمشي على رجليّ أبداً ، فإذا فرغت ، قال : « اقرأه » ! فأقرأه ، فإن كان فيه سقط أقامه ، ثم أخرج به إلى الناس »[١] .

وفي رواية : « وإن كان ليوحى إليه ، وهو على ناقته ، فيضرب حزامها من ثِقَل ما يوحى إليه »[٢] .

وعن أبي أروى الدوسي ، قال : « رأيت الوحي ينزل على النبيّ ﷺ ، وإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها ، حتى أظنّ أن ذراعها تنقصم ، فربّما بركت ، وربّما قامت موتدة يديها حتى يُسَرّى عنه من ثقل الوحي ، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان »[٣] .

وعن عائشة أم المؤمنين ﷺ : « أن النبيّ ﷺ كان إذا أوحي إليه ، وهو على ناقته ، وضعت جرانها ، فلم تستطع أن تتحرك ، وتلت قول الله ﷻ : ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝** ﴾ [المزمل : ٥][٤] . وفي رواية : « أنّ رسول الله ﷺ كان إذا أوحي إليه ، وهو على ناقته لا تستطيع أن تتحوّل حتى سري عنه »[٥] .

الفرع الرابع : أثر ثقل القرآن الكريم على المتدبرين له المتفكرين فيه : قال أبو

---

(١) المعجم الأوسط (٢/٥٤٤) برقم (١٩٣٤) .

(٢) دلائل النبوّة (٣/٤) ، الطبقات الكبرى ، لابن سعد (١/١٩٧) .

(٣) الطبقات الكبرى (١/١٩٧) .

(٤) المستدرك (٢/٥٤٩) برقم (٣٨٦٥) ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي » .

(٥) مسند إسحاق بن راهويه (٢/٢٥٤) .

سليمان الداراني : « ربّما جاءت الآية خمس ليال ، فلولا أنّي أترك الفكر فيها ما جزتها أبداً ، وربّما جاءت الآية من القرآن فيطير معها العقل، فسبحان الذي يرده بعد ذلك »[١] .

وقال تلميذه أحمد بن أبي الحواري : « إني لأقرأ القرآن ، فأنظر في آية ، فيحار عقلي »[٢].

وكان يحيى بن سعيد القطّان « إذا قرئ عليه القرآن يسقط إلى الأرض، حتى يكاد يذهب عقله » ، قال الإمام أحمد في رواية المروزي معلقاً : « لو قدر أن يدفع هذا أحد لدفعه يحيى »[٣] .

وذكر الحافظ ابن الأخضر فيمن روى عن أحمد ، في ترجمة إبراهيم بن عبد الله القلانسي ، قال : « قيل لأحمد بن حنبل : إنّ الصوفية يجلسون في المساجد بلا علم على سبيل التوكل ؟ قال : آلعلم أجلسهم ؟ فقال : ليس مرادهم من الدنيا إلا كسرة خبز وخرقة ، فقال : لا أعلم على وجه الأرض أقواماً أفضل منهم . وقيل : إنهم يستمعون ويتواجدون ؟ قال : دعوهم يفرحون مع الله ﷻ ساعة ! قيل : فمنهم من يغشى عليه ، ومنهم من يموت ؟ فقال : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزمر : ٤٧] »[٤] .

فهؤلاء الأصفياء يسمعون القرآن الكريم ويتواجدون ، فيحصل لبعضهم ما يحصل من الغشي والموت ، كما يحصل ليحيى بن سعيد القطان ؛ وذلك أن معرفة الله ﷻ إذا استولت على العبد ، وسمع القرآن الكريم ، لم يسمع التلاوة إلا من المتكلم بها ، فصعق السامع خضوعاً للمسموع عنه ، لذلك قال الحسن البصري في وصف أصحاب النبيّ ﷺ : « لو رأيتموهم لقلتم مجانين » ، والناظر إليهم من خارج أحوالهم خليّ مما يلوح لهم .

والأصل في تفاوت الناس في ذلك صفاء المدارك ، واختلاف المسالك ، فقلوب

---

(١) اللمع ، السراج صـ ١٢٥ ، صفة الصفوة (٤/٢٣٢) .
(٢) صفة الصفوة (٤/٢٣٧) .
(٣) الآداب الشرعية ، ابن مفلح (٢/١١٢ و ٣٣٤) .
(٤) الآداب الشرعية ، ابن مفلح (٢/٣٣٤) .

العامة تسمع الأصوات ، وترجيع الألحان فيحركهم طرب الطباع وما عندهم من الوجد في السماع . والخواص : يدركون بصفاء مداركهم أرواح الألفاظ ، وهي المعاني [(١)] .

وذكر ابن تيمية أن بعض الأحوال الإيمانية ترد على العبّاد والزهّاد وأهل المعرفة من سماع القرآن وغيره مما يوجب زوال عقل أحدهم وعلمه ، حتى تجعله كالمجنون والمولّه والسكران والنائم ، أو زوال قدرته حتى تجعله كالعاجز ، أو تجعله كالمضطر الذي يصدر عنه القول والفعل بغير إرادته واختياره .

فمن يستمع القرآن فهاج له وجد نحو الحبيب ، أو رجاء أو مخافة ، فضعف عن حمله حتى مات أو صعق أو صاح صياحاً عظيماً أو اضطرب اضطراباً كثيراً ، فهو معذور؛ لأنه بمنزلة عقلاء المجانين المولهين ، الذين حصل لهم الجنون، مع أنهم من الصالحين وأهل المعرفة . وهذا الأمر له أسباب عدة أهمها :

الأول : قوة الوارد : الذي ورد عليهم من قبل الجليل جل جلاله .

الثاني : ضعف القلوب عن تحمل هذا الوارد، سواءً كانت هذه القلوب قوية أو ضعيفة .

وقد سئل أبو محمد المقدسي عن هؤلاء القوم ، فقال : « هؤلاء قوم أعطاهم الله تبارك وتعالى عقولاً وأحوالاً ، فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم ، وأسقط ما فرض بما سلب » [(٢)]. وكان هذا الصنف موجوداً في التابعين ومن تبعهم بإحسان [(٣)] .

قال الزركشي : « وقد صنف بعضهم كتاباً فيمن مات بسماع آية من القرآن » [(٤)] .

المطلب الثالث : تيسير تلاوة القرآن الكريم :

القرآن الكريم كلام الله جل جلاله ، والكلام صفة المتكلم ؛ فأنى لمخلوق أن يقوى على تلاوة كلام الخالق ؟! مع ما عرفنا من هيبة القرآن الكريم وثقله ، وما فيه من أنوار وأسرار .

---

(١) الآداب الشرعية ، ابن مفلح (٢/٣٣٢) . عن ابن عقيل الحنبلي .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٣٤٩) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٣٤٨-٣٥٠) .

(٤) البرهان (٢/١٠٦) .

وإذا كان كلام أهل البيان والبلاغة تعسر قراءته وتلاوته ، ويثقل على النفس تكراره ، فكيف بكلام الله ربّ العالمين ؟! ومن هنا علينا أن نتعرف على بعض وجوه تلاوته :

الفرع الأول : تيسير تلاوته على كل لسان : وهذا أمر بين واضح فإن الله ﷻ يسّر تلاوته على لسان رسول الله ﷺ وبلسانه ، فمع أن القرآن الكريم عربيّ فإن تلاوته سهلة « على أهل كل لسان ، وهذا أحد معجزاته ؛ لأن الأعجمي قد يقرأه ويتلوه كالعربي » [١] .

وبذلك علم أن التيسير هو تسهيل قراءة القرآن ، وفي ذلك ثناء على القرآن أنه ميسر للقراءة [٢] .

ويتضح ذلك أكثر إذا علمنا أن العربيّ الصحيح إذا لم يقرأ القرآن أو يسمعه على شيخ متصل الإسناد برسول الله ﷺ ؛ فإن قراءة القرآن تصعب عليه ؛ لأن تيسير تلاوة القرآن لم تتم بلسان رسول الله ﷺ . ويوجد أعاجم يحسنون القراءات القرآنية المتواترة لكونهم أخذوها ميسرة بلسان رسول الله ﷺ ، على أهل العلم والمعرفة ممن صح سندهم إلى رسول الله ﷺ . ولولا تيسير تلاوة القرآن الكريم بلسان رسول الله ﷺ لما استطاع أحد قراءة كلام الله ﷻ .

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ قال : « لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله » . وأخرجه الديلمي عن أنس مرفوعاً مثله [٣] .

وأخرج آدم بن إياس وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات عن مجاهد بن جبر ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ قال : « هوّنا قراءته » [٤] .

---

(١) النكت والعيون (٥/٤١٣) .

(٢) التحرير والتنوير (١٦/١٧٦) .

(٣) الدر المنثور (٧/٦٧٦) ، مختصر تفسير ابن كثير (٣/٤١٠) ، فتح القدير (٥/١٢٤) ، روح المعاني (٢٧/٨٤) .

(٤) جامع البيان (٢٧/٩٦) ، الدر المنثور (٧/٦٧٦) ، مختصر ابن كثير (٣/٤١٠) ، روح المعاني (٢٧/٨٤) .

وأخرج ابن المنذر عن ابن سيرين أنه مرّ برجل يقول : سورة خفيفة ، قال . لا تقل سورة خفيفة ، ولكن قل سورة ميسرة ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١) .

وقال السدي : « يسّرنا تلاوته على الألسن » (٢) .

الفرع الثاني : تيسير تكراره : ومن تيسير تلاوة القرآن الكريم « أن قارئه لا يمله ولو أعاده مراراً ، مع أن القلوب جبلت على مُعَاداة المُعَاداتِ ، وسامعه لا يعرض عنه ولا يكره تكراره على سمعه ، بل الملازمة لتلاوته تزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبة وحسناً وبهجة وقبولاً ، ولا يزال غضّاً طريّاً لا تتغيّر بهجته ونضارته فكأنه في كل مرّة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ، ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يملّ مع الترديد ، ويعادى إذا أعيد ، وكتابنا يستلذ به في الخلوات ، ويؤنس بتلاوته عند نزول الكربات » (٣) .

عن أبي هريرة ﷺ كان يقول : قال رسول الله ﷺ : « ما أذن الله لشيء ما أذن للنبيّ ﷺ يتغنّى بالقرآن » (٤) .

المطلب الرابع : تيسير حفظ القرآن واستظهاره :

القرآن الكريم كلام الله القديم إلى الناس كافة ، وليس بمقدور الإنسان العاجز أن يسمع كلام الله فضلاً عن أن يحفظه ، ولولا لطف الله بالناس وتيسير القرآن للذكر بلسان رسول الله ﷺ لما استطاع أحد أن يتحمل حفظ آية واحدة من كتاب الله ﷻ ، وأنى له الإطاقة لأنوارها وإشعاعاتها ؟! ولولا ذلك لما ذكر القرآن الكريم مسألة تيسير القرآن العظيم بلسان النبيّ الكريم ؟!

(١) الدر المنثور (٧/٦٧٦) ، روح المعاني (٢٧/٨٤) .

(٢) مختصر ابن كثير (٣/٤١٠) .

(٣) السيرة النبوية ، أحمد بن زيني دحلان (٣/١١١) .

(٤) صحيح البخاري بشرح الفتح (١٣/٤٥٣) برقم (٧٤٨٢) .

الفـــرع الأول : قـــال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ قـــال الفراء : « هوّنا حفظه فأيسر كتاب يحفظ هو كتاب الله » [١] .

وقيل : « ولقد سهلناه للحفظ ، وأعنا عليه من أراد حفظه ، فهل من طالب حفظ ليعان عليه ؟ » [٢] .

وقال سعيد بن جبير : « يسرناه للحفظ والقراءة » [٣] .

قال القرطبي : « فيسر الله ﷻ على هذه الأمة حفظ كتابه ليذكروا ما فيه ؛ أي يفتعلوا الذكر ، والافتعال أن تجمع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب فيهم » [٤] .

الفرع الثاني : ولما كان النبيّ ﷺ حريصاً على تلقي الوحي وحفظ ما يلقى إليه من الكتاب طمأنه الله ﷻ بقوله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ ﴾ [الأعلى : ٦] ، وحثه على عدم الاستعجال في حفظه أثناء الوحي فقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝ ﴾ [طه : ١١٤] ، وقال ﷻ : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝ ﴾ [القيامة : ١٦-١٩] . ولما تكفّل الله لنبيه بحفظ القرآن ، جعله كذلك ميسراً بلسانه لتحفظه أمته ، قال ابن جُزَيْ : « وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظاً بالغاً بخلاف غيره من الكتب » [٥] .

ومع هذا التيسير فإن القرآن وحفظه من السهل الممتنع ، سهل حفظه ممتنع ثباته في القلب بسهولة ويسر ، بل لا بد من تعاهد القرآن حتى لا يتفلت حفظه من الإنسان ، قال رسول الله ﷺ : « تعاهدوا هذا القرآن ! فوالذي نفس محمّد بيده ! لهو أشدّ تفلّتاً من الإبل

---

(١) النكت والعيون (٤١٣/٥) .

(٢) الكشاف (٤٣٨/٤) ، مدارك التنزيل (١٧٢٦/٣) .

(٣) معالم التنزيل (٢٦١/٤) ، السيرة النبوية ، دحلان (١١٣/٣) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) .

(٥) التسهيل صـ ٦٧١ .

في عُقُلها »[١] . هذا حال القرآن بعد أن يسّر الله ﷻ حفظه على الناس بلسان رسوله ﷺ ، فكيف لو لم يُيَسّر الله ﷻ هذا القرآن بلسان حبيبه المصطفى ، فمن يستطيع حفظ آيات ، أو سورة أو سور فضلاً عن القرآن كله ؟ وكأني بالمسلم يحفظ الآية والآيات والسورة ثم ما يكاد يتم حفظها حتى ينساها لثقل القرآن على القلوب من جهة ، وعدم أهلية القلوب من حيث الطهارة لتحمله وتقبله من جهة أخرى ، والقرآن أجلّ من أن يكون في قلب امتلأ بالمعاصي ، ولكن الله لطيف بعباده . فنُزول القرآن الكريم بأفضل اللغات وأفصحها هو من أسباب فضله على سائر الكتب الإلهية ، وتسهيل حفظه ما لم يسهل مثله لغيره من الكتب[٢] .

الفرع الثالث : أن كتاب الله ﷻ ميسر دون سواه من الكتب السابقة ، فقد روي : « أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظراً ، ولا يحفظونها ظاهراً كما القرآن »[٣] ، « غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير عليهم السلام ، ومن أجل ذلك افتَتَنُوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أحرقت »[٤] . قال سعيد بن جبير : « ليس من كتب الله ﷻ كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن »[٥] .

والذي يؤيد هذا التوجه ويؤكده أن الكتب الربانية نزلت كاملة دفعة واحدة ، ولم يؤمر أهلها بحفظها ، ولم يتعهد الله ﷻ بحفظها لهم ، ومقتضيات الحفظ أن يحفظ في الصدور والسطور ، وكلما كان الحفظ في الصدور والسطور كان أوثق وأدعى للحفظ ، بينما القرآن اجتمعت له كل أسباب الحفظ ؛ إذ حفظه النبيّ ﷺ ، ولقنه أصحابه فحفظوه ،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٧٨/٦) برقم (٧٩١) ، وانظر (٧٥/٦) وما بعدها ، مسند أحمد برقم (١٦٨٦٦ و ١٦٩١٠ و ١٦٩٤٣ و ١٩٠٥٢ و ١٩١٨٦) ، سنن الدارمي برقم (٣٣٤٨ و ٣٣٤٩) ، وانظر : موسوعة أطراف الحديث (٣٨٣/٤-٣٨٤) .

(٢) التحرير والتنوير (١٧٦/١٦) .

(٣) الكشاف (٤٣٩/٤) ، معالم التنزيل (٢٦١/٤) ، مدارك التنزيل (١٧٢٦/٣) ، السيرة النبوية ، أحمد زيني دحلان (١١٣/٣) ، الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) ، (١١٧/٨) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/٧) .

وأمر كتّاب الوحي بكتابته فحفظ في السطور ؛ لذلك قال الإمام الرازي : « ولم يكن شيء من كتب الله ﷻ يحفظ عن ظهر قلب غير القرآن »[١] .

ولا زال حفظ القرآن في صدور هذه الأمة آية من آيات الله ﷻ ، ومعجزة من معجزات خاتم النبيين ﷺ ، حيث تجد عشرات الألوف يحفظون كتاب الله ﷻ عن ظهر قلب على مر العصور وكرّ الدهور ، وتعاقب الأجيال . ولولا أن يسر الله ﷻ حفظه بلسان رسوله ﷺ لما وجد حافظ لكتاب الله ﷻ ، بل ولا سورة من سوره أو آية من آياته !

المطلب الخامس : تيسير فهم القرآن الكريم :

الفرع الأول : إذا كان فهم كلام بعض أرباب البيان من البشر يحتاج إلى جهد خاص وتفهيم خاص ، وربما صعب على قسم كبير من الناس فهم ذلك الكلام - ولله ولكلامه المثل الأعلى - لذا لم يكن من الميسور فهم القرآن الكريم لولا تيسيره على لسان رسول الله ﷺ ؛ إذ مهمة النبيّ ﷺ شرح وبيان وتفهيم المراد من كتاب الله ﷻ ، قال الله ﷻ : ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ٤٤] ، ﴿ **وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [النحل : ٦٤] .

الفرع الثاني : لقد سهل الله ﷻ القرآن الكريم ، وبينه بلسان رسوله الكريم ، وفصله ليسهل استيعابه وفهمه لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ ، ولولا أن الله ﷻ قد يسّر فهمه على العقول لما استطاع أحد فهمه واستيعابه .

قال ابن عاشور : « وفي هذا الكلام الموجز إخبار بتيسير القرآن للفهم ؛ لأن الغرض منه التذكر ، قال ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ ، وبأن سبب ذلك التيسير : كونه بأفصح اللغات ، وكونه على لسان أفضل الرسل ﷺ ؛ فلذلك كان تسببه في حصول تذكرهم تسبباً قريباً لو لم يكونوا في شك يلعبون »[٢] .

(١) مفاتيح الغيب (٤٣/٢٩) .

(٢) التحرير والتنوير (٣٢١/٢٥-٣٢٢) .

واليسر : هو السهولة وعدم الكلفة في تحصيل المطلوب ، وإذا كان القرآن الكريم كلاماً فمعنى تيسيره يرجع إلى تيسير ما يراد من الكلام ، وهو فهم السامع للمعاني التي عناها وأرادها المتكلم دون كلفة على السامع ولا إغلاق ، بحيث يدخل الكلام إلى الأُذن بلا إذْن . وهذا اليسر يحصل من جانب الألفاظ وجانب المعاني : فأما من جانب الألفاظ فذلك لكونها في أعلى درجات الفصاحة في الكلمات والتراكيب ، بحيث يخف حفظها على الألسنة والقلوب . وأما من جانب المعاني فبوضوح انتزاعها من التراكيب ، ووفرة ما تحتوي عليه التراكيب منها ، من مغازي الأغراض المسوقة هي له ، وبتولد المعاني من معان أُخر كلما كرر المتدبر تدبره في فهمها .

ووسائل ذلك لا يحيط بها الوصف ، ومن أهمها : إيجاز اللفظ ليسرع تعلقه بالحفظ ، وإجمال المدلولات لتذهب نفوس السامعين في انتزاع المعاني منها ، كل مذهب يسمح به اللفظ والغرض والمقام .

ويتأتى ذلك بتأليف نظم القرآن بلغة هي أفصح لغات البشر ، وأسمح ألفاظاً وتراكيب بوفرة المعاني ، وبكون تراكيبه أقصى ما تسمح به تلك اللغة ، فهو خيار من خيار من خيار . ثم كان المتلقون له أمة هي أذكى الأمم عقولاً ، وأسرعها أفهاماً ، وأشدها وعياً لما تسمعه ، وأطولها تذكراً له، دون نسيان .

وعلى تفاوتهم في الخلال بما هو سنة الله في خلقه لا يناكد حالهم ما أراد الله ﷻ تيسيره للذكر ، لأن الذكر جنس من الأجناس المقول عليها بالتشكيك ، إلا أنه إذا اجتمع أصحاب الأفهام على مدارسته وتدبره بدت لجموعهم معانٍ لا يحصيها الواحد منهم وحده [١] .

ويمكن أن يرى الباحث ذلك من خلال أمرين :

الأول : سرعة تعلق معانيه بالذاكرة ؛ لأنها مفاهيم تمس مصالح الناس ؛ لذلك تتلهفها النفس تلهف الصادي للماء العذب ، أو تلهف الحائر لضالته ، حتى إذا وجدها

(١) التحرير والتنوير (٢٦/١٨٨-١٨٩) .

مسّت السكينة شغاف قلبه ، وتغلغلت في حنايا نفسه ، فركنت إليها النفس ، واطمأن القلب ، فتعلق بها الذاكرة كأنما شدّ إليها بأمراس كتان إلى صم جندل .

الثاني : سرعة تداعي الأفكار واسترسالها عند إرادة صاحبها استذكارها واستحضارها ؛ لأن ارتباطها بحوادثها ومناسبات نزولها تجعلها يسيرة الاسترجاع من الذاكرة ؛ ولذلك قالوا : « أبقى الناس عقولاً قراء القرآن » [١] ؛ إذ أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : « من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ، ثم قرأ : ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [النحل : ٧٠] » . وأخرج ابن أبي شيبة عن طاوس قال : « إن العالم لا يخرف » . وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير قال : كان يقال : « إن أبقى الناس عقولا قراء القرآن » [٢] .

بل ذكر أبو شامة المقدسي عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من جمع القرآن متعه الله بعقله حتى يموت » [٣] .

وهذا أمر مشاهد معروف لدى الخاصة والعامة ، فإن أهل القرآن محفوظون في عقولهم وأفهامهم حتى يلقوا الله ﷻ [٤] .

المطلب السادس : تيسير تعلم القرآن وتعليمه :

الفرع الأول : مرّ أنّ كلام بعض أرباب البيان من البشر يحتاج إلى جهد خاص وتفهيم خاص ، وربما صعب على قسم كبير من الناس فهم ذلك الكلام – ولله ولكلامه المثل الأعلى – لذا لم يكن من الميسور فهم القرآن الكريم ويسر تعلمه وتعليمه لولا تيسيره على لسان رسول الله ﷺ ولولا أن الله ﷻ قد سهّل وهوّن تعلمه وتعليمه لما وجدنا أحداً يتعلم القرآن

---

(١) النشر (١/٤) .

(٢) الدر المنثور (٥/١٤٦) .

(٣) إبراز المعاني من حرز الأماني صـ ١٤ .

(٤) المدخل إلى التفسير صـ ٣٣ .

ولا من يعلمه ! ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ قال قتادة : « هل من طالب خير يعُان عليه » ، وقال ابن شوذب : « هل من طالب علم فيعان عليه » [(١)] ؛ إذ مهمة النبيّ ﷺ شرح وبيان وتفهيم المراد من كتاب الله ﷻ ، قال الله ﷻ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل : ٤٤] ، ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل : ٦٤] .

الفرع الثاني : يسّر الله ﷻ القرآن الكريم بلسان رسوله الكريم ، ولكن هذا التيسير منوط بأخذ القرآن الكريم وعلومه بالأسانيد المتصلة إلى رسول الله ﷺ ، ومن ثمّ فكل من أخذ القرآن الكريم وعلومه بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ فقد نال الحظوة من القرآن ويسر تعلمه وحسن أدائه وتعليمه ، لأنه أخذه ميسراً بلسان رسول الله ﷺ ، ومن لم يأخذ القرآن الكريم وعلومه على أهله لم يُيَسّر له العلم بلسان رسول الله ﷺ ، وهذا الذي وجدناه عند أصحاب الفرق الضالة المارقة من الإسلام ؛ فإنهم يقرؤون القرآن لكن دون فهم وعلم حقيقي ؛ لذلك وجدناهم يتخذون القرآن مطية لأهوائهم الدنيئة ، وأغراضهم الخسيسة ، وسلماً لكسب سقط المتاع ، فيحملون الآيات على غير ما أنزلت به بالتأويل الباطني الضالّ ، ويلوون أعناق النصوص ليحمّلوها معتقداتهم الفاسدة ، ومن هنا كانت أهمية الأخذ والتلقي لعلوم الكتاب والسنة [(٢)] .

---

(١) جامع البيان (٢٧/٩٦-٩٧) ، وانظر الدر المنثور (٧/٦٧٦) ، الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٣٤) .

(٢) من المفيد أن ننقل ما قاله الإمام الشاطبي في ذلك في كتابه الموافقات (١/٥٦-٦٢) - والنقل بتصرف يسير - :

« من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام ... وقد قالوا : إن العلم كان في صدور الرجال ، ثم انتقل إلى الكتب وصارت مفاتحه بأيدي الرجال ، وهذا الكلام يقضي بأن لا بد في تحصيله من الرجال .

وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات ، وهي ثلاث :

إحداها : العمل بما علم حتى يكون قوله مطابقاً لفعله ؛ فإن كان مخالفاً له فليس بأهل لأن يؤخذ عنه ، ولا أن يقتدى به في علم .

الثانية : أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم ، وملازمته لهم ، فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك ، وهكذا كان شأن السلف الصالح ؛ فأول ذلك ملازمة الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ ، وأخذهم بأقواله وأفعاله ، واعتمادهم على ما يرد منه كائناً ما كان ، وعلى أيّ وجه صدر فهم فهموا مغزى ما أراد به أوّلاً ، حتى علموا وتيقنوا أنه الحق =

....

= الذي لا يعارض ، والحكمة التي لا ينكسر قانونها ، ولا يحوم النقص حول حمى كمالها ، وإنّما ذلك بكثرة الملازمة ، وشدّة المثابرة ... فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبيّ ﷺ حتي فقهوا ، ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية . وحسبك في صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالماً اشتهر في الناس الأخذ عنه إلا وله قدوة اشتهر في قرنه بمثل ذلك .

وما وجدت فرقة زائغة ، ولا أحد مخالف للسنة إلا وهو مفارق لهذا الوصف . وبهذا الوجه وقع التشنيع على من لم يلازم الأخذ عن الشيوخ ، ولا تأدب بآدابهم ، وبضد ذلك كان العلماء الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم . وفي هذا قالوا :

ومن قرأ العلوم بغير شيخ يضلّ عن الصراط المستقيم

الثالثة : الاقتداء بمن أخذ عنه والتأدب بأدبه ، كما علمت من اقتداء الصحابة بالنبيّ ﷺ ، واقتداء التابعين بالصحابة ، وهكذا في كل قرن ... فلما ترك هذا الوصف رفعت البدع رؤوسها ؛ لأن ترك الاقتداء دليل على أمر حدث عند التارك أصله اتباع الهوى .

وإذا ثبت أنه لا بد من أخذ العلم عن أهله فلذلك طريقان :

أحدهما : المشافهة : وهي أنفع الطريقتين وأسلمهما ؛ لوجهين :

الأول : خاصية جعلها الله ﷻ بين المعلم والمتعلم ، يشهدها كل من زاول العلم والعلماء ؛ فكم من مسألة يقرؤها المتعلم في كتاب ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها ، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتة ، وحصل له العلم بها بالحضرة . وهذا الفهم يحصل إما بأمر عادي من قرائن أحوال ، وإيضاح موضع إشكال لم يخطر للمتعلم ببال ، وقد يحصل بأمر غير معتاد ، ولكن بأمر يهبه الله للمتعلم عند مثوله بين يدي المعلم ظاهر الفقر بادي الحاجة إلى ما يلقى إليه وهذا ليس ينكر ... وهي من فوائد مجالسة العلماء إذ يفتح للمتعلم بين أيديهم ما لا يفتح له دونهم [كحال الصحابة بين يدي رسول الله ﷺ] ، ويبقى ذلك النور بمقدار ما بقوا في متابعة معلمهم ، وتأدبهم معه ، واقتدائهم به ، فهذا الطريق نافع على كل تقدير . وقد يفتح الله ﷻ على المعلم ببركة صدق المتعلم وحسن توجهه .

الطريق الثاني : مطالعة كتب المصنفين ، ومدوّني الدواوين ؛ وهو نافع في بابه بشرطين :

الأول : أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب ، ومعرفة اصطلاحات أهله ما يتم له به النظر في الكتب ، وذلك يحصل بالطريق الأول من مشافهة العلماء ، أو مما هو راجع إليه ... والكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئاً دون فتح العلماء ، وهو مشاهد معتاد .

الثاني : أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد ؛ فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين ... فتحقيق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقيق التابعين ، والتابعون ليسوا كتابع التابعين ، وهكذا إلى الآن فلذلك صارت كتب المتقدمين وكلامهم وسيرهم أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم على أي نوع كان ، وخصوصاً علم الشريعة الذي هو العروة الوثقى ، والوزر الأحمى » .

فالله ﷻ سهّل لنا بلسان رسوله ﷺ ما في القرآن من علوم ، ويسّر لنا استنباط معانيه وأحكامه [١] .

فتأكد لدينا وتحقق من خلال هذه النبذة اليسيرة علوّ مكانة رسول الله وعظيم قدره وجاهه في تفهيم العلوم الشرعية وتيسيرها ، وتسهيل تعلمها وتعليمها ، فياله من جاه وأي جاه !! والحق أن كل مسلم لا يخلو من فهم ما لكتاب الله حسب علمه ومعرفته ؛ لأن القرآن مائدة الله ﷻ لخلقه فكل من رامها نال منها بقدر إقباله واستعداده .

المطلب السابع : تيسير العمل بالقرآن الكريم :

اشتمل القرآن على الأوامر والنواهي في العقائد والعبادات والمعاملات والعلاقات العامة والأخلاق والسلوك ، وهذه الأوامر والنواهي فيها النظري الذي يحتاج إلى بيان ، وفيها العملي الذي يحتاج إلى قدوة في التطبيق ، وكلا الأمرين يحتاج إلى المعلم القدوة ، ولولا كون احتياج الناس إلى القدوة الصالحة ضروريًا لما أرسل الله ﷻ الرسل ولاكتفى بإنزال الكتب مع الملائكة فحسب .

الفرع الأول : الحث على الاقتداء برسول الله ﷺ في القرآن الكريم : حثّ الله ﷻ على التأسي برسول الله ﷺ بقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] فالرسول ﷺ قرآن عملي في عقيدته وعباداته ومعاملاته وأخلاقه وسلوكه ، وقد سأل سعد بن هشام بن عامر السيدة عائشة فقال : « يا أم المؤمنين ! أخبريني بخُلُق رسول الله ﷺ . قالت : كان خُلُقه القرآن ؛ أما تقرأ القرآن قول الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ؟ » [٢] .

---

(١) النكت والعيون (٥/٤١٣) .

(٢) مسند أحمد (٦/٩١ و ١٦٣ و ٢١٦) برقم (٢٤٠٨٠ و ٢٤٧٧٤ و ٢٥٢٨٥) ، السنن الكبرى (٢/٤٩٦) ، دلائل النبوة للبيهقي (١/٣١٠) ، الأدب المفرد (١/١١٥) برقم (٣٠٨) ، شعب الإيمان (٢/١٥٤) برقم (١٤٢٨) .

فأخذ أصحاب رسول الله ﷺ منه هذه الأخلاق ، وأصبح كل واحد منهم قرآناً يمشي على الأرض ، وأخذ عن الصحابة التابعون ، وهكذا تابع التابعين إلى وقتنا الحاضر .

الفرع الثاني : الحث على اتباع رسول الله ﷺ في القرآن الكريم : حث القرآن الكريم على اتباع النبي ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال ، قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، جعل الحق ﷻ اتباع الرسول ﷺ الميزان الذي يعرف فيه المحب الصادق من المدعي ، فاتباع الرسول ﷺ شرط في صحة ادعاء محبتهم لله ﷻ وشرط لمحبة الله ﷻ لهم ، والشرط كما هو معلوم عند الأصوليين ما يلزم من عدمه عدم وجود الشيء ولا يلزم من وجوده وجود الشيء ؛ فوجود المحبة ممتنع بدون تحقق اتباع النبي ﷺ اتباعاً كلياً ، فعلم انتفاء محبتهم لله ﷻ عند عدم وجود الاتباع ، وانتفاء محبتهم لله ﷻ لازم لانتفاء محبة الله ﷻ لهم . وهذه الآية الكريمة جاءت إيضاحاً لأناس أرادوا معرفة سبيل محبة الله ﷻ ، ورداً على أناس ادعوها وهم على غير استقامة ، بل هم غارقون في الشرك والعياذ بالله ، فأرشدتهم إلى السبيل الحق لتحصيل رتبة محبة العبد لله ﷻ ، التي هي ثمرة وسبب لمحبة الله ﷻ للعبد [(١)] . ومن هنا وجدنا أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان شديدي التمسك باتباع النبي ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال والأخلاق حتى العادات والأفعال الجبلية . قال ابن عمر رضي الله عنه : « إن الله بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً وإنما نفعل كما رأيناه يفعل » [(٢)] .

جعل الحق ﷻ اتباع الرسول ﷺ شعاراً على محبته ، لأن الرسول ﷺ يأمر بحب الله ﷻ ، وينهى عما يبغضه الله ﷻ ، ويعمل بما يحبه الله ، ويخبر بما يحب الله التصديق فيه ، فمن كان محباً لله ﷻ لزم أن يتبع الرسول ﷺ فيصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ويتأسى به فيما فعل ، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله فيحبه الله ، فجعل الله ﷻ لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول ﷺ ،

---

(١) الدر المنثور (٢/١٧٧-١٧٩) ، الوجيز (١/٢٠٧) ، الكشاف (١/٣٥٣) ، معالم التنزيل (١/٢٩٣) ، مفاتيح الغيب (٨/١٨-١٩) ، مواهب الرحمن (٢/١٧٢-١٧٣) ، السيرة النبوية ، دحلان (٣/٢٩٦) ، الشفا (٢/٢٢) .

(٢) الشفا (٢/٢٩) .

والجهاد في سبيله ؛ لأن المحبة الصحيحة تقتضي متابعة المحب للمحبوب ، وموافقته فيما يحب ويكره قولاً وفعلاً واعتقاداً ؛ فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة أورثته حباً لما يحبانه وكرهاً لما يكرهانه ، ومن لوازم ذلك العمل بالجوارح بمقتضى تلك المحبة وذاك البغض ، فيقف عند حدود شرع الله ﷻ على أتم وجه فعلاً وتركاً ، فمن ترك شيئاً مما يحبه الله ﷻ ورسوله ﷺ ، وفعل شيئاً يكرهانه مع القدرة على فعل المحبوب وترك المكروه كان إيمانه مختلاً وناقصاً ، ومحبته دعوى لا حقيقة لها ؛ وكل من يدعي محبة الله ورسوله ولم يوافقهما في الأمر والنهي فدعواه باطلة .

والآن ننظر أثر المحبة الحقة في اتباع الصحابة لرسول الله ﷺ ؛ إذ كانوا الأنموذج المثالي في صدق المحبة لله ورسوله ، وحب ما يرضيهما وبغض ما يسخطهما ، وتقديم محبتهما على سائر المحاب ، حتى بذلوا في سبيل ذلك نفوسهم وأرواحهم وأموالهم ، وقاتلوا عليه آباءهم ، وهجروا أزواجهم وعشائرهم وأوطانهم [١] ؛ لأنهم يطلبون أن يكونوا من أحباب الله ﷻ وأحباب رسوله ﷺ ؛ لأن كون العبد محبوباً لله ﷻ أعلى من كونه محباً لله ﷻ ؛ فليس الشأن أن يحب العبد ربه ﷻ ولكن الشأن أن يحبه الله [٢] .

عن ابن وهب ، عن مالك ، عمن حدثه : « أن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ ، وآثاره وحاله ، ويهتم به ؛ حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك » [٣] .

وعن نافع قال : « لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله ﷺ لقلت مجنون » [٤] .

وفي قول : « أن ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله ﷺ كل مكان صلى فيه ، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة ، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة ؛ فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس » [٥] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٩١) ، الوافي في شرح الأربعين النووية صـ ٣٥٢-٣٥٤ .
(٢) روضة المحبين صـ ٢٦٥-٢٦٦ .
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٢١٣) .
(٤) حلية الأولياء (١/٣١٠) ، سير أعلام النبلاء (٢/٢١٣) .
(٥) أسد الغابة (٣/٣٤١) ، سير أعلام النبلاء (٢/٢١٣) .

وعن عاصم الأحول ، عمن حدثه قال : « كان ابن عمر إذا رآه أحد ظن به شيئاً مما يتبع آثار النبي ﷺ »[(١)] .

قال أبو الحسين الوراق : « علامة محبة الله ﷻ متابعة حبيبه ﷺ »[(٢)] .

وقال إبراهيم القصار : « علامة محبة الله ﷻ إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ »[(٣)] .

وورد من وجوه أن عبد الله بن مسعود كان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً ودلاً وسمتاً من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه ، وأنه أقربهم وسيلة إلى الله ﷻ يوم القيامة[(٤)] . وكان الحسن بن سهل يقول : « أما أنا فإذا أحببت إنساناً نظرت إلى فعله ففعلت مثله »[(٥)] .

قال ابن حزم : « واعلم ! أن للحب حكماً على النفوس ماضياً ، وسلطاناً قاضياً ، وأمراً لا يخالف ، وحداً لا يعصى ، وملكاً لا يتعدى ، وطاعة لا تصرف ، ونفاذاً لا يرد ، وأنه ينقض المِرَر ، و يحل المبرم ، ويحلل الجامد ، ويُخِل الثابت ، ويَحُل الشغاف ، ويُحل الممنوع »[(٦)] .

وقال : « ومن عجيب ما يقع في الحب : طاعة المحب لمحبوبه ، وصرفه طباعه قسراً إلى طباع من يحبه ، وربما يكون المرء شرس الخلق ، صعب الشكيمة ، جموح القيادة ، ماضي العزيمة ، حميّ الأنف ، أبيّ الخسف ، فما هو إلا أن يتنسم نسيم الحب ، ويتورط غمره ، ويعوم في بحره ؛ فتعود الشراسة ليناً ، والصعوبة سهولة ، والمضاء كلالة ، والحمية استسلاماً »[(٧)] . ولا يزال المحب مواظباً على طاعة محبوبه ومتقرباً إليه بما يحبه ويرضاه ، وهذا حال الذين يحبون الله ﷻ ورسوله ﷺ لا يزالون مواظبين على طاعته وطاعة رسوله ،

---

(١) الطبقات الكبرى (٤/١٤٤) ، الحلية (١/٣١٠) ، سير أعلام النبلاء (٢/٢٣٧) .

(٢) طبقات الصوفية صـ ٣٠٠ .

(٣) طبقات الصوفية صـ ٣٢١ .

(٤) المعجم الكبير (٩/٨٦-٨٩) برقم (٨٤٨٠-٨٤٩١) ، صحيح البخاري بشرح الفتح برقم (٢٧٦٢ و ٦٠٩٧) .

(٥) الزهرة (١/١٤٣) .

(٦) طوق الحمامة صـ ١٢٩ .

(٧) طوق الحمامة صـ ١٥٣ .

ومتقربين إليه بالنوافل ، وطالبين عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب من قلب محبوبه ، ومن أحب الله ﷻ لا يعصيه ؛ ولهذا قال الشافعي :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع[١]

فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله ، وقد ذم الله ﷻ المشركين لاتباعهم الهوى ، ومنشأ البدع من تقديم الهوى على الشرع ؛ ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء[٢] .

وسئل رويم عن المحبة ؟ فقال : « الموافقة في جميع الأحوال ، وأنشد :
ولو قلت لي متْ متُّ سمعاً وطاعة ... وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً »[٣] .

قال الماوردي : « نعت المحب طاعة المحبوب ومجانبة مخالفته ، المحب عبد ، والعبد واقف عند أوامر سيده ، مجتنب مخالفته في أوامره ونواهيه ، فلا يراه حيث نهاه ، ولا يفقده حيث أمره »[٤] . وقال ابن عربي : « نعت المحب بأنه موافق لمحاب محبوبه »[٥] ، معناه : امتثال وطاعة ما أمر ، والكف والانتهاء عمّا نهى وزجر[٦] .

الفرع الثالث : إلماحة لمعرفة حقيقة تيسير العمل : إذا أردنا معرفة حقيقة تيسير القرآن للعمل بلسان رسول الله ﷺ في التطبيق العملي فما علينا إلا أن نتصور أن القرآن أنزل على العرب وطلب منهم تنفيذ أحكامه فما الذي يحصل ؟! بالطبع سنجد اختلافاً كثيراً في فهم المسألة الواحدة مما يتعذر على المسلم تطبيق أوامر الله ونواهيه .

---

(١) الديوان صـ ٧٣ ، توالي التأسيس صـ ١٤٥-١٤٦ ، الإحياء (٣٤٩/٤) ، النكت والعيون (٣٥٣/٢) ، روضة المحبين صـ ٢٦٦ ، اللمع صـ ٨٧ .
(٢) جامع العلوم والحكم صـ ٣٦٦ .
(٣) جامع العلوم والحكم صـ ٣٦٦ ، وينظر التعرف صـ ١٠٩ .
(٤) النكت والعيون (٣٥٣/٢-٣٥٤) .
(٥) الفتوحات المكية (٣٥٣/٢) .
(٦) التعرف صـ ١٠٩ .

ورد الأمر بإقامة الصلاة مجملاً في القرآن الكريم ، فتصور لو بقي الإجمال كيف ستكون صلاة الناس ؟! ولو فصل الإجمال وترك التنفيذ فكيف ستكون الصلاة ؟ ولكن الحبيب المصطفى ﷺ حسم هذه الفوضى التي يمكن أن تكون حين قال : « وصلوا كما رأيتموني أصلّي »[(١)] .

ولا عليك إلا أن تَتَصوّر فوضى أداء مناسك الحج والعمرة !؟ فإنه مع بيان رسول الله ﷺ للمناسك قولاً وعملاً ، إذ قال : « خذوا عني مناسككم »[(٢)] . فإن الجهل بالمناسك شديد ، وقلّ من يحسن أداءها ، فكيف لو تركت من غير بيان وتطبيق ؟!

وهكذا الشأن في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك ، إذ لولا تيسير ذلك بفضل رسول الله ﷺ لما استطاع أحد تطبيق أحكام الله وفق مرضاته ، لتشعب الآراء والأقوال ، وكثرة الخلاف والاختلاف ، ولم يدر العامّي ماذا يعمل أمام هذا البحر المتلاطم من الخلاف القولي والعملي ، ولن يستطيع أحد التأكد من أن عمله جاء وفق مرضاة الله ! فإذا اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار بعد البيان القولي والعلمي في فهم ما أثر عن رسول الله ﷺ ، فكيف سيكون الأمر لو لم يؤثر عنه شيء ؟

ومن هنا يعلم المسلم عظم جاه رسول الله ﷺ وواسع قدره عند الله ﷻ وعند خلقه ، إذ يسرت بلسانه وجنانه وقلبه التكاليف الشرعية ، حتى غدا فهمها والعمل بها ميسوراً لكل مريد العمل .

المطلب الثامن : تيسير مواعظ القرآن الكريم :

الفرع الأول : القرآن الكريم كله مواعظ موجهة إلى العقول والقلوب ، ولولا أن الله ﷻ يسر هذه المواعظ على لسان رسوله وبلسانه لطاشت منها العقول ، ولما احتملها عقل بشر ، إن قلب رسول الله ﷺ أقوى القلوب وأعظمها وأوسعها وأثبتها وأمكنها ومع

---

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري (١٠/٤٣٧) برقم (٦٠٠٨) ، (١٣/٢٣١) برقم (٧٢٤٦) ، شرح السنة (٢/٢٩٦) .

(٢) السنن الكبرى (٥/١٢٥) ، التمهيد (٢/٩٦) في مواطن متعددة وأجزاء متفرقة .

ذلك رأينا كيف كان أثر مواعظ القرآن عليه أمراً أو نهياً ، مع ما فيه من ذكر الجنة والنار ، وهذا واضح من خلال آثار نزول القرآن الكريم على قلبه الشريف ﷺ التي تتبدى على قسمات وجهه وحركة جسمه ، فأي قلب يحتمل هذه المواعظ لولا تيسير الله ﷻ لها بلسان حبيبه المصطفى ﷺ ، حتى قبلتها القلوب حباً وشوقاً ، لا قهراً وقَسْراً .

قال الإمام الطبري : « يقول تعالى ذكره : ولقد سهّلنا القرآن ، بيناه وفصلناه لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ ، وهوّناه . فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر »(١) .

وقال الإمام البغوي : « سهل القرآن للذكر ليتعظ ويعتبر به .. فهل من متعظ بمواعظه »(٢) .

وقال الإمام الزمخشري : « أي سهّلناه للادّكار والاتعاظ ؛ بأن شحناه بالمواعظ الشافية، وصرفنا من الوعد والوعيد »(٣) ، فهل من معتبر .

وقال ابن جُزَيْ : « وإنما كرر هذه الآية البليغة ، وقوله : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ٣٧ و ٣٩] لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها إذ كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة ، فختم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد في قوله : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ١٦] ، ومن الملاطفة في قوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(٤) ؛ أي سهلناه للفهم والاتعاظ به ، لما تضمن من البراهين والحكم البليغة ، وقال الإمام الرازي : « سهلناه للاتعاظ ؛ حيث أتينا فيه بكل حكمة »(٥) .

الفرع الثاني : أمثلة حية : ويكفي أن نذكر تأثير آية واحدة في قلوب أصحاب رسول الله ﷺ بعد تيسيرها بلسان رسول الله ﷺ . عن أبي هريرة ﷺ قال : لما نزلت هذه

(١) جامع البيان (٢٧/٩٦) .

(٢) معالم التنزيل (٤/٢٦١) .

(٣) الكشاف (٢/٤٣٥) ، مدارك التنزيل (٣/١٣٢٦) .

(٤) التسهيل صـ ٦٧١ .

(٥) مفاتيح الغيب (٢٩/٤٣) .

الآية ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء : ١٢٣] شقّت على المسلمين ، وبلغت منهم ما شاء الله أن تبلغ ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « قاربوا وسدّدوا ، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها »[١] .

وأخرج ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح قال : لما نزلت ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه : « جاءت قاصمة الظهر » ، فقال رسول الله ﷺ : « إنما هي المصيبات في الدنيا »[٢] .

وأخرج عبد بن حميد والترمذي وابن المنذر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : كنت عند النبيّ ﷺ ، فنزلت هذه الآية : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر ! ألا أقرئك آية نزلت عليّ » ؟ قلت : بلى يا رسول الله ! فأقرأنيها فلا أعلم إلا أني وجدت انقصاماً في ظهري حتى تمطيت لها ، فقال رسول الله ﷺ : « مالك يا أبا بكر » ؟ قلت: بأبي وأمّي يا رسول الله ! وأيّنا لم يعمل السوء ، وإنّا لمجزيّون لكل سوء عملنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أما أنت وأصحابك - يا أبا بكر! - المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب ، وأمّا الآخرون فيجمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة »[٣] .

وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب ، حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص ، وقال : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء : ١١٠]»[٤] .

---

(١) جامع البيان (٥/٢٩٣-٢٩٤) .

(٢) جامع البيان (٥/٢٩٥-٢٩٦) ، الدر المنثور (٢/٦٩٩) .

(٣) الدر المنثور (٢/٦٩٦) ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، الكلاباذي صـ ٧٦-٧٧ .

(٤) الدر المنثور (٢/٦٩٨) .

المطلب التاسع : تيسير سماع القرآن الكريم :

القرآن كلام الله القديم ، وسماع كلام الله لا يطيقه أحد من الخلق ، ولا يستطيعه إلا أولو العزم من الرجال ، ممن مكنهم الله ﷻ وهيأهم لسماع كلامه ، وسماع كلام الله ﷻ يكون بقوة القلب والروح ، وقوة القلب التي هي إحدى قوى الروح معطلة عند معظم الخلق ؛ لأنهم لم يعملوا على تفجير هذه القوى بطاعة الله ﷻ ، والمداومة على ذكره ، ولكن الله ﷻ يسّر لنا سماع القرآن العظيم بلسان رسوله الكريم ﷺ ، فأصبح يسمع القرآن كل من له سمع . وآيات ذلك :

الفرع الأول : أنه أصبح بهذا التيسير سهلاً على القلوب ، عذباً على الأسماع ، بحيث يعلق بقلوب الخلق ، ويستلذ سماعه من لا يفهمه ، ولا يسأم من سماعه وفهمه ، ولا يقول أحد : قد علمت فلا أسمعه ؛ بل كل ساعة يزداد منه لذة وعلماً [١] . بل لازال غضًّا طريًا في أسماع السامعين ، وعلى ألسنة القارئين [٢] .

الفرع الثاني : امتلاكه للقلوب والأسماع : للقرآن سرّ عجيب في امتلاك القلوب والأسماع ، ففي أيامنا هذه يسمعه اليهود والنصارى في بيوتهم وتفتتح بعض إذاعاتهم برامجها العربية بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، مع أن هؤلاء يكفرون بالقرآن وبصاحب القرآن . بل إن المرتدين والمارقين والفساق والمجرمين في ديار الإسلام يستمعون إلى هذا القرآن الكريم ، وربما أثر القرآن في سلوكهم وحياتهم من خلال هذا السماع عبر الإذاعة والتلفاز (الرائي) .

الفرع الثالث : لا يُمَلّ على كثرة التكرار : فهاؤم أهل الإيمان لا يملّون ولا يسأمون من كثرة سماع القرآن الكريم ، وقد هيأ الله ﷻ لأهل الإيمان إذاعات خاصة تعنى بتلاوة القرآن الكريم في البلاد الإسلامية طيلة النهار ، فيزيد المؤمنين إيماناً وهدى ونوراً .

وإذا كانت الملائكة عليهم السلام لا تستطيع سماع الخطاب الإلهي - كما مر -

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٩/٢٣) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/١٠٤) وما بعدها .

فأنى للبشر أن يستطيعوا ذلك ؟ وقد أهلك الله ﷻ أقواماً بالصيحة ، وتوعد آخرين بالهلاك بها ، وهذه الصيحة كانت بمثابة الصاعقة التي تهلك من تقع عليه [(١)] ، وسواءً كانت الصيحة كلام ملك من الملائكة ، أو كلام الجليل ﷻ [(٢)] . فهو أمر مهول ، لا يطيقه البشر ، فكيف يطيقون سماع خطاب الله ﷻ والملائكة لا يطيقون ذلك ؟

قال الإمام الماوردي في الوجه الحادي عشر من وجوه الإعجاز : « أن تلاوته تختص بخمسة بواعث عليه لا توجد في غيره : ١- هشاشة مخرجه ، ٢- بهجة رونقه ، ٣- سلاسة نظمه ، ٤- حسن قبوله ، ٥- قارئه لا يكلّ و سامعه لايملّ » [(٣)] .

ومن هنا يعلم فضل رسول الله ﷺ وعظيم جاهه في تيسير سماع كلام الله ﷻ على الخلق ، فيسمعه المؤمن الطائع والعاصي ، والعربي والعجمي ، وكلهم يستفيد منه ويستمد منه! ويسمعه الكافر والفاجر يدعوهم إلى الهدى والرشاد ، فإن آمنوا فقد هدوا إلى صراط مستقيم ، وإن أبوا فقد ضلوا ضلالاً بعيداً ، وهو مصداق قول الحق ﷻ فيهم : ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [المائدة : ٦٤] . ومصداق قول الحق ﷻ فيهم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المائدة : ٦٨] .

ومصداق قول الحق ﷻ في المؤمنين والكافرين : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة : ١٢٤-١٢٥] .

(١) ينظر : سورة هود : ٦٧ و ٩٤ ، الحجر : ٧٣ و ٨٣ ، المؤمنون : ٤١ ، العنكبوت : ٤٠ ، يس : ٢٩ و ٤٩ و ٥٣ ، وغير ذلك . البقرة : ٥٥ ، النساء : ١٥٣ ، فصلت : ١٣ و ١٧ ، الذاريات : ٤٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٤٣) ، روح المعاني (٢٧/١٦) ، حاشية الشهاب (٨/٩٨) .

(٣) أعلام النبوة صـ ٧٧-٩٦ .

المطلب العاشر : تيسير أنوار القرآن الكريم وأسراره :

لا يخفى على ذي لبّ أن القرآن الكريم نور ، وأنه محمل بالأنوار والأسرار ، وأنه ليس في مقدور المخلوق تحمل تلك الأنوار والأسرار .

الفرع الأول : الله نور السموات والأرض : قال الله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور : ٣٥] ، والقرآن الكريم كلام الله ، والكلام صفة المتكلم ، فهو منور السموات والأرض بأنوار جماله وجلاله وهيبته وعظمته .

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ » . وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ : « لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « قَالَ حِجَابُهُ النُّورُ » [١] .

الفرع الثاني : القرآن الكريم نور : قال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] . وقال ﷻ : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن : ٨] .

وهذا النور لو بدا على حقيقته لما أطاقته المخلوقات ، ولذابت من سناه الجمادات ، ولذهلت العقول والألباب ، ولطاشت القلوب وطارت ، وأنى لها أن تحتمل وتتحمل النور الأزلي ؟! ولكن الله ﷻ لطّف هذا النور ويسره بلسان رسوله ﷺ ، وحجب البصائر

---

(١) صحيح مسلم (١٦١/١ و ١٦٢) برقم (١٧٩) ، سنن ابن ماجه (١٩٥ و ١٩٦) ، مسند أحمد (٤٠٥/٤) برقم (١٩٠٩٠ و٩١٣٥) ، صحيح ابن حبان (٤٩٩/١) برقم (٢٦٦) .

والأبصار عن حقيقة نوره إلا من أراد إكرامه بذلك النور .

قال جعفر الصادق ﷺ : « لقد تجلّى الله ﷻ لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون »[(١)] .

ومن يطيق هذا التجلي غير العلماء الراسخين في العلم ، والأولياء الكمّل ؟

ومما يؤيد ذلك ويؤكده : أن الناس لا يقدرون على تحمل أنوار النبوة ، ومهما كان شأن النبيّ من العلو في المنزلة والرفعة في المكانة فإنه مخلوق من مخلوقات الله ﷻ ، وشتان ما بين الخالق والمخلوق . وذكر بعض ما اختص به النبيّ ﷺ المراد منه تقريب الحقيقة إلى الفهم ، وليس الأمر مراداً لذاته في هذا السياق ، وإيضاح ذلك :

١- نور رسول الله ﷺ فوق مقدور البشر تحمّله : فإذا كان نور رسول الله ﷺ فوق مقدور البشر تحمّله ، فكيف بنور كلام الله ﷻ ، الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار ؟ نقل صاحب المواهب اللدنية عن الإمام القرطبي عن بعضهم أنه قال : « لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ ؛ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت عيوننا رؤيته ﷺ لعجزنا عن ذلك »[(٢)] .

وقال أبو يزيد البسطامي : « لو بدا للخلق من النبيّ ذرّة لم يقم لها ما دون العرش »[(٣)] .

فيتأكد بذلك عظيم قدر النبيّ ﷺ وواسع جاهه في تيسير نور القرآن وتلطيفه ؟!

بل واضح لأهل العلم بالسير أن النبيّ ﷺ كان يأذن بالدخول عليه بعد نزول الوحي لخواص أصحابه أمثال أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذي النورين ، و عليّ المرتضى ﷺ أجمعين ، وهذا الذي نلحظه من خلال شدة ملازمة هؤلاء الأكابر للنبيّ ﷺ ؛ وذلك لأن أنوار القرآن النازلة مع الوحي لا تطيقها القلوب الضعيفة ، فلقاؤه ﷺ بأمثال هؤلاء الكمّل يخفف من قوّة الأنوار وحدتها لما لديهم من قوة واستعداد عاليين لاستقبال هذه الأنوار ، بعد ذلك يلتقي بالأصحاب بما يناسب استعداداتهم .

ولقد كانت تتغير أحواله عليه الصلاة والسلام عند نزول الوحي لشدة وقوة الأنوار النازلة مع الوحي ، فيتغير خطابه وأسلوبه مع أصحابه ، فقد روى جابر بن عبد الله ﷺ

(١) عوارف المعارف ، للسهروردي (١/١٦٥) .
(٢) السيرة النبوية ، دحلان (٣/١٩٥) .
(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف ، الكلاباذي صـ ٧٠ .

قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي أو وعظ ، قلت : نذير قوم أتاهم العذاب ، فإذا ذهب عنه ذلك رأيت أطلق الناس وجهاً ، وأكثرهم ضحكاً ، وأحسنهم بشراً »[١] .

وكان لهذا التغير أثره البالغ في نفوس الأصحاب وقلوبهم وعقولهم وأرواحهم ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أوحي إليه لم يستطع أحد منّا أن يرفع إليه طرفه حتى ينقضي الوحي »[٢] .

وعن عمرو بن العاص قال : « صحبت رسول الله ﷺ وما ملأت عيني منه قط ، حياءً منه وتعظيماً له ، ولو قيل لي صفْه لما قدرت »[٣] . أي بجميع أوصافه .

قال السيّد أحمد بن زيني دحلان : « وإذا كان هذا قوله وهو من عظماء الصحابة فما بالك بغيره ؟ » ، ويبين ذلك ويوضحه ما روي أنه عليه الصلاة والسلام « كان إذا فرغ من صلاة الليل حدّث عائشة ﷺ إن كانت مستيقظة وإلا اضطجع بالأرض ، ثم خرج بعد ذلك للصلاة » . وما ذاك إلا لأنه ﷺ كان يتهجد ليلاً ويشتغل بما يقربه من الله، فيظهر عليه حال ، حتى يظن أنه ليس من البشر ، فلو خرج على تلك الحالة التي كان عليها ، وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته ، وسماع كلام ربه ، وغير ذلك من الأحوال التي يَكِلّ اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه . فكان عليه الصلاة والسلام يتحدث مع عائشة ، ويضطجع بالأرض حتى يحصل التأنيس بجنسهم ؛ وهو التأنيس بعائشة التي هي من البشر ، أو من جنس أصل الخلقة الذي هو الأرض ، ثم يخرج إليهم ليتمكن الناس من مخالطته والتكلم معه ، وما كان يفعل ذلك إلا رفقاً بهم ، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً »[٤] .

٢- أثر أنوار النبوة والوحي في القلوب : كان لأنوار النبوة والوحي أثر عظيم في

---

(١) كشف الأستار (١٦٠/٣) ، مجمع الزوائد (١٧/٩) ، وقال الهيثمي : « إسناده حسن » و(١٨٨/٢) و(٧٣/٣) ، مسند أحمد (١٦٧/٢) ، الحلية (١٦٧/٦) .

(٢) صحيح مسلم (١٤٠٦/٣) برقم (١٧٨٠) ، السنن الكبرى للنسائي (٣٨٢/٦) ، مسند أحمد (٥٣٨/٢) ، المصنف لابن أبي شيبة (٥٣/٧) ، المستدرك (٢٤٢/٢) برقم (٢٨٨٠) ، صحيح ابن حبان (٧٥/١١) برقم (٤٧٦٠) .

(٣) مسند أحمد (١٩٩/٤ و ٢٠٤) ، الزهد لابن المبارك (١٤٨/١) ، المعجم الكبير (٦٠/١٧) .

(٤) السيرة النبوية ، دحلان (٢٥٠/٣) .

القلوب ، حتى إن الفرائص لترتعد خوفاً وتعظيماً ، حتى إن قومه الذين كذبوه بعد البعثة إذا واجهوه عظموه وقضوا حاجته ، وذلك لما ألقى الله عليه من أنوار جلال جمال القرآن العظيم ، والتي فيها ما فيها من الجلال والمهابة التي تدهش القلوب والعقول ، فمن رآه بديهاً هابه .

روت قيلة بنت مخرمة العنبرية وفادتها على رسول الله ﷺ ومما جاء في حديثها الطويل : « فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع في الجلسة أُرْعِدْتّ من الفرق ، فقال له جليسه : يا رسول الله ! أرعدت المسكينة ، فقال رسول الله ﷺ ولم ينظر إليّ وأنا عند ظهره : « يا مسكينة! عليك السكينة ! » فلما قالها رسول الله ﷺ أذهب الله عنّي ما كان دخل في قلبي من الرعب .. » [1] .

وعن جرير وأبي مسعود البدريّ ﷺ قالا : أتى النبيّ ﷺ رجل ، فكلمه ، فجعل ترعد فرائصه ، فقال له : « هوّن عليك ! فإني لست بملك ؛ إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد » [2] .

المطلب الحادي عشر : تيسير مبنى القرآن الكريم :

وذلك أن أوعية القرآن الكريم اللغوية قد صيغت صياغة خاصة ، حتى لتسترق الكلمة السمع ، وتستلب الفؤاد ، وتخلب اللب ، لمالها من جرس مأنوس ، ودلالة موحية ؛ حتى لغير الناطقين بالعربية ، العارفين بمعانيها و أساليبها و خطابها .

وليس في مفردات القرآن الكلام الوحشّي المهجور ، ولا السوقي المبتذل ، ولا الخليع المستهجن ، وليس في عباراته ركاكة أو تعقيد ، ولا إسفاف ولا التواء ، بل فيه السلاسة

---

(١) المعجم الكبير ٢٥/٩ (١)، مجمع الزوائد ١١/٦ أو ١٥ وقال : رجاله ثقات، الشفا ١٩٩/١، فتح الباري ٦٥/١١، ابن سعد ٥٨/٣. وقد ورد الحديث مختصراً، سنن الترمذي (٢٨١٤) المعجم الكبير ٣٠٢/٣ (٣٤٦٩) ، الأدب المفرد (١١٧٨) .

(٢) سنن ابن ماجه (١١٠١/١) برقم (٣٣١٢) ، مصباح الزجاجة (١٩/٤) ، وقال : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » ، مجمع الزوائد (٢٠/٩ أو ٢٣) ، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط عن جرير ، وفيه من لم أعرفهم » ، تاريخ بغداد (٢٧٧/٦ ، ٢٧٩) . وروي بلفظ آخر : المستدرك (٤٦٦/٢) ، (٤٨/٣)، دلائل النبوة البيهقي (٩٦/٥) ، الدر المنثور (٦١٢/٧) ، السيرة النبوية ، دحلان (٢٤٩/٣) .

التي تتخلل مسارب النفس ، وتتداخل في حنايا القلب ، وتتساوق مع نغمات الوجدان ، وتتناغم مع نظرات العقول ، وتنسجم مع طبيعة الفطرة الإنسانية ؛ فالقرآن الكريم كالروح تسري في أوصال البدن بغير شعور ، فتهبه الحياة والأحاسيس ، وجل القائل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

ومن وجوه تيسير مبناه أنه قد احتوى وجوها كثيرة من اللهجات العربية في الأداء الصوتي ، وهذا الذي حدا كثيراً من أهل العلم لأن يقولوا في الأحرف السبعة في القرآن إنها لهجات قبائل عربية ، وذلك لأنهم وجدوا آثار تلك اللهجات في القراءات القرآنية المتواترة ، وهذا الرأي وإن لم يكن راجحاً إلا أنه ينبه على وجود أثر اللهجات في الأداء القرآني ، مما ييسر القراءة والأداء على السلائق العربية مهما تعددت لهجاتها ، مما جعل كل قبيلة ترى توافق وجه من وجوه الأداء أو بعضه أو شيئاً منه مع لهجتها ، مما يزيد في ارتباطها بهذا القرآن الكريم ، حتى يحس السامع أن القرآن يخاطبه بلهجته الخاصة ، ويحفظ عليه سليقته اللغوية الموروثة ، وهذا مما يزيدها اعتزازاً وتسامياً بهذا القرآن المجيد ، ويجعلها تتفاعل معه حفظاً وسماعاً وعملاً وتحققاً (١) .

والخلاصة : أن القرآن الكريم مرّ بمراحل من التيسير كان آخرها لسان النبيّ ﷺ ، وأنّ الأمور التي يسرت بلسانه الشريف كثيرة تستعصي على الحصر ، وما جاء في البحث إنما هي بعض الوجوه التي يمكن أن تشير إلى ماعداها من وجوه التيسير .

ويمكن الإشارة إلى وجوه التيسير على جهة الإجمال من خلال معرفة ماورّثه النبيّ ﷺ ، ويمكن جمعها تحت ثلاثة أمور أساسية :

١ – **العلم :** ويشمل العلم بالمسائل الاعتقادية و الأحكام العملية و المبادئ الأخلاقية.

---

(١) المدخل إلى التفسير ، د. عبد الحميد محمد ندا جعرابة صـ ٣١ – ٣٢ .

٢- **العمل :** ويشمل الأعمال التي قام بها النبيّ ﷺ خلال حياته ، سواء تعلق ذلك بالأحكام العملية أم بالمبادئ الأخلاقية أم بالعادات والتقاليد الاجتماعية أم بالأمور الجبلية العامة أو الشخصية .

٣- **الأحوال الإيمانية :** المصاحبة للأمور العلمية والعملية ؛ من خشية وخوف ورجاء ويقين وإخلاص وانقباض وانبساط ، وغير ذلك من الأحوال الإيمانية .

فمن أراد أن يحصل على ميراث النبيّ ﷺ كاملاً غير منقوص فعليه أن يأخذ هذه المواريث من أهلها الحاصلين عليها بالإجازات العلمية الصحيحة المتصلة الأسانيد بسيدنا رسول الله ﷺ ، المتحققين بها ، اعتقادًا في الفكر ، وسلوكًا عمليًا في واقع الحياة ، المتحلين بحقائق الشرع الشريف قلبًا وقالبًا ، المتمثلين أحوال رسول الله ﷺ في الحركات والسكنات ، والأفكار والخطرات . فيأخذ الطالب من علومهم ، ويستفيد من أعمالهم ، ويقتبس من أحوالهم وأنوارهم ؛ مما ورثوه عن رسول الله ﷺ .

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

١- الآداب الشرعية والمنح المرعية ، لأبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي (ت : ٧٦٣هـ) .

٢- الإتقان في علوم القرآن ، للإمام السيوطي (ت : ٩١١هـ) ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٧٥م) .

٣- الإحكام في أصول الأحكام ، لسيف الدين أبي الحسن علي بن محمد الآمدي (٥٥١-٦٣١هـ) ، مؤسسة الحلبي وشركاه ، (١٣٨٧هـ-١٩٣٧م) .

٤- الأدب المفرد ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، دار صادر-بيروت .

٥- الأساس في التفسير ، للشيخ سعيد حوّى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) .

٦- أصول الفقه ، لزكي الدين شعبان ، دار النصر للطباعة - مصر .

٧- إعراب القرآن وبيانه ، لمحيي الدين الدرويش ، اليمامة ودار ابن كثير - دمشق وبيروت ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص ، ط٥ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل « تفسير البيضاوي » ، للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت: ٧٩١هـ) ، تحـ : عبد القادر عرفات عشا حسونة ، دار الفكر - بيروت ، ط١ (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) .

٩- البحر الزخار ، المهدي لدين الله : أحمد بن يحيى المرتضى ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، (١٩٧٥م) .

١٠- بحر العلوم « تفسير السمرقندي » ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت : ٣٧٥هـ) ، دراسة وتحـ : د. عبد الرحيم أحمد الزقة ، مطبعة الإرشاد - بغداد ، ط١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) . وتحـ : الشيخ علي محمد عوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، ط١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .

١١- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر - بيروت .

١٢- البداية والنهاية ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) ، مكتبة المعارف - بيروت ، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .

١٣- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٤٥-٧٩٤هـ) ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، البابي الحلبي ، وعنها دار الجيل - بيروت ، ط٢ .

١٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٢٩-٨١٧هـ) ، تحـ : محمد علي النجار ، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية - وعنها المكتبة العلمية ، (١٣٨٣هـ) .

١٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١١٤٥-١٢٠٥هـ) ، جماعة من المحققين ، طبع الكويت ، ودار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغاري ، تاريخ الأجزاء مختلف .

١٦- التحرير والتنوير ، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر - تونس ، (١٩٨٤م) .

١٧- الترغيب والترهيب ، الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت : ٦٥٦هـ) ، تحـ : مصطفى محمد عمارة ، دار إحياء التراث ، ط٢ (١٣٨٨هـ) . ودار الفكر ، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

١٨- التسهيل لعلوم التنزيل ، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزيْ الكلبي الغرناطي (٦٩٣-٧٤١هـ) ، الدار العربية - ليبيا .

١٩- التعرف لمذهب أهل التصوف ، لتاج الإسلام أبي بكر محمد الكلاباذي (ت : ٣٨٠هـ) ، تحـ : د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) .

٢٠- تفسير القرآن العظيم ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) ، مكتبة الجيل - صنعاء ، ط١ .

٢١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ) ، تحـ : مصطفى بن أحمد العلي ومحمد بن عبد الكبير البكري ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ، (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) .

٢٢- تهذيب اللغة ، للإمام أبي منصورمحمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢-٣٧٠هـ) ، تحـ : عبد السلام محمد هارون وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) .

٢٣- تيسير التحرير ، لأميرباد شاه ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، (١٣٥٠هـ) .

٢٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ) ، دار الفكر - بيروت ، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

٢٥- الجامع لأحكام القرآن ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار إحياء التراث .

٢٦- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي « عناية القاضي وكفاية الراضي » ، شهاب الدين الخفاجي ، دار المعارف العثمانية ، (١٢٨٣هـ) ، وعنها دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت .

٢٧- الخصائص الكبرى ، للإمام السيوطي ، مكتبة منير - بغداد ، ط٢ (١٩٨٤م) .

٢٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام السيوطي ، دار الفكر ، ط١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

٢٩- دلائل النبوة ، البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ، تحـ : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط٣ .

٣٠- روح البيان ، الشيخ إسماعيل حقي البروسوي (ت : ١١٣٧هـ) ، در سعادت مطبعة عثمانية ، (١٣٣١هـ) ، وعنها دار الفكر .

٣١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للإمام أبي الثناء محمود الآلوسي البغدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية ، وعنها دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٣٢- سنن ابن ماجه ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ) ، تحـ : وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، (١٣٧٢هـ-١٩٥٢م) ، وعنها دار الفكر .

٣٣- سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢-٢٧٥هـ) ، مراجعة وضبط و تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

٣٤- سنن الترمذي ، للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٩٧هـ) ، تحـ : أحمد شاكر وإبراهيم عطوة عوض ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٣٥- السنن الكبرى ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ، حيدر آباد - الهند - دائرة المعارف العثمانية ، ط١ (١٣٤٤هـ) ، وعنها دار الفكر .
٣٦- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، دار إحياء التراث العربي - مصر ، ط١ (١٣٤٨هـ-١٩٣٠م) ، وعنها دار الفكر - بيروت . وطبعة دار الجيل ، ترقيم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة .
٣٧- السيرة النبوية ، أحمد بن زيني دحلان (١٢٣٢-١٣٠٤هـ) ، الأهلية للنشر والتوزيع ، (١٩٨٣هـ) .
٣٨- شرح السنة ، للإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي (٤٣٦-٥١٦هـ) ، تحـ : شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، ط٢ (١٤٠٣هـ-١٩٩٨م) .
٣٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي (٤٧٦-٥٤٤هـ) ، تحـ : أسامة الرفاعي وزملائه ، تقديم الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت والشيخ عبد الكريم الرفاعي ، مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن ، (١٣٩٢هـ) .
٤٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٣٢-٣٩٣هـ) ، تحـ : أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، ط٤ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
٤١- صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، للحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية - القاهرة ، (١٣٨٠هـ) .
٤٢- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، دار الفكر ، (١٤٠١هـ-١٩٨١م) .
٤٣- صفة الصفوة ، للإمام عبد الرحمن بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .
٤٤- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (١٦٨-٢٣٠هـ) ، دار الفكر .
٤٥- عوارف المعارف ، للشيخ عمر السهروردي ، طبع ملحقاً بإحياء علوم الدين ، للإمام الغزالي .
٤٦- فتح الباري بشرح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المطبعة السلفية - القاهرة ، (١٣٨٠هـ) ، وعنها دار الفكر .
٤٧- الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، لابن قيم الجوزية ، منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت ، (١٩٨٧م) . (والصحيح أنه مقدمة تفسير ابن النقيب . المجلة) .
٤٨- في ظلال القرآن ، الشهيد سيد القطب ، دار الشروق ، ط١٠ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .
٤٩- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت : ٨١٧هـ) ، دار الجيل عن طبعة البابي الحلبي . وطبعة مؤسسة الرسالة .

٥٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه تأويل ، للإمام محمود بن عمر الزمخشري ، وبذيله أربعة كتب ، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد ، دار التراث العربي ، ط٣ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .

٥١- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ، الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥-٨٠٧هـ) ، تحـ : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .

٥٢- لسان العرب ، للعلامة أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، ط١ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .

٥٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ، نشر مكتبة القدس ، (١٣٥٢هـ) ، وعنها دار الفكر ، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .

٥٤- مجموع الفتاوي الكبرى ، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، مطابع الرياض الحديثة ، ط١ (١٣٨٣هـ) .

٥٥- مختصر تفسير ابن كثير ، محمد علي الصابوني - دار علوم القرآن .

٥٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، قدم له الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، راجعه وضبطه الشيخ إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم - بيروت ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٩م) .

٥٧- المُوافقات في أصول الأحكام ، للحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي (ت : ٧٩٠هـ) ، علق عليه محمد الخضر حسين التونسي ، دار الفكر - بيروت ، عن الطبعة المنيرية ، (١٣٤١هـ) .

٥٨- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبي شامة عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي ، بيروت ، (١٩٧٥م) .

٥٩- مسائل من الفقه المقارن ، للدكتور هاشم جميل عبد الله ، مطابع التعليم العالي في الموصل ، ط١ (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) .

٦٠- المستدرك على الصحيحين ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت : ٤٠٥هـ) ، وبهامشه : تلخيص المستدرك ، للحافظ الذهبي ، دائرة المعارف حيدر آباد ، ط١ (١٣٣٤هـ) ، وعنها دار المعرفة ، ط١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .

٦١- مسند إسحاق بن راهويه الحنظلي ، تحـ : عبد الغفور عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة ، (١٤١٢هـ-١٩٩١م) .

٦٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وبهامشه مختصر كنز العمال ، المكتب الإسلامي ، عن الطبعة الأولى .

٦٣- مسند الحميدي ، للحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت : ٢١٩هـ) ، تحـ : حبيب الرحمن الأعظمي ، عالم الكتب ومكتبة المثنى .

٦٤- معالم التنزيل ، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٦هـ) ، تحـ : خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة - بيروت ، ط٣ (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .

٦٥- معاني النحو ، للدكتور فاضل السامرائي ، مطابع التعليم العالي - الموصل .

٦٦- المعجم الأوسط للحافظ الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) ، تحـ : د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض ، ط١ (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .

٦٧- المعجم الكبير ، للحافظ أبي القاسم سليمان أحمد الطبراني ، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي ، مطبعة الزهراء الحديثة - الموصل ، ط٢ ، تاريخ طبع الأجزاء مختلف .

٦٨- مفاتيح الغيب « تفسير الفخر الرازي » ، للإمام فخر الدين محمد بن العلامة ضياء الدين عمر (٥٤٤-٦٠٤هـ) ، دار الفكر - بيروت ، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .

٦٩- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت : ٤٢٥هـ) ، تحـ : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم - دمشق ، الدار الشامية - بيروت ، ط٢ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

٧٠- مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) ، اعتنى به د. محمد عوض مرعب ، فاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي - لبنان ، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .

٧١- مناهل العرفان في علوم القرآن ، للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

٧٢- منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس ، للباحث ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية ، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .

٧٣- مواضع الاقتران في القرآن الكريم بين اسم الله تعالى والرسول محمد ﷺ - في المسائل الاعتقادية - : دراسة تحليلية موضوعية ، للباحث ، رسالة دكتوراه . مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية (١٩٩٩م) .

٧٤- موسوعة أطراف الحديث النبوي ، إعداد أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط١ ، عالم التراث - بيروت ، (١٤١٠هـ-١٩٨٩م) .

٧٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت : ٨٨٥هـ) ، تحـ : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، ط١ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .

٧٦- النكت والعيون « تفسير الماوردي » ، للإمام أبي الحسن علي بن محمد حبيب الماوردي البصري (٣٦٤-٤٥٠هـ) ، راجعه وعلق عليه : السيّد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .

٧٧- النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٥٤٤-٦٠٦هـ) ، تحـ : طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت .

تحزيب القرآن في المصادر والمصاحف

أ.د. غانم قدوري الحمد *

التعريف بالبحث :

يجد قارئ القرآن في المصحف منازل يمكنه أن يتوقف عندها في ورده اليومي ، فإن أراد أن يختم في شهر قرأ كل يوم جزءاً من أجزاء ثلاثين ، وإن أراد أن يزيد أو ينقص أمكنه ذلك ، ووجد في المصحف ما يدله على ذلك ، وإن أراد حفظ القرآن في سنة وجد ما يعينه على ذلك ، سواء في المصادر أو المصاحف .

وقد يتساءل قارئ القرآن عن أصل التجزئة الموجودة في المصاحف ، ومتى ظهرت ، وما الأساس الذي تستند إليه ؟ ويكون التساؤل أكثر إلحاحاً حين يجد القارئ تفاوتاً في حجم أرباع الأحزاب ، فيجد ربعاً يأخذ خمسين سطراً ، ويجد ربعاً آخر لا يأخذ إلا نصف هذه المساحة أو أقل .

وكان ذلك التساؤل يتجدَّد في نفسي ، وبدأت أتتبع المصادر التي تُعنى بالموضوع ، وأنظر في المصاحف التي تتيسر لي ، وانكشف لي من خلال ذلك كثير من جوانب الموضوع ، وأردت أن أنقل ما وقفت عليه ، وأكشف ما توصلت إليه إلى المهتمين بأمر المصاحف ، في المعاهد والجامعات ، وفي المؤسسات ودور النشر ، حتى يأخذوا بالحسبان الحقائق التي جمعتها في هذا البحث ، وهي موجودة في المصادر لكنها لم تكن في متناول يد جمهور القراء ، كما أنها لم تؤخذ بالحسبان من الذين تولوا كتابة المصاحف والإشراف على نشرها في الوقت الحاضر .

* أستاذ اللغة العربية وعلوم القرآن في كلية التربية بجامعة تكريت في محافظة صلاح الدين بالعراق ، ولد عام (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م) ، وحصل على الماجستير من دار العلوم بجامعة القاهرة عام (١٩٧٦م) ، وكانت رسالته " رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية " ، وعلى الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة بغداد عام (١٩٨٥م) ، وكانت رسالته " الدراسات الصوتية عند علماء التجويد " وله كتب وبحوث كثيرة منشورة .

المقدمة

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد :

فإن قارئ القرآن يجد في المصحف منازل يمكنه أن يتوقف عندها في ورده اليومي ، فإن أراد أن يختم في شهر قرأ كل يوم جزءاً من أجزاء ثلاثين ، وإن أراد أن يزيد أو ينقص أمكنه ذلك ، ووجد في المصحف ما يدله على ذلك ، وإن أراد حفظ القرآن في سنة وجد ما يعينه على ذلك ، سواء في المصادر أو المصاحف .

وقد يتساءل قارئ القرآن عن أصل التجزئة الموجودة في المصاحف ، ومتى ظهرت ، وما الأساس الذي تستند إليه ؟ ويكون التساؤل أكثر إلحاحاً حين يجد القارئ تفاوتاً في حجم أرباع الأحزاب ، فيجد ربعاً يأخذ خمسين سطراً ، ويجد ربعاً آخر لا يأخذ إلا نصف هذه المساحة أو أقل .

وكان ذلك التساؤل يتجدَّد في نفسي ، وبدأت أتتبع المصادر التي تُعنى بالموضوع ، وأنظر في المصاحف التي تتيسر لي ، وانكشف لي من خلال ذلك كثير من جوانب الموضوع ، وأردت أن أنقل ما وقفت عليه ، وأكشف ما توصلت إليه إلى المهتمين بأمر المصاحف ، في المعاهد والجامعات ، وفي المؤسسات ودور النشر ، حتى يأخذوا بالحسبان الحقائق التي جمعتها في هذا البحث ، وهي موجودة في المصادر لكنها لم تكن في متناول يد جمهور القراء ، كما أنها لم تؤخذ بالحسبان من الذين تولوا كتابة المصاحف والإشراف على نشرها في الوقت الحاضر .

وسوف أتناول في هذا البحث أوليات تحزيب القرآن ، قبل عصر تدوين العلوم ، ثم ما صار إليه التحزيب بعد عصر التأليف وتدوين العلوم ، وأعرض مذاهب العلماء في أسس التحزيب وجهودهم في ذلك ، ثم أنظر في أشهر المصاحف المطبوعة المتداولة في زماننا للوقوف على طريقة التحزيب المتبعة فيها . وسوف أتناول هذه الموضوعات من خلال المباحث الأربعة الآتية :

المبحث الأول : تمهيد في تعريف المصطلح وأوليته .

المبحث الثاني : تحزيب القرآن في المصادر .

المبحث الثالث : تحزيب القرآن في المصاحف .

المبحث الرابع : تحزيب القرآن بين المصادر والمصاحف .

وأدعو الله تعالى أن يوفقني في هذا البحث ، وفي غيره من أموري ، إلى بلوغ الحقيقة ، وإلى صدق التعبير عنها ، وأن يجنبني الخطأ والزلل ، وأن يغفر ما وقع مني وما سيقع ، إنه وليٌّ التوفيق .



المبحث الأول : تمهيد في تعريف المصطلح وأوليته

التَّحْزِيب مشتق من الحِزْب ، وهو مصدر الفعل حزَّب ، والحزب : جماعة الناس ، والجمع أحزاب ، والحِزْب : الوِرْد ، وهو ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة القرآن [١] .

ومصطلح « تحزيب القرآن » معروف منذ عصر الصحابة ، بل جاءت كلمة « حزب » في حديث رسول الله ﷺ بمعنى الجزء من القرآن ، واستخدم عدد من علماء الحديث مصطلح « تحزيب القرآن » في عناوين بعض الأبواب [٢] .

وكره بعض السلف استخدام مصطلح « تحزيب القرآن » ، لكن العلماء بينوا جواز ذلك ، فقد أخرج أبو داود عن ابن الهاد (عبد الله بن شداد) ، قال : سألني نافع بن جبير بن مُطعم فقال لي : في كم تقرأ القرآن ؟ فقلت : ما أُحَزِّبه . فقال لي نافع : لا تقل : ما أُحَزِّبه ، فإن رسول الله ﷺ قال : « قرأت جزءاً من القرآن » [٣] .

ولم تَشِعْ كلمة « الجزء » في العصور المتقدمة ، وإن كان معناها اللغوي مقارباً لمعنى كلمة « الحزب » ، وغلب استخدام كلمة « الجزء » في العصور المتأخرة ، والوقت الحاضر . وتخصصت كلمة « الجزء » بأجزاء ثلاثين ، وكلمة الحزب بأنصافها .

ويُعبِّر عن تقارب معنى الكلمتين قول علم الدين السخاوي : « يقال : أجزاء القرآن ، والأحزاب ، والأوراد ، بمعنى واحد » [٤] . ووضع ابن كثير الكلمتين في العنوان ، فقال : « التحزيب والتجزئة ، وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين » [٥] .

وأشهر حديث في تحزيب القرآن في زمن النبي ﷺ هو حديث أوس بن حذيفة

---

(١) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (١/٢٩٩) « حزب » ، النهاية ، ابن الأثير (١/٣٧٦) .
(٢) ينظر: موطأ مالك صـ ١٤٢ ، وسنن أبي داود (٢/٥٥) .
(٣) سنن أبي داود (٢/٥٥) ، رقم الحديث (١٣٩٢) ، وينظر : المصاحف ، ابن أبي داود صـ ١١٨ .
(٤) جمال القراء (١/١٢٤) .
(٥) تفسير ابن كثير (١/٨) .

الثقفي ، الذي كان في وفد ثقيف الذين حضروا إلى المدينة ، وكان رسول الله ﷺ يأتيهم كل ليلة بعد العشاء يحدِّثهم ، فلما كانت ليلةٌ أبطأ عن الوقت الذي كان يأتيهم فيه ، فقالوا : لقد أبطأت علينا الليلة ، قال : « إنه طرأ عليَّ حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجيء حتى أُتمَّه » ، وقال أوس : سألت أصحاب رسول الله ﷺ : كيف تحزِّبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل من ق حتى نختم [1] .

فثلاث سور : البقرة وآل عمران والنساء .

وخمس سور : المائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة .

وسبع سور : يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل .

وتسع سور : الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان .

وإحدى عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس .

وثلاث عشرة : الصافات وص والزمر وغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف ومحمد والفتح والحجرات .

وحزب المفصل : من سورة ق حتى خاتمة القرآن ، وهو خمس وستون سورة .

ومجموع السور في هذه الأحزاب مئة وثلاث عشرة سورة ، ولم تدخل الفاتحة في التحزيب ، لأنها فاتحة الكتاب ، وتتلى كل يوم مرات كثيرة ، وهذا التحزيب مطابق لترتيب السور في المصحف ، ومن ثم قال ابن حجر : « فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد النبي ﷺ » [2] .

---

(١) سنن أبي داود (٢/٥٥) ، رقم الحديث (١٣٩٣) ، ومسند الإمام أحمد (٤/٣٤٣) ، والبيان ، الداني صـ ٣٠٠ ، وجمال القراء ، علم الدين السخاوي (١/١٢٤) ، والبرهان ، الزركشي (١/٢٤٧) ، وفتح الباري ، ابن حجر (٩/٤٢) ، والإتقان ، السيوطي (١/١٧٨) .

(٢) فتح الباري (٩/٤٣) .

ومن الأحاديث الأخرى التي لها علاقة بتحزيب القرآن حديث عبد الله بن عمرو ﷺ وجاء فيه أن النبي ﷺ قال : « اقرأ القرآن في شهر » ، قال عبد الله : إني أطيق أكثر من ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : « اقرأه في كل سبع ليال مرة » [١] . قال البخاري : وقال بعضهم : في ثلاث أو في سبع ، وأكثرهم على سبع [٢] .

ويبدو أن قراءة القرآن الكريم في عصر الصحابة ﷺ كانت تستند إلى تحزيب القرآن ، حتى إذا شُغل أحدهم عن قراءة حزبه قضاه في غير وقته ، فقد أخرج مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من نام عن حزبه أو عن شيء منه ، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر ، كُتب له كأنه قرأه من الليل » [٣] .

وبذل علماء التابعين جهداً عظيماً من أجل تحزيب القرآن؛ لأن كثيراً من الناس لا تتاح لهم قراءتُه في سبع ليال ، ومن ثمّ احتاجوا إلى الوقوف على مواضع الأحزاب لمن قرأه في شهر أو أقل من ذلك أو أكثر .

ولعلماء التابعين من أهل العراق دور مهم في تحزيب القرآن ، فقد كان الحجَّاج قد دعاهم إلى عدِّ حروف القرآن ، وتعيين مواضع الأجزاء في المصحف . ونُقلت هذه الرواية من عدة طرق ، أشهرها طريق ابن مهران ، وطريق ابن أبي داود .

أما رواية ابن مهران فقد ذكرها الزركشي بقوله : « قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ : عدد سور القرآن مئة وأربع عشرة سورة ، وقال : بعث الحجَّاج بن يوسف إلى قُرَّاء البصرة ، فجمعهم واختار منهم الحسن البصري ، وأبا العالية ، ونصر بن عاصم ، وعاصماً الجحدري ، ومالك بن دينار ، رحمة الله عليهم ، وقال : عُدُّوا حروف القرآن ، فَبقُوا أربعة أشهر يعُدُّون بالشعير ، فأجمعوا على أن كلماته سبعٌ وسبعون ألف كلمة وأربعُ مئةٍ وتسع وثلاثون كلمة ، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاث

---

(١) رواه البخاري : فتح الباري (٩/٩٤) .

(٢) المصدر نفسه (٩/٩٥) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٢٩) ، وينظر : موطأ مالك صـ ١٤٢ ، ورواه أصحاب السنن أيضاً .

مئة ألف ، وثلاثة وعشرون ألفاً ، وخمسة عشر حرفاً ، انتهى »[١] .

أما رواية ابن أبي داود فقد ذكرها في كتابه « المصاحف » عن سلام أبي محمد الحماني[٢] ، قال : « جمع الحجَّاج بن يوسف الحفاظ والقراء ، قال : فكنتُ فيهم ، فقال : أخبروني عن القرآن كله كم هو من حرف ؟ قال : فجعلنا نَحْسُبُ حتى أجمعوا أن القرآن كله ثلاث مئة ألف حرف ، وأربعين ألف ، وسبع مئة ونيف وأربعين حرفاً[٣] . قال : فأخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن ؟ فحسبوا فأجمعوا أنه ينتهي في الكهف ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ [١٩] في الفاء ... » وذكر الأثلاث والأرباع والأسباع ، وقال أبو محمد الحماني : « عملناه في أربعة أشهر »[٤] .

والروايتان تتحدثان عن عمل واحد ، لكن بينهما بعض الاختلاف ، خاصة في تحديد عدد الحروف ، ففي رواية ابن مهران (٣٢٣٠١٥) وفي رواية ابن أبي داود (٣٤٠٧٤٠) .

وهناك روايات عن أعمال أخرى في عَدِّ حروف القرآن ، أشهرها ما قام به علماء التابعين في مكة ، فنقل الداني عن ابن جريج ، قال : « حسبوا القرآن ، وفيهم حُميد بن قيس ، فعرضوه على مجاهد وسعيد بن جبير ، فلم يُخطِّئوهم ، فبلغ ما عدوه ثلاث مئة ألف حرف ، وثلاثة وعشرين ألف حرف ، وست مئة حرف ، وأحداً وسبعين حرفاً »[٥] .

وجاء روايات أخرى في عدد حروف القرآن ، عن علماء آخرين من الأمصار الإسلامية الأخرى ، سوف أذكرها في المبحث الآتي ، إن شاء الله ، عند الحديث عن التحزيب في المصادر .

---

(١) البرهان (١/٢٤٩) .

(٢) جاء في بعض الروايات أنه راشد أبو محمد الحماني ، وكلاهما له ترجمة في الجرح والتعديل ، لكن الذي ذُكِرَتْ في ترجمته رواية عدد الحروف هو سلام . ينظر : الجرح والتعديل (٣/٤٨٤) و(٤/٢٦٢) .

(٣) في النص خلل من الناحية النحوية ، والصواب ما ذكره الداني في كتابه « البيان » صـ ٧٤ و ٣٠٠ ، وهو : « وأربعون ألف حرف ، وسبع مئة حرف ، ونيف وأربعون حرفاً » .

(٤) المصاحف صـ ١١٩-١٢٠ ، وينظر البيان ، الداني صـ ٣٠٠ ، وجمال القراء ، السخاوي (١/١٢٦) ، والبرهان ، الزركشي (١/٢٤٩-٢٥٠) .

(٥) البيان صـ ٧٣ ، وينظر : الإيضاح ، الأندرابي صـ ٢١٧ .

المبحث الثاني : تحزيب القرآن في المصادر

المقصود بالمصادر هنا المؤلفات التي نقلت جهود العلماء في عَدِّ حروف القرآن وفي تحزيبه ، وهي تختلط بالمؤلفات الخاصة بَعَدِّ الآي ، والدارس لا يكاد يجد كتاباً يحمل عنوان تحزيب القرآن ، بينما لا يكاد يخلو كتاب من كتب عَدِّ الآي من إشارة إلى أجزاء القرآن [(١)] .

وأهم مصادر تحزيب القرآن ، التي اطلعت عليها ، ما يأتي :

١- كتاب المصاحف ، لابن أبي داود (ت : ٣١٦هـ) .

٢- كتاب البيان في عَدِّ آي القرآن ، للداني (ت : ٤٤٤هـ) .

٣- كتاب الإيضاح في القراءات ، للأندرابي (ت بعد : ٥٠٠هـ) .

٤- كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، لابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) .

٥- كتاب جمال القراء وكمال الإقراء ، لعلم الدين السخاوي (ت : ٦٤٣هـ) .

وتتضمن هذه المصادر روايات عَدِّ حروف القرآن ، ومذاهب العلماء في تحزيبه ، بالاستناد إلى جهود العلماء في القرون الأولى .

ويمكن أن نشير إلى أشهر العلماء الذين نقلتْ عنهم مصادرُ التحزيب مادتها ، وكذلك كان هؤلاء العلماء مَنْ أشهر من نقل عنهم عدد الآي [(٢)] :

١- عطاء بن يسار المدني (ت : ١٠٣هـ) .

٢- عاصم الجحدري البصري (ت : ١٢٨هـ) .

٣- حُميد بن قيس الأعرج المكي (ت : ١٣٠هـ) .

٤- يحيى بن الحارث الذماري الدمشقي (ت : ١٤٥هـ) .

٥- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت : ١٥٦هـ) .

---

(١) تنظر مؤلفات عد الآي : مقدمة تحقيق كتاب البيان للداني صـ ٤-٧ .

(٢) ينظر : البيان ، الداني صـ ٧٣-٧٤ ، والإيضاح ، الأندرابي صـ ٢١٧-٢١٨ ، وجمال القراء ، السخاوي (١/١٢٧-١٢٩) .

وجاءتنا روايات في تحديد عدد حروف القرآن ، كما جاءت روايات عن الأحزاب والأجزاء ، ونذكر أولاً الروايات الخاصة بعدد الحروف ، ثم نذكر روايات الأحزاب والأجزاء .

عدد حروف القرآن :

أبو محمد الحماني (عن علماء البصرة من جماعة الحجاج) : (٣٤٠٧٤٠) حرفاً[١] .
عطاء بن يسار المدني : (٣٢٣٠١٥) حرفاً[٢] .
حُميد بن قيس المكي : (٣٢٣٦٧١) حرفاً[٣] .
حمزة بن حبيب الزيات الكوفي : (٣٢١٢٥٠) حرفاً[٤] .
يحيى بن الحارث الذِّماري الدمشقي : (٣٢١٥٣٣)[٥] .

ولا نجد تطابقاً بين هذه الروايات ، وإن كان التفاوت بين عدد منها أقل من غيره . وللعلماء تعليل معقول لهذا التفاوت في عدد حروف القرآن ، يتلخص في اختلاف العلماء في القاعدة التي ينبني عليها ، فمنهم من يتخذ النطق أساساً ، وأكثرهم يجعل الرسم هو الأساس في العد ، ومنهم من يَعُدُّ الحرف المشدد حرفين ، ومنهم من يعده حرفاً واحداً .

قال الداني : « وقد تناول بعض علمائنا من المتأخرين عَدَّ حروف القرآن مجملاً ومُفصَّلاً ، إذ رأى الآثار تضطرب في جملة عددها وعدد ما في السور منها ، ولم يدر السبب الموجب لذلك ، وبنى على حال استقرارها في التلاوة ، دون حال صورتها في الكتابة .. فأتعب نفسه فيما تناوله ، وأجهد خاطره فيما قصده ، إذ كان ذلك خلافاً لما ذهب إليه السلف ... »[٦] .

---

(١) المصاحف ، ابن أبي داود صـ ١١٩ ، والبيان ، الداني صـ ٧٤ ، علماً أن ما جاء في هذين المصدرين هو « ونيف وأربعون » فقربت العدد إلى أربعين .
(٢) البيان ، الداني صـ٧٣ ، والإيضاح ، الأندرابي صـ ٢١٧ .
(٣) المصدران السابقان .
(٤) البيان ، الداني صـ ٧٣ ، وجمال القراء ، السخاوي (١/١٢٨) .
(٥) البيان ، الداني صـ ٧٣ ، والإيضاح ، والأندرابي صـ ٢١٨ .
(٦) البيان صـ ٧٥ .

وقال الأندرابي : « ولقد عُني صدر هذه الأمة بالقرآن عناية أكيدة ، حتى عَدُّوا آيهُ وكلماته وحروفه ، وقد وقع لهم في ذلك اختلاف ليس باختلاف على الحقيقة ، وإن كان اختلافاً في اللفظ ... وكذلك في الكلمات والحروف ، فإن بعضهم عدَّ ﴿ فِي خَلْقِ ﴾ و﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ و﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وما أشبه ذلك كلمتين ، وبعضهم عدَّها كلمة واحدة ، فصار عدد من جعلها كلمتين أكثر ، وبعضهم عد كل حرف مشدد حرفين ، وبعضهم عدَّه حرفاً واحداً ، فصار عدد من عدَّه حرفين أكثر ، فإلى مثل هذا ينصرف اختلافهم في ذلك »[١] .

ولخص السيوطي سبب الاختلاف في عدّ الكلمات ، وهو ينطبق على الاختلاف في عد الحروف ، بقوله : « وسبب الاختلاف في عد الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ، ولفظ ورسم ، واعتبار كل منها جائز ، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز »[٢] .

وينبني على الاختلاف في عدد حروف القرآن الاختلاف في مواضع الأجزاء ، لأن الأجزاء مبنية على عدد الحروف ، على نحو ماسنبين بعد قليل ، وليس متيسراً لي الآن التحقق من صحة تلك الأعداد ، وحسبي أني لفت أنظار الدارسين إلى هذه المسألة ، وأرجو أن يكون ذلك سبباً لتضافر الجهود من أجل تحقيق ذلك الهدف ، وهو التحقق من عدد حروف القرآن .

أما تجزئة القرآن وتحزيبه فقد جاءت فيه روايات مسندة وروايات غير مسندة ، ويتفاوت عدد الأجزاء أو الأحزاب من جزئين إلى ثلاث مئة وستين جزءاً ، كما تتفاوت مواضع الأجزاء أيضاً .

ونقل عن ابن المنادي[٣] بيان للأساس الذي تقوم عليه قسمة المصحف على الأجزاء ، فذكر السخاوي في جمال القراء : « قال أبو الحسين بن المنادي رحمه الله : وكان الأصل

---

(١) الإيضاح صـ ٢١٤ .

(٢) الإتقان (١/١٩٧) .

(٣) أبو الحسين أحمد بن جعفر ، المشهور بابن المنادي ، البغدادي المتوفى سنة (٣٣٦هـ) . ينظر : غاية النهاية ، ابن الجزري (١/٤٤) .

وِرْدَ الثلاثين ، لأنه مقسوم على الحروف ، ثم فرَّع الناس ورد الستين على الكلمات ، وكذلك ما فرعوه [في وِرْدِ] الستين . والوِرْد إذا قُسِّم على الكلام تباينت قسمته ، لأن الكلمات متباينة ، ألا ترى أن منها ما هو عشرة أحرف ، وذلك ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ [هود : ٢٨] ، ومنها ما هو حرفان نحو ﴿ إِنْ ﴾ و﴿ عَنْ ﴾ ... »[١] . وأشار السخاوي إلى هذه القاعدة في موضع آخر من كتابه[٢] .

ونقل الداني عن أبي بكر محمد بن عبد الله الأصبهاني[٣] أنه قال : « وهذه أجزاء عشرين ومئة على ذلك ، وكل جزء منها على الحقيقة ألفان وثماني مئة وسبعون حرفاً ، لأن عدد جميع القرآن ثلاث مئة ألف حرف ، وأربعة وأربعون ألف حرف ، وأربع مئة »[٤] . وهذه الأعداد التي ذكرها لكل جزء صحيحة بناء على مجموع حروف القرآن الذي ذكره .

ونقل الداني عن مجاهد بن جبر المكي أنه قال : « هذا ما أحصينا من القرآن ، وهو ثلاث مئة ألف حرف ، وأحد وعشرون ألف حرف ، ومئة وثمانية وثمانون حرفاً .

النصف من ذلك : مئة ألف حرف ، وستون ألفاً ، وخمس مئة وأربعة وتسعون حرفاً .

وثلثه : مئة ألف حرف ، وسبعة آلاف ، وثمانية وستون حرفاً .

وربعه : ثمانون ألفاً ، ومئتان وسبعة وتسعون حرفاً .

وخمسه : أربعة وستون ألفاً ، ومئتان وسبعة وثلاثون حرفاً .

وسدسه : ثلاثة وخمسون ألفاً ، وخمس مئة وأحد وثلاثون حرفاً .

وسبعه : خمسة وأربعون ألفاً ، وثماني مئة وأربعة وثمانون حرفاً .

وثمنه : أربعون ألفاً ، ومئة وتسعة وأربعون حرفاً .

وتسعه : خمسة وثلاثون ألفاً ، وست مئة وثمانية وثمانون حرفاً .

وعشره : اثنان وثلاثون ألفاً ، ومئة وتسعة عشر حرفاً »[٥] .

---

(١) جمال القراء (١٦٢/١) .

(٢) المصدر نفسه (١٤٩/١) .

(٣) المشهور بابن أشته ، المتوفى سنة (٣٦٠هـ) . ينظر : غاية النهاية (١٨٤/٢) .

(٤) البيان صـ ٣١٢ .

(٥) البيان صـ ٧٥ .

وهذه الأعداد صحيحة في مجملها إلا ما كان فيه كسر فإنه يجبر بالزيادة أو النقص ، وهي لا تتفق مع ما جاء في رواية محمد بن عبد الله الأصبهاني ، لأن مجموع الحروف مختلف في الروايتين .

ولا يخفى على القارئ أن تحزيب الصحابة ﷺ للقرآن كان على أساس السور ، أما تحزيب التابعين فإنه ينبني على أساس عدد الكلمات والحروف . وقد عَدَّ ابن تيمية رحمه الله هذا النوع من التحزيب مُحْدَثاً ، ودعا إلى التمسك بتحزيب الصحابة ، يقول : « وإذا كانت التجزئة بالحروف مُحْدَثَةً من عهد الحجاج بالعراق ، فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر ، فإنهم كانوا يقدِّرون تارة بالآيات فيقولون : خمسون آية ، ستون آية ، وتارة بالسور ، لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد ، فتعين التحزيب بالسور »[1] .

وذكر ابن تيمية عدداً من الأمور التي يرى أنها ترجح الأخذ بالتحزيب على أساس السور ، فقال : وهذا الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن لوجوه :

أحدها : أن هذه التحزيبات المُحْدَثَة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده ، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه .

الثاني : أن النبي ﷺ كانت عادته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة كاملة ، وإذا كان كذلك فمعلوم أن هذا التحزيب والتجزئة فيه مخالفة السُّنة أعظم مما في قراءة آخر السورة ووسطها في الصلاة ، وبكل حال فلا ريب أن التجزئة والتحزيب الموافق لما كان هو الغالب على تلاوتهم أحسن ، والمقصود أن التحزيب بالسورة التامة أولى من التحزيب بالتجزئة .

الثالث : أن التجزئة المُحْدَثَة لا سبيل فيها إلى التسوية بين حروف الأجزاء ، وذلك لأن الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان ، يزيد كل منهما على الآخر من وجه دون وجه ، وبيان ذلك بأمور :

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٤٠٩) .

١- إن ألفات الوصل ثابتة في الخط ، وهي في اللفظ تثبت في القطع وتحذف في الوصل ، فالعادُّ إن حَسَبَها انتقض عليه بحال القارئ إذا وصل ، وهو الغالب فيها ، وإن أسقطها انتُقِضَ عليه بحال القارئ القاطع ، وبالخط .

٢- إن الحرف المشدد حرفان في اللفظ أولهما ساكن ، وهذا معروف بالحس واتفاق الناس ، وهما متماثلان في اللفظ ، وأما في الخط فقد يكون حرفاً واحداً ، وقد يكونان حرفين مختلفين ، فالعادُّ إن حسَبَ اللفظ فالإدغام إنما يكون في حال الوصل دون حال القطع ، وإن حسب الخط كان الأمر أعظم اضطراباً .

٣- إن تقطيع حروف النطق من جنس تقطيع العروضيين ، وأما حروف الخط فيخالف هذا من وجوه كثيرة ، والناس في العادة إنما يتهجون الحروف مكتوبة لا منطوقة ، وبينهما فرق عظيم .

٤- إن النطق بالحروف ينقسم إلى ترتيل وغير ترتيل ، ومقادير المدات والأصوات من القراء غير منضبطة ، وقد يكون في أحد الحزبين من حروف المد أكثر مما في الآخر ، فلا يمكن مراعاة التسوية في النطق ، ومراعاة مجرد الخط لا فائدة فيه ، فإن ذلك لا يوجب تسوية زمان القراءة [١] .

ثم قال ابن تيمية : « وإذا كان تحزيبه بالحروف إنما هو تقريب لا تحديد ، كان ذلك من جنس تجزئته بالسور ، هو أيضاً تقريب ، فإن بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض في الحروف ، وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض ، والافتتاح بما فتح الله به السورة ، والاختتام بما ختم به ، وتكميل المقصود من كل سورة ، ما ليس في ذلك التحزيب ، وفيه أيضاً من زوال المفاسد الذي في التحزيب ما تقدم التنبيه على بعضها ، فصار راجحاً بهذا الاعتبار » [٢] .

---

(١) مجموع الفتاوى ، بتصرف يسير (١٣/٤١٠-٤١٣) .

(٢) المصدر نفسه (١٣/٤١٤) .

وما جاء في كلام ابن تيمية صحيح ، لكن العمل جرى قديماً وحديثاً على اعتماد التحزيب بالتجزئة ، واشتهرت الأجزاء الثلاثون المبنية على عدِّ الحروف . وما ذكر ابن تيمية من أن القصد من التحزيب التسوية في زمان النطق لا مساحة الخط قد لا يكون هو المراد دائماً ، فقد يكون المراد من التجزئة هو التسوية بين الأجزاء في الخط ، وهو ما نجده في مصحف المدينة إذ يأخذ كل جزء عشرين صفحة في الغالب ، وهو أمر حسن ، ولا يتفاوت زمان النطق بالجزء عن الجزء الآخر كثيراً .

أما ما ذكره من الوقف على المعطوف عليه دون المعطوف أو ما له تعلق بما قبله ، فهذا لا يوجد دائماً في رؤوس الأجزاء ، كما أن بإمكان القارئ قراءة آية بعد نهاية الجزء ، أو قراءة آية قبل البدء بالجزء ، على نحو مَن يضطر للوقف على موضع لا يحسن الوقف عليه .

وينقلنا اعتراض ابن تيمية على استناد التحزيب على عَدِّ الحروف ، وترجيحه التحزيب على أساس السور ، إلى السؤال عن فائدة عدِّ الحروف وما يتعلق بذلك من التحزيب ، فقد ذكر السيوطي أن هذا الموضوع لا فائدة منه ، ونقل في ذلك نصاً عن السخاوي ، فقال : « والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته ، وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الأفنان ، وعَدَّ الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار ، وأوسع القول في ذلك ، فراجِعْهُ منه ، فإن كتابنا موضوع للمهمات ، لا لمثل هذه البطالات ! وقد قال السخاوي : لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة ، لأن ذلك إن أفاد فإنما يُفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان ، والقرآن لا يمكن فيه ذلك »[١] .

ولم أقف على كلام السخاوي في كتابه « جمال القراء » ، ووجدت فيه ما يشير إلى أنه لا ينفي الفائدة من تحزيب القرآن ، فقال بعد أن نقل نصاً عن ابن المنادي عن تقسيم القرآن على مئة وخمسين جزءاً : « وذكر هذه الأجزاء جزءاً جزءاً ، ولم أر أن[٢] أُطوِّل الكتاب بذكره ، لأن جزء المئة والعشرين يغني عنه ، لأن جزء المئة والعشرين جُعِلَ لقراء المساجد ، وهذا

---

(١) الإتقان (١/١٩٧) .

(٢) في الأصل : « أراني » .

قريب منه ، وكذلك وِرْدُ ثمانية وعشرين ، يُغني عنه ورد سبعة وعشرين لأنه قريب منه . وقد قُسِّم القرآن العزيز على ثلاث مئة وستين جزءاً ، لمن يريد حفظ القرآن ، فإذا حفظ كل يوم جزءاً حفظ القرآن في سنة ، وهذه الأجزاء أسداس الأحزاب ، يعني أحزاب ستين » [١] .

وصرَّح الأندرابي بفائدة تحزيب القرآن بقوله : « والفائدة للقارئ في معرفة أجزاء القرآن أنه إذا عرف ذلك قدَّر أوراده في التراويح وغيرها تقديراً واحداً ، فإذا أحب أن يختم القرآن في عشر قرأ كل يوم وليلة عُشْراً منه ، فإذا أحب أن يختمه في عشرين قرأ كل يوم وليلة جزءاً من أجزاء العشرين ، وكذلك يفعل إذا أحب أن يختمه في ثلاثين أو أقل منها أو أكثر ، إن شاء الله » [٢] .

وأحسب أن عَدَّ حروف القرآن وتحزيب القرآن على أساسٍ من ذلك تتحقق منه فائدتان ، في الأقل ، الأولى : فائدة عملية ، وهي مساعدة مَن يريد حفظ القرآن أو القراءة فيه على تقسيم وقته وتنظيم جهده . والثانية : فائدة معنوية ، وهي ما تدل عليه عملية العدِّ من اعتناء علماء السلف بالقرآن الكريم من جوانبه كافة .

وليس من الصعب إيراد مذاهب العلماء في عدِّ أجزاء القرآن ، من جزئين إلى ثلاث مئة وستين جزءاً ، والموازنة بينها ، وإظهار مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف فيها ، ولكن استيعاب ذلك كله في هذا البحث يخرج به عن حجمه المناسب . ويمكن لمن أراد التوسع الرجوع إلى المصادر المختصة بذلك [٣] . على أني سوف أشير إلى ما تدعو الضرورة إلى إيراده عند الموازنة بين ما جاء في المصاحف وما جاء في المصادر .

---

(١) جمال القراء (١٦٢/١-١٦٣) .

(٢) الإيضاح صـ٢٧٢ .

(٣) ينظر : المصاحف ، ابن أبي داود صـ ١١٨-١٢٢ ، والبيان في عد آي القرآن ، الداني صـ ٣٠٢-٣٢٠ ، والإيضاح ، الأندرابي صـ ٢٦٥-٢٧٢ ، وفنون الأفنان ، ابن الجوزي صـ ١٠٧-١٢٩ ، وجمال القراء ، علم الدين السخاوي (١٢٦/١-١٨٦) .

المبحث الثالث : تحزيب القرآن في المصاحف

لا يخلو مصحف من المصاحف المتداولة المطبوعة من بيان مواضع الأجزاء ، وكذلك كثير من المصاحف المخطوطة ، ولم يتيسر لي الاطلاع إلا على عدد محدود من تلك المصاحف ، لكنها تمثل أشهر المصاحف التي بأيدي الناس ، في بلادنا خاصة . وسوف أُعرِّف أولاً بهذه المصاحف ، ثم أُبيِّن مصادر التحزيب فيها ، ثم نقف على أمثلة لذلك .

ويمكن أن نقسم المصاحف التي سننظر في تحزيبها على ثلاث مجموعات ، الأولى مصحف قديم بخط ابن البواب ، والثانية مصحف الحافظ عثمان ، ومعه مصحف بغداد ، والثالثة مصحف القاهرة ، ومعه مصحف المدينة النبوية .

أما مصحف ابن البواب فقد جاء في خاتمته : « كَتَبَ هذا الجامع علي بن هلال ، بمدينة السلام سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة ، حامداً لله تعالى على نعمه ، ومصلياً على نبيه محمد وآله ، ومستغفراً من ذنبه » .

وعلي بن هلال هو الخطاط البغدادي المشهور بابن البواب ، الذي هذب طريقة ابن مقلة في الخط ، ويقال : إنه نسخ القرآن بيده (٦٤) مرة ، والراجح أنه توفي سنة (٤١٣هـ) [(١)] .

ومصحفه الذي كتبه سنة (٣٩١هـ) محفوظ في مكتبة جستر بتي في مدينة دبلن عاصمة إيرلنده ، وأصدرت المكتبة نسخاً مصورة منه أحتفظ بواحدة منها .

وأما مصحف الحافظ عثمان فمكتوب بقلم الخطاط التركي عثمان بن علي القسطنطيني ، المشهور بالحافظ عثمان لحفظه القرآن الكريم ، وكان قد كتب بخطه خمسة وعشرين مصحفاً ، وتوفي سنة (١١١٠هـ) [(٢)] . والمصحف الذي اطلعت عليه منها هو المكتوب سنة (١٠٩٧هـ) على ما جاء في خاتمته من قوله : « كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير ، سَمِيُّ جامع القرآن ، الشهير بحافظ عثمان ... وقد وقع الفراغ في أوائل شعبان ، بعناية

---

(١) ينظر : ابن البواب ، هلال ناجي صـ ٨ ، والأعلام ، الزركلي (٥/ ٣٠) .
(٢) ينظر : تاريخ الخط العربي وآدابه ، محمد الطاهر الكردي صـ ٣٣٩ .

ربه الديان ، في سنة سبع وتسعين وألف ، من هجرة مَن له العز والشرف »[١] .

ومصحف بغداد هو الذي نشرته وزارة الأوقاف سنة (١٣٧٠هـ) الموافق سنة (١٩٥١م) ، وتتابعت منه عدة طبعات ، وهو مخطوط بقلم الخطاط الحاج حافظ محمد أمين الرشدي ، سنة ست وثلاثين ومئتين بعد الألف هجرية ، وقد نصَّت اللجنة في صفحة التعريف بالمصحف بقولها : « وأُخذ هجاؤه ، وأجزاؤه ، وأحزابه ، وعناوين سُوَرِه من مكية ومدنية ، حسب مصحف الحافظ عثمان المطبوع في الاستانة »[٢] .

وأما مصحف القاهرة فهو بخط الأستاذ الشيخ محمد علي خلف الحسيني ، الشهير بالحداد ، شيخ المقارئ المصرية ، المتوفى سنة (١٣٥٧هـ-١٩٣٩م) انتهى من خطه سنة (١٣٣٧هـ) . وصدرت منه عدة طبعات راجعها مجموعة من العلماء ، وهذا المصحف هو أكثر المصاحف انتشاراً قبل صدور مصحف المدينة .

ومصحف المدينة النبوية المنورة مكتوب بقلم الخطاط (عثمان طه) وراجعَتْه لجنة مكونة من عدد من العلماء سنة (١٤٠٥هـ) ، وصدرت منه طبعات متتالية ، وهو اليوم أشهر المصاحف المتداولة .

ويبدو لي أن التحزيب في هذا المصحف يستند إلى التحزيب المأخوذ به في مصحف القاهرة ، للتطابق الذي بينهما ، والمصادر المتفقة التي أُشير إليها في خاتمة المصحفين .

مصحف ابن البواب :

لم ينص ابن البواب على المصدر الذي اعتمد عليه في تثبيت الأجزاء في مصحفه ، لكنه التزم بالإشارة إلى الأجزاء بالنص عليها في حاشية الصفحات الجانبية ، وهو يذكر مواضع الأجزاء السبعة ، ومواضع الأجزاء من ثلاثين وستين ، وتبلغ صحائف المصحف (٥٤٩) صحيفة ، مع صفحة لخاتمته ، وصفحات أُخرى في أوله فيها أعداد السور والآي والحروف ، وصفحتين في آخره فيهما عدد ما ورد من كل حرف في المصحف من حروف المعجم .

---

(١) نشرته مكتبة المثنى في بغداد بدون تأريخ .

(٢) ينظر : الأعلام ، الزركلي (٦/٣٠٤) .

ونص ما جاء في أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم :

عدد سور القرآن مئة وأربع عشرة سورة .

وعدد ما فيه من آية : ستة الاف ومئتان وست وثلاثون آية .

وهو سبع وسبعون ألف كلمة وأربع مئة وستون كلمة .

وعدد ما فيه من حروف المعجم : ثلاث مئة ألف حرف ، وأحد وعشرون ألف حرف ومئتان وخمسون حرفاً .

وعدد ما فيه من نقط المعجم مئة ألف نقطة وست وخمسون ألف نقطة وأحد وخمسون نقطة .

في عدد أهل الكوفة ، المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، على محمد نبينا وعليه السلام » .

وما ذكره ابن البواب من أعداد منسوبة إلى أهل الكوفة يؤيده ما جاء في كتب العدد حول ذلك [١] .

وأثبت ابن البواب في مصحفه مواضع أسباع القرآن وأنصافها ، ومواضع أجزائه الثلاثين والستين . وجاءت الأسباع وأنصافها موافقه لما ورد في المصادر ، إلا في موضع واحد من أنصاف الأسباع ، فنصف السبع الثالث في المصادر عند قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس : ٦٠] ، وفي مصحف ابن البواب عند قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٥٥] [٢] ، وتشابه الآيتين يمكن أن يكون سبباً في حصول خلط بين الموضعين .

أما مواضع الأجزاء الثلاثين والستين ففيه اختلاف مع بعض المواضع المثبتة في مصحف القاهرة ، وهذا الاختلاف انعكاس للاختلاف الوارد في المصادر ، وسوف أشير

(١) ينظر : البيان ، الداني صـ ٧٣ و ٨٠ .

(٢) ينظر عن أسباع القرآن وأنصافها : المصاحف ، ابن أبي داود صـ ١١٨-١١٩ ، والبيان ، الداني صـ ٣٠٣ و ٣٠٥ ، والإيضاح ، الأندرابي صـ ٢٦٧ ، وفنون الأفنان ، ابن الجوزي صـ ١٠٩ ، وجمال القراء ، السخاوي (١٢٧/١) .

إلى ذلك بعد أن نستوفي التعريف بالمصاحف الأخرى .

مصحف القاهرة ومصحف المدينة النبوية :

جاء في خاتمة مصحف القاهرة : « وأُخذ بيان أوائل أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها من كتاب « غيث النفع » للسفاقسي « وناظمة الزُّهر » وشرحها ، و« تحقيق البيان » و« إرشاد القراء والكاتبين » لأبي عبيد المخللاتي » .

وجاءت الإشارة في خاتمة مصحف المدينة المنورة إلى المصادر ذاتها المذكورة في خاتمة مصحف القاهرة . وهذه المصادر ، عدا الأول ، هي التي اعتمد عليها في عدِّ الآيات في المصحفين بالإضافة إلى مصدر رابع . وهذا تعريف بالمصادر الأربعة التي اعتمد عليها في التحزيب في المصحفين المذكورين .

١- غيث النفع في القراءات السبع :

تأليف علي بن محمد النوري السفاقسي ، المتوفى سنة (١١١٧هـ) [١] ، قال المؤلف في مقدمة الكتاب : « وأذكر حكم كل ربع بانفراده ، لأنه أعون للناظر وأقرب للسلامة من الوقوع في الخطأ ، وأشير إلى انتهائه بذكر آخر كلمة منه ... وقد وقع للناس في تعيين أوائل الأحزاب والأنصاف والأرباع خلاف ، ولا أمشي إلا على المتفق عليه أو المشهور ، مع ذكر غيره تتميماً للفائدة » [٢] .

وقد التزم المؤلف بذكر أرباع الأحزاب بعد ذكر أحكام القراءة لكل ربع ، ويذكر اختلاف أهل العدد واتفاقهم في مواضع الأحزاب وأجزائها ، ويفصِّل ذلك أحياناً .

٢- ناظمة الزُّهْر :

تأليف القاسم بن فيره الشاطبي المتوفى سنة (٥٩٠هـ) [٣] ، وهو مؤلف قصيدة « حرز الأماني » المشهورة بالشاطبية في القراءات السبع ، ومؤلف قصيدة « عقيلة أتراب القصائد » في

---

(١) ينظر في ترجمته : معجم المؤلفين (٧/٢٠١) .

(٢) غيث النفع (بحاشية سراج القارئ) صـ ١٦ .

(٣) ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري (٢/٢٠-٢٣) .

رسم المصحف ، و« ناظمة الزهر » قصيدة رائية في بيان مذاهب العلماء في عدد آي القرآن ، وعدد أبياتها (٢٩٧) بيتاً كما أشار الناظم إلى ذلك في آخرها ، ومطلع القصيدة [١] :

بدأت بحمد الله ناظمة الزُّهر لتجني بعون الله عَيْناً من الزَّهْر

ولم أجد في القصيدة ما يشير إلى مواضع الأجزاء والأحزاب .

٣- تحقيق البيان في عد آي القرآن :

تأليف محمد بن أحمد الشهير بالمتولي ، شيخ الإقراء في مصر في زمانه ، وتوفي سنة (١٣١٣هـ-١٨٩٥م) [٢] .

وكتاب « تحقيق البيان » في بيان مذاهب العلماء في عدِّ آي القرآن ، منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف ببغداد رقمها (١٢٨٨٦) ناقصة من آخرها ، تنتهي بسورة الفجر . وأشار الدكتور علي شواخ إلى أنه مطبوع ، ونقل ما جاء في آخره : « فهذا آخر ما جمعته من كتاب لطائف الإشارات ، تأليف أبي العباس القسطلاني ، رحمه الله تعالى »[٣] .

وبدا لي أن « تحقيق البيان » هو في عدِّ الآي ، وليس في بيان الأجزاء ، قال المؤلف في مقدمة الكتاب : « وها نحن نروم تحقيق البيان لعدد آي القرآن من أوله إلى آخره ، آية آية ... »[٤] . ويظهر أنه لخصه من كتاب « لطائف الإشارات » الذي اعتنى مؤلفه بذكر عدد الآي ، فقد قال في الجزء الأول منه : « وتأتي فواصل السور بأوائلها ، مع كمية حروفها ، وكَلمها ، وآيها ، وما يُشكل بما يُعَدُّ وما لا يُعَدُّ ، في القسم الثاني من الأصول المسمى بالفرش »[٥] .

٤- إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين :

تأليف رضوان بن محمد ، المشهور بأبي عبيد المخللاتي ، توفي سنة (١٣١١هـ-

---

(١) مطبوعة ضمن (اتحاف البررة بالمتون العشرة) .

(٢) ينظر: معجم المؤلفين (٢٨١/٨) ، والأعلام (٢١/٦) .

(٣) معجم مصنفات القرآن الكريم ، علي شواخ (٣٨/١) .

(٤) تحقيق البيان صـ ١٢-١٣ (والمخطوط غير مرقم في الأصل) .

(٥) لطائف الإشارات (٢٧٨/١) .

١٨٩٣م)[١] . ويبدو أن الكتاب ما يزال مخطوطاً[٢] . وكنت قد اطلعت عليه قديماً ، وهو في رسم المصحف .

وهذه المصادر التي استند إليها التحزيب في مصحفي القاهرة والمدينة مؤلفة في العصور المتأخرة ، وليس في بعضها مادة عن التحزيب ، ولم أتأكد من وجود كلام عن الموضوع إلا في كتاب « غيث النفع » . ولعل عدم تيسر اطلاع المشرفين على طباعة المصحفين على المصادر القديمة المؤلفة في الموضوع جعلهم يعتمدون على هذه المصادر .

ويُقَسَّمُ كل جزء من الأجزاء الثلاثين في المصحفين على حزبين ، ويقسَّم كل حزب على أربعة أرباع ، فالجزء الواحد فيه ثمانية أرباع ، ومجموع أرباع المصحف مئتان وأربعون رُبْعاً .

مصحف الحافظ عثمان ومصحف بغداد :

لا توجد في مصحف الحافظ عثمان إشارة إلى الأساس الذي قام عليه تعيين مواضع الأجزاء والأحزاب فيه ، سوى أن الحافظ عثمان قال في خاتمته : « راقماً على ما وافق مصحف الشيخ المعروف بعلي القاري المكي ... » . ولم أطلع على نسخة من مصحف علي القاري .

أما مصحف بغداد ، والمقصود به المصحف الذي طبعته وزارة الأوقاف ، فقد جاء في خاتمته : « وأُخِذَ هجاؤه ، وأجزاؤه ، وأحزابه ، وعناوينُ سوره من مكية ومدنية حَسْبَ مصحفِ الحافظ عثمان المطبوع في الاستانة » .

ويُقَسَّمُ كلُّ جزء من الأجزاء الثلاثين في هذين المصحفين على أربعة أحزاب ، ويكون مجموع الأحزاب في المصحف مئة وعشرين حزباً ، وهو نصف ما في مصحفي القاهرة والمدينة من أحزاب ، ولكل مصحف من هذه المصاحف مستند في المصادر القديمة، على نحو ما سيتبين من خلال الموازنة بين التحزيب في المصادر والمصاحف ، في المبحث الآتي ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) ينظر الأعلام (٣/٢٧) .

(٢) منه نسخة خطية في المكتبة التيمورية (٦٥ تفسير) ، وأخرى في المكتبة الأزهرية [٢٤١] ٢٢٢٤٨ .

المبحث الرابع : تحزيب القرآن بين المصادر والمصاحف

من ينظر في تحزيب القرآن في المصادر يجد فيها اختلافاً محدوداً في تعيين مواضع عدد من الأجزاء والأحزاب ، وقد انعكس ذلك على تعيين مواضعها في المصاحف أيضاً . والاختلاف في مواضع الأجزاء أقل من مواضع الأحزاب وأرباعها .

ويمكن تتبع ذلك الاختلاف من خلال عقد موازنة بين المصاحف والمصادر ، ويمكن اختصار عدد المصاحف إلى ثلاثة ، كل واحد يمثل مذهباً ، وهي مصحف ابن البواب ، ومصحف المدينة ويندرج معه مصحف القاهرة ، ومصحف بغداد ويندرج معه مصحف الحافظ عثمان .

أما المصادر التي وقفت عليها في تعيين الأجزاء والأحزاب فأهمها كتاب البيان للداني ، والإيضاح للأندرابي ، وفنون الأفنان لابن الجوزي ، وغيث النفع للسفاقسي ، الذي اعتُمد عليه في تحزيب مصحفي القاهرة والمدينة ، وهو شديد العناية ببيان الاختلاف بين العلماء في تعيين المواضع ، لكن ذلك لا يمنع من الرجوع إلى المصادر الأخرى ، لأن تأريخ تأليفها أقدم منه .

وسوف أجعل التتبع والموازنة في ثلاثة جوانب ، الأول الأجزاء ، الثاني الأحزاب ، والثالث النظر في داخل الأجزاء والأحزاب ، واستخلاص بعض النتائج حول المساحة التي يشغلها كل جزء أو حزب .

أما الأجزاء فإن تقسيم القرآن على ثلاثين جزءاً هو الغالب على المصاحف ، لا سيما في العصور المتأخرة ، وهناك أربعة أجزاء اختُلِف في تعيين مواضعها في المصاحف التي أشرت إليها ، وأصل هذا الاختلاف موجود في المصادر أيضاً . وذلك على النحو الآتي :

الموضع الأول : آخر الجزء الثالث ، وأول الرابع :

في مصحف المدينة : ﴿ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ * كُلُّ ٱلطَّعَامِ ﴾ [آل عمران] .

وفي مصحف بغداد : ﴿ نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ﴾ وكذا مصحف ابن البواب .

وفي المصادر كلها آخر الثالث ﴿ نَّـٰصِرِينَ ﴾ ، وأول الرابع ﴿ لَن تَنَالُواْ ﴾ ، إلا ما

ذكر ابن الجوزي من أن ﴿ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠ ﴾ [آل عمران : ٩٠] هي آخر الثالث [١] .

الموضع الثاني : آخر الجزء السادس ، وأول السابع :

في مصحف المدينة : ﴿ فَـٰسِقُونَ ۝٨١ ۞ لَتَجِدَنَّ ﴾ [المائدة] .

وفي مصحف بغداد : ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ﴾ .

والمصادر منقسمة على قسمين في هذا الموضع ، ففي البيان والإيضاح ﴿ فَـٰسِقُونَ ﴾ [٢] ، وذكر ابن الجوزي والسخاوي ورود الموضعين ﴿ فَـٰسِقُونَ ﴾ و﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٣] .

وفي مصحف ابن البواب : ﴿ فَـٰسِقُونَ ﴾ .

الموضوع الثالث : آخر الجزء العاشر وأول الحادي عشر :

في مصحف المدينة : ﴿ مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ﴾ [التوبة] .

وفي مصحف بغداد : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ۝٩٣ يَعْتَذِرُونَ ﴾ .

وأكثر المصادر على ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ ، لكن الأندرابي أشار إلى ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ موافقاً مصحف بغداد [٤] .

الموضع الرابع : آخر الجزء الخامس والعشرين ، وأول السادس والعشرين :

مصحف المدينة : آخر الجاثية ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧ ﴾ ، وأول سورة الأحقاف ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ﴾ .

مصحف بغداد : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ [الجاثية] ، وهو كذلك في مصحف ابن البواب .

---

(١) البيان صـ ٣١٧ ، والإيضاح صـ ٢٦٥ ، وفنون الأفنان صـ ١٢١ ، وجمال القراء (١/١٤٢) ، وغيث النفع للسفاقسي صـ ٨٨ .

(٢) البيان صـ ٣١٧ ، والإيضاح صـ ٢٦٥ .

(٣) فنون الأفنان صـ ١٢١ ، وجمال القراء (١/١٤٣) .

(٤) الإيضاح صـ ٢٦٥ .

واختلفت المصادر في تعيين هذا الموضع ، فنص الداني في البيان على آخر الجاثية [١] . ونقل السخاوي ما ذكره الداني ، ثم قال : « وقال غير أبي عمرو [الداني] : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ » [٢] . وقال ابن الجوزي : « والخامس والعشرون : في الجاثية رأس تسع وعشرين منها : ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، وقيل : رأس اثنتين وثلاثين منها ﴿بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ » [٣] .

والاختلاف في تعيين مواضع الأجزاء محدود ، كما يبدو ، ولا يتجاوز مقدار الاختلاف الآية الواحدة ، إلا الموضع الرابع فقد بلغ مقدار الاختلاف خمس آيات ، أما الأحزاب وأرباعها فاختلافها أكثر ، لكثرة ورودها ، ولأن هناك من يقول : إن تقسيم الأجزاء مبني على أساس عدد الحروف ، ومن ثم قلَّ فيها الاختلاف ، وإن تقسيم الأحزاب مبني على أساس عدد الكلمات فكثر فيها الاختلاف [٤] . واستيعاب جميع ذلك الاختلاف لا يحتمله هذا المختصر ، ولكنني سوف أعقد موازنة بين مصحف المدينة ومصحف بغداد في هذا الجانب ، مع إيراد بعض الأمثلة ، كما أقيم موازنة بين مصحف المدينة وما جاء في كتاب « غيث النفع » الذي يُعَدُّ أهم مصدر في تحزيب هذا المصحف .

يُقَسَّمُ كل جزء في مصحف المدينة على حزبين ، ويقسم كل حزب على أربعة أرباع ، فيكون مجموع أقسام الجزء الواحد ثمانية ، ويكون مجموع أقسام المصحف مئتين وأربعين قسماً . ويقسم الجزء الواحد في مصحف بغداد على أربعة أحزاب ، ويكون مجموع أحزاب هذا المصحف مئة وعشرين حزباً ، وهو نصف ما في مصحف المدينة من أقسام .

وتتطابق أحزاب مصحف بغداد مع أنصاف أحزاب مصحف المدينة ، ومن ثمَّ يمكن عقد موازنة بينهما ، ووجدت اختلافاً في واحد وثلاثين موضعاً ، يتفاوت مقدار

---

(١) البيان صـ ٣١٩ .

(٢) جمال القراء (١/١٤٨) .

(٣) فنون الأفنان صـ ١٢٤ .

(٤) ينظر : جمال القراء ، السخاوي (١/١٦٢) .

الاختلاف في الموضع الواحد بين آية واحدة وعدة آيات ، وسوف أنقل هنا أمثلة لمواضع زاد مقدار الاختلاف فيها عن الآية الواحدة :

المثال الأول : آخر الحزب الخامس عشر وأول السادس عشر : في مصحف المدينة يقع آخر الأنعام وأول الأعراف ، ويقابله في مصحف بغداد : ﴿ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ قَالَ مَا مَنَعَكَ ﴾ [الأعراف] .

المثال الثاني : آخر الحزب الحادي والعشرين وأول الثاني والعشرين في مصحف المدينة يقع في : ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ [يونس] ويقابله في مصحف بغداد : ﴿ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم ﴾ [يونس] .

المثال الثالث : نصف الحزب الرابع والعشرين في مصحف المدينة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ * لَّقَدْ كَانَ ﴾ [يوسف] ، ويقابله في مصحف بغداد : ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝ أَرْسِلْهُ مَعَنَا ﴾ [يوسف] .

أما كتاب « غيث النفع » للسفاقسي فإنه ذكر الأحزاب الستين ، وذكر أرباع كل حزب ، فبلغ ما ذكره مئتين وأربعين قسماً ، وهو بذلك يتفق مع مصحف المدينة من حيث العدد ، وذكرنا من قبل أن هذا الكتاب من مصادر التحزيب في هذا المصحف ، ولكن مع ذلك وقع اختلاف بين ما جاء في المصحف من تعيين لمواضع الأحزاب وبين ما ذُكر في الكتاب ، تتجاوز الأربعين موضعاً ، أُورد هنا أمثلة منها :

المثال الأول : آخر نصف الحزب العاشر في مصحف المدينة : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ ﴾ [النساء] ، وقال السفاقسي : « ﴿ رَّحِيمًا ۝ ﴾ ... منتهى الربع عند بعض وعليه عملنا ، وقيل : ﴿ خَلِيلًا ۝ ﴾ قبله ، وقيل : ﴿ حَمِيدًا ۝ ﴾ وقيل : ﴿ بَصِيرًا ۝ ﴾ »[1] .

المثال الثاني : آخر نصف الحزب الثاني عشر في مصحف المدينة : ﴿ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

---

(١) غيث النفع صـ ١٠٢ .

(٥٠) ﴾ [المائدة] ، وقال السفاقسي : « ﴿ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾ ... منتهى النصف على المشهور ، وقيل : ﴿ لَفَسِقُونَ (٤٩) ﴾ بعده ، وقيل : ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ »[١] .

المثال الثالث : آخر الربع الأول من الحزب الخامس والثلاثين : في مصحف المدينة : ﴿ أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ﴾ [المؤمنون : ٣٥]، وقال السفاقسي : « ﴿ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) ﴾ [٣٨] ... منتهى الربع عند جميع أهل المغرب وجمهور المشارقة ، وعند بعضهم ﴿ مُّخْرَجُونَ ﴾ قبله ، وعليه عملنا »[٢] .

المثال الرابع : آخر نصف الحزب الثاني والأربعين في مصحف المدينة : ﴿ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠) ﴾ آخر سورة السجدة . وقال السفاقسي : « ﴿ وَكِيلاً (٣) ﴾ [الأحزاب : ٣] ... منتهى الربع على المختار عندنا ، وللناس فيه اضطراب ، فبعضهم جعله آخر السورة ، وادعى نفي الخلاف ، وبعضهم جعله ﴿ رَّحِيمًا (٥) ﴾ ، واقتصر عليه ، فظاهره أيضاً نفي الخلاف ، وبعضهم جعله ﴿ أَلِيمًا (٨) ﴾ ، والأول أقربها ، وما ذكرناه أقرب، والله أعلم »[٣].

والمتأمل في حجم كل جزء من الأجزاء الثلاثين يجد أنها متساوية ، أو أقرب ما تكون إلى التساوي ، وإذا أخذنا مصحف المدينة مقياساً لذلك وجدنا أن كل جزء يشغل عشرين صحيفة ، ما عدا الجزء الأخير فإنه يزيد ببضع صفحات لكثرة ما فيه من فواتح السور .

وإذا تتبعنا أحجام الأحزاب أو أرباعها وجدنا التفاوت ظاهراً فيها ، وإذا أخذنا المساحة التي يشغلها كل ربع وجدنا بينها من التباين ما يستوقف النظر ، إذ تجد أحياناً من الأرباع ما هو ضعف ربعٍ آخر ، ويمكن أن نذكر مثالاً على ذلك من خلال الموازنة بين حجم الربع الثالث من الحزب الثالث عشر في مصحف المدينة الذي يشغل من الآية التاسعة بعد المئة من سورة المائدة إلى الآية الثانية عشرة من سورة الأنعام ، وحجم الربع الأول من

---

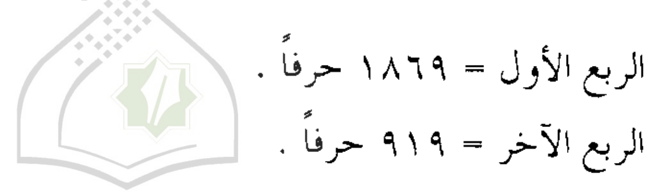
(١) غيث النفع صـ ١١١ .
(٢) المصدر نفسه صـ ٢٢٩ .
(٣) المصدر نفسه صـ ٢٦٦ .

الحزب السادس والخمسين ، الذي يشغل سورة الجمعة وثلاث آيات من سورة المنافقون ، وعلى النحو الآتي :

الربع الأول : ٥١ سطراً .

الربع الآخير : ٢٣ سطراً وثلث السطر .

ويتضح من هذا أن الربع الأول ضعف الربع الآخر ، وقد حاولت عد حروف كل من الرُّبْعين ، على أساس الحروف المرسومة ، وليس حسب النطق ، فالحرف المشدد حرف واحد ، والحرف الزائد في الرسم يُعَدُّ ، ولا يُعَدُّ ما كان ساقطاً من الرسم ويرسم بحرف صغير ، وكذلك لا يعد من الهمزات إلا ما كان مرسوماً على أحد الحروف الثلاثة : الألف والواو والياء ، فكان حاصل الجمع ما يأتي :



الربع الأول = ١٨٦٩ حرفاً .

الربع الآخر = ٩١٩ حرفاً .

ونتيجة الجمع هذه جاءت مؤكدة ما ظهر من حساب أسطر كل من الربعين ، ولا شك في أن التقارب بين أحجام أرباع الأحزاب أمر مطلوب ، لاحِظْ ما قاله السفاقسي وهو يتحدث عن موضع منتهى نصف الحزب الخمسين وهو ﴿ مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان] : « منتهى النصف على ما اخترناه ، وقيل : ﴿ تَرْجُمُونِ ﴾ ، وقيل : ﴿ مُغْرَقُونَ ﴾ ، وقيل : ﴿ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ ، وما ذكرناه أقرب لأنه تام ... وأيضاً على ما ذكروه في الربع طول كثير ، بخلاف ما ذكرناه »[1] .

والمتتبع يجد أمثلة أخرى من هذا النوع ، ولكن هل لهذا التباين من علاج ؟ إن الإجابة على هذا التساؤل يجب أن تنبني على دراسة واقعية لأسس التحزيب وتأريخه ، وسوف أوضّح هنا ما ورد من اختلاف في الموضعين المذكورين ، من خلال ما ذكره السفاقسي .

---

(١) غيث النفع صـ ٣٠٨-٣٠٩ .

قال عن الأول : ﴿ مُبِينٌ ﴾ [المائدة] ... منتهى نصف الحزب ، على قول الأكثر ، وعند بعضٍ : ﴿ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قبله »[1] . والفرق بين القولين تسعة أسطر .

وقال عن نهاية هذا الربع : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام] ... منتهى الربع عند بعضٍ ، وعليه اقتُصِر في « اللطائف » وغيرها ، وعند بعض : ﴿ مُّبِينٌ ﴾ قبله ، وعند بعض : ﴿ يَلْبِسُونَ ﴾ ، ونسبه في « المُسْعِف »[2] للأكثرين ، وقيل : ﴿ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ »[3] .

وقال السفاقسي عن الثاني : « ﴿ ظَٰهِرِينَ ﴾ [آخر الصف] منتهى الحزب الخامس والخمسين بالإجماع »[4] . وقال في الربع الآتي بعده : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون] ... منتهى الربع للجمهور ، وقيل : ﴿ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون] قبله ، وقيل : آخر السورة »[5] .

ويظهر أن ما أُثبت في مصحف المدينة في هذين الموضعين جاء على غير مذهب الجمهور ، ثم اعتُمِد في الموضع الأول أطول ما جاء في آراء العلماء ، واعتُمِد في الموضع الثاني أقصر ما جاء في آراء العلماء ، ومن ثم حصل هذا التباين في حجم هذين الربعين . ولو أخذنا بالأقصر في الأول والأطول في الثاني لكانا متقاربين . والله أعلم .

---

(١) غيث النفع صـ ١١٤ .

(٢) اللطائف والمسعف كتابان ينقل عنهما السفاقسي في تحديد الأجزاء والأحزاب ، ونسب « المسعف » للقادري (غيث النفع صـ ١٢٩) ، ولم أتمكن من الوقوف على ترجمته ، أما « اللطائف » فإن لأبي العلاء الحسن بن أحمد العطار (ت : ٥٦٩هـ) ، كتاب « اللطائف في رسم المصاحف » . ينظر : النشر ، ابن الجزري (١٢٨/٢) .

(٣) غيث النفع صـ ١١٥ .

(٤) المصدر نفسه صـ ٣٤١ .

(٥) المصدر نفسه صـ ٣٤٢ .

خاتمة

تحزيب القرآن موضوع له مساس بشكل المصحف ، وله أصل في السنة ، ومذاهب الصحابة في القراءة ، لكن الصحابة كانوا يُحَزِّبون على أساس السور ، وأخذ العلماء بعدهم بتحزيب القرآن على أساس عدد الحروف في كل حزب .

وتعددت أشكال التحزيب فمن تقسيم القرآن على نصفين ، إلى تقسيمه على ثلاث مائة وستين قسماً ، على عدد أيام السنة ، لكن أشهر تحزيب هو تجزئته ثلاثين جزءاً ، وقُسِّم كل جزء على أربعة أقسام أو ثمانية .

وكان العلماء قد أثبتوا في مؤلفاتهم ما تمخض عن جهود علماء القرآن في عدِّ حروفه ، وأشهر المؤلفات في هذا الجانب اليوم : كتاب المصاحف لابن أبي داود ، وكتاب البيان في عدِّ آي القرآن للداني ، وكتاب الإيضاح في القراءات للأندرابي ، وكتاب فنون الأفنان لابن الجوزي ، وكتاب جمال القراء لعلم الدين السخاوي .

وحصل اختلاف بين العلماء في مواضع الأجزاء والأحزاب ، وانعكس ذلك على المصاحف ، على نحو ما بيَّنا ذلك في صفحات هذا البحث ، وكان خطّاطو المصاحف في العصر الحديث قد اعتمدوا على عدد من المصادر المتأخرة في التأليف ، ومن ثم فاتهم الاطلاع على المصادر القديمة وما فيها من معلومات حول الموضوع ، مثل كتاب « غيث النفع » للسفاقسي الذي جمع مادة يمكن أن تكون أساساً لتحزيب المصحف على نحو أقرب ما يكون إلى الدقة .

وبعد هذه الجولة السريعة في المصادر ، والنظر في عدد من المصاحف ، يمكنني أن أستنتج أن تحزيب القرآن فيه مجال للمراجعة والتدقيق ، وإذا كانت مواضع الأجزاء محل اتفاق في معظمها فإن مواضع الأحزاب وأرباعها كانت مجالاً لتعدد الآراء في تحديد مواضعها .

إن الخروج من ذلك الخلاف في تحديد الأجزاء والأحزاب أمر ممكن ، وهو لا شك مطلوب ، ويمكن أن يتحقق من خلال ثلاثة أمور :

الأول : جمع مصادر الموضوع ، القديمة والمتأخرة ، ودراستها ، وتحقيق مادتها ، والوقوف على الأساس الذي قام عليه التحزيب فيها .

الثاني : تتبع المصاحف القديمة المخطوطة ، ودراسة موضوع التحزيب فيها ، وموازنة ذلك بما جاء في مصادر الموضوع .

الثالث : القيام بعملية عدٍّ جديدة لحروف القرآن الكريم ، وبناء التحزيب في المصاحف على أساس نتائج هذا العدّ ، بعد تحديد الأسس التي يقوم عليها ، والأسس التي سيقوم عليها التحزيب .

وأدعو الله تعالى أني تمكنت من لفت نظر المهتمين بأمر المصحف إلى قضية كثيراً ما كانت موضع تساؤل من كثير من قراء القرآن ، ألا وهي ما يجدونه من عدم تساوي أحجام الأحزاب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مصادر البحث

أولاً : المصاحف :

١- مصحف ابن البواب (علي بن هلال) ، نسخة مصورة عن المصحف المخطوط المحفوظ في مكتبة جستربتي (رقم ك١٦/) .

٢- مصحف الحافظ عثمان ، نشرته مكتبة المثنى ببغداد .

٣- مصحف بغداد ، بخط الحافظ محمد أمين الرشدي ، نشرته وزارة الأوقاف - بغداد ، (١٤٠١هـ-١٩٨١م) .

٤- مصحف القاهرة ، بخط الشيخ محمد علي خلف الحسيني الشهير بالحداد ، مطابع الأهرام التجارية - القاهرة ، ط٤ (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) .

٥- مصحف المدينة النبوية المنورة ، بخط عثمان طه ، نشره مجمع الملك فهد في المدينة المنورة ، طبعة ١٤١٨هـ .

ثانياً : الكتب :

١- ابن البواب عبقري الخط العربي عبر العصور ، هلال ناجي ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ط١ (١٩٩٨م) .

٢- الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر) ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني - القاهرة ، ط١ (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) .

٣- الأعلام ، الزركلي (خير الدين) ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٥ (١٩٨٠م) .

٤- الإيضاح في القراءات ، الأندرابي (أحمد بن أبي عمر) ، تحـ : منى عدنان علي ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات - جامعة تكريت ، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) .

٥- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (محمد بن عبد الله) ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي (١٩٧٢م) .

٦- البيان في عد آي القرآن ، الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد) ، تحـ : د . غانم قدوري الحمد ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الكويت ، ط١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .

٧- تاريخ الخط العربي وآدابه ، محمد الطاهر الكردي ، مكتبة الهلال ، ط١ (١٩٣٩م) .

٨- تحقيق البيان في عد آي القرآن ، محمد المتولي ، مخطوط ، مكتبة المتحف - بغداد ، الرقم (١٢٨٨٦) .

٩- الجرح والتعديل ، ابن أبي حاتم (عبدالرحمن بن محمد) ، حيدر آباد - الهند ، ط١ .

١٠- جمال القراء وكمال الإقراء ، السخاوي (علم الدين علي بن محمد) ، تحـ : علي حسين البواب ، مكتبة التراث - مكة المكرمة ، مطبعة المدني - القاهرة ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) .

١١- السنن ، أبو داود ، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية .
١٢- صحيح مسلم بشرح النووي ، مسلم بن الحجاج ، المطبعة المصرية - القاهرة .
١٣- غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد) ، تحـ : برجشتراسر ، مكتبة الخانجي - مصر ، (١٣٥١هـ-١٩٣٢م) .
١٤- غيث النفع في القراءات السبع ، بذيل كتاب سراج القارئ المبتدي لابن القاصح ، السفاقسي (علي بن محمد النوري) ، المكتبة التجارية الكبرى ، توزيع دار الفكر - بيروت .
١٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) ، المكتبة السلفية - القاهرة ، (١٣٨٠هـ) .
١٦- فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، ابن الجوزي (عبدالرحمن بن علي) ، تحـ : د . رشيد العبيدي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
١٧- كتاب المصاحف ، ابن أبي داود (عبد الله بن سليمان) ، تحـ : آرثر جفري ، المطبعة الرحمانية - مصر ، ط١ (١٣٥٥هـ-١٩٣٦م) .
١٨- لسان العرب ، ابن منظور (محمد بن مكرم) ، طبعة بولاق .
١٩- لطائف الإرشادات لفنون القراءات ، القسطلاني (أحمد بن محمد) ، تحـ : الشيخ عامر السيد عثمان ود . عبدالصبور شاهين ، القاهرة ، (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) .
٢٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ابن تيمية (أحمد بن عبدالحليم) ، الرياض .
٢١- المسند ، أحمد بن حنبل ، المطبعة الميمنية - القاهرة .
٢٢- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دمشق ، (١٩٥٧م) .
٢٣- معجم مصنفات القرآن الكريم ، علي شواخ إسحاق (دكتور) ، دار الرفاعي - الرياض ، ط١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
٢٤- الموطأ ، مالك بن أنس ، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة كتاب الشعب - القاهرة .
٢٥- ناظمة الزهر في عد آي السور (ضمن : إتحاف البررة بالمتون العشرة) ، جمع وترتيب الشيخ علي محمد الضباع ، الشاطبي (القاسم بن فيره) ، مصطفى البابي الحلبي - مصر ، (١٣٥٤هـ-١٩٣٥م) .
٢٦- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، مطبعة مصطفى محمد - مصر .
٢٧ - النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (المبارك بن محمد) ، تحـ : طاهر محمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت .

المصباح في الفرق بين الضاد والظاء في القرآن العزيز نظما ونثرا لأبي العباس أحمد بن حماد بن أبي القاسم الحراني المتوفى بعد سنة (٦١٨ هـ)

تحـ : أ.د. حاتم صالح الضامن*

التعريف بالبحث :

تتناول هذه المخطوطة الفرق بين الضاد والظاء في القرآن العزيز نظماً ونثراً . وقد ذكر المؤلف في كتابه هذا أنه نظر في أصول ظاءات القرآن ، فوجدها اثنين وثلاثين أصلاً ، فنظمها في أربعة أبيات ، وَقدَّم قبل الأربعة عشرة أبيات نبه فيها على مخرج الضاد ومخرج الظاء ، ولما كانت أبياته الأربعة على غير ترتيب ما جاء في القرآن ، أحب أن يأتي بها على ترتيبه الأول فالأول ، وبدأ بشرح الأصول الاثنين والثلاثين . ثم نظمها في أربعة وخمسين بيتاً من الشعر ، ثم ختم كتابه ببيتين ذكر فيهما ثمانية أصول ظائية ، وثمانية أصول ضادية .

وهذا الكتاب النفيس لأبي العباس أحمد بن حماد بن أبي القاسم الحراني ، ولا نعرف عنه شيئاً ، ولكن الكتاب قرئ عليه سنة (٦١٨ هـ) فهو من أهل القرن السابع ، ولعل نشره يقود إلى كشف ترجمة له .

* أستاذ الدراسات العليا في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، ولد عام (١٩٣٨م)، وحصل على الدكتوراه في اللغة من كلية الآداب بجامعة بغداد عام (١٩٧٧م) ، ورقي إلى الأستاذية عام (١٩٨٩م) ، له مؤلفات ومحققات أربت على الثمانين ، وبحوث نافت على المئة .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه النبي العربي الأمين .

الفرق بين الضّاد والظّاء من المسائل التي شغلت القدماء بسبب صعوبة النّطق بهما على مَنْ دخل الإسلام من الأمم المختلفة .

قال ابن الجَزَريّ [١] المتوفى سنة (٨٣٣ هـ) : « والضّاد انفرد بالاستطالة ، وليس في الحروف ما يعسرُ على اللسان مثله ، فإنّ أَلْسنةَ الناس فيه مختلفة ، وقلّ مَنْ يحسنه ، فمنهم مَنْ يخرجه ظاءً ، ومنهم مَنْ يمزجه بالذّال ، ومنهم مَنْ يجعله لاماً مفخمة ، ومنهم مَنْ يشمه الزّاي ، وكلُّ ذلك لايجوز » .

والضّادُ حرفٌ مجهورٌ ، وهو أحد الحروف المستعلية ، وهو للعرب خاصّة ، ولا يوجد في كلام العجم إلا في القليل [٢] .

أمّا الظّاء فهو حرف مجهور ، وهو عربي خُصَّ به لسان العرب ، لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم [٣] .

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ ما ورد في القرآن الكريم من الظّاء ثلاثة وخمسون وثمانمئة ، ترجع إلى واحد وعشرين أصلاً .

أمّا الضّاد فقد جاء في القرآن الكريم في أربعة وثمانين وست مئة وألف موضع ، ترجع إلى واحد وثمانين أصلاً [٤] .

وقد كثرت المؤلفات فيهما ، وقد أحصينا قسماً منها في مقدمتي كتابَيْ الصّقليّ [٥] وابن مالك [٦] ، فلا موجب لذكرها هنا .

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/٢١٩) .

(٢) ينظر : الكتاب (٢/٤٠٦) ، وسر صناعة الإعراب (١/٢١٣) ، والرعاية صـ ١٨٤ .

(٣) ينظر : سر صناعة الإعراب (١/٢٢٧) ، والرعاية صـ ٢٢٠ ، واللسان والتاج « حرف الظاء » .

(٤) منظومات أصول الظاءات القرآنية صـ ٦٣٦ .

(٥) معرفة الضاد والظاء صـ ٩-١٠ .

(٦) الاعتماد في نظائر الظاء والضاد صـ ٦-١٢ .

ومن هذه الكتب النفيسة التي تفرّدت بهذا النوع من التأليف ولم ترَ النّور بعدُ : مخطوطة « المصباح في الفرق بين الضّاد والظّاء في القرآن العزيز نظماً ونثراً » : لأبي العباس أحمد بن حمّاد بن أبي القاسم الحرّاني ، المتوفى بعد سنة (٦١٨ هـ) ، ولا نعرف عنه شيئاً [١] .

وبنى المؤلف كتابه على مقدمة قصيرة ، جاء فيها :

« نظرت في أصول ظاءات القرآن ، فوجدتها في اثنين وثلاثين أصلاً ، وهذا أكثر ما جاء من الأصول ، فنظمتها في أربعة أبيات من الشّعر ، وقدّمت قبل الأربعة الحاوية للأصول عشرة أبيات نبّهت فيها على مخرج الضّاد ومخرج الظّاء » . وبعد ذكر هذه الأبيات ، قال :

« لما جمعت أصول ظاءات القرآن العظيم في هذه الأربعة الأبيات ، جاءت على غير ترتيب ما جاء في كتاب الله ﷻ ، فأحببت أن آتي بها على ترتيب ما جاء في القرآن العزيز ، الأول فالأول » .

ثم بدأ بشرح الأصول الاثنين والثلاثين ، وبعد أن انتهى منها قال : « وقد نظمت ما ذكرته من الأصول في قصيد من الشعر مرتباً على ترتيب الأصول المذكورة ... » ، وذكر أربعة وخمسين بيتاً . ثم ختم كتابه ببيتين ذكر فيهما ثمانية أصول ظائية ، وثمانية أصول ضادية ، وكلّ لفظة من هذه الألفاظ تُقال بالظاء فيكون لها معنى ، فإذا قيلت بالضاد كان لها معنى آخر ، وهو ما يُسمى بالنظائر ، وقد أفرد لها ابن مالك كتابه الموسوم بـ « الاعتماد في نظائر الظاء والضاد » .

وانفرد المؤلف بهذا المنهج الذي سار عليه ، وجاءت ظاءات القرآن عنده في اثنين وثلاثين أصلاً ، لأنه نظر إلى معنى اللّفظ ، لا إلى مادته وجذره ، ولو سار على منهج اللغويين في ردّ مشتقات الكلمة إلى أصل واحد ، لرأى أنّ ظاءات القرآن ترجع إلى واحد وعشرين أصلاً ، كما سلف ذكره .

---

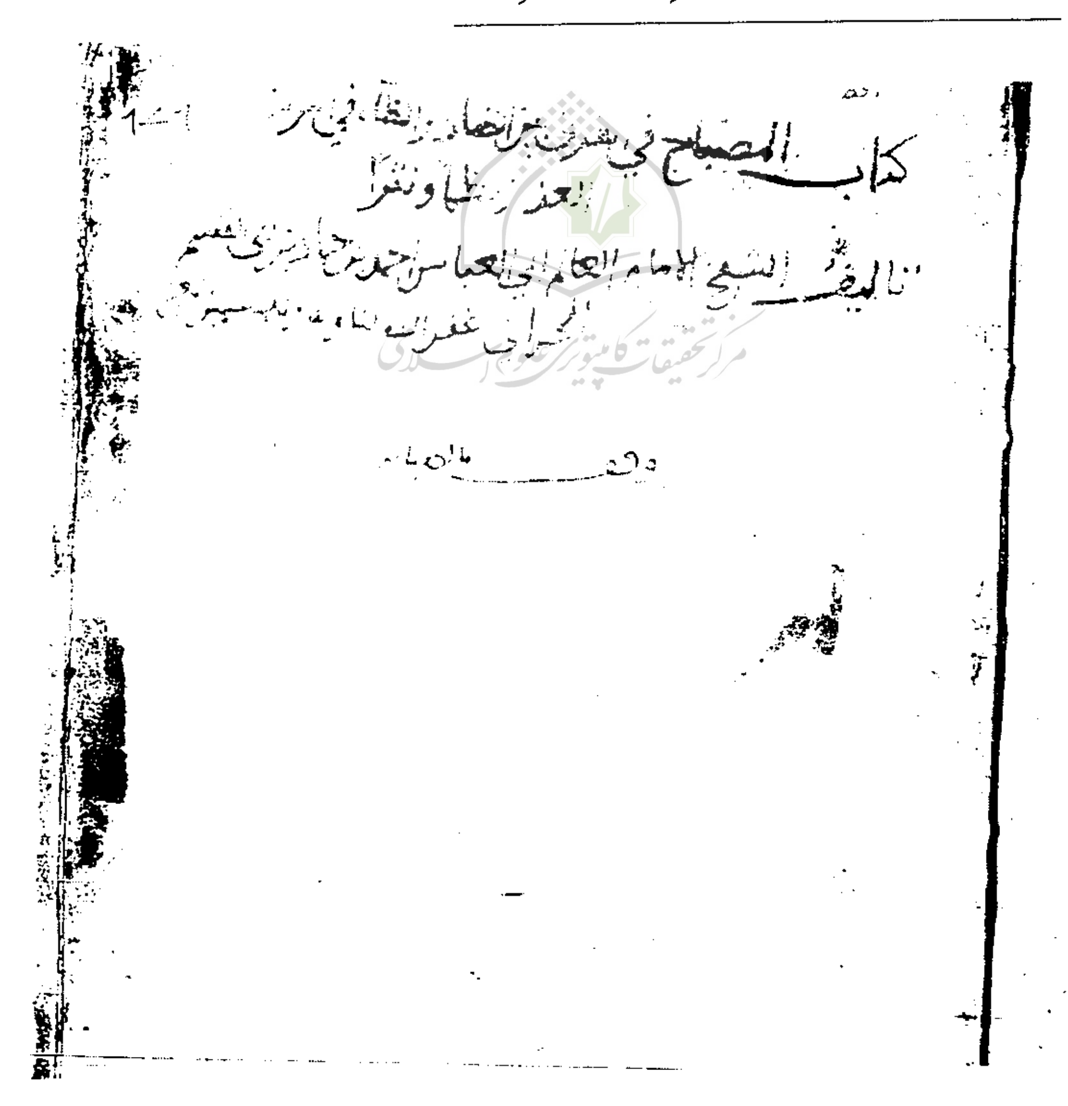
(١) وفات محقق « درة القاري للفرق بين الضاد والظاء » للرسعني (ت : ٦٦١ هـ) معرفته ، فلم يذكره فيمن ألف في هذا الموضوع . انظر صـ ١٤–٣٠ .

مخطوطة الكتاب :

نسخة نفيسة تقع في عشر ورقات في مكتبة جامعة برنستون « مجموعة يهودا » ، في ضمن مجموع (١٤٠ - ١٤٩) ، في كل صفحة ستة عشر سطراً ، وفي أخرها سماع لابن المؤلف إبراهيم ، وإجازة للمؤلف بخطّه في صفر من سنة ثماني عشرة وست مئة . وفي مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث صورة عنها ، تحت رقم (٨/١٨٥) .

وقد ألحقت صوراً لصفحة العنوان ، وللصفحة الأولى ، وللصفحتين الأخيرتين .

والحمد لله أولاً وآخراً ، إنه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير .


كتاب المصباح

صفحة العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد النبي ارسله رحمة
للعالمين وختم به النبيين واول شافع ومشفع يوم الدين
وعلى اله واصحابه اجمعين وعلى ازواجه امهات المومنين
صلاة تدوم بدوام السموات والارضين قال الشيخ الامام
ابو العباس احمد بن حامد بن ابي القسم الحراني رضي الله عنه نظرت
في اصول ظاآت القران فوجدتها اثنين وثلثين اصلا
وهذا اكثر ما جا من الاصول فنظمتها في اربعة ابيات
من الشعر وقدمت قبل الاربعة الحاوية للاصول عشرة
ابيات نبهت فيها على مخرج الضاد ومخرج الظاء
وهي لفرق قلت ابياتا من الشعر اربعا جمعت اصول الظاء
في القرآن فاحفظ

فيا تالي القرآن ان كنت جاهلا بمخرج حرف الضاد ثم تحفظ
لعمرك ان الضاد باين حدها بمخرج حرف الظاء عند التلفظ
وكن عارفا بالمخرجين فانما تخلص من النقصان عند التيقظ

الصفحة الأولى

ضنين ... من اجبر

ونحمد الله جل ثناؤه والثنا منكرا بدوم مع الدهر

واسئل ربي عفوه بره جمعنا ورضوانه والفوز في مجمع الحشر

وصلى اله الناس ما دام ملكه على احمد المبعوث بالنهي والامر

وكل رسول او نبي وصحبهم واتباعهم من كان في البر والبحر

وما كان تاليف الفريقين صناعتي ومن بعدها في نبت عن صنعه

الشعر تمت القصيدة والحمد لله وحده وصلواته على محمد واله

قال الشيخ ابو العباس احمد بن حماد بن ابي القسم نظرت في اصول ظاات القران

فوجدت منها ثمانية اصول تتشابه لثمانية اصول من اصول الضاد

فاخذت من كل اصل من اصول الظا كلمه فنظمت الثمان كلمات بيتا

ونظمت الثمان كلمات بجمع اصول الضاد بيتا وبدات بالظا

ثم ثنيت بالضاد فقلت رحمه الله

عظت لفظ غائظه حظ ناظر لغرظل محظورا كمثل ظنين

نحض وانفضوا ضنين كمحضر وغيض وضلوا نضره كعضين

اخر الجزء والحمد لله حق حمده وصلى الله سيدنا محمد رسوله وعبده

صفحة خاتمة الكتاب



الصفحة الأخيرة وفيها خطّ المؤلف وسنة السماع

/ ١٤١ ب / **بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين ، وصلّى الله وسلّم على محمد الذي أرسله رحمة للعالمين ، وختم به النبيين ، وأول شافع ومشفعٍ يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، صلاةً تدوم بدوام السماوات والأرضين .

قال الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن حماد بن أبي القاسم الحرّاني ﷺ :

نظرتُ في أصول ظاءات القرآن ، فوجدتها اثنين وثلاثين أصلاً ، وهذا أكثر ما جاء من الأصول ، فنظمتها في أربعة أبيات من الشعر ، وقدّمت قبل الأربعة الحاوية للأصول عشرة أبيات نبّهتُ فيها على مخرج الضّاد ومخرج الظّاء ، وهي :

لقد قلتُ أبياتاً من الشّعرِ أرْبعاً ... جمعنَ أُصولَ الظاءِ في النُّور فاحفَظ

فيا تالي القرآن لا تكُ جاهلاً ... بمخرجِ حرف الضّاد ثُمَّ تَحَفَّظَ

لَعَمْرُكَ إنّ الضّادَ بايَنَ حدُّها ... لمخرجِ حرف الظّاء عندَ التّلفُّظَ

فكُنْ عارفاً بالمَخرَجَيْنِ فإنّما ... تغيضُ من النُّقصانَ غير التّغَيُّظَ

/١٤٢أ/ولا نَضرةٌ في الوجه تشبه نظرةً ... بعَيْنٍ تَدبَّرْهُ بهمكَ والحَظ

فمشتبهاتُ الضّاد بالظّاء سَبْعَةٌ ... تَنبَّهْ لها يا صاحِ ثُمّ تيقّظَ

وقد جاءَ حرفٌ ثامنٌ إنْ قرأْتَهُ ... بظاء وضاد جازَ للمتلفظَ

ضنينٌ بخيلٌ فهي بالضّاد لَفظُها ... ومُتَّهَمٌ بالظّاءِ فاكتبْهُ والفظَ

وإني ذكرتُ الظّاء حَسْبُ لَنقْصها ... عن الضّاد في القرآن فاسمعْ تلفظي

بابُ [(١)] ظاءاتِ الهدى إذْ جمعتُها ... تحفَّظْ لما قدْ قلتُ كلَّ التّحَفُّظِ

وأمّا الأبياتُ الأربعةُ الحاويةُ للأصول :

فينظرُ ذو حظٍّ عظيم بظاهرٍ ... وأظفركم من ظالمٍ مُتَيَقّظ

فلا تحظروا الظمآنَ من ظلّ ظُلّةً ... لظنٍّ ظهير الواعظ المُتَلَفّظَ

شُواظٌ تَلَظّى غلظةَ ظلّ كاظماً ... فأنظرْ وظَهْرَ الظّاعنَ المُتحَفّظَ

بعَظْمٍ وظُفْرٍ وانتظرْ بظَهيرةٍ ... ظِهاراً وفظّاً أو ظلامَ التّغَيُّظَ

(١) كذا ، ولا يستقيم به الوزن .

قال الشّيخُ أبو العباس أحمد :

لما جمعتُ أُصولَ ظاءاتِ القرآن العظيم في هذه الأربعةِ الأبياتِ ، جاءت على غيرِ ترتيب ما جاءَ في كتاب الله ، عز وجل ، فأحببتُ أنْ آتي بها على ترتيب ما جاء في القرآنِ العزيزِ ، الأَوَّل فالأوَّلَ :

فأولها : باب العَظَمَة : وأول ذلك في سورة البقرة ، قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾ .

الثاني : باب الظُّلمة : وهو بالظاء / ١٤٢ ب / كيف جاءت ألفاظُهُ ، وأوّلُ ذلك جاء في السورة المذكورة ، قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝ ﴾ [البقرة] .

الثالث : باب الظُّلْم : وأول ذلك فيها ، قوله تعالى : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾ [البقرة] .

الرابع : باب الظَّنّ : وأول ذلك فيها ، قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة : ٤٦] .

فجميعُ هذا الباب بالظّاء ، ولم يختلفِ القُرّاءُ فيه إلا حرفاً واحداً في سورة التكوير ، وهو قوله تعالى : ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ [٢٤] . قُرِئ بالضّاد ، من البُخْلِ ، وبالظاء ، من التُّهمة [(١)] .

الخامس : باب النظر بالعين : وأولُ ما جاء منه في البقرة أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ﴾ .

---

(١) قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالضاد ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء . السبعة في القراءات صـ ٦٧٣ ، والمبسوط في القراءات العشر صـ ٤٦٤ ، والوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة صـ ٣٧٥ . وينظر : الاعتماد صـ ٣٩ .

وجميع هذا الباب بالظّاءِ ، إذا كانَ مِن النّظر بالعين . ويُشْبِهُهُ في اللّفظ ثلاثةُ أحرُفٍ يُقْرأْنَ ويُكتَبْنَ بالضّاد :

الأول : في سورة القيامة ، قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ .

والثاني : في سورة ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ ، قوله تعالى : ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ .

والثالث : في سورة المطففين، قوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ .

فهذه الأحرفُ الثلاثةُ مِن النّضارةِ [١] ، وهو الحسنُ والبشر في الوجه .

السادس : باب الظّلل : جمعُهُ ومفردُهُ بالظاءِ ، وأوّلُ ما جاء منه في البقرة أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ [٥٧] . / ١٤٣ أ /

السابع : باب الوعظ : وهو بالظّاء كيفما تصرّفَ ، وأوّلُ ما جاءَ منه في البقرة أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

ويُشْبِهُ هذا الباب حرفٌ واحدٌ في الحجر ، قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ .

فهذا بالضّادِ [٢] ، لأنه من التّفْرقةِ في القولِ ، لا مِن الوَعْظِ .

الثامن : باب الظّهير : وهو بمعنى المُعين والنَّصير ، وجميعُهُ بالظّاء ، وأوّلُ ما جاءَ منه ، في البقرة أيضاً ، قولُهُ تعالى : ﴿ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [٨٥] .

التاسع : باب الظّهر من الآدمي وغيره : وجميعُهُ بالظّاء ، كيفَ جاءَتْ ألفاظُهُ ، وأوّلُ ما جاء منه في البقرة ، قوله تعالى : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [١٠١] .

---

(١) ينظر : معرفة الضاد والظاء صـ ٢٤ ، والاعتماد صـ ٥٤ ، وشرح أبيات الداني الأربعة صـ ٦٨٦ .

(٢) الاقتضاء صـ ٨٤ ، وزينة الفضلاء صـ ٤٧ . وينظر : معاني القرآن (٢/٩٢) ، ومجاز القرآن (٣٥٥/١) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/٤٣-٤٤) ، والمحرر الوجيز (١٠/١٥١) .

العاشر : باب الإنظار : وهو من المهلة والتأخير ، وجميعُهُ بالظاءِ ، وأَوَّلُ ما جاء منه في البقرة أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ .

الحادي عشر : باب الحفظ وأنواعه : وجميعُهُ بالظّاء ، وأَوَّلُ ما جاء منه في البقرة ، قوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ [٢٣٨] .

الثاني عشر : باب العِظام : جمعُهُ ومفردُهُ بالظّاء ، وأوَّلُ ما جاءَ منه في البقرة / ١٤٣ ب / أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [٢٥٩] .

الثالث عشر : باب الغَيْظ : وجميعُهُ بالظّاءِ ، كيفما تصرَّفَ لفظُهُ ، إذا كانَ مِن ثَوَرانِ طبعِ النَّفْسِ والحنق ، وأوّل ما جاءَ منه في القرآن في سورة آل عمران ، قوله تعالى : ﴿ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [١١٩] .

ويُشْبِهُ هذا حرفان :

أحدُهما : في سورة هود ، قوله تعالى : ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ [٤٤] .

والثاني : في سورة الرعد ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ ﴾ [٨] .

ولا ثالثَ لهما .

فهذانِ الحرفانِ بالضّاد [١] ، لأنَّ المعنى فيهما من النُّقْصانِ ، لا من الغَيْظِ .

الرابع عشر : باب الكَظْم : وهو بالظّاءِ ، وأَوَّلُ ما جاءَ منه في القرآن ، في سورة آل عمران ، قولُهُ تعالى : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [١٣٤] .

الخامس عشر : باب الفَظّ : وهو بالظّاء ، ولم يأتِ في القرآنِ منه إلا حرفٌ واحدٌ ، وهو في سورة آل عمران أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا ﴾ [١٥٩] .

---

(١) ينظر : الفرق بين الحروف الخمسة صـ ١٦٦ ، والاعتماد صـ ٤٨ ، وشرح أبيات الداني الأربعة صـ ٦٨٣-٦٨٤ .

ويشبهُ هذا الحرف ثلاثة أحرفٍ ، لا رابع لهنَّ :

الأول : في هذه السورة ، وهو قوله تعالى : ﴿ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

والثاني : في سورة الجمعة ، قوله تعالى : ﴿ ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ [١١] .

والثالث : في سورة المنافقين ، قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ [٧] .

فهذه الأحرفُ الثلاثةُ ، بالضّاد ، لأنه من / ١٤٤ أ / التّفرُّقِ عن الشخص والذهاب عنه [١] . والأولُ بالظّاء ، لأنه من سوء الخُلُقِ .

السادس عشر : باب الغلاظة : وجميعُهُ بالظّاء ، وأولُ ما جاءَ منه في هذه السورة ، قوله تعالى : ﴿ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

السابع عشر : باب الحَظّ : وهو بالظّاء ، إذا كانَ اسماً ، وهو مِن القسم والنَّصيب . ويأتي منه في القرآن بهذا المعنى سبعةُ أحْرُفٍ ، أولُها في هذه السورة ، قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [آل عمران : ١٧٦] .

ويشبهُهُ في اللفظ ثلاثةُ أحرفٍ ، لا رابعَ لهنَّ ، وهنَّ أفْعالٌ :

الأولُ : في سورة الحاقة ، قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

والثاني : في سورة الفجر، قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾ .

والثالث : في سورة الماعون ، قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾ .

فهذه الثلاثة بالضّاد [٢] ، لأنها من التحريض والحث على فعل الشيء .

الثامن عشر : باب الظِّلّ : وجميعُهُ بالظّاء ، كيفما تصرّفَ ، وأولُ ما جاءَ منه في القرآن ، في سورة النساء ، قوله تعالى : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ .

---

(١) ينظر : معرفة الضاد والظاء صـ ٢٤ ، وظاءات القرآن صـ ٢٦٩ ، والاعتماد صـ ٤٩ .

(٢) ينظر : الفرق بين الحروف الخمسة صـ ١٤٠ ، وظاءات القرآن صـ ٢٦٤ ، والاعتضاد صـ ٦٦ ، والاعتماد صـ ٣٢ .

التاسع عشر : باب الظّاهر : وهو ضِدُّ الباطِنِ ، ويأتي بمعنى العُلو ، وبمعنى /١٤٤ ب/ النَّصر ، وجميعُهُ بالظّاء ، وأولُ ما جاء منه ، في سورة الأنعام ، قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ [١٢٠] .

العشرون : باب الظُّفُر : وهو بالظّاء ، ولم يأتِ في القرآنِ منه إلا حرفٌ واحدٌ في سورة الأنعام ، قوله تعالى : ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ [١٤٦] .

الحادي والعشرون : باب الانتظار : وهو من الارتقاب للشيء ، وهو بالظاء كيفما جاءَ ، وأولُ ما جاء منه في القرآنِ ، في سورة الأنعام أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ .

الثاني والعشرون : باب الظَّمأ : وجميعُهُ بالظّاء ، ولم يأتِ في القرآن منه إلا ثلاثة أحرفٍ :

أوّلُها : في آخر سورة التوبة ، قوله تعالى : ﴿ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ [١٢٠] .

والثاني : في سورة طه ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا ﴾ [١١٩] .

والثالث : في سورة النور ، قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ [٣٩] .

ولا رابع لها .

الثالث والعشرون : باب ظَلَّ : إذا كانَ بمعنى الدّوام ، ولم يأتِ في القرآن منه بهذا المعنى غير تسعة مواضع ، وجميعه بالظّاء :

وأولُ ما جاءَ منه في القرآن : في سورة الحجر ، قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

الثاني : في سورة النحل ، قوله تعالى : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ [٥٨] .

والثالث : مثلُهُ ، في سورة ﴿ حمٓ ﴾ الزخرف [١٧] .

الرابع : /١٤٥ أ/ في طه ، قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ [٩٧] .

الخامس : في سورة الشعراء ، قوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا ﴾ [٤] .

السادس : فيها أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

السابع : في الروم ، قوله تعالى : ﴿ فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

الثامن : في سورة ﴿ عٓسٓقٓ ﴾ ، قوله تعالى : ﴿ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ ﴾ .

التاسع : في سورة الواقعة ، قوله تعالى : ﴿ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

ولم يأتِ في القرآن في هذا الباب بالظّاء سوى هذهِ التّسعة، لأنّ معناها الدّوام، وما عداها بالضّاد ، لأنه من الضّلالِ ضِدّ الـهُدَى ، كقوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ [الرعد : ٢٧] .

أو مِن الاختلاط والامتزاج ، كقوله تعالى : ﴿ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [السجدة : ١٠] .

أو بمعنى الهلاك ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ ﴾ [القمر] .

أو بمعنى البُطلانِ ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ ﴾ [الكهف : ١٠٤] ، و﴿ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿١﴾ ﴾ [محمد] .

أو بمعنى التّحيُّر ، كقوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الضحى] .

أو بمعنى التغيُّب ، كقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا ﴾ [الأعراف : ٣٧] ، و﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه] .

فهذا جميعه بالضاد [١] ، لأنه ليس بمعنى الدوام .

الرابع والعشرون : باب الظَّعْن : وهو بالظاء ، ولم يأتِ في القرآن منه إلا حرفٌ واحدٌ ، وهو في سورة النحل ، قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ ﴾ [٨٠] . وقد قُرِئ بتحريك العين وسكونها [٢] .

الخامس والعشرون : باب الحَظْر ، الذي بمعنى المنع والحَجْرِ : ولم / ١٩٥ ب / يأتِ في القرآن منه في هذا المعنى إلا حرفان :

---

(١) ينظر الاقتضاء صـ ٥١ ، الفرق بين الحروف الخمسة صـ ١٥٢ ، الاعتماد صـ ٣٤ .

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح العين . وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر بسكون العين . السبعة في القراءات صـ ٣٧٥ ، وشرح الهداية صـ ٣٨٢ ، والاختيار في القراءات العشر صـ ٤٩٩ .

الأول منهما : في سورة سبحان ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ .

الثاني : في سورة القمر ، قوله تعالى ﴿ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ .

فهذان الحرفان بالظاء ، وما عداهما مما يُشبههما في اللفظِ ، بالضاد [١] ، لأنه من الحضور ضد الغَيْبة .

السادس والعشرون : باب اليَقظة ، ضد النوم : وهو بالظّاء ، ولم يأتِ في القرآن منه إلا حرفٌ واحدٌ ، في سورة الكهف ، قوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [١٨] .

السابع والعشرون : باب الظَّهيرة : وهو وقتُ انتصافِ النّهارِ ، وهو بالظّاءِ ، ولم يأتِ في القرآن منه إلا حرفانِ :

أولُهما : في سورة النور ، قوله تعالى : ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾ [٥٨] .

الثاني : في سورة الروم ، قوله تعالى : ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ .

ولا ثالث لهما .

الثامن والعشرون : باب الظِّهار ، الذي هو الحلفُ بالظِّهار [٢] : وهو بالظّاء ، ولم يأتِ في القرآن منه إلا ثلاثةُ أحرفٍ :

الأولُ : في سورة الأحزاب ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ [٤] .

الثاني : في سورة المجادلة ، قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم ﴾ [٢] .

والثالث : فيها أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ [٣] .

---

(١) ينظر : زينة الفضلاء صـ ١٠٠ ، وظاءات القرآن صـ ٢٦٧ ، والاعتماد صـ ٢٩ .

(٢) الظِّهار في اللغة مأخوذ من الظّهر ، لأن الأصل أنْ يقولَ الرجلُ لزوجهِ : أنتِ عليّ كظهر أُمي .

قرأ أبو عَمْرو [١] ومَنْ وافَقَهُ : بتشديد الظّاءِ والهاءِ ، في المواضعِ الثلاثةِ . وقرأ بالتخفيف فيهنّ عاصمٌ [٢] ومَنْ وافقَهُ [٣] . / ١٤٦ أ /

التاسع والعشرون : باب الظَّفَر : وهو بالظّاء ، ولم يأتِ في القرآن منه إلا حرفٌ واحدٌ في سورة الفتح ، قوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [٢٤] .

الثلاثون : باب اللفظ : ولم يأتِ في القرآن منه إلا حرفٌ واحدٌ ، وذلك في سورة قٓ ، قوله تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ [١٨] .

الحادي والثلاثون : باب شُواظ : وهو بالظّاء ، ولم يأتِ في القرآن [منه] إلا حرفٌ واحدٌ في سورة الرحمن ، قوله تعالى : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴾ [٣٥] .

الثاني والثلاثون : باب لَظَى : وهو آخرُ الأُصول ، وهو بالظاءِ ، ولم يأتِ في القرآن منه إلا حرفانِ :

أولهما : في سورة سَأَلَ سَآئِلٌ ، قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ .

والثاني : في سورة الليل ، قوله تعالى : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ .

تمّتِ الأُصول

---

(١) أبو عمرو بن العلاء ، من السبعة (ت : ١٥٤هـ) . أخبار النحويين البصريين صـ ٤٦ ، ونور القبس صـ ٢٥.

(٢) عاصم بن أبي النجود ، من السبعة (ت : ١٢٨هـ) . طبقات القراء (٧٥/١) ، وغاية النهاية (٣٤٦/١) .

(٣) ينظر : السبعة صـ ٥١٩ ، وشرح الهداية صـ ٤٧٣-٤٧٤ ، والموضح في وجوه القراءات وعللها صـ ١٠٢٥ .

وفي تقريب النشر صـ ٤١٨ : « قرأ عاصم ﴿ تُظاهِرون ﴾ بضم التاء وتخفيف الظاء ، وألف بعدها ، وكسر الهاء مخففة . وكذلك قرأ حمزة والكسائي وخلف ، ولكنهم بفتح التاء والهاء ، وابن عامر كذلك ، إلا أنه بتشديد الظاء ، والباقون كذلك لكنهم بتشديد الهاء من غير ألف » .

قال الشيخ أبو العبّاس أحمد ﷺ :

وقد نظمتُ ما ذكرتُهُ من الأصولِ في قصيدٍ من الشِّعر مُرتباً على ترتيب الأصول المذكورة ، وذكرتُ من ذلك :

ما جاءَ مرةً واحدةً : وهو سبعةُ أصول .

وما جاء مرتين : وهو ثلاثةُ أصول .

وما جاء ثلاث مراتٍ : وهو أصلان .

ولم أذكر ما زاد على ثلاثة أصول إلا باب ظلّ ، الذي جاء بمعنى الدّوام لغموضِهِ واشتباه لفظِهِ . وما زاد على ثلاثةِ أُصولٍ غير هذا البابِ لم أذكرْ إلا الأولَ مِن ذلكَ البابِ فحسبُ . وذكرتُ / ١٤٦ ب / سبعةَ أَبوابٍ من الضّادِ شابَهَتْ سبعةَ أبوابٍ من الظّاء . وذكرتُ ما يُقرأُ بالضّادِ والظاء ، وهو حرفٌ واحدٌ ، في سورة التكوير ، قوله تعالى : ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ .

وستقفُ على جميعِ ذلكَ في نَظْمِ القصيدِ ، إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، وهي :

تعانيتُ جمعَ الظّاء في مُحْكَمِ الذِّكرِ ... علـى تَبَـعٍ تأتيـكَ في الـنَّظْمِ والنَّثْـرِ

وتابعتُ في جمعي لها مَحْـضَ لفظِـهِ ... سوى ما أَتَى للعُـذْرِ فلتقبلوا عُـذْري

وسَمَّيْتُها « المصباحَ » فهي لمن تـلا ... بعلمٍ تُضاهي الشّمسَ في ساعة الظُّهْـرِ

وجئـتُ بهـا تَتْـرَى يتـابعُ لفظُهـا ... لألفاظِـهِ بابـاً فبابـاً علـى الإثْـرِ

وأبوابُهـا عنـدي ثلاثـونَ عـدُّها ... مع اثـنين في حصـري لأبوابها الغُـرِّ

ويجمعُهـا لـبٌّ وذو اللُّـبِّ كاشـفٌ ... لألغـازِ مـا في الـلامِ والبـاءِ مِـن سِرِّ

وأبياتُهـا عشـرونَ بيتـاً وتسـعةٌ ... وخمسـةُ أبيـاتٍ وعَشْـرٍ إلى عَشْـرِ

فيـا ذا النُّهَـى في رَمْـزِ نـدٌّ جمعتُهـا ... وذاكَ بـأنّ النّـدَّ مِـن أطْيَـبِ العِطْـرِ

فَخُـذْ بعدَ هـذا البيـتِ فيمـا جمعتُـهُ ... فَقَـدْ بـانَ فيـه القـولُ للعبـدِ والحـرِّ

عظـيمٌ عـذاب الكـافرين بـربِّهم ... وفي ظُلمـاتٍ يُتركـونَ مَـدى الـدَّهرِ

مِـن الظـالمينَ اعـدد ثلاثـاً وبَعْـدَهُ   يظنـونَ هـذا رابـعٌ فـاختبرْ ذِكـري

عَـدَدْنا لخَمـسٍ تنظـرونَ وبابَـهُ   وظَلَّـلَ ربِّـي بالغمـام فمـا يَسـري

وموعظــة تظــاهرونَ فثــامنٌ   وراءَ ظهـورِ القـوم تِسْعٌ مِـن الـوِتْرِ

وعشـرٌ ولا هُـمْ ينظـرونَ ونوعُـهُ   كذا حافظوا مهما تصرَّفَ للمُقْرِي

/١٤٧أ/وثانٍ لعَشْرٍ فالعِظامُ وقد أَتَى   مِـن الغَـيْظ قُـلْ مُوتـوا فثالثـةُ العَشْرِ

فـلا المقرئـون الكـاظمين بأسـرهم   وفَظّاً غليظَ القلـبِ فالحَظْـهُ بـالفكرِ

وحظّاً وظِـلاً ظـاهرَ الإثْـمِ أو أتـى   بمعنى عـلا أو ظـاهرينَ مِـن النَّصْـرِ

وأَلْحِـقْ بمـا قدَّمتُـهُ لـكَ آنفـاً   لذي ظُفُرٍ أيضاً قُـلِ انتظروا أَمْري

وقُـلْ ظَمَـأٌ قـد جـاء تظمـأُ مثلـه   وظمآنُ خَتْمُ الباب منه لدى فكري

وجاءَتْ ثلاثٌ في ثلاثٍ وأصلُها الـ   ـدوامُ فظلـوا أوّل التّسـعِ في الحِجْـرِ

ويتبـعُ هـذا ظـلّ في النَّحلِ وَجهُهُ   وآخـرُ في حـم واسـطةِ الزُّهْـرِ

وطه لنا فيهـا الّـذي ظَلْتَ عاكفاً   فظَلَّتْ لهـا أعنـاقُهُم خُضَّـعَ النَّحْـرِ

ففي الشُّعَراء اثنـانِ هـذا وقدْ بقـي   بهـا فنظـلّ اذكُرْهُ لا زلتَ في يُسْرِ

لظَلُّـوا أتَـى في الـرّومِ تَمَّـمَ سـبعةً   فَيَظْلَلْنَ في الشّورى رواكد لا تجري

إذا وقعـتْ فيهـا فَظَلْتُـمْ تكمَّلـت   بهـا التّسـعُ لا أبـلاكَ ربُّـك بالعُسْـرِ

ومهما أتى في البابِ من بَعْـد هـذه   فمـا ذاك إلا الضّـادُ هُنِّيـتَ بالبِشْـرِ

وفي النَّحْلِ فاقرأْ إنْ تشأ يومَ ظعنكم   بتحريكِ عَيْنِ الظَّعنِ أو جَزْمِها فاسْرِ

وحرفـانِ في القـرآنِ لا غـير فـاعتبرْ   بسبحانَ مَحْظُوراً من المَنْعِ والحَجْرِ

وفي اقتربـت بعـد الهشـيمِ كمثلـه   وليسَ سوى الحرفينِ في الباب فاستبرِ

وفي الكهفِ أيقاظاً وجدناهُ وحدَهُ   وفي النُّورِ ذِكْـرٌ للظهـيرة قَدْ يجري

وفي الـرُّومِ تـأتي تُظْهِـرُون نظيرهـا   ولا ثالـثٌ في البـابِ يأتيكَ فاستقرِ

/١٤٧ب/وتَظَّهَّرونَ الظّاءُ منها شديدةٌ   مع الهاءِ في الأحزاب حَرْفُ أبي عَمْرِو

وشـدّهما في الموضـعين بقـد سمـع   ويَقْـرأُ بـالتّخفيف كُـلاً أبـو بَكْـرِ

ووافـقَ في التّخفيـف قـومٌ لعاصـمٍ   وشدَّدَ قـومٌ تـابعوا مـذهبَ البَصْري
وكُـلٌّ صـوابٌ وافـق الحـقَّ قولُـهُ   لقـدْ يسَّـرَ القـرآنَ ربُّـكَ للـذكْرِ
وأَظفركم في الـفتـح يَـلْـفِظُ واحدٌ   بسـورة ق فاسـتمعْ قـولَ ذي الخُبْـرِ
شُواظٌ أَتَى فـرداً لَظَى فهي بَعْدَهُ   تَلَظَّـى لهـا أُخْـتٌ وخاتمـةُ الـدُّرِّ
وجاءتْ أُصولٌ سبعةٌ كـلُّ واحـدٍ   ولا غـيرهُ في بابِـه قُـلْ لِمَـنْ يـدري
يُعَـدُّ علـى التَّرتيـبِ فَظّـاً وبَعْـدَهُ   لِـذي ظُفُـرٍ فاحفظْـهُ أُيِّـدْتَ بالنَّصْرِ
وبعـدهما فاذهـب إلى يـومِ ظَعْـنكم   وبـالكهفِ أَيْقاظـاً تـدبَّرْهُ إذ تُقْـري
وأَظفركُم ما يـلفـظُ القول سادس   شـواظٌ تمـامُ السَّبْعِ جُمِّلْـتَ بالسَّتْرِ
وسبعةُ أبواب مـن الضّـاد شابَهَتْ   لسبعةِ أبـوابٍ مِـن الظَّـاءِ في سَبْرِي
ضَـلَلْنا وضَـلُّوا أو أضـلَّ ونَضْـرَةٌ   عِضِـين ولانفضُّـوا بضـادٍ ألا فـادرِ
كذا حاضِري والمُحْضَرُونَ وشبهُهُ   يحضُّ مِن التّحريضِ أعني على البِّرِ
وغيضَ مِن النُّقْصـانِ فهي تَمامُهـا   فذي سبعةٌ بِالضّادِ قدْ صَحَّ في حَصْرِي
وأَشْـباهُها بالظّـاءِ ظَـلَّ فظلْـتم   لظلُّوا فظلّت ظَلْتَ في الخيرِ واليُسْرِ
ونـاظِرةٌ أو نظـرةٌ ثُـمَّ واعِـظٌ   وغَـيْظٌ وفَـظٌّ ثمَّ حَـظٌّ مـع الحَظْـرِ
ومـا اختلـفَ القُـرّاءُ فيمـا ذكرتُـهُ   سوى لفظةٍ في كُوِّرت يا ذوي الحِجْرِ
/١٤٨أ/ ضنينٌ بخيلٌ وهي بالظاء تُهْمَةٌ   جزَى اللهُ ذا العلم الجزيل مِن الأَجْرِ
وتَمَّـتْ بحمـدِ اللهِ جـلَّ ثنـاؤهُ   وأشـكرهُ شُـكْراً يـدومُ مـع الـدَّهرِ
وأَسـأَلُ ربِّـي عَفْـوَهُ يـومَ جَمْعِنـا   ورضـوانَهُ والفـوزَ في مجمعِ الحَشْـرِ
وصلّى إلـهُ النّـاسِ مـا دام مُلْكُـهُ   على أحمـدَ المبعوثِ بـالنّهيِ والأَمْـرِ
وكـلِّ رسـولٍ أو نَبِـيٍ وصَـحْبِهم   وأتباعِهِم مَـنْ كـانَ في البَـرِّ والبَحْـرِ
وما كانَ تأليفُ القَريضِ صِناعتي   ومِن بَعْدِها قدْ تبتُ عن صَنْعَةِ الشِّعْرِ

تمّتِ القصيدةُ والحمدُ للهِ وحده وصلواته على محمد وآله وسلّم .

قال الشيخ أبو العباس أحمد بن حماد بن أبي القاسم :

نظرتُ في أصول ظاءات القرآن ، فوجدتُ منهنّ ثمانيةَ أصول تشابه لثمانية أصول من أُصولِ الضّاد ، فأخذتُ مِن كلِّ أَصْلٍ مِن أُصولِ الظّاءات كلمةً ، فنظمتُ الثّمان كلمات بيتاً ، ونظمتُ الثمان كلمات مِن أُصولِ الضّاد بيتاً ، وبدأتُ بالظّاء ثم ثنيتُ بالضّاد ، فقلتُ بحمد الله :

وَعَظْتُ لفَظٌّ غاظَهُ حَظٌّ ناظِرٍ ... لقد ظَلَّ مَحْظُوراً كمِثْلِ ظَنينِ

يحضٌّ ولانفضوا ضنينٌ كمُحْضَرٍ ... وغِيضَ وضَلُّوا نَضْرَةَ لعِضِينِ

آخر الجزء

والحمدُ للهِ حقّ حمده ، وصلى الله [على] سيدنا محمد رسوله وعبده .

فهرس المصادر والمراجع

- المصحف الشريف .

١- أخبار النحويين البصريين : السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت : ٣٦٨هـ) ، تحـ : د. محمد إبراهيم البنا ، القاهرة ، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

٢- الاختيار في القراءات العشر : سبط الخياط البغدادي ، عبد الله بن علي (ت : ٥٤١هـ) ، تحـ : عبد العزيز السبر ، الرياض ، (١٤١٧هـ) .

٣- الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد : ابن مالك الطائي ، محمد (ت : ٦٧٢هـ) ، تحـ : حسين تورال وطه محسن ، النجف ، (١٩٧٢م) .

٤- الاعتماد في نظائر الظاء والضاد : ابن مالك الطائي ، تحـ : د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ، (١٩٨٤م) .

٥- الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء : أبو عبد الله الداني ، محمد بن أحمد بن سعود (ت : بعد سنة ٤٧٠هـ) ، تحـ : د. علي حسين البواب ، الرياض ، (١٩٨٧م) .

٦- تاج العروس : الزَّبيدي ، محمد مرتضى (ت : ١٢٠٥هـ) ، المطبعة الخيرية - مصر ، (١٣٠٦هـ) .

٧- تقريب النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ) ، تحـ : أنس مهرة ، مطابع البيان - دبي .

٨- درة القاري للفرق بين الضاد والظاء : الرسعني ، عبد الرزاق بن رزق الله (ت : ٦٦١هـ) ، تحـ : د. محمد بن صالح البراك ، دار ابن عفان - الخبر ، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) .

٧- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : القيسي ، مكي بن أبي طالب (ت : ٤٣٧هـ) ، تحـ : د. أحمد حسن فرحات ، عمّان ، (١٩٨٤م) .

٨- زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء : الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت : ٥٧٧ هـ) ، تحـ : د. رمضان عبد التواب ، بيروت ، (١٩٧١م) .

٩- السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى (ت : ٣٢٤ هـ) ، تحـ : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، (١٩٨٠م) .

١٠- سر صناعة الإعراب : ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت : ٣٩٢هـ) ، تحـ : د. حسن هنداوي ، دمشق ، (١٩٨٥م) .

١١- شرح أبيات الداني الأربعة في أصول ظاءات القرآن : مؤلف مجهول ، تحـ : د. حاتم صالح الضامن ، دمشق ، (١٩٩٤م) . فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، م٦٩ ، ج ٤ .

١٢- شرح الهداية : المهدوي ، أحمد بن عمّار (ت : نحو ٤٤٠هـ) ، تحـ : د. حازم سعيد حيدر ، الرياض ، (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .

١٣- طبقات القراء : الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت : ٧٤٨هـ) ، تحـ : د. أحمد خان ، الرياض ، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

١٤- ظاءات القرآن : السرقوسي ، سليمان بن أبي القاسم (ت : نحو ٥٩١هـ) ، تحـ : د. حاتم صالح الضامن ، بغداد ، (١٩٨٩م) . فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ٤٠ ، ج ١ .

١٥- غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجزري ، محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ) ، نشر برتزل وبرجستراسر - القاهرة ، (١٩٣٢-١٩٣٥م) .

١٦- الفرق بين الحروف الخمسة : ابن السيد البطليوسي ، عبد الله بن محمد (ت : ٥٢١هـ) ، تحـ : عبد الله الناصير ، دمشق ، (١٩٨٤م) .

١٧- الكتاب : سيبويه ، عمرو بن عثمان (ت : ١٨٠هـ) ، بولاق ، (١٣١٦-١٣١٧هـ) .

١٨- لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت : ٧١١هـ) ، دار صادر - بيروت ، (١٩٦٨م) .

١٩- المبسوط في القراءات العشر : ابن مهران ، أحمد بن الحسين (ت : ٣٨١هـ) ، تحـ : سبيع حمزة حاكمي ، دمشق ، (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .

٢٠- مجاز القرآن : أبو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت : ٢١٠هـ) ، تحـ : محمد فؤاد سزكين ، القاهرة ، (١٩٥٤-١٩٦٢م) .

٢١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية ، عبد الحق (ت : ٥٤١هـ) ، المغرب ، (١٩٧٥-١٩٩١م) .

٢٢- معاني القرآن : الفرّاء ، يحيى بن زياد (ت : ٢٠٧هـ) ، ج ١ تحـ : نجاتي والنجار ، ج ٢ تحـ : النجار ، ج ٣ تحـ : شلبي ، القاهرة ، (١٩٥٥-١٩٧٢م) .

٢٣- معاني القرآن الكريم : النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت : ٣٣٨هـ) ، تحـ : الشيخ محمد علي الصابوني ، مكة المكرمة ، (١٤٠٨-١٤١٠هـ) .

٢٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار مطابع الشعب - القاهرة .

٢٥- معرفة الضاد والظاء : الصّقلي ، أبو الحسن علي بن أبي الفرج القيسي (ق ٥ هـ) ، تحـ : د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ، (١٩٨٥م) .

٢٦- منظومات أصول الظاءات القرآنية : د. طه محسن ، الكويت ، (١٩٨٦م) . مجلة معهد المخطوطات ، م ٣٠ ، ج ٢ .

٢٧- الموضح في وجوه القراءات وعللها : ابن أبي مريم ، نصر بن علي الشيرازي (ت : بعد ٥٦٥هـ) ، تحـ : د. عمر الكبيسي ، جدة ، (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) .

٢٨- النشر في القراءات العشر : ابن الجزَري ، تصحيح الضباع ، مصر .

٢٩- نور القبس من المقتبس : اليغموري ، يوسف بن أحمد (ت : ٦٧٣ هـ) ، تحـ : زلهايم ، مط الكاثوليكية ، بيروت ، (١٩٦٤م) .

٣٠- الوجيز في شرح قراءات القَرَأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة : أبو علي الأهوازي ، الحسن بن علي (ت : ٤٤٦هـ) ، تحـ : د. دريد حسن أحمد ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، (٢٠٠٢م) .

جزء فيه الخلاف بين يحيى بن آدم والعليمي الأنصاري

لأبي محمد هبة الله بن أحمد بن طاووس البغدادي (ت : ٥٣٦ هـ)

تحـ : د. عمار أمين الددو*

التعريف بالبحث :

على مدى أربعة عشر قرناً ، والقرآن الكريم ما زال يُتلى غضاً طرياً كما أنزل ، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر : ٩] .

وما هذا الأثر ، الذي نقدمه اليوم لأول مرة لحملة كتاب الله وطلاب القراءات ، إلا ثمرةً من ثمار هذا الحفظ الإلهي . وهو لهبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاووس البغدادي (ت : ٥٣٦ هـ) ، مضمونه الخلاف بين أصحاب يحيى بن آدم والعليمي الأنصاري في علم القراءات ، وقد أفرَدَ مادته لرواية ما كان قد قرأهُ على والده من وجوه الخلاف في حروف من القرآن ، بين عشرة رواةٍ من أصحاب يحيى بن آدم ، ويحيى بن محمد العُليمي ، في قراءتِهما عن أبي بكر شُعبة ، عن عاصم .

وهذا الأثر من الآثار النادرة والنفيسة ، لتفرد مادته ، وندرة نُسخه ، وخلو المظانّ من ذكره ، وعدم تطرق أقلام المحدثين لذكره ، لذا ارتأيتُ أن ينال مني كلّ هذا الاهتمام ، ليكون بين أيدي القراء ، أهل الله وخاصته من الأنام ، ومِنَ الله نستمد العون .

* نائب رئيس قسم المخطوطات في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ، ولد عام (١٩٦٣م) ، وحصل على درجة الماجستير عام (١٩٩٦م) ، ودرجة الدكتوراه عام (١٩٩٩م) في اللغة العربية وآدابها ، وكانت رسالته " المستنير في القراءات العشر لابن سوار البغدادي المتوفى عام (٤٩٦ هـ) : دراسة وتحقيق " .

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي أَنزَلَ على عَبدِه الكتابَ ، هِدَايَةً وذِكرَى لأُولي الألبابِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيِّدنا مُحَمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِيِّ ، وَعَلى آلِهِ والأصحابِ ، وعلى كلِّ من قرأَ القُرآنَ وتدبّره بفكرٍ صائبٍ ، وقلبٍ سليمٍ أَوّابٍ .

وبعد فهذا أوّلُ أَثَرٍ يَصِلُ إلينا من آثارِ أبي مُحَمّد هِبَةِ اللهِ بنِ طاووس، المُحَدِّث ابنِ المُحَدِّثِ ، والمُقرئ ابنِ المُقرئ ، على حَدِّ وَصفِ تلميذِه أبي طاهر السِّلَفي لَهُ ،وهو أَثَرٌ نادرٌ وفَريدٌ ، حُقِّقَ على نُسخَةٍ نادِرَةٍ وَنَفيسةٍ ، هي النُّسخَةُ الأُمّ ، التي كَتَبَها المُؤَلِّفُ بِقَلَمِه ، وقَرَأَها على عَدَدٍ من تلاميذِهِ ، وهو من كتبِ القراءاتِ ، التي تمتازُ بالرِوايَةِ لا الدِّرايَةِ ، روى فيه مؤلِّفُه ما كان قد قرأه على والدِه من خِلافٍ بين عَشْرَةِ أصحابٍ لِرَاويين من أشهَرِ الرُّواةِ عن أبي بكر شُعبة عن عاصم ، وهما : يحيى بن آدم ، ويحيى بن محمد الأنصاري ، المعروف بالعُلَيمي .

والكتابُ نادرٌ ومُهِمٌّ ،حَرِيٌّ بالتّحقيقِ ، وإجهادِ النّفس في القيامِ على خدمَتِه ، ونَفضِ غُبارِ القُرونِ عنه ،لِيَعُودَ إلى عَالَمِ النُّورِ من جديد ؛ وفاءً لمؤلّفه الذي لم يَنَلْ حَقَّهُ من الاهتمامِ عند الباحثين المُحدَثين ، على جَلالَةِ قَدْرِه ، وسُمُوِّ مَنزِلَتِه ، فهو شيخُ أبي القاسم ابن عَسَاكر ، وأبي سعد السَّمعاني ، وأبي طاهر السِّلَفي ، فضلاً عما تفرّد به الكتابُ عن غيره فيما حَوَاه . وإحياءً لأَثَرٍ لم يَصِل إلينا عن مُؤَلِّفه سِواهُ .

اقتضت طبيعةُ تحقيق هذا الكتاب أن تكون على قسمين ، أُفرِدَ القسمُ الأوّل منها لدراسة المؤلّف و الكتاب ، وأُفرِدَ القسمُ الثّاني للنّص المحقّق .

أما من حيثُ المصادر التي اعتمدتها في تحقيق نَصِّه ، وبيان فضل مؤلفه ، فهي كتب التراجم والطبقات ، وكتب التفسير و القراءات .

ولعل أهمّ هذه المصادر أثراً فيه ، كتاب المستنير في القراءات العشر ، لابن سوَار

البغـدادي (ت : ٤٩٦ هــ) ، الـذي نِلْـتُ ، بفضـل الله ، شَـرَفَ تحقيقـه ، في رسـالتي للدكتوراه لأنّ جلّ ما جاء في هذا الكتاب منثور في كتاب المستنير .

وسبب ذلك أنّ هبة الله بن طاووس روى مادة كتابه ، عن والده الذي رواها بدوره عن أبي علي الحسـن بـن علـي بـن عبـد الله العطّـار ، وأبي علـي الحسـن بـن أبي الفضـل الشرمقاني ، وأبي الحسن علي بن محمّد الخيّاط ، وهؤلاء الشيوخ ، هم أنفسهم الذين قرأ عليهم ابن سِوَار ، وروى عنهم الكثير مما جاء في كتابه ، لذا فقد تطابقـت مـادة الكتـابين في كثير من المواضع ، وكان لكلّ واحد منهما في الآخر أثر نافع .

وختاما فالله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم .



المُؤلِّف (١)

أولاً : اسمهُ وكُنيَتُه ونِسبَتُه :

هو أبو مُحَمَّد هِبَةُ اللهِ بن أحمد بن عبدِ الله بن عليّ بن طاووس المُقرِئ البَغدَادي الدِّمَشقي الجَيْرُوني (٢) .

ثانياً : وِلادَتُهُ ونَشأَتُهُ :

وُلِدَ هِبَةُ الله بن طاووس ، في شَهر صَفَر ، سَنَةَ إحدى وستين وأربع مئة للهجرة (٣) ،

---

(١) ينظر ترجمته في المصادر الآتية مرتبة ترتيباً زمنياً :
تاريخ حلب صـ ٣٩٦ ، والأنساب (١٤٣/٢) ، ومعجم الشيوخ ، لابن عساكر (١٢٠٦/٢) ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢٤/١٧) ، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد صـ ٤٧٦ ، ومعجم البلدان (١٩٩/٢) ، مادة « جيرون » ، والكامل في التاريخ (٣٢٥/٩) ، واللباب في تهذيب الأنساب (٣٢٢/١) ، ذكره في مادة « الجيروني » ، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (ذكره في ترجمة والده) (٣٤٧/١) ، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان (١٨١/٨) ، ومختصر تاريخ دمشق (٦٥/٢٧) ، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠) ، وتهذيب سير أعلام النبلاء (١٩٥/٣) ، والعبر في خبر من غبر (١٠١/٤) ، والإعلام بوفيات الأعلام (٣٥٨/١) ، وتاريخ الإسلام ، حوادث سنة (٥٤١-٥٥٠) صـ ١٢٧ ، وطبقات القراء (٧٥١/٢) ، وذيل تذكرة الحفّاظ صـ ٧٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٢٤/٧) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (٦٣/٢) ، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير (٤٩٧/٢) ، ذكره في ترجمة والده ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٢٧٠/٥) ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (١١٤/٤) ، وغاية النهاية (٣٤٩/٢) ، وتاج العروس في جواهر القاموس (٢٢٨/٦) .

(٢) نسبة إلى باب جيرون وهي محلة كانت تقع عند باب مدينة دمشق آنذاك ، وهي موطن سكناه . ينظر : الأنساب (١٤٣/٢) ، ومعجم البلدان (١٩٩/٢) مادة « جيرون » ، وقرة العيون في أخبار باب جيرون صـ ٤ وما بعدها ، وتاج العروس (٢٢٨/٦) .

(٣) ينظر : تاريخ الإسلام ، أحداث سنة (٥٤١) صـ ٤٣٣ ، وطبقات القراء (٧٥٣/٢) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٣٢٤/٧) ، وغاية النهاية (٣٤٩/٢) .

وقيل سنة اثنتين وستين [١] ، وذلك في مدينة دمشق ، بعد أن قَدِمَها والِدُه أحمد بن عبد الله البَغدَادي ، سنة إحدى وخمسين وأربع مئة للهجرة ، لِيَتّخِذَ منها مَوطناً له [٢] .

وَنَشَأَ في كَنَف والِده الفَقِيه ، المُقْرِئ ، المحدِّث ، وعنه أخذَ القِراءات السبع [٣] ، ثم العشر [٤] ، وَسَمِعَ منه الحديثَ الشّريفَ ، ثم التَفتَ إلى عُلَماءِ عَصْرِه ،ينهلُ منهم أُصولَ عُلومِ القُرآنِ الكريم ، والحديثِ الشَّريفِ .

عَمِلَ هِبَةُ الله مُؤَذِّناً في مَسجد سُوقِ الأَحد [٥] بدمشق ، وقيلَ مُؤَدِّباً للصبيان فيه [٦] ،إلاَّ أنّه ترك ذلك بعد أن أُوكِلَت إليه إمَامَةُ الجامعِ الأمويّ في مَدينة دمشق ، وتصدَّرَ فيه لإقْرَاءِ القُرآنِ ، وروايةِ الحديثِ الشَّريفِ ، فانتفعَ بِهِ خَلْقٌ كثير [٧] .

ثالثاً :رِحلتُه في طَلَبِ العِلْمِ :

شاءَ الله لهبة الله بن طاووس أَن يَرحَلَ في طَلَبِ العلْم إلى العراق وأصبهان ، بصحبة والدِه ، والفَقيه نَصر الله المُصِّيصيِّ ، (ت : ٥٤٢ هـ) [٨] حين أَرسَلَهُما حاكِمُ دمشقَ آنذاك السُّلطان تاجُ الدّولةِ تتش بن ألب أرسلان ، (ت : ٤٨٨ هـ) [٩] برسالة إلى

(١) ينظر : الأنساب (١٤٣/٢) . والمنتظم (٢٤/٧) ، ومرآة الزمان (١٨٢/٨/١) .
(٢) ينظر : المنتظم (٥٣٦/١٧) ، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (٣٤٧/١) ، ومرآة الزمان (١٨٢/٨/١) .
(٣) ينظر : تاريخ الإسلام ، حوادث (٥٤١) صـ ٤٣٣ ، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠) .
(٤) ينظر : غاية النهاية (٣٤٩/٢) .
(٥) ويعرف بالمسجد العباسي . ينظر : ثمار المقاصد صـ ٨٣ .
(٦) ينظر : طبقات القراء (٧٥١/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٢٩) ، وغاية النهاية (٣٤٩/٢) .
(٧) ينظر : الأنساب (١٤٣/٢) ، ومختصر تاريخ دمشق (٦٥/٢٧) ، وتاريخ الإسلام ، حوادث (٥٤١) صـ ٤٣٢ .
(٨) ينظر ترجمته في مسرد شيوخه .
(٩) ينظر ترجمته في : تاريخ دمشق (٣٥/١١) ، وسير أعلام النبلاء (٨٣/١٩) ، وتاريخ الإسلام .

السّلطان جلال الدّولة مَلِكشاه بن السُّلطان ألب أرسلان ، (ت : ٤٨٥ هـ) [١] ، فَسَمِعَ خلال هذه الرِّحلة بالأنبار من أبي الحَسَن عليّ بي مُحَمَّد الخَطيب ، (ت : ٤٨٦ هـ) [٢] ، وببغداد من أبي الحسين عاصم بن الحَسَن العاصمي ، (ت : ٤٨٣ هـ) [٣] ، وبأصبهان من أبي منصور مُحَمَّد بن أحمد بن عليّ بن شُكرويه القاضي ، (ت : ٤٧٦ هـ) [٤] ، وغيرِهم ممن يردُ ذِكرُهم في مَسرَدِ شُيوخه ، إن شاء الله تعالى .

رابعاً : شُيُوخُه :

تلقّى هِبَةُ الله بن طاووس علومَه على جَمهَرَة كبيرة من شيوخ عصره ، جُلُّهم من المحدِّثين . استطعنا ، بفضل الله ، أَن نَقِفَ على أسماء أربعينَ منهم ، نَذكُرُها مَنسُوقَةً على وفق حروفِ الهجاء :

- إبراهيم بن إسحاق بن مُحَمَّد [٥] .
- أحمد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أحمد الأَصفَهاني ، الذّكواني ، أبو الحسين (ت : ٤٨٤ هـ) [٦] .
- أحمد بن عبد الله بن عليّ بن طاووس البَغدادي ، أبو البركات ، والد المؤلف ، (ت : ٤٩٢ هـ) [٧] .

---

(١) ينظر ترجمته في : المنتظم (٩/٦٩) ، و سير أعلام النبلاء (١٩/٤٥) ، وأخبار الدولة السّلجوقية صـ ٥٥ ، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة صـ ٥٢ .

(٢) ينظر ترجمته في مسرد شيوخه .

(٣) ينظر ترجمته في مسرد شيوخه .

(٤) ينظر ترجمته في مسرد شيوخه .

(٥) تاريخ دمشق (٤٤/١١٧) .

(٦) تاريخ دمشق (٦/٢٥٢) ، (٢٦/٣٢٤) ، (٥٦/٤١٧) ، (٥٨/١٠٩) ، (٦٧/٣٧٠) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (٩/١٠٣) .

(٧) تاريخ دمشق (١/٢٢٢) . وطبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (١/٣٤٦) ، وطبقات القراء (٢/٦٨٩) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٧/٣٢٤) .

– أحمد بن منصور بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد ، أبو العباس الغَسَّاني ، الفقيه المالكي ، المعروف بابن قبيس ، (ت : ٤٦٨ هـ) [١] .

– بركات بن إبراهيم بن طاهر، أبو طاهر الخشوعي الدمشقي [٢] .

– جعفر بن أحمد بن الحَسَن بن أحمد السَّرَّاج البَغدَادي ، (ت : ٥٠٠ هـ) [٣] .

– الحَسَن بن أحمد بن الحَسَن بن مُحَمَّد بن عليّ بن مِهْرَة ، الأَصبَهاني ، أبو عليّ الحدَّاد ، (ت : ٥١٥ هـ) [٤] .

– الحسن بن أحمد بن عبد الواحد بن مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد ، أبو عبد الله ، (ت : ٤٨٢ هـ) [٥] .

– الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَسَن السَّاوي ، أبو عليّ ، (ت : ٤٨٨ هـ) [٦] .

– حمد بن أحمد بن الحَسَن بن أحمد بن مُحَمَّد بن مَهران الحدَّاد الأَصبَهاني ، أبو الفضل ، أخو أبو عليّ الحداد ، (ت : ٤٨٨ هـ) [٧] .

(١) تاريخ الإسلام ح (٥٤١) ، صـ ٤٣٢ ، وسير أعلام النبلاء (١٨/٢٠) ، والعبر (١٠١/٤) ، وشذرات الذهب (١١٤/٤) . وينظر : تاريخ دمشق (٣٢/٦) .

(٢) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد صـ ٢٢٠ .

(٣) تاريخ دمشق (٢٤٢/٧) ، (٦١/١٢) ، (١٢٩/٢٤) ، (٧٣/٣٦) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (٢٢٨/١٩) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٢/٩) ، (٣٣٣/١٨) ، (٣٧١/٢٢) ، ومعجم الشيوخ (٢٢٧/١) ، (١٠١٧/٢) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (٣٠٣/١٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٥٠/٥٥) ، (٤٥٧/٦٦) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (٢٢٨/١٩) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٦٤/١٣) .

(٧) تاريخ دمشق (٢٠٩/٤٤) ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٠/١٩) .

– رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث التّميمي ، البَغدَادِي ، أبو مُحَمَّد ، (ت : ٤٨٨ هـ) [١] .

– سُبَيْع بن المُسَلَّم الدمشقي المقرئ ، أبو الوحش ، (ت : ٥٠٨ هـ) ، قرأ عليه رواية ابن عامر [٢] .

– سليمان بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن سليمان الحافظ ، أبو مسعود ، (ت : ٤٨٦ هـ) [٣] .

– سهل بن بشر بن أحمد بن سعيد الإسفراييني الدمشقي، أبو الفرج (ت : ٤٩١ هـ) [٤] .

– صَدَقة بن مُحَمَّد بن السَّيَّاف ، أبو القاسم [٥] .

– طِرَاد بن مُحَمَّد بن عليّ بن حسن بن مُحَمَّد الزَّينبي النّقيب ، أبو الفوارس ، (ت : ٤٩١ هـ) [٦] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤/٤٧) ، (٦/٢٤١) ، وسير أعلام النبلاء (١٨/٦٠٩) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٧/٣٢٤) .

(٢) طبقات القراء (٢/٧٥١) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/٣٦٠) ، وغاية النهاية (٢/٣٤٩) .

(٣) تاريخ دمشق (١/١٣١ ، ٢٦٥) ، (٤/٤٦) ، (٥/٤٢٧) ، وطبقات القراء (٢/٧٥١) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/٢٣) ، (٢٨/٩٨) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٢ ، وغاية النهاية (٢/٣٤٩) .

(٤) تاريخ دمشق (١٢/٣٩٣) ، (١٣/٣٦٠) ، (١٤/٦٣) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (١٩/١٦٢) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٢/٢٢٤) .

(٦) تاريخ دمشق (٣/٣٦٥) ، (٤/٦٨ ، ٣٥٥) ، (٦/٢١١) ، (٢٥/١٢٥) ، ومعجم الشيوخ (٢/٦٦٨ ، ١١٠٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/٣٧ ، ٣٨) .

– عاصم بن الحَسَن بن مُحَمَّد بن عليّ بن عاصم بن مِهْرَان العاصِمي البَغدَادِي الكَرخِي ، أبو الحسين ، (ت : ٤٨٣ هـ) [١] .

– عبد الباقي بن أحمد بن هبة الله البزّار ، أبو الحَسَن [٢] .

– عبد الجليل بن عبد الجبار المروزي ، أبو المظفر [٣] .

– عبد الرَّزاق بن عبد الكريم بن عبد الواحد الحَسناباذي ، أبو الفتح [٤] .

– عبد السَّلام بن مُحَمَّد بن يوسف بن بندار القِزويني ، البَغدَادِي ، أبو يوسف ، (ت : ٤٨٨ هـ) [٥] .

– عبد المحسن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عليّ بن أحمد [٦] .

– عبيد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري ، أبو القاسم [٧] .

– عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عثمان بن قريش البَغدَادِي النَّصريّ البنّاء ، أبو الحَسَن ، (ت : ٤٨٤ هـ) [٨] .

---

(١) الأنساب (٢/١٤٣) ، وتاريخ دمشق (١/١٤٣ ، ٣١١) ، (٣/٢٩٢ ، ٣٦٦) ، وسير أعلام النبلاء (١٨/٥٩٨) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٢ ، وطبقات القراء (٢/٧٥١) .

(٢) تاريخ دمشق (٦/٦٨ ، ٣٧٩) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٤/٤٠) .

(٤) تاريخ دمشق (١/٢١٦) ، (٣/١١٩) ، وتاريخ الإسلام ، ح (٥٤١) صـ ٤٣٢ .

(٥) تاريخ دمشق (٣٦/٢١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٨/٦١٦) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٦/٤٨٦) .

(٧) تاريخ دمشق (٥/٣٤٠) .

(٨) تاريخ دمشق (٢٣/١٧٣) ، (١٨/٤١٣) ، (٤٠/٣٢١) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (١٨/٥١٨) .

– عليّ بن مُحَمَّد بن عليّ بن أحمد بن أبي العلاء المِصِّيصي ، أبو القاسم (ت : ٤٨٧ هـ) [١] .

– عليّ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن يحيى بن شعيب الشيباني ، الأنباري الخطيب ، أبو الحَسَن ، المعروف بابن الأخضر ، (ت : ٤٨٦ هـ) [٢] .

– فضل الله بن أحمد بن مُحَمَّد المَيْهَني ، أبو سعيد [٣] .

– القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمود الثقفي الأصبهاني ، أبو عبد الله ، (ت : ٤٨٩ هـ) [٤] .

– مالك بن أحمد بن عليّ بن إبراهيم البانياسي البَغدَادِي ، (ت : ٤٨٥ هـ) [٥] .

– مُحَمَّد بن إبراهيم الجرجاني ، أبو عبد الله [٦] .

– مُحَمَّد بن أحمد الجبَّان العَطَّار ، المعروف بابن النخّاس [٧] .

---

(١) الأنساب (٢/١٤٣) ، وتاريخ دمشق (١/١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٧٤) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٢ ، وسير أعلام النبلاء (٢٨/٩٨) .

(٢) الأنساب (٢/١٤٣) ، و تاريخ دمشق (٣/٣٥) ، (٢٦/١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٨/٦٠٥) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٢ .

(٣) تاريخ دمشق (٢٠/١٩٧) .

(٤) تاريخ دمشق (١٤/١٣٦) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٣ ، وينظر : سير أعلام النبلاء (١٩/٨) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٠/٢٤٥) ، (٢٦/٣٢٨) ، وسير أعلام النبلاء (٢٨/٩٨) ، وطبقات القراء (٢/٧٥١) ، والعبر (٤/١٠١) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٧/٣٢٤) ، وشذرات الذهب (٤/١١٤) .

(٦) تاريخ دمشق (٤/١١٣) .

(٧) تاريخ دمشق (١٢/٢٨٩) .

- مُحَمَّد بن أحمد بن عليّ بن شكْرويه الأصبهاني ، أبو منصور . (ت : ٤٧٦ هـ)[١] .

- مُحَمَّد بن عليّ بن الحَسَن بن مُحَمَّد بن أحمد بن أبي عثمان البَغدَادِي الدّقاق ، أبو الغنائم ، (ت : ٤٨٨ هـ)[٢] .

- مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد بن أبي عقيل الكَرَجي الواعظ ، أبوبكر ، (ت : ٤٧٨ هـ)[٣] .

- مُحَمَّد بن المظفر بن بكران الشامي الحموي الشافعي ، قاضي القضاة ، أبو بكر ، (ت : ٤٨٨ هـ)[٤] .

- مسعود بن عليّ بن الحسين، أبو عمرو، المعروف بابن الملحي الأَرْدُبيلي[٥] .

- نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي ، الفقيه ، الشافعي ، أبو الفتح ، (ت : ٤٩٠ هـ)[٦] .

- نصر بن أحمد بن عبد الله بن مقاتل البَطِر ، البَغدَادِي البزّار القارئ ، (ت : ٤٩٤ هـ)[٧] .

---

(١) الأنساب (٢/١٤٣) ، وتاريخ دمشق (١/١٨٠) ، (٤/٢٤٠) ، وطبقات القراء صـ ٧٥١ ، والعبر (٤/١٠١) ، وغاية النهاية (٢/٣٤٩) ، وشذرات الذهب (٤/١١٤) .

(٢) تاريخ دمشق (١/٩٤ ، ٢٤٨ ، ٣٠١) ، (٢/٢٣٣) ، (٣/٤٦٢) ، و تاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٢ .

(٣) تاريخ دمشق (٥/٢٤٠) ، (٥٤/٤٣١) .

(٤) تاريخ دمشق (١/١٠٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/٨٥) .

(٥) تاريخ دمشق (٥٨/١٢) .

(٦) تاريخ دمشق (٥٤/٢٤٠) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٢ ، وينظر : سير أعلام النبلاء (١٩/١٣٦) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٧/٣٢٤) .

(٧) تاريخ دمشق (٤/٢٩) ، (٥/٦٦) . وسير أعلام النبلاء (١٩/٤٦) .

– نصر الله بن مُحَمَّد بن عبد القوي المِصِّيصيّ ، أبو الفتح ، (ت : ٥٤٢ هـ) [١].

– هبة الله بن عبد الرزاق بن مُحَمَّد بن عبد الله بن الليث الأنصاري ، الأوسي ، الأشهلي ، ثم السَّعدي البَغدَادِي ، أبو الحَسَن ، (ت : ٤٩١ هـ) [٢].

– هبة الله بن عبد الوارث بن عليّ بن أحمد الشِّيرازي ، أبو القاسم ، (ت : ٤٨٦ هـ) [٣].

خامساً : تلاميذه :

انتفعَ بهبة الله بن طاووس ، خَلْقٌ كثيرٌ ، وكان من بين هؤلاء الخَلْقِ ؛ رجالٌ من أَكَابِرِ أَهلِ العِلْمِ ؛ كأبي طاهر السِّلَفي ، وابنِ عَسَاكر ، وأَبي سَعد السَّمعاني ، وغيرِهم ، وقد وقفنا ، بفضلِ اللهِ ، على أسماء عددٍ منهم ، نَذكُرُها مَنْسُوقةً على وفْقِ حروف الهجاء .

– أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الأصبهاني الجرواني ، أبو طاهر السِّلَفي (ت : ٥٧٦ هـ) [٤].

– أحمد بن هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاووس ،أبو المعالي ،نجل المؤلف [٥].

– بيان بن أحمد بن إبراهيم المصري العطّار [٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/١١٨) ، وطبقات السبكي (٧/٣٢٠) .

(٢) تاريخ دمشق (١٠/٣٢٢) ، (٢١/٩٠) ، (٤٤/٥) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (١٩/٤٤) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٤/١١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/١٨) .

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/٩٨) ، (٢١/٥) ، وتاريخ الإسلام ح (٤٥١) صـ ٤٣٣ ، وطبقات السبكي (٧/٣٢٤) .

(٥) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب . فقد أثبت المؤلف بخطه أن ابنه أحمد قرأ عليه هذا الجزء .

(٦) ينظر : صورة الورقة الأخيرة من المخطوط .

– خياط بن حسن بن حسين القزاز، أبو الوفا [١] .

– الخَضر بن هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاووس ، ابن المؤلف ، (ت : ٥٧٨ هـ) [٢] .

– الخضر بن أحمد بن إبراهيم المصري العطّار ، أبو طالب [٣] .

– عبد الباقي بن محمد بن عبد الباقي [٤] .

– عبد الرحمن بن الحسن بن علي الشَّيباني الضَّرير ، أبو القاسم [٥] .

– عبد الصمد بن مُحَمَّد بن أبي الفضل بن عليّ بن عبد الواحد الأنصاري ، أبو القاسم ، المعروف بابن الحَرَستاني ، (ت : ٦١٤ هـ) [٦] .

– عبد الكريم بن الحسن بن طاهر بن الحصني الحموي [٧] .

– عبد الكريم بن مُحَمَّد بن منصور بن عبد الجبار التميمي السّمعاني ، أبو سعد ، (ت : ٥٦٢ هـ) ، مؤلف كتاب الأنساب [٨] .

– عبد الله بن عبد الباقي بن حبش ، أبو منصور [٩] .

---

(١) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .

(٢) ينظر : تاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٣ .

(٣) ينظر : صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا الكتاب .

(٤) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .

(٥) ينظر : صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا الكتاب .

(٦) ينظر : سير أعلام النبلاء (٨٠/٢٢) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٥٣٣ .

(٧) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .

(٨) ينظر : الأنساب (١٤٣/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠ ، ٤٥٦) ، وطبقات السبكي (٣٢٤/٧) .

(٩) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .

– عبد الوهاب بن علي بن منصور العليمي [(١)] .

– عليّ بن الحَسَن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، أبو القاسم ، (ت : ٥٧١ هـ) ، صاحب كتاب « تاريخ دمشق » [(٢)] .

– مُحَمَّد بن حمزة بن علي السلمي ، أبو المعالي [(٣)] .

– مُحَمَّد بن السيد بن فارس بن سعد بن حمزة بن أبي لقمة الأنصاري الدمشقي الصفّار ، أبو المحاسن ، (ت : ٦٢٣ هـ) ، وهو آخر أصحابه [(٤)] .

– محفوظ بن أبي عبد الله الوزّان ، أبو القاسم [(٥)] .

– القاسم بن عليّ بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، أبو مُحَمَّد ، (ت : ٦٠٠ هـ) [(٦)] .

– وهب بن سليمان بن أحمد السُلَمي [(٧)] .

– أبو الفَرَج بن الحرة الحَمَوي [(٨)] .

(١) ينظر : صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا الكتاب .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/٩٨ ، ٥٥٤) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٣ .

(٣) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٩٨ ، وتاريخ الإسلام ، حوادث ٥٤١ ، ص ٥٣٣ ، والعبر (٤/١٠١) ، وشذرات الذهب (٤/١١٤) .

(٥) ينظر : صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا الكتاب .

(٦) ينظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/٩٨) ، (٢١/٤٠٦) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٥٣٣ .

(٧) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .

(٨) ينظر : تاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٥٣٣ . ولم أقف على ترجمة له .

سادساً: وفاتـه :

تُوفيَ هبَةُ الله بن طاووس ، رَحِمَه الله ، ضَحْوة يوم الجُمُعَة ، السَّابع عَشَر من المحُرَّم ، من سنة ستٍّ وثلاثين وخَمس مئة ، للهجرة النَّبويّة الشَّريفة ، وَدُفِـنَ في مَقبَـرَةِ الفـراديس بدمشق ، وحَضَر جنازته خَلْقٌ كثير ، كان من بينهم تِلميـذه أبـو سـعد السَّـمعَاني الّـذي أَرَّخَ ذلك ، فقال : « ... ووفاته سَنَة ستٍّ وثلاثـين وخمـس مئـة ، وشَـيَّعتُ جنازتـه إلى مَقبَرَة باب الفراديس ، ودُفِنَ بها »[١] .

وقال أيضاً : « تُوفيَ ضَحوَة يوم الجُمُعة ، سَابع عَشَر المُحَرَّم ، وَصَلّينا عليه بعد الصَّلاة ، وشَيَّعْتُه إلى أَنْ دُفِنَ في مَقبَرةٍ لَه ، بباب الفراديس ، وكان الخَلْقُ كثيراً »[٢] .

سابعاً : ثَناءُ العُلماءِ عَلَيه :

قال تِلميذهُ أبو سَعدٍ السَّمعَاني : « كان مُقرِئاً، فاضِلاً ، ثِقَةً ، صَدُوقاً ، مُكْثِراً مـن الحَديثِ »[٣] .

وقال تلميذه الحافظ أبو القاسم بن عَسَاكِر « وَكان ثِقَةً ، حَسَنَ الصَّوتِ بـالقرآنِ ، صَحيح الاعتِقَادِ »[٤] .

وقال تلميذه الحافظ أبو طاهر السِّلَفي : « هو مُحَـدِّث ابـن مُحَـدِّث ، ومُقـرئ ابـن

---

(١) الأنساب (١٤٣/٢) . وينظر : المنتظم (٢٤/٧) ، والكامل في التاريخ (٣٢٥/٩) ، ومختصر تاريخ دمشق (٦٥/٢٧) .

(٢) تاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٣ ، وينظر : طبقات القراء (٧٥٢/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠) .

(٣) الأنساب (١٤٣/٢) .

(٤) مرآة الزمان ق (١) ج (٨) صـ ١٨٢ .

مُقرئ ، وكان ثِقَةً ، مُتصَاوِناً ، مِن أَهْلِ العِلْم »[١] .

وقال ابن الجَوزِي : « وكان مُقْرِئاً فاضِلاً ، حَسَنَ التِلاوَة ، وَخَتَمَ عليه خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ ، وأملى الحديث »[٢] .

وقال ابن الأثير : « وكان رجلاً صالحاً ، فاضلاً »[٣] .

وقال الحافظ الذَّهَبِي : « كانَ مُقْرِئاً مُجَوِّداً ، حَسَنَ الأَخْذِ ، ضَابِطاً ، مُتَصَدِّراً بالجَامِعِ مِن دَهرٍ ، خَتَمَ عليه خَلقٌ ، وَقَد سَمِعَ الكَثِيرَ بنفسه ، ونَسَخَ ، ورَحَلَ ، وأملى ، وكان صَدوقاً ، صَحيحَ السَّمَاعِ ، وثَّقَهُ ابنُ عَسَاكِر ، ووصَفَه بكَثْرَة السَّماع »[٤] .

وقال أيضاً : « وَكَانَ ثِقَةً مُحقِقاً ، حَسَنَ السِّيرَة ، يَفْهَمُ الحَديثَ والقِرَاءَاتِ »[٥] .

وقال ابن الجَزَري : « أُستَاذٌ ، عَالِمٌ ، مُحَقِّقٌ ، مُقْرِئٌ ، مُتْقِنٌ ، ثِقَةٌ »[٦] .

ثامناً : مؤلَّفاته :

يبدو أنَّ هِبَةَ الله بن طاووس ، على عُلوّ كَعبِه في عِلمَيِّ الحَديث ، والقِرَاءات القُرآنية ، وتَمَكُّنِه مِنهما ، لم يُكثِر مِنَ التَّأليف فيهما ، إذ لم نَقِف له إلاّ على كِتابين في القِرَاءات ، هما :

- جُزءٌ فيه الخِلافُ بين قِرَاءةِ يحيى بن آدم ، والعُلَيمي : وهو هذا الكتاب وسيأتي الحديث عنه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) تاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٣ .

(٢) المنتظم (٢٤/٧) .

(٣) الكامل في التاريخ (٣٢/٩) .

(٤) تاريخ الإسلام ح (٥٤١) صـ ٤٣٢ .

(٥) طبقات القراء (٧٥٢/٢) .

(٦) غاية النهاية (٣٤٩/٢) .

- الهِدَاية : وهو في القراءات العشر .

ذَكَره الذّهبي في طَبَقات القُرّاء (٢/٧٥٢) ، وقال : « وله كتابُ الهِدايةِ في العَشَرَة، عامّتُها عن أبيه » .

وذكره ابن الجَزَري في غاية النهاية (٢/٣٤٩) ، وقال : « وقرأ على والده أبي البركات بالعَشْرِ ، وألّفَ فيها كتابَ الهداية » ولازال هذا الكتاب مفقوداً .

الكتاب

أولاً : توثيقُ نِسبَةِ الكتابِ للمُؤلِّف :

لم يذكر أحدٌ من أصحابِ الطبقات والتَّراجم التي اطلعتُ عليها ، أنّ لِهِبَةِ الله بن طاووس كتاباً في القراءات غير كتاب « الهداية » ، وقد سَبَق الحديثُ عنه ، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي نِسْبَةَ هذا الجزءِ إليه ، لما يأتي :

جاء على صفحة العنوان ما نصّه « جزء فيه الخلاف بين يحيى بن آدم والعُلَيمي ، تأليف هبة بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طاووس البغدادي » .

وجاء عليها أيضاً ، بخط هبة الله « قرأ عليّ القرآنَ من أوّله إلى آخرِه ، بجميعِ ما في هذا الجُزْءِ ، ابني أبو المعالي أحمد ، وسَمِعَهُ ومن سُمِحَ له مَعَه . وكتب هبةُ الله بن أحمد بن طاووس ، بخطّه ،في ذي القعدة ... » .

وجاء في الصفحة الأخيرة « سمع جميع هذا الجزء من لفظ الشيخ الإمام الثّقة أبي محمّد هبة بن أحمد بن عبد الله بن طاووس ﷺ أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن علي الشَّيباني الضرير ، وقرأ جميع القرآن بجميع ما فيه عن أبي بكر ، على مصنّفه.

وقرأ جميعَ القرآنِ بجميعِ ما فيه أيضاً على مصنّفه ، كاتبُ السَّماعِ عبد الوهاب بن علي بن منصور العُليمي .

وسمع معهما أبو طالب الخَضِر ، وبيان : ابنا أحمد بن إبراهيم المصري العطّار ، وأبو القاسم محفوظ بن أبي عبد الله الوزان السلمي . وذلك في شوال سنة ثلاث عشرة وخمس مئة » .

- صَرَّحَ المؤلّف باسم والده في أوّل المخطوط، فقال : « فأمّا أبو حمدون فقرأت بها جميع القرآن على والدي الشيخ الإمام أبي البركات أحمد بن عبد الله بن علي بن طاووس رضي الله عنه ... » .

فهذا يدلُّ على أن الكتاب لهبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاووس البغدادي ، وإن لم تُشِر إلى ذلك المصادر .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الكتاب نسب في بعض المصادر الحديثة ، إلى هبة الله بن سلامة بن نصر البغدادي (ت : ٤١٠ هـ) ، وهو خطأٌ بَيِّنٌ تدفعه الأدلّة المتقدّمة [١] .

ثانياً: قِيْمَةُ الكتابِ العِلْمِيَة :

للكتابِ قيمةٌ علميةٌ كبيرةٌ اكتسبها من عدّةِ جوانبَ ، يمكن تلخيصها فيما يأتي :

- مكانة مؤلفه المشهود له بالثّقة و الأمانة ، والتمكّن العِلمي ولاسيما في الحديث والقراءات ، فضلاً عن تقدّمه ، إذ قضى حياته بين القرنين الرابع والخامس الهجريين .

- كونه أوّلَ أثَرٍ من آثارِ المؤلّفِ التي وصلت إلينا .

- تفرّد الكتاب بمادة علمية ، لم تكن مجتمعة في غيره كما هي فيه ، إذ جمع بين

---

(١) ينظر : استدراكات على تاريخ التراث العربي (١٥٣/١) .

دُفتيه ، ما وقع من خلاف بين عشرة أصحاب ، لـراويين مـن أشـهر الـرواة عـن أبي بكـر شعبة عن عاصم ، وهما : يحيى بن آدم ، ويحيى بن محمد العليمي الأنصاري .

- كون مادته مروية بالتواتر ، فهي لم تجمع مـن بطـون الكتـب ، وإنمـا وصـلت إلى المؤلف عن طريق التلقين والمشافهة من والده ، الذي تلقّاها عـن شـيوخه بسـند متصـل إلى أبي بكر شعبة ،ومنه إلى رسول الله ﷺ .

- كون المخطوطة التي وصلت إلينا ، هي نسخة المؤلف التي كتبها بخطه ، وقرأهـا على عدد كبير من تلاميذه ، ولا يخفى ما لذلك من أهمية عند أهل التحقيق .

ثالثاً : منهجُ المُؤَلِّفِ في الكِتَابِ :

إنّ أوّل ما تجب الإشارة إليه هنا ، هو أنّ الكتاب خلا من المقدمة التي من شأنها أن تحمل الإشارة إلى معالم منهج المؤلف ، لذا فليس من سبيل لـذلك ، سـوى مـادة الكتـاب نفسه ، التي توحي للناظر فيها ابتداءً ، أنّها جعلت على قسمين :

ضمّ القسم الأوّل منها أسماء الرجال الذين وصلت القراءة إلى المؤلف مـن خلالهـم ، وهو ما يعرف عند أصحاب هذا الفنّ بالأسانيد .

وضم القسم الثاني أوجه الخلاف بين الرواة ، مـن غـير فصـل بـين الأصـول وفـرش الحروف .

أما القسم الأوّل :

فقد افتتحه المؤلف بالبسملة ، ثم الحمدلة ، ثم الصلاة على النبي ﷺ ثم ابتدأ كلامـه بعبارة تدلّ على مادة الكتاب ومحتواه ، جعلها فيما بعد عنوانـاً لـه ، وهـي قولـه : « ذكـر الخلاف بين أصحاب يحيى بن آدم و العليمي الأنصاري » ثم عـدّد أسمـاء الـرواة العشـرة ، الذين ورد ذكرهم في الكتاب ، بشكل مختصـر ، ثم بعـد ذلـك أخـذ في ذكـر الأسـانيد ، مفصّلاً القول في أسماء رجال كل رواية على حدة ، ومرتباً إيّاها على وفـق مـا ورد ذكـره

أوّلاً حين عدد الرواة ، وبادئاً كلّ رواية باسم والده ، مقروناً بالدعاء له ، ومنتهياً بأبي بكر شعبة ، ثم أوصل إسناد أبي بكر شعبة ، في الرواية الأخيرة ، إلى رسول الله ﷺ .

أمّا من حيث المصطلحات التي دأب أكثر مؤلفي كتب القراءات على استعمالها في الدلالة على أسماء القرّاء والرواة عنهم ، فإنّ المؤلف لم يجنح لهذا الأمر ، وإنما اقتصر في ذلك على ذكر ما اشتهر به كلّ راوٍ ، سواءٌ أكان ذلك اسماً ، كقوله : « يحيى » ليحيى بن آدم ، أو كنية ، كقوله : « أبو حمدون » للطيب بن إسماعيل ، أو نِسبَةً ، كقوله : « العُلَيمي » ليحيى بن محمد الأنصاري .

وأمّا القسم الثاني :

فقد أفرده المؤلف لذكر ما وقع بين الرواة من خلاف في الأصول وفرش الحروف ، على ترتيب المصحف الشريف ، إلاّ إذا كانت الحروف التي وقع فيها الخلاف متماثلة ، فإنه يذكرها مجتمعة عند ورود أوّل حرف منها ، إن كانت نزرة يسيرة [(١)] ، وإن كانت غير ذلك ؛ قال : حيث وقع ، أو حيث كان [(٢)] .

وربما كرّر المؤلّف ذكر ما وقع من خلاف في بعض الحروف ، على سبيل المذاكرة ، مع الإشارة إلى ذلك بقوله : « ذُكر » [(٣)] . وقد يكتفي بقوله : « ذُكر » ، من غير ذكر الخلاف [(٤)] ، إلاّ أنّ ذلك قليل .

كما عَمَدَ المؤلف إلى ذكر قراءة الأقل رجالاً ، مشيراً إلى الباقين، بعبارة : « الباقون »[(٥)]، وربما أهمل ذلك في مواضع قليلة [(٦)] .

---

(١) ينظر : سورة البقرة : ٥١ ، ٩٧، ١٨٩، والأنعام : ٧٦ ، والإسراء : ٨٣ .
(٢) ينظر : سورة البقرة : ٨١ ، ١٨٥، والنساء : ٣ ، والأنعام : ٥٠ .
(٣) ينظر : سورة يونس : ١٩ ، والنور : ٣١ ، والسجدة : ٥١ ، والتحلة : ٤ ، والحاقة : ٣ .
(٤) ينظر : سورة النمل : ٦ ، ١٠ .
(٥) ينظر : سورة البقرة : ٥١ ، ٨١ ، ١٤٢ ، ١٨٩ ، ٢٤٥ ...
(٦) ينظر : سورة آل عمران : ٨١ ، والأنعام : ١٠٩ ، والأعراف : ١٨ ، ويونس : ٧٨ ...

ثم اختتم المؤلف كتابه بعبارة تشير إلى بلوغه النهاية فيه، فقال : « تمّ الخلاف » ثم حمد الله ، وصلى على نبيّه ، ﷺ .

رابعاً : مخطوطة الكتاب :

نسخة نفيسة و نادرة ، من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ، تقع ضمن مجموع، يشتمل على (٢٥) رسالة ، رقمه (٣٧٦٣) ، تشغل (٨) ورقات من (٢٦٥-٢٧٢) ، في كلّ ورقة نحو (١٦) سطراً ، رقمت بمداد أسود ، وقلم نسخي معتاد . عنوانات الموضوعات فيها بارزة والإعجام فيها قليل .

كتب عليها وقف باسم أبي عبد الله بن هامل الحرّاني ، على المدرسة الضيائية ، القائمة آنذاك بسفح جبل قاسيون [١] .

وكتب عليها أيضاً سماعات مؤرّخة ، بعضها بخط المؤلف ، هذا نصها :

« سمع جميع هذا الجزء من لفظ الشيخ الإمام الثقة أبي محمد هبة بن أحمد بن عبد الله ابن طاووس رضي الله عنه ، أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن علي الشيباني الضرير، وقرأ جميع القرآن بجميع ما فيه عن أبي بكر ، على مصنّفه .

وقرأ جميع القرآن بجميع ما فيه أيضاً على مصنّفه ، كاتب السَّماع عبد الوهاب بن علي بن منصور العليمي .

وسمع معهما أبو طالب الخَضِر ، وبيان : ابنا أحمد بن إبراهيم المصري العطّار ، وأبو القاسم محفوظ بن أبي عبد الله الوزان السلمي . وذلك في شوال سنة ثلاث عشرة وخمس مئة » . كتب هذا السماع في نهاية المخطوطة .

وكتب في أولها : « سمع جميع هذا الجزء من لفظ الشيخ الثقة الإمام أبي محمد هبة الله بن

---

(١) للوقوف على أخبار هذه المدرسة ، ولمعرفة العلماء الذين وقفوا كتبهم عليها ؛ ينظر : الدارس في تاريخ المدارس (٢/٩١) وما بعدها ، والقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية (١/١٣٤) وما بعدها، ومنادمة الأطلال ومسامرة الخيال صـ ٢٤٢ .

أحمد بن عبد الله بن علي بن طاووس المقرئ ﷺ :

- ولده أبو المعالي أحمد .

والشيوخ :

- أبو المعالي محمد بن حمزة بن علي السلمي ،
- وأبو محمد عبد الكريم بن الحسن بن طاهر بن الحصني الحموي ، وقرأ بجميع ما فيه .
- وأبو منصور عبد الله بن عبد الباقي بن حبش ، وقرأ بجميع ما فيه من الروايات .
- وكاتب السَّماع عبد الباقي بن محمد بن عبد الباقي بن ... [١] وقرأ القرآن بجميع ما فيه من الروايات .

وَسَمِعَ مع الجماعة : أبو الوفا حناط بن حسن بن الحسين ... [٢] ، ووهب بن سليمان بن أحمد السلمي . وذلك في شوال سنة إحدى وعشرين وخمس مئة » .

« قرأ عليّ القرآنَ من أوّله إلى آخرِه ، بجميعِ ما في هذا الجُزْءِ ، ابني أبو المعالي أحمد، وسَمِعَهُ ومن سُمِحَ له مَعَه . وكتب هبة الله بن أحمد بن طاووس ، بخطّه ،في ذي القعدة ، [سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة] ... » [٣] .

وقد تبيّن لنا من خلال هذه السَّماعات ، أنّ هذه النُّسخة هي نسخة المؤلف التي كان يقرأها على تلاميذه ، بل ترجح لدي أنها النسخة الأم ، لتطابق خطّ السّماع المدوّن بخطّ المؤلف ، مع خط المخطوطة من حيث الرسم [٤] .

ولا تفوتني الإشارة هنا إلى أنّ مركز السيد جمعة الماجد للثقافة والتراث ، يقتني

---

(١) أهملت ذكر ثلاث كلمات ، تركت الخيار في قراءتها للقارئ . ينظر : صورة صفحة العنوان .

(٢) أهملت ذكر كلمة واحدة ، رسمت من غير إعجام . ينظر : صورة صفحة العنوان .

(٣) أسقط المصوّر ، غفر الله له ، السطر الأخير الذي فيه التاريخ ، وأبقى أجزاءً من حروفه . واستدركت ذلك من فهرس مجاميع المدرسة العمرية صـ ١٣٤ .

(٤) ينظر : فهرس مجاميع المدرسة العمرية صـ ١٣٤ .

صورة فلمية عن هذه المخطوطة ، برقم (٢٣٩٠) ، وهي التي اعتمدتها في التحقيق ، فله يعود الفضل في إخراجها .

مَنْهَجُ التَّحقيقِ

– حرَّرتُ النَّصَّ على وَفْقِ قواعد الإملاء المعروفة اليوم ، في قسم من الكلمات من غير إشارة إلى ذلك .

– ربما اقتضى سياق الكلام أن أضيف بعض الكلمات في المتن بين معقوفتين من كتاب المستنير لتطابق نصِّه مع نصِّ المخطوط .

– راعيت في كتابة الآيات القرآنية رَسْمَ المُصحَفِ الشَّريفِ ، وضبطتها على وفْقِ ما قرأ به القارئ .

– أثبتُّ أرقامَ الآيات القرآنية الواردة في موضعها من كل سورة ، في الحاشية لِيَقْرُبَ الوقوفُ عليها . أما الآيات التي ذُكِرَت في غير موضعها فقد خرّجتها في الهامش مع الإشارة إلى عدد مرات ورودها في القرآن .

– ترجمت للأعلام الذين ذكروا في الكتاب ترجمة مختصرة ، اقتصرت فيها على ذِكْرِ اسمِ العَلَمِ تاماً ، وسنة وفاته ، و بعض المصادر التي ترجمت له .

– بذلت جهدي في توثيق قراءة كلّ راوٍ وردت في الكتاب من مصادرها الأصلية .

– عرّفت بالمصطلحات التي تحتاج إلى بيان وإيضاح .

– استعملت بعض المصطلحات والرموز في المتن ، دلالتها كالآتي :

[ ] لحصر الزيادات .

/ ١و/ للدلالة على بداية وجه الورقة الأولى ، وهكذا ....

/١ظ/ للدلالة على بداية ظهر الورقة الأولى ، وهكذا ....

﴿ ﴾ لحصر الآيات الكريمة .

جزء فيه الخلاف

بين يحيى بن آدم والعليمي الأنصاري

تأليف هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علي

بن طاوس البغدادي

صورة صفحة العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما

ذكر الخلاف بين أصحاب يحيى بن آدم والعليمي

وهما أبو حمدون وأبو هشام الرفاعي وشعيب

الصريفيني والوكيعي خلف هشام

والعليمي طريق الطبري والحمامي والمصاحفي

والسوسنجردي والقطان وأما أبو حمدون

فعنه [illegible] صاحب العراق على والذي الشيخ الإمام

أبي البركات أحمد عبد الله بن علي بن طاوس رضي الله عنه

وأخبرني أنه قرأ بها على أبي الحسن عبد الله العطار وأبي

علي الحسن بن أبي الفضل الشرمقاني وأبي الحسن علي بن محمد الخياط

قال وأخبروني أنهم قرءوا بها على أبي الحسن علي بن أحمد بن عمر

الحمامي وقرأ بها على والذي رضي الله عنه قال وأخبرني أبو علي العطار

أنه قرأ بها على أبي الفتح عبد الملك العطار الهمذاني وقرأ

الحمامي والعطار على أبي علي الحسن بن أحمد بن بشار وقرأ

صورة ظهر الورقة الأولى

طريق الحماني وابو هشام والعليمي بالادغام

سورة الحاقة روى ابو هشام والوضعي من طريق
الحمامي وخلف من طريق ابن فارس وما ادراك بالامالة حيث
كان ولا ذكر سورة التكوير روى يحيى
سعرت بالتخفيف سورة الغاشية
اتفقوا على قوله لمصيطر بالصاد

تم الخلاف

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي واله وسلم
... حسبنا الله ونعم الوكيل

سمع جميع هذا الجزء بلفظ الشيخ الامام الثقة ابي
محمد هبة الله بن احمد بن عبد الله بن طاوس رضي الله عنه
ابو القسم عبد الرحيم بن الحسن بن علي النسائي ...
وقرا جميع القرآن جميع ما قرا به ابي بكر على مصنفه
وقرا جميع القرآن جميع ما ... على مصنفه كاتب
السماع عبد الوهاب بن علي بن منصور العليمي وسمع
معهما ابو طالب الخضر ... ابنا احمد بن ابراهيم المقري
العطار وابو القسم محفوظ بن ابي عبد الله البزاز
السلمي وذلك في شوال سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

صورة وجه الورقة الأخيرة

جُزْءٌ فيه الخِلافُ بَيْنَ يحيى بنِ آدَمَ والعُلَيْمِي الأَنْصَارِي

/٢٦٥ظ/ بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله ربِّ العَالمين ، وصلّى الله على سيدنا مُحَمَّد النبيِّ ، وآله وسلّم تسليماً .

ذِكْرُ الخلافِ بين أصحابِ يحيى بن آدم [١] ، والعُلَيْمِي [٢] .

وهم :

أبو حَمْدُون [٣] ، وأبو هِشَام الرِّفاعِي [٤] ، وشُعَيب الصَّرِّيْفِينِي [٥] ، والـوَكِيعِي [٦] ، وخَلَف بن هِشَام [٧] .

---

(١) ابن سُلَيمان بن خالد (ت : ٢٠٣ هـ) : المستنير صـ ٩٩ ، وغاية النِّهاية (٢/٣٦٤) ، وشذرات الذَّهَب (٢/٨) .

(٢) يحيى بن مُحَمَّد الأنصاري العُلَيْمِي ، أبو مُحَمَّد ، مقرئ الكوفة في عصره (ت : ٢٤٣ هـ) : تاريخ بغداد (١٢/٢٠٥) ، والمستنير صـ ٩٥ ، وطبقات القرّاء (١/٢٣٧) .

(٣) الطيب بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي التراب الذّهلي البغدادي (ت نحو : ٢٤٠ هـ) : تاريخ بغداد (٩/٣٦٢) ، وطبقات القرّاء (١/٢٥١) ، وغاية النِّهاية (١/٣٤٣) وسيأتي نسبه كاملاً .

(٤) مُحَمَّد بن يزيد بن مُحَمَّد بن رفاعة الرِّفاعي (ت : ٢٤٨ هـ) : الضعفاء والمتركون للنسائي صـ ٢١٣ ، وتاريخ بغداد (٣/٣٧٣) ، وتهذيب التهذيب (٣/٧٣٥) ، وينظر : المستنير صـ ٩٨ . وسوف يأتي نسبه كاملاً في نهاية سند روايته .

(٥) شعيب بن أيوب بن زريق الصَّرِّيْفِينِي ، الواسِطِي (ت : ٢٦١ هـ) : الجرح والتعديل (٤/٣٤٢)، والكامل ق (٦٧) ، وميزان الاعتدال (٢/٢٧٥) .

(٦) إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حفص بن الجهم ، الوَكِيعي (ت : ٢٨٩ هـ) : تاريخ بغداد (٦/٥) ، والمستنير صـ ٩٧ ، وغاية النِّهاية (١/٧) .

(٧) ابن طالب بن غراب بن ثعلب الصُّلحي ، أحد القرّاء العشرة (ت : ٢٢٩ هـ) : المستنير صـ ١٥٤ ، وطبقات القرّاء (١/٢٤٥) ، وغاية النِّهاية (١/٢٧٢) .

والعُلَيْمِي [١] : من طريق : الطَّبري [٢] ، والحَمَّامِي [٣] ، والمَصَاحِفي [٤] ، والسُّوسَنْجِرْدِي [٥] ، والقَطَّان [٦] .

فأمّا أبو حَمْدُون :

فقرأت بها [٧] جميعَ القُرآن ، على والدي الشَّيخ الإمام أبي البركات أحمد بن عبد الله ابن طاووس ﷺ ، وأَخبَرَني أنّه قَرَأَ بها على أبي عليّ الحسن [بن عليّ] بن عبد الله العَطَّار ، وأبي عليّ الحسن بن أبي الفضل الشَّرمَقانِي ، و أبي الحسن عليّ بن مُحَمَّد الخيَّاط [٨] .

قال : وأخبروني [٩] أنَّهم قرؤوا بها على أبي الحسن عليّ بن أحمد بن عمر الحَمَّامِي .

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) إبراهيم بن أحمد الطَّبري ، أبو إسحاق (ت : ٣٩٣ هـ) : تاريخ بغداد (١٩/٦) ، وطبقات القرّاء (٤٥٣/١) ، وغاية النّهاية (٥/١) .

(٣) عليّ بن أحمد بن عمر المقرئ (ت : ٤٠٥ هـ) : طبقات القرّاء (٤٧٦/١) ، وغاية النّهاية (٥٢١/١) .

(٤) عُبَيد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن عيسى ، أبو الفرج البغدادي (ت : ٤٠١ هـ) : تاريخ بغداد (٣٨٠/١٠) ، وطبقات القرّاء (٤٧٥/١) ، وغاية النّهاية (٤٩٠/١) .

(٥) أحمد بن عبد الله بن الخضر بن مسرور السّوسنجردي (ت : ٤٠٢ هـ) : طبقات القرّاء (٤٦٠/١) ، وغاية النّهاية (٧٣/١) .

(٦) عبد الملك بن بكران بن عبد الله بن العلاء النَّهرَوانِّي القَطّان (ت : ٤٠٤ هـ) : تاريخ بغداد (٤٣١/١٠) ، والمستنير صـ ٣١ ، وطبقات القرّاء (٤٦٩/١) ، وغاية النّهاية (٤٦٧/١) .

(٧) الضمير عائد على محذوف مقدر ، طلباً للاختصار ، وتقدير الكلام : فأما رواية أبي حمدون فقَرأت بها ...

(٨) ابن عليّ بن فارس البغدادي ، (ت بعد : ٤٥٠ هـ) : المستنير صـ ٣٠ ، وغاية النّهاية (٥٧٣/١) .

(٩) الخبر في المستنير صـ ٩٩ .

وأَخبَرَني والدي ﷺ ، قال: وأخبرني [١] أبو عليّ العَطّار ، أنّه قَرَأَ بها على أبي الفَرَج عبد الملك القَطّان النّهرواني ، وقَرَأَ الحَمّامي والقَطّان على أبي عيسى بكّار بن بكّار [٢] ، وقَرَأَ /٢٦٦و/ بكّار على أبي عليّ الحسن بن الحسن الصَّوّاف [٣] ، وقَرَأَ الصَّوّاف على أبي حَمْدُون الطّيب بن إسماعيل الذُّهلي القَصّاص ، وقَرَأَ أبو حَمْدُون على يحيى بن آدم ، وقَرَأَ يحيى على أبي بكر بن عَيّاش [٤] .

رواية أبي هِشَام الرِّفاعِي :

قرأت بها مع غيرها على والدي ﷺ ، وأَخبَرَني أَنّه قَرَأَ بها على أبي عليّ العَطّار .

قال : وأخبرني [٥] أَنّه قَرَأَ بها على أبي حفص الكَتّانِي ، مع رواية الجُرْبِي [٦] .

قال : وأَخبَرَني أَنّه قَرَأَ بها على أبي القاسم زيد بن أبي بِلال [٧] ، وأنّ زيداً قَرَأَ على أبي

(١) الخبر في المستنير صـ ٩٩ .

(٢) ابن بيان البغدادي (ت : ٣٥٣ هـ) : تاريخ بغداد (١٣٤/٧) ، وطبقات القرّاء (٣٨٢/١) .

(٣) البغدادي المقرئ (ت : ٣١٠ هـ) : تاريخ بغداد (٢٩٧/٧) ، وتذكرة الحفاظ (٧٥٩/٢) ، وغاية النِّهاية (٢١٠/١) .

(٤) ابن سالم الحَنّاط ، أسديّ ، كوفيّ : طبقات ابن سعد (٢٦٩/٦) ، وطبقات القرّاء (١٣٥/١) ، وغاية النِّهاية (٣٢٥/١) .

(٥) الخبر في المستنير صـ ٩٦-٩٧ .

(٦) مُحَمَّد بن جعفر بن مُحَمَّد بن عبد الله ، أبو عبد الله الجُرْبِي (ت بعد : ٣٢٠ هـ) : طبقات القرّاء (٣٧٦/١) ، ونسبته فيه الحربي ، وغاية النِّهاية (١١١/٢) ، وينظر : المستنير صـ ٩٧ . وسيأتي نسبه تاماً بعد قليل .

(٧) زيد بن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بلال الكوفي (ت : ٣٥٨ هـ) : تاريخ بغداد (٤٤٩/٨)، وطبقات القرّاء (٣٩١/١) .

القاسم عبد الله بن عبد الجبَّار [١] ، وأنّ أبا القاسم قَرَأَ على أبي جعفر أحمد بن منصور المُرَادي [٢] ، وقَرَأَ أبو جعفر على القاضي أبي هِشَام مُحَمَّد بن يزيد بن رفاعة الرِّفاعِي .

قال أبو هِشَام : وقرأت على يحيى بن آدم ، عن أبي بكر بن عيّاش .

رواية شُعَيب الصَّرِيفيني :

قرأت بها مع غيرها على والدي ، نَضَّرَ اللهُ وجهَهُ ، في سنة سِتٍّ وثمانين وأربعِ مئة ، وأَخبَرَني أنّه قَرَأَ بها ، جميع القُرآن ، على أبي عليّ العطّار ، وأبي عليّ الشَّرمَقانِي .

قال : وأخبراني [٣] أنّهما قَرَآ بها على أبي حفص عمر بن إبراهيم بن أحمد /٢٦٦ظ/ ابن كثير المقرئ ، المعروف بالكتَّاني [٤] .

قالا : وأخبرنا أنّه قَرَأَ بها القُرآن على أبي عبد الله مُحَمَّد بن جعفر المقرئ ، المعروف بالجُرْبي ، وأنّ أبا عبد الله ، قَرَأَ على أبي جعفر أحمد بن عليّ البزّاز [٥] ، وأنّ أبا جعفر قَرَأَ على أبي عون مُحَمَّد بن عمرَ بن عونٍ الواسِطي [٦] .

قال [٧] : قرأت على شُعَيب بن أيّوب الصَّرِيفِيني ، وقَرَأَ الصَّرِيفيني على يحيى بن آدم بن سُلَيمان ، وقَرَأَ يحيى على أبي بكر بن عَيَّاش .

---

(١) لم أقف عليه إلاّ في : المستنير صـ ٩٨ ، وغاية النِّهاية (١/٤٢٦) ، وليس فيهما تاريخ وفاته .

(٢) ينظر : المستنير صـ ٩٨ ، وغاية النِّهاية (١/١٣٩) .

(٣) ينظر : المستنير صـ ٩٦ .

(٤) توفي سنة (٣٩٠ هـ) : تاريخ بغداد (١١/٢٦٩) ، وطبقات القرّاء (١/٤٥١) .

(٥) كذا ذكر اسمه في المستنير صـ ٩٧ ، وطبقات القرّاء (١/٣٧٦) ذكره في ترجمة شيخه الجربي ، وغاية النِّهاية (١/٨٨) .

(٦) توفي قبل (٢٧٠ هـ) : تاريخ بغداد (٣/١٣٠) ، وطبقات القرّاء (١/٢٨٤) ، وغاية النِّهاية (٢/٢٢١) .

(٧) أي : الواسطي .

[رواية] شُعَيب الصَّريفيني من طريق الوَاسِطِي :

قرأت بها مع غيرها على والدي ﷺ ، وأخبَرَني أنّه قَرَأَ بها على أبي الحسن عليّ بن مُحَمَّد الخيّاط المقرئ .

وأخبَرَني أنّه قَرَأَ بها على أبي بكر أحمد بن المزكّى الوَاسِطِي [١] ، نحو: عشر خِتَم .

وأخبَرَني أنّه قَرَأَ بها على أصحاب يوسف بن يعقوب الوَاسِطِي [٢] . منهم : أبو حَمْدُون وأحمد بن معدّ الوَاسِطِي [٣] .

وقرؤوا هؤلاء على يوسف بن يعقوب ، وقَرَأَ يوسف على شُعَيب بن أيوب الصَّرِيَفني وقَرَأَ شُعَيب على يحيى بن آدم .

كأني قرأت بها على أبي عليّ العَطَّار، وأبي عليّ الشَّرمَقاني ؛ لأنّهما في طبقة والدي ﷺ ، في هذه الرواية.

رواية الوَكِيعِي :

قرأت بها مع غيرها على والدي/٢٦٧و/ ﷺ ، وأخبَرَني أنّه قَرَأَ بها على أبي عليّ العَطَّار ، سَنَةَ سَبْعٍ وثلاثينَ وأَربَعِ مئة ، وعلى أبي عليّ الشَّرمَقانِي ، سَنَةَ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ وأَربَعِ مئة .

قال [٤] : وأخبراني [٥] أنّهما قَرَآ بها على أبي حفص الكَتَّانِي .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) يوسف بن يعقوب بن الحسين بن يعقوب بن خالد بن مهران الواسطي (ت : ٣١٣ هـ) : تاريخ بغداد (٣١٩/١٤) ، وطبقات القرّاء (٣٠٤/١) ، وغاية النّهاية (٤٠٤/٢) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) أي والد المؤلف .

(٥) وأخبرا بذلك ابن سوار أيضاً . ينظر : المستنير صـ ٩٦ .

قالا [١] : وأخبرنا [٢] أنّه قَرَأَ بها على أبي بكر أحمد بن موسى بن العبّاس بن مجاهد المقرئ [٣] ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر الوَكِيعِي عن أبيه [٤] ، عن يحيى ين آدم ، عن أبي بكر بن عيّاش .

قال ابنُ مجاهد [٥] : وأَخبَرَني أيضاً ابنُ شاكرٍ [٦] ، عن يحيى بنِ آدمَ ، عن أبي بكر بن عيّاش بالكتاب إلى آخر سورة الكهف .

رواية الوَكِيعِي من طريق الحَمَّامِي :

قرأت بها على والدي ﷺ ، وأَخبَرَني أنّه قَرَأَ بها على أبي الحسن الخيّاط .

قال : وأَخبَرَني أنّه قَرَأَ بها على أبي الحسن الحَمَّامِي ، وأخبره أنّه قَرَأَ بها على أبي طاهر عبد الواحد [٧] ، وأخبره أنّه قَرَأَ بها على ابن مجاهد .

ورواها ابن مجاهد عن الوَكِيعِي [٨] ، عن [أبيه عن] [٩] يحيى بن آدم .

---

(١) أي الشرمقاني والعطار .

(٢) الخبر في : السبعة في القراءات صـ ٩٤ .

(٣) مؤلّف كتاب السبعة في القراءات (ت : ٣٢٤ هـ) : طبقات القرّاء (١/٣٣٣) ، وغاية النِّهاية (١/١٣٩) .

(٤) أحمد بن عمر بن حفص ، أبو إبراهيم الوَكِيعي ، البغدادي ، الضَّرير (ت : ٢٣٥ هـ) : غاية النِّهاية (١/٩٢) .

(٥) السبعة في القراءات (٩٤) .

(٦) عبد الله بن مُحَمَّد بن شاكر العبدي البغدادي ، أبو البختري : السبعة صـ ٦٩ ، وغاية النِّهاية (١/٤٤٩) .

(٧) عبد الواحد بن عمر بن مُحَمَّد بن أبي هاشم (ت : ٣٤٩ هـ) : طبقات القرّاء (١/٣٩١) ، وغاية النِّهاية ... . ووقع اسمه في المخطوط : أحمد بن عبد الواحد .

(٨) ينظر : السبعة في القراءات صـ ٩٤ .

(٩) سقطت من المخطوط في هذا الموضع ، وذكرت قبل قليل في رواية الوكيعي ، وهي في : السبعة في القراءات صـ ٩٤ .

وكأنّ والدي ، قَرَأَ بها على أبي الحسن الحَمَّامي ، لأنّ شيخ والدي في هذه الرواية مثل الحَمَّامي .

رواية خَلَف بن هِشَام البزّار :

قرأت بها مع غيرها على /٢٦٧ظ/ والدي ، وأخبَرَني أنّه قَرَأَ بها على أبي عليّ العَطّار ، وأبي عليّ الشَّرمَقانِي ، وأبي الحسن الخيّاط .

قال : وأخبروني أنّهم قرؤوا بها على أبي بكر مُحَمَّد بن عبد الله بن أحمد بن المَرْزَبَان الأَصْبَهاني [١] .

وأخبرهم أنّه قَرَأَ بها على أبي بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن فورك بن عطاء [٢] .

وقَرَأَ ابن فورك على أبي الحسن مُحَمَّد بن أحمد بن أيّوب بن الصّلت بن شَنَبُوذ [٣] ،

وقَرَأَ ابن شَنَبوذ على إدريس الحدّاد [٤] ،

وقَرَأَ إدريس على خَلَف البزّار ،

وقَرَأَ خَلَف على يحيى .

رواية العُلَيْمي من طريق الحَمَّامي :

قرأت بها مع غيرها على والدي ، وأخبَرَني أنّه قَرَأَ بها ، جميع القُرآن ، على

---

(١) ويعرف أيضاً بأبي شيخ (ت : ٤٣١ هـ) : طبقات القرّاء (٢/٥٩٢) ، وغاية النّهاية (٢/١٧٥) .

(٢) القبّاب (ت : ٣٧٠ هـ) : الأنساب (٤/٤٣٨) ، وغاية النّهاية (١/٤٥٤) .

(٣) شيخ الإقراء في العراق (ت : ٣٢٨ هـ) : معجم الأدباء (١٧/١٦٧) ، وطبقات القرّاء (١/٣٤٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٥/٢٦٤) .

(٤) إدريس بن عبد الكريم الحداد ، أبو الحسن (ت : ٢٩٢ هـ) : تاريخ بغداد (٧/١٤) ، وتذكرة الحفّاظ (٢/١٦٥٤) ، وغاية النّهاية (١/١٥٤) .

أبي عليّ العَطَّار ، وأبي عليّ الشَّرمَقانِي ، وأبي الحسن الخيّاط .

قال : وأخبروني أنّهم قرؤوا بها على أبي الحسن الحَمَّامي .

قالوا : وأخبرنا أنّه قَرَأَ بها على أبي الحسن عليّ بن مُحَمَّد بن جعفر بن خُلَيع الخيّاط ، المعروف بالقَلانِسي [١] ،

وقَرَأَ القَلانِسيُّ على أبي بكر يوسف بن يعقوب بن الحسن الوَاسِطِي [٢] ،

وقَرَأَ أبو بكر على أبي مُحَمَّد يحيى بن مُحَمَّد العُلَيْمِي الأَنصاري الكوفي ،

وقَرَأَ العُلَيْمِي على حمّاد بن أبي زياد ،

وقَرَأَ حمّاد على عاصم ،

وقَرَأَ حمّاد بعد وفاة /٢٦٨و/ عاصم ، على أبي بكر بن عياش .

وأَخبَرَني والدي ﷺ ، قال : أَخبَرَني أبو عليّ الشَّرمَقانِي ، وأبو الحسن بن فارِس الخيّاط ، جميعاً عن الحَمَّامِي ، أنّ العُلَيْمِي قَرَأَ على أبي بكر بعد وفاة حماد .

رِوايةُ العُلَيْمِي من طريقِ الطَّبَري :

قَرَأتُ بها مع غيرها على والدي ﷺ ، وأخبَرَني أنّه قَرَأَ بها على أبي عليّ الشَّرمَقانِي .

قال : وأَخبَرَني أنّه قَرَأَ بها القُرآن ، من أوّله إلى آخره ، على أبي إسحاق الطَّبَريّ ،

قال : وأَخبَرَني أنّه قَرَأَ بها على أبي الحسن القَلاَنِسي ،

---

(١) (ت : ٣٥٦ هـ) : طبقات القرّاء (٣٩٠/١) ، وغاية النّهاية (٥٦٦/١) .

(٢) المعروف بأبي بكر الأصم (ت : ٣٠٠ هـ) : تاريخ بغداد (٣١٩/١٤) ، والمستنير صـ ٩٤ ، وطبقات القرّاء (٣٠٤/١) .

وقَرَأَ القلانسي ، على أبي بكر يوسف بن يعقوب الوَاسِطِي ،
وقَرَأَ يوسف على العُلَيْمي .

رواية العُلَيْمي من طريق المَصَاحِفِي :

قَرَأتُ بها مع غيرها على والدي ، وأَخبَرَني أنَّه قَرَأَ بها ،جميعَ القُرآنِ ، على أبي عليّ العَطَّار ، وأبي الحسن الخيّاط .

قال : وأخبراني أنَّهما قَرَآ بها على أبي الفَرَج عُبَيدِ الله بنِ عُمرَ المَصَاحِفِي ،

وقَرَأَ المَصَاحِفِيُّ على أبي الحسن القلانسي .

رِوايَةُ العُلَيْمي مِنْ طَرِيقِ السُّوسَنْجِرْدِي والقَطَّان :

قرأت بها مع غيرها على والدي ، /٢٦٨ظ/ ، وأَخبَرَني أنَّه قَرَأَ بها على أبي عليّ العَطَّار .

قال : وأَخبَرَني أنَّه قَرَأَ بها على أبي الحسن أحمد بن عبد الله الخَضِر السُّوسَنْجِرْدِي ، وعلى أبي الفَرَج عبد [1] الملك بن بَكران القَطَّان النَّهْرَواني ،

قال : وأخبراني أنَّهما قَرَآ بها على أبي الحسن القلانسي ،

وقَرَأَ القلانسي على يوسف ،
وقَرَأَ يوسف على العُلَيْمي ،
وقَرَأَ العُلَيْمي على حمّاد ،
وقَرَأَ حمادٌ بعد وفاةِ عاصمٍ على أبي بكر شعبة بن عيّاش ،
وقَرَأَ أبو بكرٍ على عاصمٍ ،
وقَرَأَ عاصمٌ على أبي عبد الرحمن السُّلَمي [2] ،

---

(١) في الاصل : عبيد . والصواب ما أثبتناه ، ينظر : ق ٢٦٥ظ من هذا الكتاب ، وتاريخ بغداد (١٠/٤٣٠) ، وطبقات القرّاء (١/٤٩٦) ، وغاية النّهاية (١/٤٦٧) .

(٢) عبد الله بن حبيب السُّلَمي الضّرير (ت : ٧٤ هـ) : المعارف صـ ٥٢٨ ، ونكت الهميان صـ ١٧٨ .

وقَرَأَ أبو عبد الرحمن على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب [١] ، ﷺ .
وقَرَأَ عاصم على زِرِّ بنِ حُبَيشٍ [٢] ،
وقَرَأَ زِرٌّ على عبدِ الله بن مسعود [٣] ،
وقَرَأَ عليٌّ ، وعَبدُ الله ، على النَّبيِّ ﷺ .

سورة البقرة [٢]

٥١- قَرَأَ يحيى في روايةِ شُعَيب الصَّريفيني [٤] ﴿ ٱتَّخَذْتُمُ ﴾ ، ﴿ وَأَخَذْتُمْ ﴾ [٥] بالإظهار [٦] إلا في أربعة مواضع منها ، ثلاثة منها في هذه السورة (٥١ ، ٨٠ ، ٩٢) ، وموضع في الكهف (٧٧) . الباقون بالإدغام [٧] ، حيث وقع [٨] .

---

(١) توفي ﷺ سنة (٤٠ هـ) : حلية الأولياء (٦١/١) ، والإصابة (٥٠٧/٢) .

(٢) زر بن حُبيش بن حباشة ، الأسدي ، الكوفي (ت : ٨٢ هـ) : طبقات خليفة صـ ١٤٠ ، وغاية النِّهاية (٢٩٤/١) .

(٣) الصحابي الجليل ، توفي ﷺ سنة (٣٢ هـ) : طبقات ابن سعد (١٥٠/٣) ، وأسد الغابة (٣٨٤/٣) .

(٤) ينظر : المستنير صـ ١٨١ .

(٥) سورة آل عمران : ٨١ .

(٦) الإظهار : هو « أن يؤتى بالحرفين المُصيَّرين جسماً واحداً ، منطوقاً بكل واحد منهما على صورته ، موفىً جميع صفته ، مخلصاً إلى كمال بنيته » . مرشد القارئ صـ ٧٧ ، والتمهيد صـ ٦٩ .

(٧) ينظر في قراءة الباقين : المستنير صـ ١٨١ ، والنشر (١٦/٢) . والإدغام هو « أن ترفع اللسان عن حرفين مثلين ، أو متقاربين ، إذا كان الأول منهما ساكناً ، والثاني متحركاً ، رفعة واحدة ، لا فصل بينهما بحركة ، وذلك طلباً للتخفيف ؛ إذا كان اللفظ بالحرفين مستثقلاً » . المستنير صـ ١٥٧ ، وينظر : التحديد صـ ١٠١ ، ومرشد القارئ صـ ٧٧ ، والتمهيد صـ ٦٩ .

(٨) أي حيث وقع الفعلان المذكوران مسندين إلى تاء الفاعل المتحركة ، وجملة ورود الأول منهما في كتاب الله ، أحد عشر موضعاً ، أوّلها المذكور . وجملة الثاني ثمانية مواضع ، أوّلها في آل عمران : ٨١ . ينظر: المعجم المفهرس صـ ١٦-١٨ ، مادة (أخذ) .

١٠٢- أمال [١] أبو هِشَام الرِّفاعِي [٢] ﴿ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ هنا خاصة .

٥٥ ، ١٦٥- وروى خَلَف عن يحيى [٣] ﴿ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ ﴾ ﴿ وَلَوْ يَرَى [٤] ٱلَّذِينَ ﴾ وما أشبه ذلك بالإمالة [٥] .

٨١- وروى أبو حَمْدُون عن يحيى [٦] ﴿ بَلَىٰ ﴾ بالإمالة حيث وقع [٧] . الباقون بالتفخيم [٨] .

---

(١) الإمالة : « عبارة عن ضدّ الفتح ، وهي نوعان : إمالة صغرى ، وإمالة كبرى ، فالإمالة الصغرى : حدّها أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر قليلاً . والإمالة الكبرى : حدّها أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر كثيراً ، ونهاية ذلك الصرف ألاّ يبالغ فيه ، حتى تنقلب الألف ياءً » . مرشد القارئ صـ ٢٨٩ ، وينظر : جمال القرّاء صـ ٤٩٨ ، وشرح شعلة على الشاطبية صـ ١٧٤ .

(٢) المستنير صـ ٢٧٩ .

(٣) المستنير صـ ٢٧٠ .

(٤) من المصحف الشريف ، و في الأصل (تَرى) بالتاء ، وبها قرأ نافع ، وأبو جعفر من طريق النهرواني ، و ابن عامر ، ويعقوب . ينظر : المستنير صـ ٢٧٤ ، والإرشاد صـ ٢٣٧ ، والكنز صـ ٣٥٦ .

(٥) أي أنّه أمال الألف الواقعة بعد راء مفتوحة ، وجاء بعدها ساكن . ينظر : المستنير صـ ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٦) المستنير صـ ٢٣٤ ، والنشر (٢/٤٢) .

(٧) جملته في كتاب الله اثنتان وعشرون مرّة ، أولها المذكور ، ينظر : معجم الأدوات والضمائر صـ ٢١٦ « بلى » .

(٨) هذا المصطلح يستعمله القراء في الدلالة على أمرين ، الأول : بمعنى الفتح الذي هو عكس الإمالة، وهو المراد هنا ، والثاني : بمعنى التغليظ الذي هو عكس الترقيق . ينظر : الموضح في التجويد صـ ١١٠ ، والتمهيد في علم التجويد صـ ٧٢ ، والنشر (٣١/١) .

١٨٥ ، ١٩٨- وأمال خَلَفٌ [١] ﴿ هَدَنكُمْ ﴾ و ﴿ بِهُدَنهُمْ ﴾ حيث كان .

وأَخبَرَني والدي /٢٦٩و/ ﷺ ، عن ابن فَارِس [٢] بالإمالة في الأنعام (٩٠) ، والحجرات (١٧) فقط .

٩٧ ، ٩٨- روى يحيى [٣] ﴿ لِجَبْرَئِلَ ﴾ ﴿ وَجَبْرَئِل ﴾ بغير ياء بعد الهمزة على وزن (جبرعل) [٤] .

واختلف عنه في التَّحلِّة [٥] :

فقرأت لشُعَيب والوَكِيعِي [٦] من طريق الكتَّاني ، مثل حمزة [٧] على وزن (جبرعيل) .

وقرأت لأبي هِشَام بالوجهين . ولمن بقي من أصحاب يحيى بغير ياء .

العُلَيْمِي [٨] : مثل حمزة [٩] ، هنا ، وفي التَّحلِّة .

---

(١) ينظر المستنير صـ ٢٨٧ ، وفيه أنّ خلفاً عن يحيى أمال ﴿ كَمَا هَدَنكُمْ ﴾ البقرة : ١٩٨ ، و ﴿ أَنْ هَدَنكُمْ ﴾ الحجرات : ١٧ . حسب .

(٢) أبو الحسن الخياط . مرَّ .

(٣) السبعة صـ ١٦٧ ، والمستنير صـ ٢٧٨ ، والتجريد صـ ١٩١ .

(٤) وضبطها كما في المستنير صـ ٢٧٨ « بفتح الجيم والراء ، وبعدها همزة مكسورة ... » .

(٥) هي سورة التحريم .

(٦) المستنير صـ ٢٨٧ ، وينظر : النشر (٢/٢١٩) .

(٧) أي بفتح الجيم والرّاء ، وبعد الرّاء همزة مكسورة ، بعدها ياء ساكنة ، السبعة صـ ٦٤ ، والتجريد صـ ١٩١ ، والبدور الزاهرة (١/١٥٩) .

(٨) التجريد صـ ١٩١ .

(٩) ينظر : المصدر السابق وما قبله .

١٤٢- وروى شُعَيب من طَريق الكَتّانِي ، وأبو هِشَام والوَكِيعِي وخَلَف من طَريق العَطّار ﴿ مَا وَلَّنهُمْ ﴾ بالإمالة . الباقون بالتفخيم [١] .

١٨٩- روى أبو حَمْدُون ، والصَّرْيَفِيني ، والوَكِيعِي إلا الكَتّاني : بكسر الباء من ﴿ ٱلْبُيُوتَ ﴾ [٢] ، و[العين من] [٣] الـ ﴿ عيُونٍ ﴾ [٤] ، و[الغين من] [٥] ﴿ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [٦] .

و[الجيم من] [٧] ﴿ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [٨] ، و[الشين من] [٩] ﴿ شُيُوخًا ﴾ [١٠] .

الباقون وهم : الصَّرْيَفِينيُّ ، والوَكِيعيُّ جميعاً من طريق الكَتّانيِّ ، وأبو هِشَامٍ ، وخَلَفٌ ، والعُلَيْمِيُّ : بكسرِ الباب [١١] إلاّ ﴿ جُيُوبِهِنَّ ﴾ فإنّه بالضّم [١٢] .

٢٤٥- وروى الصَّرْيَفِينيُّ والوَكِيعِيُّ جميعاً من طريق الكَتّانيِّ ﴿ وَيَبْسُطُ ﴾ بالسّين . الباقون : بالصّاد [١٣] .

---

(١) ينظر : السبعة صـ ١٦٧ ، والروضة صـ ٤٤٣ ، والمستنير صـ ٢٧٨ .

(٢) وردت في ست وثلاثين موضعاً ، أوّلها المذكور . ينظر : المعجم المفهرس صـ ١٤٠ ، « بيت » .

(٣) زيادة من السبعة صـ ١٧٩ ، والمستنير صـ ٢٨٦ يقتضيها السياق .

(٤) وردت في تسعة مواضع ، أوّلها في الحجر : ٤٥ . ينظر : المعجم المفهرس صـ ٤٩٥ « عين » .

(٥) زيادة من السبعة صـ ١٧٩ ، والمستنير صـ ٢٨٦ يقتضيها السياق .

(٦) وردت في أربعة مواضع ، في سورة المائدة : ١٠٩ ، ١١٦ ، والتوبة : ٩٨ ، وسبأ : ٤٨ .

(٧) زيادة من السبعة صـ ١٧٩ ، والمستنير صـ ٢٨٦ ، يقتضيها السياق .

(٨) سورة النور : ٣١ . ليس غير .

(٩) زيادة من السبعة صـ ١٧٩ ، والمستنير صـ ٢٨٦ ، يقتضيها السياق .

(١٠) سورة غافر : ٦٧ . ليس غير .

(١١) أي بكسر حروف أوائل كلمات هذا الباب .

(١٢) ينظر : المستنير صـ ٢٨٦ ، والكامل ق (١٦٧) ، والمبهج ق (٧١) .

(١٣) ينظر : المستنير صـ ٢٩١ ، والكامل ق (١٧٠) .

٢٨٣- روى أبو هِشَام [(١)] ﴿ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ ﴾ بالإشارةِ [(٢)] إلى ضمِّ الهمزةِ ، وبه قرأت .

سورة آل عمران [٣]

٨١- روى خَلَفٌ عن يحيى [(٣)] ﴿ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ بضمّ الهمزة .

سورة النّساء [٤]

٣- روى خَلَف [(٤)] : ﴿ مَثْنَىٰ ﴾ بالإمالةِ ، حَيثُ وقع [(٥)] .

سورة المائدة [٥]

١٦- اتَّفَقوا على كسرِ الرَّاءِ ، مِن قوله تعالى : ﴿ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ [(٦)] /٢٦٩ظ/ .

---

(١) ينظر : السبعة صـ ١٩٤ ، والمستنير صـ ٢٩٩ .

(٢) اختلفت مذاهب القراء في معنى الإشارة على ثلاثة أقوال :

الأول : أنها تعني الروم ، وإليه ذهب ابن مجاهد .

والثاني : أنها تعني الإشمام ، وإليه ذهب أبو الفرج بن شَنَبُوذ .

والثالث : أنها تعني الروم والإشمام كليهما ، وهو رأي الجمهور ، منهم أبو عمرو الداني ، إذ يقول : والإشارة عندنا تكون روماً وإشماماً ، وذهب ابن الجزري إلى أن دلالتها على الروم أقوى .

النشر صـ ٢٩٦-٢٩٨ ، وينظر : التيسير صـ ٢٦ .

(٣) المستنير صـ ٣٠٨ ، ورواها ابن مجاهد وغيره عن أبي بكر شعبة عن عاصم ، من طريق معلى بن منصور . ينظر : السبعة صـ ٢١٤ ، والمختصر صـ ١٩ .

(٤) المستنير صـ ٣١٧ .

(٥) جملته ثلاثة مواضع : المذكور ، وسبأ : ٤٦ ، وفاطر : ١ .

(٦) الروضة صـ ١٥٣ ، والمستنير صـ ٣٠٣ ، وزاد المسير (١/٣٦٠) . والكسر لغة قريش . ينظر : معاني القرآن وإعرابه (١/٣٨٤) .

سورة الأنعام [٦]

٢٣- روى العُلَيْمِيُّ [١] ، والصَّرِّيْفِينيُّ من طريقِ الوَاسِطِيِّ ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن ﴾ باليـاء . الباقون [٢] : بالتاء .

٥٠- وروى أبو هِشَامٍ ، وخَلَفٌ [٣] ، والوَكِيعِيُّ من طريـقِ الحَمَّـامِيِّ ﴿ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ بالإمالة ، حيث وقع [٤] . واتَّفقوا على الإمالةِ في الموضِعَينِ من بني إسرائيل [٥] (٧٢) .

٧٦- وروى يحيى [٦] ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ .

وفي هود (٧٠) ﴿ رَءَآ أَيْدِيَهُمْ ﴾ .

وفي يوسف (٢٤ ، ٢٨) ﴿ رَّءَا بُرْهَـٰنَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ ﴾ .

وفي طه (١٠) ﴿ رَءَا نَارًا ﴾ .

وفي والنجم (١١ ، ١٨) ﴿ مَا رَأَىٰ ﴾ ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ ﴾ .

فذلك سَبْعةُ مَواضِعَ : بكسرِ الرَّاء ، وإمالة الهمزة ، في جميعِ ذلك .

تابعَهُ العُلَيْمِيُّ [٧] في ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ خاصَّةً .

---

(١) الروضة صـ ٥١٨ ، والمستنير صـ ٣٣٤ ، والتجريد صـ ٢١٦ .

(٢) ينظر : بحر العلوم (٤٧٨/١) ، والكامل ق (١٨٦) ، والمستنير صـ ٣٣٤ .

(٣) المستنير صـ ٣٣٦ ، وينظر : الكامل ق (٩١) .

(٤) وقع في أربعة عشر موضعاً : أوّلها المذكور . وفي هود : ٢٤ ، والرعد : ١٦ ، ١٩ ، والإسراء : ٧٢ موضعان ، وطه : ١٢٤ ، ١٢٥ ، والنور : ٦١ ، وفاطر : ١٩ ، وغـافر : ٥٨ ، ومحمـد : ٢٣ ، والفتح : ١٧ ، وعبس : ٢ . ينظر : المعجم المفهرس صـ ٤٨٨ « عمي » .

(٥) هي سورة الإسراء .

(٦) المستنير صـ ٣٣٧ ، والتجريد صـ ١٦٦ ، والنشر (٤٤/٢) .

(٧) الروضة صـ ٣٣٧ ، والمستنير صـ ٣٣٧ ، و التجريد صـ ١٦٦ ، وغاية الاختصار (٢٧٩/١) .

فإن اتصَلَ بمَكْنيٍّ ، مثل : ﴿ رَءَاكَ ﴾ [١] ، و﴿ رَءَاهَا ﴾ [٢] ، و﴿ رَءَاهُ ﴾ [٣] ؛ فَكَسَر الرَّاءَ ، وأمالَ الهمزةَ : يحيى غير الصَّرِيفِيني ، والوَكِيعِي ،جميعاً من طريق الكَتَّانِي . الباقون : بفتحِ الرَّاءِ والهمزةِ [٤] .

٩٢- وروى خَلَفٌ [٥] ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ ﴾ على الجَمْعِ .

١٠٩- وروى العُلَيْمِيُّ ، والوَكِيعِيُّ من طريق الكَتَّانِيِّ ،أحَدَ الوجهينِ عن خَلَفٍ ﴿ إِنَّهَآ إِذَا ﴾ بكسرِ الهمزةِ [٦] .

سورة الأعراف [٧]

١٨- روى خَلَفٌ [٧] ﴿ لِمَن تَبِعَكَ ﴾ بكسرِ اللاَّمِ .

٦٩- واتَّفقوا على قَولِهِ : ﴿ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ بالصَّادِ [٨] .

١١١- أبو حَمْدُون [٩] ﴿ أَرْجِئْهُ ﴾ بالهمزِ ، والضَّمِّ [١٠] ، من غيرِ إشْبَاعٍ ، مثل

---

(١) سورة الأنبياء : ٣٦ .

(٢) سورة النمل : ١٠ ، والقصص : ٣١ .

(٣) وقع في أربعة مواضع ، هي : النمل : ٤٠ ، والنجم : ١٢ ، والتكوير : ٢٣ ، والعلق : ٧ .

(٤) ينظر : المستنير صـ ٣٣٨ ، والنشر (٢/٤٦) .

(٥) الروضة صـ ٢٨ ، والمستنير صـ ٣٣٩ .

(٦) ينظر : المستنير صـ ٣٤٠ .

(٧) المستنير صـ ٣٤٧ .

(٨) ينظر : المستنير صـ ٣٥٠ .

(٩) المستنير صـ ٣٥١ ، وغاية الاختصار (١/٣٨٥) . وينظر : السبعة في القراءات صـ ٢٨٨ ، فقد رواها ابن مجاهد كذلك عن أبي بكر من طريق هارون بن حاتم عن حسين الجُعفي ، وجاء في الحجّة للقرّاء السبعة (٤/٥٨) : « وقال خلف عن يحيى عن أبي بكرٍ أنّه ربما كان هَمَزَها ورفَعَ الهاء » .

(١٠) أي بضم الهاء . ينظر : الروضة صـ ٥٤٥ ، والمبهج ق (٨٦) .

أبي عمرو [١] . الباقون [٢] : بإسكانِ الهاءِ من غيرِ همزٍ ، وفي الشُّعَراء (٣٦) مِثلُهُ .

١٦٥- وروى يحيى [٣] إلا الكِتّانيّ ، وأَحَدُ /٢٧٠و/ الوجهينِ عن خَلَفٍ [٤] ﴿ بِعَذابٍ بَيْئَسٍ ﴾ بفتحِ الباءِ، بعدها ياءٌ ساكنةٌ ، وبعدها همزةٌ مفتوحةٌ ، على وزنِ (فَيْعَل) .

الباقون [٥] : بفتحِ الباءِ ، بعدها همزةٌ مكسورةٌ ، وبعدَ الهمزةِ ياءٌ ساكنةٌ ، على وزنِ (فَعِيْل) ، مثل أبي عمرو .

سورة الأنفال [٨]

٤٢- روى خَلَفٌ [٦] ﴿ ليهْلكَ ﴾ بضمِّ الياءِ ، وفتحِ اللاّمِ ، تفرّد بذلك .

---

(١) زبّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحُصَين بن الحارث ... بن الياس بن مُضَر ، (ت : ١٥٤ هـ) ، أحد القرّاء السبعة : السبعة صـ ٧٩ ، وطبقات النحويين واللغويين صـ ٣٥ ، وطبقات القرّاء (١/٩١) . وينظر في قراءته : السبعة صـ ٢٨٧ ، والحجّة للقرّاء السبعة (٤/٥٨)، والتذكرة (٢/٣٤٣) .

(٢) روى ابن مجاهد أن أصحاب يحيى اختلفوا في رواية هذا الحرف عنه ، فذكر أنّ الوكيعي رواه عنه بالهمز والجزم ، وأنّ أبا هشام رواه بالجزم من غير همز ، وأنّ خلفاً رواه بجزم الهاء : السبعة صـ ٢٨٨ ، وينظر : الحجّة للقرّاء السبعة (٤/٥٨) ، والمستنير صـ ٣٥١ ، وغاية الاختصار (١/٣٨٥) .

(٣) رواها ابن سوار عنه من طريق أبي حَمْدُون حسب : المستنير صـ ٣٥٥ ، وينظر : التجريد صـ ٢٢٩ .

(٤) السبعة صـ ٢٩٦ ، والمستنير صـ ٣٥٥ .

(٥) الروضة صـ ٥٥١ ، والمستنير صـ ٣٥٥ .

(٦) المستنير صـ ٣٦ ، وينظر : الكامل ق (١٩٦) .

سورة يونس عليه السلام [١٠]

١٦- روى يحيى غير الصَّرِيْفِينِي من طريق الكَتَّانِي ، والعُلَيْمِيُّ [١] ﴿ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾ بالإمالةِ هنا خاصّةً .

زادَ الوَكِيعِيُّ من طريقِ الحَمَّامِي ، وأبو هِشَامٍ ، وخَلَفٌ من طريقِ ابن فَارِس ، حيث وقع [٢] .

٣٥- روى أبو هِشَامٍ الرِّفَاعِي ﴿ يَهِدِّىٓ ﴾ بفتحِ الياءِ ، وكسرِ الهاءِ . الباقون : بكسرِهما [٣] .

٧٨- روى العُلَيْمِيُّ ، والصَّرِيْفِينِيُّ من طريقِ الوَاسِطِي [٤] ﴿ وَيَكُونَ لَكُمَا ﴾ بالياءِ .

سورة هود عليه السلام [١١]

١- روى خَلَفٌ [٥] ﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ ﴾ بإشمامِ [٦] الدَّال الضَّم ، والإشارةِ [٧]

---

(١) المستنير صـ ٣٧٣ ، والنشر (٢/٤١) .

(٢) وقع في أربعة عشر موضعاً : أوّلها المذكور ، وفي سورة الحاقة : ٣ ، والمدثر : ٢٧ ، والمرسلات : ١٤ ، والانفطار : ١٧ ، والمطففين : ٨ ، ١٩ ، والطارق : ٢ ، والبلد : ١٢ ، والقدر : ٢ ، والقارعة : ٣ ، ١٠ ، والهمزة : ٥ .

(٣) المستنير صـ ٣٧٥ .

(٤) المستنير صـ ٣٧٦ ، والكامل ق (٢٠٢) ، وينظر : زاد المسير (٤/٥٠) .

(٥) المستنير صـ ٣٧٩ ، وعبارته « روى الكسائي عن أبي بكر ، وخلف عن يحيى ، إسكان الدال وإشمامها شيئاً من الضّم ، وكسر النون ، من قوله تعالى : ﴿ مِنْ لَدُن حَكِيمٍ ﴾ هنا ، وفي سورة النمل » .

(٦) الإشمام « هو عبارة عن ضم الشفتين بعد سكون الحرف من غير صوت ، ويدرك ذلك الأصم دون الاعمى ، ويعبر عنه ويراد به خلط حركة بحركة ، ويطلق أيضاً ويراد به خلط حرف بحرف » . التمهيد صـ ٧٣ ، وينظر التحديد صـ ٩٦ ، والكشف (١/١٢٢) ، والموضح صـ ٢٠٨ ، وجمال القراء (٢/٥٣٢) .

(٧) سبق بيان المراد من هذا المصطلح في البقرة : ٢٨٣ .

إلى كسرِ النّونِ ، وفي النمل (٦) مثله .

٤٢- ﴿ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾ أَدْغَمَ الباءَ في الميمِ الصَّرْيَفِينيُّ ، والوَكيعيُّ ، جميعاً من طريقِ الكَتَّاني ، وأبو حَمْدُون ، وأبو هِشَامٍ ، وخَلَفٌ إلا ابن فَارِس ، والقَطَّانُ عن العُلَيْمِيِ [١] .

سورة يوسف عليه السلام [١٢]

١٩- روى العُلَيْمِيُّ [٢] ﴿ يَٰبُشْرَىٰ ﴾ بالإمالةِ .

٢٤ ، ٢٨- ﴿ رءَا بُرْهَٰنَ ﴾ ، ﴿ رَءَا قَمِيصَهُۥ ﴾ قد ذُكِرا [٣] .

سورة الإسراء [١٧]

٥٣- /٢٧٠ظ/ روى أبو هِشَامٍ [٤] ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى ﴾ بفتحِ الياءِ ، تفرّدَ بذلك .

٨٠- وروى أيضاً : ﴿ مدْخَلَ صِدْقٍ وَ .. مخْرَجَ صِدْق ﴾ بفتحِ الميمِ فيهما .

٨٣- روى خَلَفٌ : ﴿ وَنئا ﴾ بكسرِ النّونِ ، وإمالةِ الهمزةِ ، هنا وفي السجدة (٥) .

تابَعَهُ هنا يحيى إلا الكَتّاني والقطّان . وفتحَ النونَ ، وأمالَ الهمزةَ : العُلَيْمِيُّ ، ويحيى من طريق الكَتَّانيِّ ، والقَطَّانُ [٥] . وقرأت لِخَلَفٍ ، من طريقِ ابن فَارِس ، بكسرِ النونِ ، وإمالةِ الهمزة هنا .

---

(١) ينظر : المستنير صـ ٣٨٩ ، وغاية الاختصار (٢٨٠/١) ، والإتحاف (١٤٣/٢) .

(٢) المستنير صـ ٣٨٩ ، والتجريد صـ ٢٤٢ ، وغاية الاختصار (٢٨٠/١) ، والنشر (٤١/٢) ، والإتحاف (١٤٣/٢) .

(٣) سورة الأنعام : ٧٦ .

(٤) المستنير صـ ٤١٩ ، وينظر : الكامل ق (١٤٨) .

(٥) ينظر : السبعة صـ ٣٨٤ ، والمبسوط صـ ٢٧١ ، والمستنير صـ ٤١٨ .

سورة الكهف [١٨]

٢- قوله تعالى : ﴿ من لَّدُنْهُ [١] ﴾ اتفقوا على إشمام الدال الضمة ، وتخفيف النون [٢] .

٩٥ ، ٩٦- ﴿ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِى ﴾ روى الصَّرِيْفِينِي من طريق الكَتَّانِي ، وخَلَف من طريق ابن فَارِس ، بقطع الهمزة والمدّ ، وكذلك ﴿ قَالَ ءَاتُونِىٓ ﴾ . الباقون بوصل الهمزة من غير مدّ فيهما [٣] .

سورة مريم عليها السلام [١٩]

١،٢- روى أبو حَمْدُون من طريق القَطَّان [٤] إدغامَ الدّالِ من هجاءِ ﴿صاد ﴾ عند ﴿ ذِكْرُ ﴾ [٥] .

٢٥- وروى العُلَيْمِيُّ ، والصَّرِيْفِينِيُّ من طريقِ الوَاسِطِيِّ [٦] ﴿ تُسَٰقِطْ ﴾ بياءٍ مفتوحةٍ ، وتشديدِ السِّين .

سورة طه [٢٠]

٧٥- روى خَلَفٌ : ﴿ وَمَن يَأْتِهِ ﴾ بإسكانِ الهاءِ [٧] .

---

(١) من المصحف الشريف ، مراعاةً للرسم ، وفي الأصل ﴿ من لدني ﴾ بالياء . قال في التذكرة (٤١٢/٢) : « قَرَأَ يحيى ﴿ من لدنه ﴾ بإسكان الدال ، وإشمامها الضم ، وكسر النون ، ووصل الهاء بياء في وصله » . وينظر : السبعة صـ ٣٨٨ ، والمستنير صـ ٤٢٠ .

(٢) ينظر : المصادر السابقة .

(٣) ينظر : السبعة صـ ٤٠٠ ، والمستنير صـ ٤٢٦ ، والكامل ق (١٢١) ، والنشر (٣١٥/٢) .

(٤) المستنير صـ ٤٣٠ .

(٥) المراد بذلك قوله تعالى : ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝ ذِكْرُ ﴾ .

(٦) ينظر : الروضة صـ ٦٣٥ ، والمستنير صـ ٤٣٢ ، والنشر (٣١٨/٢) .

(٧) ينظر : المستنير صـ ٤٣٩ ، رواها عن أبي بكر شعبة ، من طريق الكسائي ، وينظر : معجم القراءات (٤٦٥/٥) .

سورة النّور [٢٤]

٣١- روى الصَّرْيَفِينِيُّ من طريقِ الوَاسِطِيِّ ، والوَكِيعِيُّ مـن طريـق الحَمَّامِيِّ ، وأبـو حَمْدُون [١] ﴿ جِيوبهن ﴾ بكسرِ الجيمِ ، وقد ذُكِر [٢] .

سورة النّمل [٢٧]

٦- ﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ ﴾ ذكر في هود (١) .

١٠ ، ٤٠- وروى يحيى غير الصَّرْيَفِيني ، والـوَكِيعِي /٢٧١و/ ، جميعاً مـن طريـق الكتَّاني : ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ ﴾ ، بإمالةِ الرَّاءِ والهمزةِ . الباقون : بالتفخيم [٣] ، وقد ذكر [٤] .

٨٨- يحيى [٥] ﴿ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ بالتّاءِ .

سورة العنكبوت [٢٩]

١٩- روى يحيى [٦] : ﴿ أَوَلَمْ تَرَوْا ﴾ بالتاء .

٤٢- قرأت للصَّرَيفيني مـن طريـقِ الكتَّـانِي : ﴿ يَعْلَـمُ مَا يَدْعُونَ ﴾ بـالوجهين . الباقون بالياء [٧] .

---

(١) ينظر : المستنير صـ ٨٧ ، والنشر (٢/٢٢٦) ، ومعجم القراءات (٦/٢٥٧) .

(٢) سورة البقرة : ١٨٩ .

(٣) ينظر : المستنير صـ ٣٣٨ ، والنشر (٢/٤٦) .

(٤) سورة الأنعام : ٧٦ .

(٥) المستنير صـ ٤٨١ .

(٦) المستنير صـ ٤٨١ ، والتجريد صـ ٢٨٤ .

(٧) ينظر : المستنير صـ ٤٨٢ . وينظر : معجم القراءات (٧/١١٥) .

٥٧- خَلَف [١] ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا [٢] تُرْجَعُونَ ﴾ بالتاء .

سورة يس [٣٦]

١ــ روى يحيى من طريقِ الصَّرِيْفِينِي والوَكِيعِي جميعاً من طريق الكَتَّانِي وأبي هِشَام : ﴿ يسٓ ﴾ بإدغام النون [٣] .

٤٩- [روى] [٤] يحيى غير أبي هِشَام [٥] : ﴿ يَخِصِّمُونَ ﴾ بكسر الياء والخاء . العُلَيْمِي وأبو هِشَام [٦] بفتح الياء ، وكسر الخاء .

سورة ص [٣٨]

٢٣- روى خَلَف [٧] : ﴿ وَعَزَنِي ﴾ بتخفيفِ الزّاي .

٢٩- وروى أيضاً [٨] : ﴿ تَدَبَّروا ﴾ بالتاء ، وتخفيف الدّال .

سورة الزّمر [٣٩]

٧- روى أبو هِشَام ، وأبو حَمْدُون [٩] : ﴿ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ بالإسكان . الباقون [١٠] بالاختلاس .

---

(١) ينظر : المستنير صـ ٤٨٣ ، ومعجم القراءات (٧/١٢٤) .
(٢) من المصحف الشريف ، وفي الأصل ﴿ إليه ﴾ .
(٣) أي بإدغام النون من هجاء ﴿ يسٓ ﴾ في الواو من قوله : ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ .. ﴾ . المستنير صـ ٥٠٢ .
(٤) يتطلبها السياق .
(٥) المستنير صـ ٥٠٤ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) المستنير صـ ٥١٠ .
(٨) المستنير صـ ٥١١ .
(٩) المستنير صـ ٥١٤ ، غاية الاختصار (١/٣٨٠) ، والنشر (١/٣٠٨) .
(١٠) ينظر : المستنير صـ ٥١٤ ، والمبسوط صـ ٣٨٣ ، والإرشاد صـ ٥٣٠ .

سورة المؤمن [٤٠]

٤٠- قرأت لأبي حَمْدُون من طريق القَطَّان[١] : ﴿ يَدْخُلُونَ ﴾ بفتح الياء ، وضم الخاء . الباقون بضم الياء ، وفتح الخاء .

٦٠- يحيى[٢] : ﴿ سَيَدْخلُونَ ﴾ بضمِّ الياءِ ، وفتحِ الخاءِ .

سورة السَّجدة [٤١]

٥١- روى خَلَفٌ[٣] : ﴿ وَنئا ﴾ بكسرِ النونِ والهمزةِ . الباقون : بفتحهما . وقد ذكر[٤] .

سورة الزُّخرف [٤٣]

٣٦- /٢٧١ظ/ روى العُلَيْمِيُّ والصَّرِيْفِينِيُّ من طريق الوَاسِطِيِّ : ﴿ يُقَيِّضْ ﴾ بالياءِ . الباقون: بالنّونِ[٥] .

سورة مُحَمَّد ﷺ [٤٧]

٢٨- قرأت لأبي حَمْدُون من طريقِ القَطَّانِ : ﴿ وَكَرِهُوا[٦] رِضْوَانَهُ ﴾ بكسرِ الرّاءِ . الباقون : بالضَّمِّ[٧] .

---

(١) المستنير صـ ٣٢٤ ، ذكر ابن الجزري ، في النشر (٢/٢٥٢) : أن النهرواني ، وهو « القطان » انفرد بهذه الرواية .

(٢) المستنير صـ ٥٢٠ .

(٣) المستنير صـ ٤١٨ .

(٤) سورة الإسراء : ٨٣ .

(٥) المستنير صـ ٥٢٨ ، وينظر : المبسوط صـ ٣٩٩ .

(٦) من المصحف الشريف ، وفي المخطوط : « واتبعوا » .

(٧) المستنير صـ ٣٠٣ ، ٥٤٠ .

سورة الطُّور [٤٧]

٣٧- ﴿ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ بالصَّادِ اتفاقاً [١] .

سورة والنَّجم [٥٣]

٥١- قرأت للصَّرِيفِيني من طريقِ الكَتَّانِي : ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ بالوجهين . الباقون [٢] : بغير تنوين مثل حَفْصٍ [٣] .

سورة القمر [٥٤]

٥٣- قرأت لخَلَفٍ [٤] : ﴿ مُسْتَطِرٌّ ﴾ بكسرِ الطَّاءِ ، وتشديدِ الرَّاءِ .

سورة الرَّحمن ﷻ [٥٥]

٢٤- قرأت لخَلَفٍ [٥] : ﴿ ٱلْمُنشَـَٔاتُ ﴾ بالوجهين [٦] . الباقون [٧] : بكسرِ الشِّين .

سورة المجادلة [٥٨]

١١- قرأت للصَّرِيفِيني والوَكِيعِي ، كلاهما من طريق الكَتَّانِي ، وأحد الوجهين عن

---

(١) ينظر : المستنير صـ ٥٥٠ ، والنشر (٢/٣٧٨) ، وفي الأصل : اتفاق .

(٢) ينظر : الروضة صـ ٥٨٠ ، والمستنير صـ ٣٨٢ ، وقوله : بالوجهين : أي بتنوين ﴿ ثمودا ﴾ وعدمه .

(٣) هو حفص بن سُلَيمان بن المغيرة البزّار الأسدي (ت : ١٣١ هـ) ، راوية عاصم بن أبي النجود : طبقات القرّاء (١/١٤١) ، وغاية النِّهاية (١/٢٥٤) .

(٤) المستنير صـ ٥٥٣ . وينظر : المختصر صـ ١٤٨ ، والكامل ق (٢٤٠) .

(٥) السبعة صـ ٦٢٠ ، والمبسوط صـ ٤٢٥ ، والمستنير صـ ٥٥٥ .

(٦) أي بفتح الشين وكسرها .

(٧) ينظر : المستنير صـ ٥٥٥ ، والبحر المحيط (٨/١٩٢) ، ومعجم القراءات (٩/٢٥٩) .

خَلَفٍ : ﴿ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ ﴾ بضمِّ الشِّين فيهما [١] .

٢٢- قرأت لِخَلَفٍ [٢] إلاّ ابن فَارِس : ﴿ أَوْ عَشِيرَاتِهم ﴾ بألفٍ على الجَمْعِ ، وكَسْرِ التاءِ .

سورة التَّحِلَّة [٣] [٦٦]

١- قَرَأْتُ للصَّريفيني و الوَكِيعي ، جميعاً من طريق الكَتَّاني ، والعُلَيْمِيِّ : ﴿ جَبْرَئِيلُ ﴾ في وزن (جَبْرَعِيل) . وبالوجهين لأبي هِشَام . ولمن بقي من أصحاب يحيي ، مثل (جبرعل) . وقد ذكر [٤] .

سورة ﴿ن﴾ [٥] [٦٨]

١- روى الصَّرِّيفِينيُّ والوَكِيعِيُّ ، كلاهما من /٢٧٢و/ طريق الكَتَّاني ، وأبو هِشَامٍ، والعُلَيْمِيُّ [٦] : ﴿ نٓ ﴾ بالإدغام [٧] .

---

(١) السبعة صـ ٦٢٩ ، والمبسوط صـ ٤٣٢ . و ينظر : معجم القراءات (٩/٣٧٤) .

(٢) المستنير صـ ٥٦٣ .

(٣) هي سورة التحريم ، وتسمى أيضاً سورة المتحرّم ، ولِمَ تحرّم . ينظر : الإتقان (١/١٥٨) .

(٤) سورة البقرة : ٩٧ . قال ابن سوار في سورة البقرة : « وقرأهن حمزة والكسائي وخلف ، وعاصم إلاّ حفصاً ، ويحيى عن أبي بكر عنه ، بفتح الجيم والرّاء ، وبعدها همزة مكسورة ، وبعدها ياء ، على وزن (جَبْرَعِيل) . وروى يحيى كذلك إلاّ أنّه حذف الياء هاهنا ، فتصير مثل (جَبْرَعِل) . وأما الذي في سورة التَّحلَّة ؛ فرواه شعيب الصَّرِّيفيني والوكيعي عن يحيى ، وخلف أيضاً ، مثل الكسائي وحمزة وموافقيهما . ورواه أبان ، وأبو هِشَام الرِّفاعي ، وأبو حَمْدُون ، مثل (جِبْرَعِيل) . الباقون بكسر الجيم والراء ، وبعدها ياء ساكنة من غير همز ، مثل (فِعْلِيل) » . المستنير صـ ٢٧٨ ، وينظر : السبعة صـ ١٦٧ ، والنشر (٢/٢١٩) .

(٥) هي سورة القلم .

(٦) التجريد صـ ١٦١ .

(٧) أي بإدغام النون التي في هجاء « نون » في « واو » ﴿ وَٱلْقَلَمِ ﴾ . المستنير صـ ٥٧٤ . وفي قراءتهم ينظر : السبعة صـ ٦٤٦ ، والمبسوط صـ ٣٦٩ ، والنشر (٢/١٨) .

سورة الحاقة [٦٩]

٣- روى أبو هِشَام والوَكِيعِيُّ من طريقِ الحَمَّامِيِّ ، وخَلَفٌ من طريقِ ابنِ فَارِس : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ بالإمالةِ ، حيثُ كَان ، وقد ذُكِر [١] .

سورة التكوير [٨١]

١٢- روى يحيى [٢] : ﴿ سُعِرَتۡ ﴾ بالتخفيف .

سورة الغاشية [٨٨]

٢٢- اتفقوا على قوله : ﴿ بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ بالصَّادِ [٣] .

تَمَّ الخِلافُ

والحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ ، وَصَلواتُهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّد النَّبيِّ وَآلِهِ ، وَسَلَّم تَسليماً ، وَحَسْبُنا اللهُ وَنِعمَ الوَكيل .

---

(١) سورة يونس : ١٦ . وينظر : السبعة صـ ٣٢٤ ، ومعجم القراءات (٤٩/١٠) .

(٢) المستنير صـ ٥٩٢ ، ومعجم القراءات (٣٢٧/١٠) .

(٣) وهي قراءة الجمهور . ينظر : السبعة صـ ٦١٣ ، والروضة صـ ٨٣٨ ، المستنير صـ ٥٩٧ ، ومعجم القراءات (٤٠٦/١٠) .

مصادر البحث ومراجعه

- أ -

١- إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر : البنّا الدّمياطي ، أحمد بن محمد (ت : ١١١٧هـ) ، تحـ : د. شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب - بيروت ، ط١(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .

٢- الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت : ٩١١هـ) ، تحـ : عبد المهيمن طحّان ، مكّة المكرّمة ، ط١(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

٣- أخبار الدولة السّلجوقية : الحسيني ، علي بن ناصر الدين ، تحـ : محمد إقبال ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ط١ (١٩٨٤م) .

٤- إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر : أبو العزّ القلانسي ، محمد بن حسين بن بندار (ت : ٥٢١هـ) ، تحـ : د. عمر حمدان الكبيسي ، مكة المكرمة ، ط١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .

٥- استدراكات على تاريخ التراث العربي : قسم القراءات ، إعداد أ.د. حكمت بشير ياسين ، دار ابن الجوزي - الدمام وغيرها ، ط١ (١٤٢٢هـ) .

٦- أُسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد (ت : ٦٣٠هـ) ، القاهرة ، (١٩٧٠م).

٧- الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ) ، تحـ : محمد الزيني ، القاهرة ، ط١ (١٩٧٦م) .

٨- الأنساب : السّمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت : ٥٦٢هـ) ، دار الجنان ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

- ب -

٩- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتوترة : النشار ، عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري (ت : ٩٣٨هـ) ، تحـ : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، عالم الكتب - بيروت ، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) .

١٠- بحر العلوم : السّمرقندي ، نصر بن محمد بن أحمد (ت : ٣٧٥هـ) ، علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، ود. زكريا عبد المجيد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤١٣هـ) .

١١- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت : ٧٤٥هـ) ، مطابع النصر الحديثة - الرياض ، د.ت. .

- ت -

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس : الزّبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت : ١٢٠٥هـ) ، تحـ : علي شيري ، دار الفكر ، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .

١٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : حوادث ووفيات (٥٤١-٥٥٠هـ) : الذّهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، تحـ : د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط١ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .

١٤- تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي (ت : ٤٦٣هـ) ، دار الفكر - بيروت ، د.ت. .
١٥- تاريخ حلب : محمد بن علي العظيمي الحلبي (ت : ٥٥٦هـ) ، تحـ : إبراهيم زعرور ، دمشق (١٩٨٤م) .
١٦- تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشّافعي (ت : ٥٧١هـ) ، تحـ : سكينة الشهابي ، مجمع اللغة العربية - دمشق ، (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .
١٧- التجريد لبغية المريد في القراءات السبع : ابن الفحام ، عبد الرحمن بن عتيق الصقلّي (ت : ٥١٦هـ) ، تحـ : د. ضاري إبراهيم العاصي ، دار عمّار - الأردن ، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) .
١٨- التحديد في الإتقان والتجويد : أبو عمرو الدّاني ، عثمان بن سعيد الدّاني الأندلسي (ت : ٤٤٤هـ) ، تحـ : د. غانم قدوري الحمد ، بغداد ، ط١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٨م) .
١٩- تذكرة الحفّاظ : الذّهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، دار إحياء التراث - مصورة عن حيدر آباد ، ط٣ (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) .
٢٠- التذكرة في القراءات الثمان : ابن غلبون ، طاهر بن عبد المؤمن الحلبي (ت : ٣٩٩هـ) ، تحـ : أيمن رشدي سويد ، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩١م) .
٢١- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد : ابن نقطة ، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر البغدادي الحسيني (ت : ٦٢٩هـ) ، تحـ : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٩٨٨م) .
٢٢- التمهيد في علم التجويد : ابن الجزري ، محمد بن محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ) ، تحـ : د. غانم قدوري حمد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .
٢٣- تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ) ، إعتناء : إبراهيم الزيبق ، وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) .
٢٤- تهذيب سير أعلام النبلاء : هذبه أحمد فايز الحمصي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩١م) .
٢٥- التيسير في القراءات : أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد الداني الاندلسي ، (ت : ٤٤٤هـ) ، عني بطبعه أبو الفلاح غلام غوث الحسيني ، وأبو الفتح محمد علي الحسيني ، وأبو الوفاء محمد عمر الحنبلي ، حيد آباد الدكن ، (١٣١٦هـ) .

- ث -

٢٦- ثمار المقاصد في ذكر المساجد : ابن المبرد ، يوسف بن حسن بن أحمد الصالحي ، (ت : ٩٥٩هـ) ، المعهد الفرنسي بدمشق .

- ج -

٢٧- الجرح والتعديل : ابن أبي حاتم الرّازي ، عبد الرحمن بن محمد (ت : ٣٢٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د.ت. .
٢٨- جمال القرّاء وكمال الإقراء : علم الدين السّخاوي ، علي بن محمد (ت : ٦٤٣هـ) ، تحـ : د. علي حسين البوّاب ، مكة المكرمة ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) .

- ح -

٢٩- الحجّة للقرّاء السّبعة : أبو علي الفارسي ، الحسن بن عبد الغفار (ت : ٣٧٧هـ) ، تحـ : بدر الدين قهوجي ، وبشير جويجاتي ، دار المأمون للتراث - دمشق ، ط٢ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .

٣٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : الأصفهاني ، أبونعيم أحمد بن عبد الله (ت : ٤٣٠هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م) .

- د -

٣١- الدّارس في تاريخ المدارس : عبد القادر بن محمد النعيمي الدّمشقي (ت : ٩٢٧هـ) ، تحـ : جعفر الحسني ، مكتبة الثقافة الدينية ، (١٩٨٨م) .

- ذ -

٣٢- ذيل تذكرة الحفّاظ : ابن حمزة الحسيني ، محمد بن علي أبو المحاسن الدمشقي (ت : ٧٦٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

- ر -

٣٣- الروضة في القراءات الإحدى عشرة : أبو علي المالكي ، الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت : ٤٣٨هـ) ، تحـ : مصطفى عدنان محمد سلمان ، رسالة دكتوراه الجامعة المستنصرية ، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م) .

- ز -

٣٤- زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت : ٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي دمشق ، ط١ (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م) .

- س -

٣٥- السّبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أحمد بن موسى (ت : ٣٢٤هـ) ، تحـ : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ط٣ .

٣٦- سير أعلام النبلاء : الذّهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، تحـ : شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي وآخرين ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٤ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .

- ش -

٣٧- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلي ، عبد الحيّ (ت : ١٠٨٩) ، دار المسيرة - بيروت .

٣٨- شرح شعلة على الشاطبية ، المسمى « كنز المعاني شرح حرز الأماني » : محمد بن أحمد بن محمد الموصلي (ت : ٦٥٦هـ) ، دار التأليف مصر ، د.ت. .

- ض -

٣٩- الضعفاء والمتروكون : النسائي ، أحمد بن شعيب (ت : ٣٠٣هـ) ، ضمن مجموع (الضعفاء والمتروكون) ، تحـ : عبد العزيز عز الدين السيرواني ، دار القلم - بيروت ، ط١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

- ط -

٤٠- الطبقات : خليفة بن خياط (ت : ٢٤٠هـ) ، تحـ : أكرم ضياء العمري ، مطبعة العاني - بغداد ، ط١ (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) .

٤١- طبقات الشافعية : الإسنوي ، عبد الرحيم بن الحسن الأموي (ت : ٧٧٢هـ) ، تحـ : كمال الحوت ، دار الكتب العلمية ، ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .

٤٢- طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين السبكي ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت : ٧٧١هـ) ، تحـ : د. محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو ، هَجَر للطباعة - مصر ، ط٢ (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) ، مصورة عن طبعة عيسى البابي الحلبي .

٤٣- الطبقات الكبرى : ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت : ٢٣٠هـ) ، دار صادر - بيروت ، (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) .

٤٤- طبقات الفقهاء الشافعية : ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت : ٦٤٣هـ) ، تحـ : محيي الدين علي نجيب ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ، ط١ (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .

٤٥- طبقات الفقهاء الشافعيين : ابن كثير الدمشقي ، إسماعيل بن كثير (ت : ٧٧٤هـ) ، تحـ : د. أحمد عمر هاشم ، ود. محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .

٤٦- طبقات القراء : الذّهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، تحـ : د. أحمد خان ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

٤٧- طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدي ، محمد بن الحسن (ت : ٣٧٩هـ) ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - مصر ، (١٩٧٣م) .

- ع -

٤٨- العبر في خبر من غبر : الذّهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، تحـ : د. صلاح الدّين المنجّد ، وزارة الإعلام - الكويت ، ط٢ مصورة (١٩٨٤م) .

- غ -

٤٩- غاية النهاية في طبقات القرّاء : ابن الجزري ، محمد بن محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ) ، نشره : برجستراسر ، مكتبة الخانجي - مصر ، ط١ (١٣٥٢هـ-١٩٣٣م) .

٥٠- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار : أبوالعلاء العطّار ، الحسن بن أحمد (ت : ٥٦٩هـ) ، تحـ : د. أشرف محمد فؤاد طلعت ، جدة ، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .

- ف -

٥١- فهرس مجاميع المدرسة العُمرية ، في المكتبة الظاهرية بدمشق ، وضعه : ياسين محمد السّوّاس ، معهد المخطوطات العربية - الكويت ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) .

- ق -

٥٢- قرة العيون في أخبار باب جيرون : محمد بن طولون الصالحي (ت : ٩٥٣هـ) ، تحـ : د. صلاح الدّين المنجّد ، المجمع العلمي العربي - دمشق ، (١٣٨٣هـ-١٩٦٤م) .

٥٣- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية : محمد بن طولون الصالحي ، (ت : ٩٥٣هـ) ، تحـ : محمد أحمد دهمان ، مجمع اللغة العربية - دمشق ، (١٤٠١هـ-١٩٨٠م) .

- ك -

٥٤- الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت : ٦٣٠هـ) ، تحـ : د. محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .

٥٥- الكامل في القراءات الخمسين : الهذلي ، يوسف بن جبارة (ت : ٤٦٥هـ) ، مصورة ورقية عن نسخة رواق المغاربة بالأزهر ، رقم (٣٦٩ مغاربة) .

٥٦- الكشف عن وجوه القراءات السبع : مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) ، تحـ : د. محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

٥٧- الكنز في قراءات العشرة : الواسطي ، عبد الله بن عبد المؤمن (ت : ٧٤١هـ) ، تحـ : خالد أحمد عبد القادر ، رسالة دكتوراه - جامعة بغداد ، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

- ل -

٥٨- اللباب في تهذيب الأنساب : ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت : ٦٣٠هـ) ، دار صادر - بيروت .

- م -

٥٩- المبسوط في القراءات العشر : ابن مهران ، أحمد بن الحسين (ت : ٣٨١هـ) ، تحـ : سبيع حمزة حاكمي ، مجمع اللغة العربية - دمشق ، (١٤٠١هـ-١٩٨٠م) .

٦٠- المبهج في القراءات : سبط الخياط ، عبد الله بن علي البغدادي (ت : ٥٤١هـ) ، مصورة الدكتور حاتم صالح الضامن ، عن نسخة أحمد خيري - مصر .

٦١- مختصر تاريخ دمشق : ابن منظور ، محمد بن مكرّم (ت : ٧١١هـ) ، تحـ : روحية النحاس ، ومحمد مطيع الحافظ ، دار الفكر - دمشق ، ط١ (١٤١١هـ-١٩٩٠م) .

٦٢- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع ، المسمى خطأً بـ« مختصر في شواذ القرآن » : ابن خالويه ، الحسين بن أحمد (ت : ٣٧٠هـ) ، نشره : برجستراسر ، دار الهجرة ، د.ت. .

٦٣- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزاوغلي التركي (ت : ٦٥٤هـ) ، حيدر آباد الدكن - الهند ، ط١ (١٣٧٠هـ-١٩٥١م) .

٦٤- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ : ابن الطحّان السُّماتي ، عبد العزيز بن علي (ت : ٥٦١هـ) ، تحـ : د. حاتم صالح الضامن ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عدد (٤٨) ، السنة (١٩) ، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .

٦٥- المستنير في القراءات العشر : ابن سوار البغدادي ، أحمد بن علي بن عبيد الله (ت : ٤٩٦هـ) ، تحـ : عمار أمين الددو ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) .

٦٦- المعارف : ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦هـ) ، تحـ : د. ثروة عكاشة ، دار المعارف - مصر ، ط٢ (١٩٦٩م) .

٦٧- معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم : وضعه د. إسماعيل أحمد عمايرة ، ود. عبد الحميد مصطفى السيد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م) .

٦٨- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي : إدوارد فون زامبور ، ترجمة سيدة إسماعيل كاشف ، دار الرائد العربي - بيروت ، (١٩٨٠م) .

٦٩- معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت : ٦٢٦هـ) ، دار صادر - بيروت ، ط٢ (١٩٩٥م) .

٧٠- معجم الشيوخ : ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت : ٥٧١هـ) ، تحـ : د. وفاء تقي الدين ، دار البشائر - دمشق ، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) .

٧١- معجم القراءات ، د. عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين - دمشق ، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) .

٧٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث - القاهرة ، ط١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .

٧٣- منادمة الأطلال : عبد القادر بدران ، المكتب الإسلامي ، ط٢ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

٧٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت : ٥٩٧هـ) ، تحـ : محمد عبد القادر عطا ، و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت .

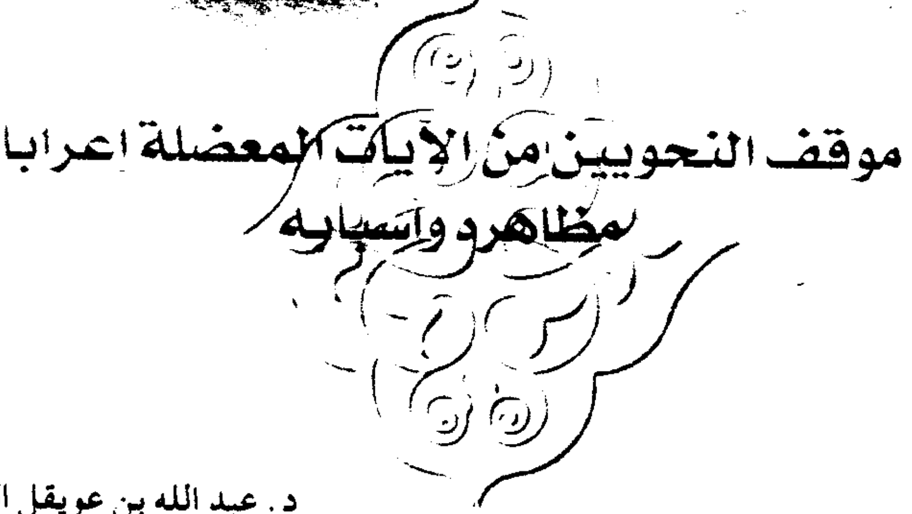
٧٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذّهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، تحـ : علي محمد البجّاوي ، دار المعرفة - بيروت ، (١٣٨٢هـ-١٩٦٣م) .

- ن -

٧٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت : ٨٧٤هـ) ، مصورة عن طبعة دار الكتب - مصر .

٧٧- النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، محمد بن محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ) ، تصحيح علي محمد الضبّاع ، دار الفكر ، د.ت. .

٧٨- نكت الهميان : الصّفدي ، خليل بن أيبك (ت : ٧٦٤هـ) ، مصر ، (١٩١١هـ) .



موقف النحويين من الآيات المعضلة إعرابا مظاهره وأسبابه

د . عبد الله بن عويقل السلمي*

التعريف بالبحث :

يتناول هذا البحث محاولات النحاة الجادة لتوجيه الآيات المعضلة إعراباً ، ويظهر موقفهم منها ، ويشخص حقيقة مهمة وهي أن ما يدعيه بعض النحويين من صرامة اللغة في بعض القواعد تنقضه هذه الآيات التي تظهر اضطرابهم وتدفعهم إلى التكلف والتمحل ، بل التشكيك في القراءة أو القارئ .

كما يحاول البحث استجلاء الأسباب التي أدت إلى ذلك الموقف .

وهو في النهاية يصل إلى نتيجة مؤداها أن القرآن ينبغي أن يجعل أصلاً لصياغة القاعدة لا أن تصاغ بمعزل عنه . كما يدعو البحث إلى إعادة دراسة عدد من قضايا النحو القرآني وتراكيبه دراسة تبعده عن منطقية العرض وفلسفة الصناعة ، لتُدرك خصائصه ، وليُجعل أساساً للتقعيد ومحوراً تدور حوله الدراسة النحوية وتصدر عنه ، مقدماً على كل مصدر من مصادرها الأخرى .

والله الموفق لكل خير .

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة الملك عبد العزيز بجدة . ولد بمكة المكرمة - محافظة الكامل سنة (١٩٦٣م) ، وحصل على درجة الدكتوراه من القسم المذكور سنة (١٩٩٦م) بمرتبة الشرف الأولى ، وكانت رسالته " العقود الجوهرية في حل مشكل الأزهرية : دراسة وتحقيقاً " .

المقدمة

اللغة العربية أكثر اللغات بلاغة و فصاحة ، وأجملها لفظاً وأغزرها بالمعاني الأخاذة الدقيقة والصور الجميلة الرقيقة ، وهي في ذات الوقت مليئة بالمباني القوية المحكمة ، ولهذا اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون لساناً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وجماعاً للقرآن الكريم المعجز الخالد على مر الزمان ، وفي ذلك أمارة واضحة على ما لها من منزلة وما فيها من قابليات لا توجد في سواها من اللغات .

وفي اللغة من اتساع فروع النحو وأصوله ومن وفرة مسائله وكثرة مباحثه ما يدهش العقل المستنير ، ويدق إدراكه على أصحاب البصر الحاد والبصيرة النيرة .

ولقد كان القرآن ولا يزال محط أنظار الدارسين ، ومناط بحثهم في كل زمان ومكان ، فهو معين ثر لكل العلوم والمعارف لا ينضب ، يتناول المعاني الدقيقة ، ويطاوع في شكل مدهش على تقلب الأساليب ، ويساعد في تنويع الأعاريب وتلوين التراكيب ، قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (١) . فقد وصفه بالإبانة ومن مستلزماتها أن كل حرف أو كلمة أو حركة فيه تناسب موقعها وتوافق القصد منها ، سواء أدركه المشتغلون بتفسيره وإعرابه أم لم يدركوه . والنحاة من العلماء الذين كانت لهم إسهامات تعد - وبحق - مظهراً من مظاهر الجهد النحوي بالقرآن الكريم تستحق الشكر ، إلا أنهم وقفوا أمام بعض آياته حيارى ، وقصرت صنعتهم النحوية عن أن تلم بما في تلك الآيات من إعرابات ، فطفقوا يوجهونها بتوجيهات لا تقف أمام النظر الدقيق ، بل تصل أحياناً إلى حد التشكيك في ضبط الآية التي أجمع القراء عليها ، وما ذلك إلا لأنها لم تطاوع في الاستجابة لقواعدهم ، ولم تنسق مع مقاييسهم .

والباحث المتأمل في صنيع النحاة أمام بعض الآيات يقف مبهوراً لما يرى من وجوه

---

(١) سورة الشعراء : ١٩٣-١٩٥ .

عديدة للتأويلات والتخريجات النحوية التي تقتضيها الصناعة ولكنها لا تصل إلى نتيجة قاطعة ، مما دفعهم أحياناً إلى الشعور بالحاجة إلى رد القراءة ، أو تخطئة الرواية ، أو تشذيذ الآية ، أو إخراجها عن المراد منها ، بل والاستعانة أحياناً أخرى بشعر العرب لدعم تلك التخريجات والاحتجاج به لتقويتها .

وهذا البحث الوجيز يوضح - بقدر- مظاهر محاولات النحاة الجادة في توجيه الآيات المعضلة إعراباً لمخالفتها ظاهر الصنعة النحوية ، ويحاول استجلاء الأسباب التي أدت إلى تلك المظاهر ، راغباً في الوصول إلى حقيقة مهمة أرى أنه لابد من الاعتراف بها ، وهي أن ما يدعيه بعض النحويين من صرامة اللغة في بعض القواعد تنقضه هذه الآيات والقراءات التي أظهرت اضطرابهم أمام توجيهها « ودفعتهم إلى التكلف الذي تشم منها رائحة جور الصناعة الإعرابية على المعاني القرآنية ، حتى أضحى يرد بعضهم قول بعض ، وينكر كل منهم على صاحبه ما في قوله من ضعف وما يلزم منه من إشكال »[(١)] .

ومن هنا فقد تناول البحث أمرين اثنين :

أولهما : إبراز مظاهر موقف النحويين في التعامل مع الآيات المخالفة لقواعدهم ، وقد جاء على النحو الآتي :

١- الحكم على القراءة باللحن أو الشذوذ أو عدم الجواز .

٢- التشكيك في القارئ أو القراءة .

٣- التكلف في توجيه الآية بعيداً عن المعنى المراد منها .

٤- رد بعضهم قول بعض وإنكارهم على بعض .

٥- توجيهها توجيهاً طريفاً فيه دعابة بعيداً عن القواعد النحوية .

٦- توجيهها بما يعارض القياس أو يخالفه .

٧- توجيهها بتوجيه لا ينطبق على نظائرها من الكلام الآخر .

(١) تأويل ثلاث آيات متشابهات صـ ٥٢ ، ٥٣ .

ثانيهما : الأسباب التي أدت إلى موقف النحويين هذا :

وقد اكتفيت بنماذج قرآنية مما جاء بقراءات سبعية لأدلل على ما أقول ، متجنباً التطرق للقراءات الشاذة أو المتواترة لغير السبعة ، متوخياً اختيار بعض الآيات التي تشكل الأعاريب فيها صورة للأنماط النحوية الدقيقة ، وتظهر بجلاء ما وصلت إليه قضايا النحو من قدرة مدهشة ، وما بلغه علماؤه من شأوٍ تفكيري رفيع ، كما تبين مقدرتهم الفائقة على التوجيه والتحليل والإحاطة بالاحتمالات . سائلاً الله أن يؤدي هذا العمل الغرض المراد منه ويحقق الهدف وينفع به كاتبه وقارئه .



أولاً : مظاهر موقف النحويين من الآيات المعضلة إعراباً

عندما قامت القواعد النحوية على ساقها واجهت عدداً من النصوص القرآنية وغيرها ، مضادة لها حيناً ومخالفة لما حوته أحياناً مما ولد لدى بعض النحاة موقفاً مضطرباً في التعامل معها ما بين مَنْ يحكم بشذوذ ذلك أو يرده أو يقلل منه أو يتمحل في توجيهه بغية عدم المساس بتلك القواعد .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة مخالفة لأصل القاعدة ، وليس من المستساغ أن يحكم عليها بالشذوذ ، أو يلجأ في توجيهها إلى التكلف الذي يمجه الذوق وتأباه طبيعة اللغة ، وسنجليه فيما يأتي :

١- رد القراءة المخالفة للقاعدة بالحكم عليها باللحن أو عدم الجواز أو الشذوذ :

وهي أحكام جائرة - دون شك - في حق قراءة سبعية ثبتت بالتواتر ، ولها من كلام العرب نظائر ، مثال ذلك : قال تعالى : ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [١] .

قرأ ﴿ أَئِمَّةَ ﴾ بهمزتين ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي [٢] . ويقرر النحاة قاعدة صرفية وهي : إذا التقى همزتان في كلمة واحدة الثانية محركة بالكسر وجب إبدال الثانية ياء [٣] .

والآية تخالف القاعدة ، فما كان من النحاة إلا ردها أو الإعراض عنها ، فسيبويه لم يذكر الآية ، بل عزى تحقيق الهمزتين لبعض العرب ثم حكم عليه ، قال : « وزعموا أن ابن أبي إسحاق كان يحقق الهمزتين وأناسٌ معه ، وقد تكلم ببعضه العرب وهو رديء » [٤] ، أما من ولّى وجهه شطر الآية فمنهم الزجاج الذي قال عنها : « فأما ﴿ أَئِمَّةَ ﴾ باجتماع الهمزتين

---

(١) سورة التوبة : ١٢ .
(٢) انظر السبعة في القراءات صـ ٣١٢ ، حجة القراءات صـ ٣١٥ ، الكشف عن وجوه القراءات (٤٩٨/١) ، النشر (٣٧٨/١) .
(٣) الممتع صـ ٢٥١ .
(٤) الكتاب (٤٤٣/٤) .

فليس من مذاهب أصحابنا .. وليس ذلك عندي جائزاً »[١] ، وقال النحاس : « فأكثر النحويين يذهب إلى أن هذا لحن لا يجوز؛ لأنه جمع بين همزتين في كلمة واحدة »[٢] ، ويقول ابن جني : « ومن شاذ الهمز عندنا قراءة الكسائي ﴿ أَئِمَّةَ ﴾ بالتحقيق فيهما »[٣]، وقال عنها مكي ابن أبي طالب : « فهو خارج عن الأصول محمول على شبه لفظه بلفظ (أ إذا) ، فالقراءة بالتحقيق في ﴿ أَئِمَّةَ ﴾ فيها من الضعف ما ذكرت لك »[٤] ، وقال القرطبي : « وقرأ حمزة ﴿ أَئِمَّةَ ﴾ وأكثر النحويين يذهب إلى أن هذا لحن »[٥] ، فهذه القراءة السبعية التي قرأ بها أفصح القراء كابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي جاءت على الرديء من كلام العرب كما هو عند سيبويه ، وغير الجائز - كما يرى الزجاج - ، وهي لحن - كما يقول النحاس - ، وشاذ كما يصرح ابن جني ، وخارج عن الأصول وضعيفة عند مكي القيسي .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء من امتهان لقول الفقهاء في توجيه قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾[٦]

في قراءة ﴿ وَأَرۡجُلَكُمۡ ﴾ بالنصب عند أكثر القراء السبعة[٧] . فقد وجهها العلماء على أن ﴿ وَأَرۡجُلَكُمۡ ﴾ معطوف على الوجوه والأيدي ، وذلك لأن الفقهاء مجمعون على وجوب غسل الأرجل[٨] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/٤٣٥) .

(٢) إعراب القرآن (٢/٢٠٥) .

(٣) انظر الخصائص (٣/١٤٣) ، سر صناعة الإعراب (١/١٧٢) .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٤٩٨ ، ٤٩٩) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٨/٥٥) .

(٦) سورة المائدة : ٦ .

(٧) هي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص ، انظر السبعة في القراءات صـ ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، حجة القراءات صـ ٢٢١ .

(٨) انظر المغني لابن قدامة (١/١٢٥) ، فتاوى ابن تيمية (٢١/١٢٢ ، ١٢٧) .

وهذا التوجيه رده النحاة بأنه لا يجوز إلا في الكلام الهجين المعقد ، والمزيج المختلط دون العربي المبين [١] . وعللوا ذلك بوجود الفصل بين المتعاطفين بجملة منشئة حكماً جديداً [٢] .
ثم وجهوها على أنها معطوفة على محل الجار والمجرور ، أي على محل ﴿ بِرُءُوسِكُم ﴾ ؛ لأن محله النصب على أنه مفعول به لـ ﴿ ٱمْسَحُواْ ﴾ . وجلي أن هذا يجعل الأرجل أقرب للمسح ، وهذا ما دفع الكسائي إلى جعل ﴿ أَرْجُلَكُم ﴾ منصوبة بفعل مقدر مكرر أي « واغسلوا أرجلكم » [٣] . وهذا يؤدي إلى اضطراب في الأسلوب وتكرار للفعل بلا داعٍ .

٢- التشكيك في القارئ وفي صحة القراءة على الرغم من ثبوتها :

من مظاهر موقفهم لجوءهم أحياناً إلى تخطئة القارئ أو اتهامه بالغفلة أو الحكم على القراءة بأنها واهية ، ويتجلى هذا المظهر من خلال توجيههم لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ [٤] .

وهذه قراءة جمهور السبعة ، وهي المرسومة في المصحف [٥] . وتوجه في الإعراب على أن ﴿ زَيَّنَ ﴾ فعل مبني للمعلوم ، و﴿ قَتْلَ ﴾ مفعول به له ، و﴿ أَوْلَٰدِهِمْ ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله ، و﴿ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ فاعل له [٦] .

وقرأ ابن عامر [٧] : « وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قَتْلُ أولادَهم شركائهم »

---

(١) انظر باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (١/٤١٣) ، الدر المصون (٤/٢١٠) .

(٢) انظر الدر المصون (٤/٢١٠) .

(٣) انظر باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (١/٤١٤) .

(٤) سورة الأنعام : ١٣٧ .

(٥) انظر السبعة صـ ٢٧٠ ، الكشف عن وجوه القراءات (١/٤٥٤) ، حجة القراءات (٢٧٣) ، إعراب القرآن وعلل القراءات (١/٤٥٤) ، البحر المحيط (٤/٢٢٩) .

(٦) انظر حجة القراءات صـ ٢٧٣ ، التبيان في إعراب القرآن (١/٥٤١) ، البحر المحيط (٤/٢٢٩) .

(٧) انظر السبعة صـ ٢٧٠ ، معاني القرآن للفراء (١/٣٥٧) ، حجة القراءات صـ ٢٧٣ ، البحر المحيط (٤/٢٢٩) .

والفعل فيها مبني للمجهول ، و (قتلُ) نائب فاعل ، و(أولادَهم) مفعول به للمصدر (قتلُ) و(شركائهم) مضاف إليه من إضافة المصدر إلى فاعله [١] .

والنحويون يسوقون هذه القراءة السبعية [قراءة ابن عامر] عند حديثهم عن الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وقد أوقعت النحاة في حيص بيص مما اضطرهم إلى ردها ، قال مكي بن أبي طالب : « وهذه القراءة فيها ضعف ، للتفريق بين المضاف والمضاف إليه » [٢] .

وقال النحاس : « فأما ما حكاه أبو عبيد عن ابن عامر وأهل الشام فلا يجوز في كلام ولا شعر ، وإنما أجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف إليه في الشعر بالظرف لأنه لا يفصل ، فأما بالأسماء غير الظروف فلحن » [٣] .

وقال أبو البركات الأنباري : « والبصريون يذهبون إلى وَهْي هذه القراءة ، ووهم القارئ ، إذ لو كانت صحيحة لكان ذلك من أفصح الكلام ، وفي وقوع الإجماع على خلافه دليل على وَهْي القراءة ، وإنما دعا ابن عامر إلى هذه القراءة أنه رأى في مصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوباً بالياء » [٤] .

وقال صدر الأفاضل : « وقراءة ابن عامر مردودة » [٥] .

إذن هذه القراءة واهية والقارئ بها واهم أو هي لحن أو مردودة . وهي في حقيقتها قراءة سبعية متواترة السند ، والقارئ بها عربي فصيح صريح هو ابن عامر الذي أخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب – كما قال أبو حيان – [٦] .

والذي يمكن قوله إن النحاة حكموا على هذه القراءة بأنها واهية أو أن قارئها واهم

---

(١) وهذا ما منعه النحويون كما سيأتي ، وانظر الإنصاف (٤٣٦/٢) .
(٢) الكشف عن وجوه القراءات (٤٥٤/١) .
(٣) إعراب القرآن (٥٨٣/١) .
(٤) الإنصاف (٤٣٦/٢) .
(٥) ترشيح العلل صـ ٢٤٠ .
(٦) البحر المحيط (٢٢٩/٤) .

استجابة لأقيستهم التي تمنع الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وحجتهم أنها ضعيفة في الشعر فكيف بها في كلام الله سبحانه !!

ولي أن أسأل : من الذي ضعفها في الشعر ؟ ولماذا يحمل القرآن على الشعر ؟ أليس من الإنصاف أن كل شعر جاء على هذه القراءة يعد فصيحاً صحيحاً ؟

ومما يذكره المعربون من آثار حول التشكيك في رواية القراءة ورسم المصحف ما يتداولونه في كتبهم عند حديثهم عن الآيات المعضلة من أثر يروى عن عائشة وآخر يروى عن أبان بن عثمان .

أما الأول فقد سُئلت عائشة عن قوله : ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [(١)] ، وعن قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ [(٢)] ، وعن قوله : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ [(٣)] .

قالت : يا ابن أختي : هذا عمل الكاتب . أخطأوا في الكتاب .

أما الثاني فرُوي عن أبان بن عثمان بن عفان أنه سئل ما شأن : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [(٤)] . قال : إن الكاتب لما كتب ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ ... ﴾ حتى إذا بلغ ﴿ مِن قَبْلِكَ ﴾ قال : ما أكتب ؟ قيل : اكتب ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ؛ فكتب ما قيل له [(٥)] .

وقد اعتد ابن قتيبة بهذين الأثرين وجعلهما وجهاً من وجوه توجيه الآيات المعضلة فقال : « وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب النحويين فليس هاهنا

---

(١) سورة النساء : ١٦٢ .

(٢) سورة المائدة : ٦٩ .

(٣) سورة طه : ٦٣ .

(٤) سورة النساء : ١٦٢ .

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/٢٤٨ ، ٢٤٩) ، جامع البيان (٩/٣٩٧ ، ٣٩٨) .

لحن بحمد الله ، وإن كان خطأ في الكتابة فليس على رسوله جناية الكاتب في الخط »[١] .

وهذا الخبر المروي عن عائشة وأبان أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه « فضائل القرآن »[٢] . وحكم عليه محقق الكتاب بأن إسناده ضعيف ، وهو مردود سنداً ومتناً[٣] .

واستبعد هذا القول الرازي فقال : « يبعد هذا القول؛ لأن المصحف منقول بالتواتر فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه ؟ »[٤] . وقال الطبري : « لو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف »[٥] . وأجمل ما قيل في هذين الأثرين ما ورد عن الشيخ ابن تيمية حيث قال : « وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه : **أحدها** : أن الصحابة ﷺ كانوا يسارعون إلى إنكار المنكرات فكيف يقرون اللحن في القرآن ؟ **الثاني** : أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف ؟ **الثالث** : أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه غير مستقيم ؛ لوقوف العربي والعجمي عليه ، **الرابع** : أنه قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ بالهاء على لغة الأنصار فمنعوه من ذلك ورفعوا أمره إلى عثمان ، وأمرهم أن يكتبوه بالتاء ... »[٦] . ولم يتمسك المعربون به إلا لأن فيه مخرجاً لعدم مطابقة بعض الآيات لمقتضى القواعد .

٣- التكلف في توجيه الآيات والتمحل في تخريجها مما يخرجها عن المعنى المراد منها :

من ذلك ما جاء في توجيههم لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠ ﴾[٧] .

---

(١) تأويل مشكل القرآن صـ ٥٧ .

(٢) في صـ ٢٢٩ كما في هامش كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القران (٤٠٠/١) .

(٣) انظر باهر البرهان (٤٠٠/١) هامش (١) .

(٤) التفسير الكبير (٨/١١) .

(٥) جامع البيان (٣٩٧/٩ ، ٣٩٨) .

(٦) انظر الفتاوى الكبرى (٢٤٨/١٥ ، ٢٤٩) .

(٧) سورة يوسف : ٩١ .

قرأ ابن كثير من السبعة بثبوت الياء في ﴿ يتقي ﴾ [(١)] ، وأشكلت هذه القراءة؛ لأن القاعدة تقتضي حذف حرف العلة من ﴿ يتقي ﴾ ؛ فوجه النحويون عدم حذف الياء بأن ﴿ مَن ﴾ ليست شرطية وإنما اسم موصول بمعنى الذي ، و﴿ يتقي ﴾ فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم؛ ونظراً لمشابهة الاسم الموصول لاسم الشرط في العموم والإبهام دخلت الفاء [(٢)] ، وهناك توجيهات أخرى حكموا عليها في النهاية بأنها لا تأتي إلا في الشعر كما صرح بذلك مكي بن أبي طالب [(٣)] .

أما ﴿ يَصْبِر ﴾ فعلى التوجيه السابق في ﴿ يتقي ﴾ مع قراءة ابن كثير أصبح مشكلاً ، فسكونه لا يتناسب مع توجيه ثبوت الياء ؛ لأنه معطوف على مرفوع فلماذا يسكن ؟

لهذا وجهت بأن الضمة حذفت من آخر الفعل لئلا تتوالى أربع حركات هي الكسرة والضمة وحركتا الفاء والهمزة في ﴿ فَإِنَّ ﴾ لما في ذلك من الثقل الذي لا يتخلص منه إلا بالسكون [(٤)] .

والتوجيه بأن (يصبر) سكن لأجل التوالي يخالف ما في القرآن حيث توالت ثمان حركات في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [(٥)] .

وإذا كان التوالي يوجب السكون فلم لا يسكن هنا ؟ إن الذي يمكن أن أقوله إن النحاة لم يجدوا علة وجيهة إلا ما ذكروا ، والذي يظهر أن التوالي ليس مدعاة للتقل ، وعدم معرفتهم تخريج القراءة عائد لكون اللغة من حيث هي لغة لا تخضع لتعليل النحويين دوماً لما فيه من تكلف وإصرار على تطويعها لقواعد غير معيارية قد تكون مبنية على استقراء غير تام .

ومما يجلي التوجيهات المتكلفة عند النحاة ما أداروا من توجيهات في قوله تعالى :

---

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات (٢/١٨) ، التبيان في إعراب القرآن (٢/٧٤٤) ، النشر (٢/٢٨٥) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات (٢/١٨) ، التبيان في إعراب القرآن (٢/٧٤٤) .

(٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات (٢/١٨) .

(٤) انظر التبيان في إعراب القرآن (٢/٧٤٤) .

(٥) سورة الشورى : ٤٣ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [(١)] .

فقد تعددت وجوه التأويل والتخريج دون الوصول إلى رأي واحد قاطع لأن لفظ ﴿ ٱلصَّـٰبِـُٔون ﴾ جاء مخالفاً لظاهر الصنعة النحوية وبه قرأ السبعة [(٢)] ، مع أن القياس يقتضي النصب بالياء ، لأنه معطوف على اسم ﴿ إِنَّ ﴾ ، وبما أن القول بأن السبعة أجمعوا على القراءة خطأ - غير مقبول - فمخالفة القياس حيرت النحاة ، وجعلت توجيهاتهم تبدو متكلفة متمحلة ، ومن أبرزها :

أ) رأى بعض النحاة ومنهم سيبويه أن ﴿ ٱلصَّـٰبِـُٔون ﴾ محمول على التقديم والتأخير ، فهو مقدم في نية التأخير ، ويكون التقدير : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك ، ويكون حينئذٍ مبتدأ محذوف الخبر [(٣)] . واستشهدوا لهذا التوجيه بقول بشر بن أبي خازم :

و إلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق [(٤)]

والتقدير : فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك [(٥)] .

ب) أن ﴿ ٱلصَّـٰبِـُٔون ﴾ معطوف على موضع ﴿ إِنَّ ﴾ وما دخلت عليه وهو الرفع [(٦)] .

---

(١) سورة المائدة : ٦٩ .

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن صـ ٥٢ ، الكشاف (١/٦٣١ ، ٦٣٢) ، التبيان في إعراب القرآن (١/٤٥٠) ، البحر المحيط (٣/٥٣١) ، الدر المصون (٤/٣٦٢) .

(٣) انظر الكتاب (٢/١٥٥ ، ١٥٦) ، معاني القرآن للزجاج (٢/١٩٣) وعزاه للخليل وسيبويه ، إعراب القرآن للنحاس (٢/٣١) .

(٤) انظر الديوان صـ ١٦٥ ، الكتاب (٢/١٥٦) ، معاني القرآن للفراء (١/٣١١) .

(٥) انظر الكتاب (٢/١٥٦) ، معاني القرآن للفراء (١/٣١١) ، الكشاف (١/٦٣١) .

(٦) ذكر هذا ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن صـ ٥٢ ، والعكبري في التبيان (١/٤٥١ ، ٤٥٢) ، وقال الباقولي عن هذا : « ولا يجوز أن يدعى فيه أن الرفع محمول على الموضع » إعراب القرآن وعلل القراءات (١/٤١٢) .

ورُدَّ هـذا صناعـة بـأن خـبر ﴿ إِنَّ ﴾ لم يـتـم [١] .

جـ) أن ﴿ ٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ معطوف على فاعل ﴿ هَادُواْ ﴾ وهو قول الكسائي [٢] ، ورُدَّ هـذا لسببين ، أحدهما : أنه يوجب كون الصابئين هوداً ، والثاني : أن الضمير لم يؤكد بمنفصل [٣] .

د) أن ﴿ ٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ رفعت لأن ﴿ إِنَّ ﴾ ضعيفة فلا تؤثر إلا في الاسم دون الخبر و﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ هنا لايتبين فيها الإعراب ، فلزمت حالة واحدة في الرفع والنصب والخفض ، وجـاز رفـع ﴿ ٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ رجوعـاً إلى أصـل الكـلام ، وبهـذا قـال الفـراء [٤] . وضـعفه الزجاج [٥] والسمين الحلبي [٦] .

هـ) أن خبر ﴿ ٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ محذوف من غير أن ينـوى بـه التـأخير ، وضَـعُفَ هـذا؛ لأنه يلزم فيه الحذف والفصل [٧] .

و) أن ﴿ إِنَّ ﴾ بمعنى نعم وما بعدها في موضع رفع [٨] .

ز) أن النون هي حرف الإعراب [٩] .

ح) أن ﴿ ٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ في موضع نصب ، لكنه جاء على لغة بلحارث الذين يلزمون المثنى الألف والجمع الواو دائماً [١٠] .

---

(١) انظر التبيان (١/٤٥٢ ، ٤٥١) .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (١/٣١٢) ، إعراب القرآن للنحاس (٢/٣٢) .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٢/١٩٤) ، التبيـان (١/٤٥١) ، جـامع البيـان (٦/٢٤٦) ، البحـر المحيط (٣/٥٣١) .

(٤) معاني القرآن (١/٣١١ ، ٣١٠) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/١٩٢) .

(٦) الدر المصون (٤/٣٥٨) .

(٧) انظر التبيان في إعراب القرآن (١/٤٥١) .

(٨) انظر مشكل إعراب القرآن (١/٢٣٣) ، التبيان في إعراب القرآن (١/٤٥٢) ، البحر المحيط (٣/٥٣١).

(٩) ذكر هذا العكبري في التبيان في إعراب القرآن (١/٤٥٢) .

(١٠) انظر معـاني القـرآن للفـراء (٢/١٨٤) ، إعـراب القـرآن للنحـاس (٣/٤٥) ، مشـكل إعـراب القرآن (١/٢٣٣) ، التبيان في إعراب القرآن (١/٤٥٢) ، البحر المحيط (٦/٢٥٥) .

وكل الآراء السابقة هي محض تسويغ لما هو أمامهم ، يتجلى فيها التكلف وتظهر آثار الصنعة ، وبخاصة عند من حملوا الآية على التأويل بالحذف ، إذ حاولوا التبرير لقاعدة وضعت دون تدقيق ، وهي قاعدة العطف على اسم ﴿ إنَّ ﴾ بالرفع قبل مجيء الخبر . ومعلوم أن هذه القاعدة للبصريين ، أما الكوفيون فيجيزون ذلك ، وهذا ما نقل عن الكسائي ، ونقل عن الفراء تقييد جواز ذلك بما لم يظهر فيه عمل ﴿ إنَّ ﴾ [(١)] .

٤- رد بعضهم توجيه بعض ، وإنكار بعضهم على بعض :

من ذلك رد مكي بن أبي طالب على الكسائي الذي يرى أن (الصابئون) في آية المائدة - السابقة - معطوف على الضمير المرفوع في (هادوا) ، قال مكي : « وهو غلط؛ لأنه يوجب أن يكون الصابئون والنصارى يهوداً ، وأيضاً فإن العطف على المضمر المرفوع قبل أن يؤكد ، أو يفصل بينهما بما يقوم مقام التأكيد ، قبيح » [(٢)] .

ويتجلى هذا المعلم أكثر في توجيه قوله سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [(٣)] .

قرأ بعضهم ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ بالنصب [(٤)] ، ووجهوه بأنه عطف على الوجوه والأيدي ، وذلك لأن الفقهاء مجمعون على وجوب غسل الأرجل [(٥)] .

وهذا التوجيه رده النحاة بأنه لا يجوز إلا في الكلام الهجين المعقد والمزيج المختلط دون العربي المبين ، وقد تقدم الحديث عن قراءة النصب .

---

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (١/٣١٠ ، ٣١١) ، الإنصاف (١/١٨٥) .

(٣) مشكل إعراب القرآن (١/٢٢٣) .

(٤) سورة المائدة : ٦ .

(٥) هي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص ، انظر السبعة في القراءات صـ ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، حجة القراءات صـ ٢٢١ وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة .

(١) انظر المغني لابن قدامة (١/١٢٥) ، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢١/١٢٢-١٢٧) .

وقرئت ﴿ وأرجلكم ﴾ بالجر [١] ، ووجهت هذه القراءة بأن ﴿ أرجلكم ﴾ جر للمجاورة ، على حد قولهم : « جحر ضب خرب » [٢] ، فهو حينئذ مجرور لفظاً منصوب محلاً ؛ لأنه معطوف في المعنى على ﴿ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ المنصوبين ، وذلك على اعتبار أن الثلاثة – الوجوه والأيدي والأرجل – من المغسولات .

وأنكر النحاس هذا التوجيه ، وشنع على من قال به ، فقال : « وهذا القول غلط عظيم؛ لأن الجوار لا يجوز في الكلام أن يقاس عليه ، وإنما هو غلط ونظيره الإقواء » [٣] ، وقال مكي بن أبي طالب : « وهو بعيد لا يحمل القرآن عليه » [٤] .

وقال بعض المحققين منكراً دليل المجاورة الذي يحتج به بعض النحاة ويوجهون به بعض القراءات : « هذا جحر ضب خرب » جملة أولع بها قدماء النحاة ومن بعدهم ، ولا حجة فيها من وجهين :

– الأول : أن قائلها – إن وجد – مجهول .

– الثاني : أن الوقوف على الكلمة الأخيرة بالسكون مثار تساؤل ، إذ العربي لا يقف على متحرك ، فمن أين علموا أن قائلها جر كلمة « خرب » ؟ هذا والجر على الجوار ضعيف جداً ، لم يرد بطريق موثوق إلا في الضرورة الشعرية بندرة ، والضرورات لا يحتج بها » [٥] .

وقال أبو حيان عن توجيه الجر بالمجاورة : « هو تأويل ضعيف جداً ولم يرد إلا في

---

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي جعفر وأبي عمرو وحمزة ، انظر السبعة في القراءات صـ ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، حجة القراءات صـ ٢٢٣ ، النشر (٢/٢٥٤) .

(٢) ممن وجه بذلك الأخفش في معانيه (٢/٤٦٦) ، وأبو زرعة في حجة القراءات صـ ٢٢٣ ، والباقولي في إعراب القرآن وعلل القراءات (١/٣٩٩) .

(٣) إعراب القرآن (١/٤٨٥) .

(٤) مشكل إعراب القرآن (١/٢٢٠) .

(٥) انظر حجة القراءات صـ ٢٢٣ هامش (١) .

النعت حيث لا يلبس على خلاف فيه »[١] .

ووجهها آخرون بأن الجر في ﴿ أرجلكم ﴾ على تقدير فعل محذوف يتعدى بالباء ، أي : افعلوا بأرجلكم الغسل ، ثم حذف الفعل وحرف الجر[٢] .

وأنكره أبو حيان فقال : « وهذا تأويل في غاية الضعف »[٣] .

٥- توجيه الآية توجيهاً طريفاً فيه دعابة بعيداً عن القواعد النحوية :

حينما يحار النحاة المعربون في توجيه قراءة صحيحة يلجأون إلى توجيهها بعيداً عن العلة الدقيقة للظاهرة النحوية التي أبرزتها تلك القراءة ، من ذلك ما جاء من توجيه لقراءة الجر في آية المائدة التي تحدثت عنها في الفقرة السابقة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ بالجر ، حيث وجهها بعضهم بأن الجر جاء لسبب اقتصادي ، قال الزمخشري : « إن الأرجل لما كانت مظنة الإسراف المذموم المنهي عنه عطفت على الثالث الممسوح لا للتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها »[٤] ومثله فعل أبو حيان في بعض التوجيهات[٥] .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[٦] جاء توجيه أقرب إلى الطرافة والفكاهة ، وهو بكل تأكيد يرسم صورة للعجز عن وجود توجيه مقنع يطابق قواعد النحو ومقاييس النحويين ، فقد ذكروا أن أبا العباس البناء المتوفى سنة (٧٢١ هـ) سئل عن هذه القراءة : لِمَ لم تعمل ﴿ إنّ ﴾ نصب الاسم ورفع الخبر فيها؟ فأجاب بأنه لما لم يؤثر القول في المقول لهم – وهم فرعون وسحرته – لم يؤثر العامل في المعمول ، فقال له السائل : هذا لا ينهض جواباً فإنه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل ﴿ إنّ ﴾ ، فقال له : إن هذا الجواب نَوّارة

---

(١) البحر المحيط (٣/٤٣٧) .
(٢) البحر المحيط (٣/٤٣٧) .
(٣) المصدر السابق (٣/٤٣٧) .
(٤) الكشاف (١/٥٩٧) .
(٥) البحر المحيط (٣/٤٣٨) .
(٦) سورة طه : ٦٣ . وستأتي توجيهات وقراءات متعددة في الآية لاحقاً .

لا تحتمل أن تحك بين الأكف [١] أي لا يحمل نقداً ، وهو طرفة ودعابة .

٦- توجيهها بما يخالف القياس النحوي أو يعارضه :

من المعالم الواضحة في صنيع النحاة حينما يوجهون بعض آيات القرآن التي تشكل عليهم إعرابياً تخريجهم لها بما يخالف ما صاغوه من أقيسة وما صنعوه من قواعد .

ومن أمثلة ما وجهه النحاة بما يخالف القياس قوله سبحانه : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ [٢] .

فقد قرأ حمزة والكسائي ﴿ يبلغانّ ﴾ [٣] . فأعربها النحاة على أن الألف فاعل و﴿ أَحَدُهُمَآ ﴾ بدل بعض ، و﴿ كِلَاهُمَا ﴾ معطوف عليه [٤] .

وهذا الإعراب يخالف قاعدة نحوية مشهورة وهي عدم جواز الفصل بين البدل والمبدل منه بأجنبي .

ولو خرجت على أن الألف علامة للتثنية و﴿ أَحَدُهُمَآ ﴾ فاعل أصبحت محمولة على لغة مستكرهة أو ضعيفة عند النحاة وهي لغة « أكلوني البراغيث » ، ثم إن هذه اللغة تجوز إذا كان الفاعل بصيغة التثنية ، وهنا كلمة ﴿ أَحَدُهُمَآ ﴾ مفردة لفظاً ومعنى ، فكيف تجعل الألف علامة للمفرد ؟ [٥] .

وتجلى توجيههم القراءة بما يخالف القياس عند توجيههم القراءات الواردة في قوله

---

(١) انظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٧/١٨٨-١٨٩) ، ونقله عبدالكريم الأسعد في مقالات منتخبة صـ ١٥٦ .

(٢) سورة الإسراء : ٢٣ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/١٢٠) ، الكشف عن وجوه القراءات (٢/٤٣) ، حجة القراءات صـ ٣٩٩ ، التبيان في إعراب القرآن (٢/٨١٧) .

(٤) انظر التبيان (٢/٨١٧) ، البحر المحيط (٦/٢٦) .

(٥) انظر الكشف عن وجوه القراءات (٢/٤٣) ، الكشاف (٢/٤٤) ، البحر المحيط (٦/٢٦) ، الحاشية العصرية على شرح شذور الذهب (١/١٣٨) .

تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ [١] .

فقد قرأ ابن كثير وحفص بتخفيف ﴿ إِنْ ﴾ [٢] . وقد وجهها بعض النحاة على أن ﴿ إِنْ ﴾ بمعنى « ما » النافية واللام في خبرها بمعنى « إلا » ، والتقدير : ما هذان إلا ساحران ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ [٣] .

أي : إلا فاسقين[٤] . ورد هذا الزجاجي لمخالفته فقال : « وهذا غلط ؛ لأن اللام للإيجاب والتحقيق و « ما » للنفي ، فلا يجوز اجتماعهما في حال ، فيكون الكلام محققاً منفياً » [٥] .

ووجهت قراءة ﴿ إنّ هذان لساحران ﴾ بتشديد ﴿ إنّ ﴾ والألف في ﴿ لساحران ﴾ [٦] . فقد وجهت بجملة توجيهات منها : أن ﴿ إنّ ﴾ حرف جواب بمعنى « نعم » وهو لا يعمل كما أن « نعم » كذلك [٧] ، قال بهذا المبرد [٨] ، والزجاج [٩] ، ولكن رده ابن الحاجب بأنه لم يثبت إلا شاذاً [١٠] .

---

(١) سورة طه : ٦٣ .

(٢) انظر السبعة في القراءات صـ ٤١٩ ، القراءات وعلل النحويين فيها (٣٨٦/١) ، الكشف (٩٩/٢) ، الكشاف (٥٤٣/٢) ، البحر المحيط (٢٥٥/٦) ، النشر في القراءات العشر (٣٢٠/٢) ، وقد تقدم معنا بعض القراءات فيها .

(٣) سورة الأعراف : ١٠٢ .

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٦١/٣) ، باهر البرهان (٩١٠/٢) ، البحر المحيط (٢٥٥/٦) .

(٥) اللامات لأبي القاسم الزجاجي صـ ١١٩ .

(٦) انظر السبعة صـ ٤١٩ ، القراءات وعلل النحويين فيها (٣٨٦/١) ، حجة القراءات صـ ٤٥٤ ، النشر (٣٢١/٢) ، الإتحاف صـ ٢٠٤ .

(٧) هذا محل خلاف بين النحاة ، فعزي لسيبويه والأخفش جوازه ، وصححه ابن عصفور وأنكره أبو عبيدة . انظر المغني (٣٧/١) ، همع الهوامع (١٨٠/٢) .

(٨) المقتضب (٣٦٤/٢) .

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٣٦٣/٣) .

(١٠) الأمالي النحوية (٦٢/١) .

وقيل : إن الأصل « إنه هذان » على أن اسم ﴿ إنّ ﴾ ضمير الشأن محذوف والجملة بعده في محل رفع خبر [(١)] . ولكن رد هذا والذي قبله لمخالفته القياس ، قال ابن الحاجب : « لام الابتداء لا تدخل على الخبر مع كونها مبتدأ ... ولأن حذف ضمير الشأن المذكور لم يثبت إلا شاذاً في مثل قولهم : إن من يدخل الكنيسة يوماً ... [(٢)] وعلى ثبوته فهو ضعيف » [(٣)] .

ورد الغزنوي التوجيهين السابقين بقوله : « إلا أن التعسف في القولين ظاهر ؛ لأن لام التوكيد تختص بخبر (إن) ... » [(٤)] .

ومما وجهت به بعض الآيات المشكلة توجيهاً مخالفاً للقياس توجيههم لقوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [(٥)] . فقد وجهها بعضهم بتوجيهات كثيرة منها :

- أن ﴿ ٱلْمُقِيمِينَ ﴾ منصوب على المدح ، والتقدير : وأمدح المقيمين ، وهو مذهب سيبويه والبصريين [(٦)] ، وقال به ابن قتيبة وعزاه للكسائي [(٧)] ، ورجحه الزجاج [(٨)] والنحاس [(٩)] والعكبري [(١٠)] والرازي [(١١)] .

وردّ هذا القول لأنه تخريج على ما يخالف القياس من أنه لا يجوز القطع والنصب

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٦٣) ، حجة القراءات صـ ٤٥٥ .
(٢) صدر بيت عجزه : يلق فيها جآذراً وظباء ... والبيت للأخطل في شرح شواهد المغني (١/٤٥) ، الدر (١/١١٥) ، وليس في ديوانه .
(٣) الأمالي النحوية (١/٦٢) .
(٤) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٢/٩١٢) .
(٥) سورة النساء : ١٦٢ .
(٦) انظر الكتاب (٢/٦٢-٦٤) ، الأصول (٢/٧٩) .
(٧) تأويل مشكل القرآن صـ ٥٣ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه (٢/١٣١ ، ١٣٢) .
(٩) إعراب القرآن (٢/٢٣٨) .
(١٠) التبيان في إعراب القرآن (١/٤٠٧ ، ٤٠٨) .
(١١) التفسير الكبير (١١/١٠٨) .

على المدح إلا بعد تمام الخبر [١] . قال الطبري : « وإنما تنصب العرب على المدح من نَعْتِ من ذكرته بعد تمام خبره ، قالوا : وخبر ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، فغير جائز نصب ﴿ ٱلْمُقِيمِينَ ﴾ على المدح ، وهو في وسط الكلام ولما يتم خبر الابتداء » [٢] .

ومن التوجيهات في الآية التي خالفت قاعدة نحوية مقررة :

- أن ﴿ ٱلْمُقِيمِينَ ﴾ معطوف على الكاف في ﴿ قَبْلِكَ ﴾ والتقدير : ومن قبل المقيمين الصلاة ، فحذف « قبل » وأقيم المضاف إليه مقامه [٣] .

- أو أن ﴿ ٱلْمُقِيمِينَ ﴾ معطوف على الكاف في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ويكون التقدير : « إليك وإلى المقيمين » [٤] .

- أو أن ﴿ ٱلْمُقِيمِينَ ﴾ معطوف على الهاء والميم في ﴿ مِنْهُمْ ﴾ ، والمعنى : لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك [٥] .

وكل الأوجه الثلاثة السابقة هي بحث عن توجيه مطابق للقياس النحوي لكنها أدت إلى ما يخالفه ، حيث قال العلماء فيها : إنها لا تجوز لأنها تؤدي إلى عطف الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة حرف الجر [٦] .

ولهذا قال الزجاج : « وهذا عند النحويين رديء ؛ لأنه لا يعطف بالظاهر المجرور

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (١٠٧/١) وعزاه للكسائي ، وعزاه الشوكاني في فتح القدير (٥٣٧/١) للمبرد ، وذكر أن هو الذي ضعف النصب على المدح ، وفي الكامل (٣٨/٣) ما يخالف التضعيف من القول بالنصب على المدح .

(٢) جامع البيان (٣٩٦/٩ ، ٣٩٧) ، وانظر الدر المصون (١٥٥/٤) .

(٣) انظر التبيان في إعراب القرآن (٤٠٧/١) ، الدر المصون (١٥٥/٤) .

(٤) انظر تأويل مشكل القرآن صـ ٥٣ ، معاني القرآن وإعرابه (١٣٠/٢) ، الدر المصون (١٥٤/٤) .

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه (١٣١/٢) ، التبيان في إعراب القرآن (٤٠٧/١) .

(٦) انظر الكتاب (٢٨١/٢ ، ٢٨٢) ، الأصول (٧٩/٢) ، معاني القرآن وإعرابه (١٣١/٢) ، وأجاز ذلك الكوفيون انظر الإنصاف (٤٦٦/٢) ، أوضح المسالك (٦١/٣) ، شرح الأشموني (١١٤/٣ ، ١١٥) .

على الضمير المجرور إلا في الشعر »[١] ، وقال الطبري : « هو منكر عند العرب »[٢] .

وأكثر المعربين يرجحون في هذه الآية النصب على المدح كما ذهب إلى ذلك سيبويه كما تقدم ، ويعللون بأن هذا الباب واسع وله ما يعضده من الشعر ويستشهدون بقول الشاعر :

لا يبعدن قومي الذين همُ — سمُّ العداة وآفة الجزر
النـازلـين بكل معتــرك — والطيبون معاقد الأزر [٣]

وبقول الآخر :

وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم — إلا نميراً أطاعت أمر غاويها
الظـاعنين ولمـا يظعنوا أحـداً — والقائلـون لمن دار نخليها [٤]

لكن الذي أميل إليه أن ﴿ ٱلْمُقِيمِينَ ﴾ معطوفة على ضمير مجرور ، ولا فرق بين أن يكون الكاف التي في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ أو الهاء والميم في ﴿ مِنْهُمْ ﴾ أو الكاف في ﴿ قَبْلِكَ ﴾ – ولو كان يخالف قاعدة صنعها النحاة « وهي عدم العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار » – وذلك للأمور الآتية :

أولا : أن الكوفيين يجيزون العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار [٥] .

ثانياً : أن ابن مالك يؤيد هذا الجواز في ألفيته حيث قال :

وليس عندي لازماً فقد أتى — في النظم والنثر الصحيح مثبتا [٦]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/١٣١) .

(٢) جامع البيان (٩/٣٩٧) .

(٣) البيتان للخرنق بنت هفان ، انظر الكتاب (٢/٦٤) ، معاني القرآن للفراء (١/١٠٥) ، تأويل مشكل القرآن صـ ٥٣ ، الإنصاف (٢/٤٦٨) ، البحر المحيط (٣/٣٩٦) ، الخزانة (٢/٣٠١) .

(٤) البيتان لابن خياط العكلي ، انظر الكتاب (٢/٦٤) ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي (٢/١٢) ، الإنصاف (٢/٤٧٠) ، الخزانة (٢/٣٠١) .

(٥) انظر الإنصاف (٢/٤٦٦٣) ، أوضح المسالك (٣/٦١) ، شرح الأشموني (٣/١١٤ ، ١١٥) .

(٦) انظر شرح الألفية لابن الناظم صـ ٢١٢ .

ثالثاً : أنه جاءت به قراءات سبعية منها قوله سبحانه : ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (١) بجر ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ (٢) بجر ﴿ ٱلْأَرْحَام ﴾ .

رابعاً : أننا لو سلمنا بترجيح المدح ألا يستحق ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أن يمدحوا أيضاً فتكون « والمؤتين الزكاة » ؟

٧- توجيهها بتوجيه لا يطبقونه على نظائرها من كلام العرب :

إن النحاة حينما تصادفهم آية معضلة في إعرابها ولم تستجب لقواعدهم أو لا يمكن تطويعها لأقيستهم يلجأون إلى توجيهها توجيهاً لا يحملون عليه نظائرها عند الإعراب المعتاد ، ومن أمثلة ذلك توجيههم للآية التي تقدمت سابقاً وهي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾ (٣) ، حيث ذكروا من أوجه التخريج ما يأتي :

أن الإعراب يقتضي أن يقال « إنّ هذان » ؛ وذلك لأن « هذا » اسم منهوك ؛ لأنه على حرفين أحدهما علة والآخر للتنبيه ، وليست من الاسم في شيء ، فلما ثني احتيج إلى ألف التثنية ، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية ، واحتيج إلى حذف أحدهما ، فإن حذفت الألف بقي الاسم على حرف واحد ، وإن أسقطت ألف التثنية كان في النون منها عوض ودلالة على التثنية ، فحذفت ألف التثنية وبقيت ألف الاسم ، فلما أعرب لم تتغير الألف عن صورتها ، فأعرب بحركات مقدرة (٤) . واستُدِلّ على هذا بقوله تعالى : ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ (٥) لم تحذف النون مع الإضافة (٦) ، لأن حذفها يذهب معنى التثنية إذ لا علامة للتثنية إلا النون .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٢) سورة النساء : ١ . وانظر للحديث عن الآيتين : الكتاب (٢/٣٨١-٣٨٣) ، معاني القرآن للفراء (١/٢٥٢) ، (٢/٨٦) .

(٣) سورة طه : ٦٣ .

(٤) انظر الصاحبي صـ ٢٩ ، ٣٠ ، ونقله عبدالكريم الأسعد في مقالات منتخبة صـ ١٤٧ .

(٥) سورة القصص : ٣٢ .

(٦) كذا قالوا ، والذي يظهر أن الكاف للخطاب .

ولا يخفى أن هذا القول فيه حمل للمعقول على المنقول ، ولو وقف عند خصوص هذه الآية وبين لماذا جعلنا لحذف ألف التثنية سبباً - وهو بقاء الإشارة على حرف واحد - ولم نجعل هذا السبب يسري على الكلمة في حالة نصبها ، أي إذا جعلنا الياء أداة نصب في « هذين » مع أن الاسم يبقى على حرف واحد ؟ لكان أنفع ، ولكن ما فعله قائل هذا القول هو التماس وبحث عن سبب أعياه .

كما ذكروا من أوجه التخريج في الآية السابقة توجيهاً خصوه بالآيات المشكلة ولم يصوغوا منه قاعدة تسري على نظائره ، قالوا في توجيهها :

إن الإعراب حينما لا يظهر في المفرد « هذا » جعل مقدراً في المثنى ، وبني على الألف حملاً على المفرد ؛ لأنه فرّع عليه ، وقال بهذا ابن كيسان - فيما رواه عنه القفطي - حيث قال : « وذكر أن القاضي إسماعيل كان معجباً بما يأتي به ابن كيسان من مقاييس في العربية ، وكان له معه مجلس عقيب صلاة الجمعة في جامع المنصور ، فقال له يوماً : يا أبا الحسن : ما تقول في قراءة الجمهور ﴿ إنّ هذان لساحران ﴾ ؟ ما وجهها على ما جرت به عادتك من الإغراب في الإعراب ؟ فأطرق ابن كيسان ملياً ثم قال : نجعلها مبنية لا معربة ، وقد استقام الأمر ، فقال له القاضي : فما علة بنائها ؟ قال ابن كيسان : لأن المفرد فيها « هذا » وهو مبني ، والجمع « هؤلاء » وهو مبني فتحمل التثنية على وجهين ، فعجب القاضي من سرعة جوابه وحدة خاطره وبعيد غوصه ... »[1] وجلي أن هذا التوجيه خاص بـ﴿ هَٰذَٰنِ ﴾ في الآية وإلا ففي غيرها يجمع العلماء على أن المثنى من اسم الإشارة معرب لا مبني .

وقد قال بقول ابن كيسان مكي بن أبي طالب[2]. واختاره ابن تيمية ، ثم قال : « وقد تفطن لذلك غير واحد من حذاق النحاة »[3] .

ومن توجيهات الآية توجيهاً يفصح عن العجز عن معرفة الظاهرة النحوية ولا ينطبق

---

(١) إنباه الرواة (٣/٥٨) .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات (١/١٠٠) .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/٢٤٨ ، ٢٤٩) .

على غيرها من النظائر ما نقل عن أبي علي الفارسي أن ﴿ هَـٰذَانِ ﴾ ليس بتثنية « هـذا » ؛ لأن « هذا » من أسماء الإشارة ، فلا يكون أبداً إلا معرفة والتثنية من خصائص النكرات كالجمع ؛ لأن واحداً أعرف من اثنين ، فلما لم يصح تنكير « هذا » لم تصح تثنيته من لفظه ؛ ألا ترى أن « أنت وهو وهي » لما كانت معارف لم يثن على لفظها ، فلا يقال : أنتان وهوان وهيان ، ولذلك صيغ لـ« هذا » عند التثنية لفظ مخترع مبني لا يعمل فيه عامل ، ألا ترى أنهم فعلوا في « الذين » هكذا [١] .

ولا أدري ماذا فعل أبو علي – رحمه الله – بقوله تعالى : ﴿ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ ﴾ [٢] ؟

ألم يجمع النحاة على أن « ذان » للمذكر و « تان » للمؤنث ، وينصبان ويجران بالياء [٣] ؟

إن كل هذه التوجيهات الثلاثة تخالف استعمال العرب لـ« هذان » و « هذين » فلم لم يعتبر هذه العلل إلا في هذه القراءة وحدها ؟

إن ما سبق من تعاليل متفننة وأعاريب متعددة تدل – دون أدنى شك – على سعة معالجة النحاة وغزارة علمهم وقدرتهم على التحليل والتعليل والتوجيه ، لكنها في الوقت ذاته تبقى شاهد إثبات على أن قواعدهم لا تنطبق أحياناً على بعض آي القرآن الكريم ، أما أسباب ذلك فهي حديث الفقرة الآتية .

---

(١) انظر باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٢/٩١٢ ، ٩١٣) ، وهو بمعناه في المسائل البصريات (٢/٨٥٢ ، ٨٥٣) .

(٢) سورة القصص : ٢٧ .

(٣) انظر شرح التصريح (١/١٢٧) .

ثانياً : الأسباب التي أدت إلى هذا الموقف

ينبغي أولاً أن نقر ونعترف بالجهد الذي بذله النحاة ، والذي يتجلى من خلال كثرة توجيهاتهم وطول باعهم وعمق فكرهم وخصوبة تخريجاتهم في الآيات التي أوردتها واستشهدت بها على بعض المظاهر السابقة . وهي - دون شك - أدلة واضحة على جودة ما أداره النحاة من مناقشات ، وعلى غزارة ما عندهم من وجوه التفنن وضروب المعرفة وقوة الأذهان وعمق المواهب ، على الرغم من أنهم يذهبون أحياناً إلى التحكيك بله التمحك ، وما ذلك إلا للعجز عن معرفة المغزى من مخالفة النص القرآني لقواعدهم ، وعدم مطابقته لأقيستهم ، فلم يكن أمامهم بد من ذكر الاحتمالات والحمل على تلك التوجيهات التي قد تخرج النص عن مراده أحياناً ، بل عن طبيعة اللغة ، يقول الدكتور الطناحي : « إن ذلك - أي التوسع في وجوه الإعراب - ضرب من النشاط الذهني الذي تمليه الصنعة ؛ وهذه الفروض والتقديرات التي يلجأ إليها النحاة للتفسير أو لبيان الأوجه الجائزة لم يقل أحد منهم إنها من كلام العرب ، وسيبويه إمامهم يصرح بذلك كثيراً بأن هذا تقريب أو تمثيل ولم تتكلم به العرب ... وإلا هل تظن أن عاقلاً يفسر كلام الله على مثل : « وإن استجارك أحد استجارك »[(١)] ، أو « وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين »[(٢)] ، أو « وإذا انشقت السماء انشقت »[(٣)] ، أو « ويعذب الظالمين أعد لهم عذاباً أليماً »[(٤)] ... »[(٥)] .

ولقد كان وراء موقف النحاة من بعض الآيات التي أجهدوا أنفسهم في توجيهها دون الوصول إلى رأي قاطع أو حكم نهائي - أسباب ينبغي لنا تلمسها والبحث عنها ، وأحسب أنها تنحصر فيما يأتي :

أولاً : الاستقراء الناقص ، والذي أشار إليه بعض الباحثين ، يقول الأستاذ سعيد

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ سورة التوبة : ٦ .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ سورة يوسف : ٢٠ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ سورة الانشقاق : ١ .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ سورة الإنسان : ٣١ .

(٥) مقدمة تحقيق كتاب الشعر ص ٣٤ .

الأفغاني : « قواعدهم ومقاييسهم النحوية بنوها على استقراء ناقص جداً فكان أساس تلك القواعد والقوانين غير متين من الناحية النظرية على الأقل »[١] .

وهذا الاستقراء تجلى فيما سبق من شواهد وآيات ، ولولاه لما صاغوا قاعدة « عدم دخول (رب) على ما يدل على المستقبل »[٢] التي تخالف آية أجمع القراء على قراءتها ، وهي قوله سبحانه : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾[٣] ، ودفعهم هذا إلى أن يقدروا « كان » محذوفة ، والتقدير : ربما كان يود الذين كفروا ، ومعلوم أن هذا الموضع ليس من مواضع إضمار « كان » كما نص على ذلك بعضهم[٤] . قال أبو حيان : « ومما وردت فيه للمستقبل قول سليم القشيري :

ومعتصم بالجبن من خشية الردى سيردى وغازٍ مشفق سيؤب[٥]

وقول هند أم معاوية :

يا رب قائلة غداً يا لهف أم معاوية[٦]

وقول جحدر :

فإن أهلك فرب فتى سيبكي علي مهذب رخص البنان[٧]

وفي عدة أبيات »[٨] .

فالآية الكريمة وهذا الكم من الشواهد لم يغير رأي النحاة في أن « رب » تختص بالماضي[٩] .

---

(١) في أصول النحو صـ ٦٠ .

(٢) انظر رصف المباني صـ ٢٧ ، أوضح المسالك (٣/٦٠) .

(٣) سورة الحجر : ٢ .

(٤) انظر البحر المحيط (٥/٤٤٤) .

(٥) انظر البحر المحيط (٥/٤٤٤) .

(٦) انظر الجنى الداني صـ ٤٥١ .

(٧) انظر رصف المباني صـ ٢٧١ ، الجنى الداني صـ ٤٥٢ .

(٨) انظر البحر المحيط (٥/٤٤٤) .

(٩) قال المالقي : « ومن أحكامها – أي رب – أن الفعل الذي بعد معمولها إذا كان مضارعاً فهو في معنى الماضي » رصف المباني صـ ٢٧٠ ، وانظر الجنى الداني صـ ٤٥١ .

ووجود الاستقراء الناقص حين صياغة القاعدة لا يعني أن النحاة قصروا ؛ فهم قد اجتهدوا قدر استطاعتهم ووضعوا القواعد وفق ما تبينوا من النصوص التي حصرها وقتذاك العقل البشري .

ثانياً : تعميم الحكم النحوي - مع كون الاستقراء ناقصاً - وهذا مظهر من مظاهر الخلل في المنهج النحوي ، وهو أمر أشار إليه كثير من المعاصرين وأفردوه بأبحاث مستقلة ، قال الأفغاني : « والحق أن النقد يجد في صرف النحاة وفي قواعد نحوهم ثغراً عدة ينفذ منها إلى الصميم ، فهم يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب ، فيجمعون نتفاً نثرية وشعرية من هذه القبيلة ومن تلك ، ومن شعر لا يعرف قائله إلى جملة غير منسوبة . يجمعون هذا إلى أقوال معروفة مشهورة ويضعون قواعد تصدق على أكثر ما وصل إليهم بهذا الاستقراء الناقص ، ثم يسددون هذه القواعد بمقاييس منطقية يريدون اطرادها في الكلام ، حتى إذا أتت بعضهم قراءة صحيحة السند تخالف قاعدته القياسية ، طعن فيها وإن كان قارؤها أبلغ ممن يحتج النحاة بكلامهم » (١) .

ويتجلى تعميم الحكم فيما نقل عن ابن حزم من قوله : « مِنَ النحاة مَنْ ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً ويتخذه مذهباً ، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها » (٢) . وقد تنبه أبو حيان لتعميم نحاة البصرة الحكم النحوي وحمله على ما وصلهم من نقل فقال : « إن لسان العرب ليس محصوراً فيما نقله البصريون فقط ، والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه » (٣) . وكان على النحاة أن يعلموا أن قواعدهم و أقيستهم ليست هي المستوى الوحيد للغة العربية « بل إن النحو لا يرقى أحياناً أمام القراءات القرآنية » (٤) .

ثالثاً : أن النحاة - رحمهم الله - منحوا القرآن ميزة في الفصاحة وأولوية في صياغة

---

(١) في أصول النحو صـ ٣١ .

(٢) انظر المصدر السابق صـ ٣٢ .

(٣) البحر المحيط (٢/٣٦٢) .

(٤) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية صـ ١٠٥ .

القواعد ، ولكن بعضهم عند التطبيق لم يلتزموا بما ألزموا به أنفسهم ، ولو فعلوا ذلك لجعلوا لغة « أكلوني البراغيث » لغة قوية لورودها في القرآن ، ولأجازوا دخول « رب » على ما يفيد المستقبل ، ولما وضعوا قاعدة « عدم جواز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار » ، ولأجازوا الفصل بين المتضايفين بغير الظرف والجار والمجرور ، وبالتالي لأخذت الدراسة النحوية منحى آخر .

وإذا كنا نلتمس لهم عذراً في أن ظواهر لغوية منفردة بمنطقها عن النظام العام لم ينقلها لهم الرواة أو لم تصلهم « وهذا أمر يمكن التماسه في كل لغة » [١] ، فليس من المقبول أن تكون آيات قرآنية متواترة لم يطلع عليها النحاة أو أنها كانت غائبة عن أذهانهم حين صياغة القاعدة .

إن أخذهم النصوص من غير القرآن هو الذي دعاهم إلى رفض بعض القراءات السبعية واتهام قارئها بالخطأ أو اللحن بل والتشكيك في صحة روايتها لأن « القواعد عندهم أحكام نافذة لا ينبغي مخالفتها والخروج عن مقتضاها لأي نص حتى القراءة الصحيحة ، بل إن القراءة عندهم ليست نصاً تؤخذ منه الأحكام بل نص تطبق عليه الأحكام ويخضع لسلطانها » [٢] .

إن نصوص القرآن – دون شك – هي خليقة بأن يستدل بها على القواعد ، ولكن الذي حدث أن النحاة سلكوا مسلكاً آخر وهو الاستدلال على صحة وسلامة النص القرآني بنص أقل منه سواء أكان شعراً أم نثراً ، وهذا موقف غريب منهم . ويعتذر لهم بعض الباحثين بأن فهم ظروف هذا الموقف منهم أمر يدفع الغرابة ؛ وتتجلى هذا الظروف في أنهم نظروا إلى القرآن نظرة تقديس « فحاولوا توثيق عربيته ، وبذلوا جهوداً تدور حوله ولا تمسه ، وهي الاستدلال عليه بكلام العرب ، وحين تناولوا نصوصه صاحبتهم تلك النظرة التقديسية ، فإذا صادفهم في نصوصه ما لا يتفق مع القواعد التي صاغوها وقعوا في حرج عظيم » [٣] .

---

(١) الرواية والاستشهاد باللغة صـ ٦٥ .

(٢) الرواية والاستشهاد باللغة صـ ١٢٥ .

(٣) انظر المصدر السابق صـ ٢٦٠ .

وهذا الاعتذار لم ينظر إليه السابقون ولم يعدوه وجيهاً في دفع التهمة عن النحاة في عدم جعلهم القرآن مصدراً ، بل قال الفخر الرازي : « العجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بالبيت المجهول ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن »[(١)] . كما شنع ابن حزم على النحاة ردهم بعض الآيات لمخالفتها القياس فقال : « ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس ، أو لزهير ، أو لجرير ، أو الحطيئة ، أو الطرماح ، أو للشماخ ، أو لأعرابي أسدي ، أو أسلمي ، أو تميمي ، أو من سائر أبناء العرب بوال على عقبيه ، لفظاً في شعر ، أو نثر ، جعله في اللغة ، وقطع به ، ولم يعترض فيه ، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه ، ولا جعله حجة ، وجعل يصرفه عن وجهه ، ويحرفه عن مواضعه ، ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه »[(٢)] .

رابعاً : أن النحاة - بطبعهم واستجابة لأهدافهم - أصحاب تقعيد وتنظيم ، والآيات التي أضحت معضلة بفعلهم - لخروجها عن قواعدهم ومخالفتها لأقيستهم - كانت مفاجئة لهم ، فما كان منهم إلا أن يوجهوها بتوجيهات مضطربة ومتعارضة ومخالفة للمعنى أو أن يضعفوها ويشككوا فيها ويتهموا القراء بالضعف أو اللحن أو الخطأ أو الوهم - كما مر معنا - .

يقول عبده الراجحي : « وقد كان القراء يرون بحق أن منهجهم أوثق وأصح من هذه الأصول والقواعد التي خضع لها النحاة وحاولوا أن يخضعوا لها اللغة »[(٣)] .

ويوضح أبو حيان في نص صريح موقف النحاة من القراء ودوافعه فيقول : في قراءة ﴿ وجعلنا لكم فيها معائش ﴾[(٤)] - بالهمز - : « قال المازني : أصل هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدري ما العربية ، وكلام العرب التصحيح في نحو هذا ، انتهى ، ولسنا متعبدين بأقوال

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٩٣/٣ ، ١٩٤) ، وانظر في أصول النحو صـ ٣٢ ، والرواية والاستشهاد باللغة صـ ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) الفصل في الملل والنحل (١٩٢/٣) .

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية صـ ١٠٤ .

(٤) سورة الأعراف : ١٠ .

نحاة البصرة ... فوجب قبول ما نقلوه إلينا ، ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة في مثل هذا ، وأما قول المازني : أصل هذه القراءة عن نافع فليس بصحيح ؛ لأنها نقلت عن ابن عامر والأعرج والأعمش ، أما قوله إن نافعاً لم يكن يدري ما العربية - وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب - فهو لا يلزمه ذلك إذ هو فصيح متكلم ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء ، وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ولا يجوز لهم ذلك »[(١)] .

خامساً : من أسباب موقفهم المضطرب من الآيات المعضلة إعراباً - غير ما سبق - التمسك بالقاعدة تمسكاً شديداً على حساب المسموع ، بل وصل الأمر ببعض النحاة إلى أن يكيف ألفاظ الشاهد على قاعدته ، ليجعله شاهداً لها أو متمشياً معها[(٢)] ، وهذا الأمر بكل تأكيد لا يمكن أن يكون في آيات القرآن فأضحت مشكلة ، مما أدى إلى ظهور المعالم السابقة لموقفهم .

يقول أحد الباحثين : « لقد قام العلماء بدراستهم للغة بجد وعمق وتنظيم للمادة المروية بين أيديهم ... ولكن حملوا أنفسهم أحياناً - عن اضطرار أو قصد - على النصوص في طرق ملتوية لا تتفق مع ظاهر الرواية فيها ، فانعكست عليها آثار الصنعة الذهنية ، وكلما تأخر الزمن أوغلت الدراسة في العمق والتعقيد ، وتخلت النصوص عن مواقعها لتؤدي ما يريده الدارسون منها ، وهكذا اطرد هذا الأسلوب العلمي المعقد الذي انحاز فيه العلماء إلى جانب القواعد ، ووقع بذلك الغرم على بعض النصوص التي خضعت مكرهة لسطوة الاثنين : القواعد والنحاة »[(٣)] .

وتمسكُ النحاة بالقاعدة على حساب المسموع دفعهم إلى التفريق بين المروي والقاعدة ، وأدى بهم إلى إخضاع القاعدة لمنطق إعرابي صارم ، فالقاعدة ومَنْ صاغها ينبغي ألا يوصفا بالخطأ وأن ينزها عن الشبهة ، أما النص المنقول والمروي وناقله أو راويه

---

(١) البحر المحيط (٤/٢٧١-٢٧٢) .

(٢) انظر مثالاً على ذلك قول سيبويه في كتابه (٣/٦١) حينما قال : « ويقال وضعه النحويون » ، وانظر أمثلة أخرى في خزانة الأدب (٨/٣٩٠) .

(٣) انظر الرواية والاستشهاد باللغة صـ ٦١ .

فيباح الطعن فيهم ويتوقع الخطأ منهم ، ويوسم المروي بالخطأ الذي ينبغي رفضه وتجريح ناقله . وقد انساق نظر النحاة هذا للمروي على الآيات التي بدت مشكلة ، وظهرت مخالفة للقواعد المتعارف عليها .

سادساً : لعل من الأسباب التي صرفت النحاة عن صياغة قواعد توافق جميع آيات القرآن الكريم وجعلتهم يضعون قواعد تعارض وتناقض بعض الآيات - التحرز الديني .

وهذا السبب ألمح إليه القدماء ، وتبناه بعض المعاصرين ، نقل ابن فارس عن الفراء أنه قال : « اتباع المصحف - إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب - وقراءة القراء أحب إليّ من خلافه ، قال : كان أبو عمرو بن العلاء يقرأ : ﴿ إنّ هـذين لساحران ﴾ [(١)] ولست أجترئ على ذلك ، وقال : ﴿ فَأَصَّدَّقَ وأكون ﴾ [(٢)] ، فزاد واواً في الكتاب ، ولست أستحب ذلك » [(٣)] . فالفراء يرى أن اتباع القراءة حبيب إليه ما دامت موافقة وجهاً ، أما قراءة أبي عمرو التي غيرت الكتابة فلا يجرؤ عليها . وقال في الآية ﴿ إنّ هذان لساحران ﴾ : « قد اختلف فيه القراء ، فقال بعضهم : هو لحن ، ولكنا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب » [(٤)] .

ويقول أحد الباحثين : « إن طبيعة التفكير الذي فرض نفسه على دارسي اللغة يحمل بين طياته تعدد الآراء وإعمال الذهن في النص اللغوي - كما هو واضح في كتب النحو - ، والنص القرآني لا يحتمل ذلك ولا يطيقه ، فكان لابد لهم من موقف يحفظ للقرآن قدسيته الدينية في نفوسهم ونفوس غيرهم ، ويحقق لهم رغبتهم في التصرف الحر في النص المدروس »[(٥)]. وإن كنت لا أستبعد هذا ليكون أحد الأسباب التي أدت إلى ظهور الموقف المضطرب من الآيات المعضلة - كما سبق - إلا أنني أرى عدم وقوفه أمام حقيقة أن سيبويه استشهد في كتابه بثلاثمائة آية ، ومثله فعل المبرد ، مما يعني أنهم لم يطِّرحوا القرآن أو يلغوه من أذهانهم .

---

(١) سورة طه : ٦٣ .

(٢) سورة المنافقون : ١٠ .

(٣) الصاحبي صـ ١١ ، وانظر الرواية والاستشهاد باللغة صـ ١٢٧ .

(٤) معاني القرآن ٢/١٨٣ .

(٥) الرواية والاستشهاد باللغة ص١٢٧ .

خلاصة القول

أن التخريجات والتوجيهات النحوية التي تجلت من خلال المظاهر السابقة ، قد أدت - في بعض أحوالها - إلى أن يخرج التركيب القرآني الرائع عن خاصيته بعد أن أقرَّ بها علماء البلاغة واللغة ووصفوها بأنها « خاصية بلغت ذروتها من حيث تناسق المعاني والنغمات والفكرة والجرس »[(١)] . فيأتي النحاة فيقدرون ما يفسد ذلك التناسق كي تستقيم لهم القاعدة أو يحملون آياته على لغات ضعيفة مع أن القرآن يمتاز « بخلو ألفاظه وتراكيبه من الحروف المستهجنة مما يجري في لغات بعض العرب ، وكل اللغات التي في حروفها عاهة قد جاء القرآن منزهاً في تأليفه عنها »[(٢)] .

إنه ينبغي على النحاة أن يقروا بأن القرآن لا يمكن إخضاعه لكل قواعدهم التي صيغت بمعزل عنه ، وأنه يمتاز بنظم سالم من كل صنعة ، وألفاظ بعيدة عن كل تعقيد ، وهو أسلوب يؤدي غرضه كاملاً غير منقوص ينساب - كما يقول صبحي الصالح - « انسياب الماء الذي يَسْقِي القرى »[(٣)] .

إنني أدعو من خلال - هذا العمل المتواضع - إلى إعادة دراسة كثير من قضايا النحو القرآني وتراكيبه دراسة تبعد عن منطقية العرض أو فلسفة الصناعة؛ لنستطيع أن ندرك خصائصه بعيداً عن أن يحمل أو يعضد أو يقارن بكلام العرب ، وإنما يجعل هو الأساس للتقعيد والتقييد ، ولِمَ لا ؟ وهو لا تبلى عجائبه .

ثم إنني لا أزعم أن الأسباب التي ذكرتها سابقاً والتي دفعت النحاة إلى ذلك الموقف الذي أفصحت عنه المظاهر المذكورة - هي ولا شيء غيرها التي أدت إلى وجود المعضلات

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية صـ ٢٨٣ .

(٢) انظر الطراز (٣/٢٢١ ، ٢٢٢) .

(٣) مباحث في علوم القرآن صـ ٣٤٠ .

والمشكلات في بعض الآيات ، وإنما قد تكون هناك أسباب أخرى لم أهتد إليها ، وحسبي أنني حاولت التماسها في ثنايا كتب الأقدمين والمحدثين ، ولعل الاستجابة للدعوة بإعادة دراسة قضايا كثيرة في النحو من جديد تظهر غيرها من الأسباب أو تذهب بعضها؛ لأن المهم في ذلك كله أن تكون الدراسة النحوية تجعل من القرآن محوراً تدور حوله بكل قراءاته وتتخذ منه مصدراً رئيساً يرسم صورة للعربية الفصيحة يقدم على كل مصدر . وهذا إن تم فسيخرج لنا قواعد نحوية جديدة ويلغي بعض القواعد التي درسناها ودرّسناها زمناً .

والله المسدد للصواب .



فهرس المصادر والمراجع

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان ، تحـ : د. مصطفى النماس ، مطبعة المدني ، ط١ (١٤٠٩هـ) .

٢- الأصول في النحو ، ابن السراج ، تحـ : د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ (١٤٠٥هـ) .

٣- إعراب القرآن ، النحاس ، تحـ : زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني-بغداد ، (١٩٧٧م) . وعالم الكتب ، ط٢ (١٤٠٥هـ) .

٤- الأمالي النحوية ، ابن الحاجب ، تحـ : د. هادي حسن حمودي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط١ (١٤٠٥هـ) .

٥- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، القفطي ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية-القاهرة ، ط١ (١٣٦٩هـ) .

٦- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، أبو البركات الأنباري ، ومعه كتاب الإنتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر-بيروت .

٧- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، ومعه كتاب : عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية-بيروت ، د.ت. .

٨- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ، محمد بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي الملقب بـ« بيان الحق » ، تحـ : سعاد بنت صالح بابقي ، مطبوعات جامعة أم القرى-مكة ، ط١ (١٤٢٠هـ) .

٩- البحر المحيط ، أبو حيان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت ، ط٢ (١٩٨٣م) .

١٠- تأويل ثلاث آيات متشابهات ، د. أحمد حسن فرحات ، دار عمار-الأردن ، ط١ (١٤٢٠هـ) .

١١- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، شرح أحمد صقر ، دار التراث-القاهرة ، ط١ (١٣٩٢هـ) .

١٢- التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري ، تحـ : محمد علي البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، (١٩٦٧م) .

١٣- التفسير الكبير : مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، دار الفكر-بيروت ، ط٣ (١٤٠٥هـ) .

١٤- جامع البيان عن تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، مطبعة بولاق ، ط١ (١٣٢٩هـ) . ودار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت ، مصورة عن بولاق (١٣٢٣هـ) .

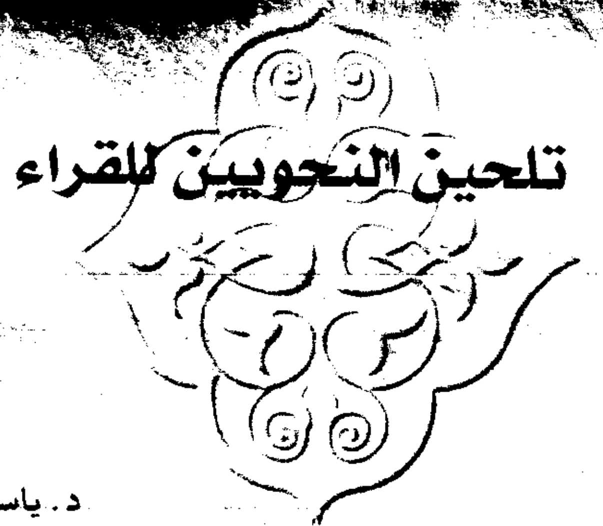
١٥- الجنى الداني في حروف المعاني ، حسن بن قاسم المرادي ، تحـ : د. فخر الدين قباوة ، أ. محمد نديم فاضل ، منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت ، ط١ (١٤٠٣هـ) .

١٦- الحاشية العصرية على شرح شذور الذهب ، عبد الكريم الأسعد ، دار الشواف- الرياض ، ط١ (١٤١٦هـ) .

١٧- حجة القراءات ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحـ : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ (١٤٢٢هـ) .

١٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ، طبعة بولاق ، (١٣٢٩هـ) .
١٩- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحـ : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي-بيروت .
٢٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي ، تحـ : د. أحمد الخراط ، دار القلم-دمشق ، ط١ (١٤١٨هـ) .
٢١- ديوان بشر بن أبي خازم الأسعدي ، تحـ : د. عزة حسن ، منشورات وزارة الثقافة-دمشق ، ط٢ (١٣٩٢هـ) .
٢٢- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي ، تحـ : د. أحمد الخراط ، دار القلم-دمشق ، ط٢ (١٤٠٥هـ) .
٢٣- الرواية والاستشهاد باللغة ، د. محمد عيد ، عالم الكتب ، (١٩٩٦م) .
٢٤- السبعة في القراءات ، ابن مجاهد ، تحـ : د. شوقي ضيف ، دار المعارف-مصر ، ط٢ (١٤٠٧هـ) .
٢٥- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح بن جني ، تحـ : د. حسن هنداوي ، دار القلم-دمشق ، ط١ (١٤٠٥هـ) .
٢٦- شرح أبيات سيبويه ، السيرافي ، تحـ : د. محمد علي سلطاني ، دار المأمون للتراث-دمشق ، (١٩٧٩م) .
٢٧- شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، ومعه حاشية الصبان ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي-مصر ، د.ت. .
٢٨- شرح ألفية ابن مالك ، بدر الدين بن الناظم ، مطبعة انتشارات ناصر خسرو-طهران .
٢٩- شرح التصريح على التوضيح ، خالد الأزهري ، ومعه حاشية يس ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٣٠- شرح شواهد المغني ، جلال الدين السيوطي ، منشورات مكتبة الحياة-بيروت .
٣١- الصاحبي ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، تحـ : السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي-مصر ، (١٩٧٧م) .
٣٢- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى العلوي ، مكتبة المعارف-الرياض .
٣٣- الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية ، إعداد محمد بن قاسم ، بيروت ، (١٣٩٨هـ) .
٣٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني ، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت ، (١٤٠١هـ) .
٣٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ، دار المعرفة ، ط٢ (١٣٩٥هـ) .
٣٦- فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، دار الفكر-بيروت ، ط٣ (١٩٦٨م) .
٣٧- في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، دار الفكر .
٣٨- القراءات وعلل النحويين فيها ، أبو منصور الأزهري ، تحـ : نوال إبراهيم الحلوة ، (١٩٩٧م) .
٣٩- الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس المبرد ، مكتبة المعارف-بيروت .

٤٠- الكتاب ، سيبويه ، تحـ : عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، ط٣ (١٤٠٣هـ) .
٤١- كتاب الشعر ، أبو علي الفارسي ، تحـ : د. محمود الطناحي ، الناشر مكتبة الخانجي-القاهرة ، مطبعة المدني ، ط١ (١٤٠٨هـ) .
٤٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، تحـ : محمد صادق قمحاوي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر ، (١٩٧٢م) .
٤٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع ، مكي بن أبي طالب ، تحـ : محيي الدين رمضان ، بيروت ، (١٩٨١م) .
٤٤- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات ، نور الدين أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين الباقولي ، الملقب بـ« جامع العلوم » ، تحـ : د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي ، دار عمار-الأردن ، ط١ (١٤٢١هـ) .
٤٥- اللامات ، أبو القاسم الزجاجي ، تحـ : د. مازن المبارك ، المطبعة الهاشمية-دمشق ، (١٣٨٩هـ) .
٤٦- اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د. عبده الراجحي ، مكتبة المعارف-الرياض ، ط١ (١٤٢٠هـ) .
٤٧- مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، (١٩٦٥م) .
٤٨- المسائل البصريات ، أبو علي الفارسي ، تحـ : د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد ، مطبعة المدني-القاهرة ، ط١ (١٤٠٥هـ) .
٤٩- مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب ، تحـ : ياسين محمد الوسواس ، مجمع اللغة العربية-دمشق ، (١٩٧٤م) .
٥٠- معاني القرآن ، الأخفش ، تحـ : د. عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، ط١ (١٤٠٥هـ) .
٥١- معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، تحـ : عبد الجليل شلبي ، القاهرة ، (١٩٧٢م) .
٥٢- معاني القرآن ، الفراء ، تحـ : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط٣ (١٩٨٠م) .
٥٣- المغني في الفقه ، ابن قدامة ، تقديم : محمد رشيد رضا ، نشر مكتبة الجمهورية العربية-مصر ، مكتبة الكليات الأزهرية .
٥٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني-القاهرة .
٥٥- مقالات منتخبة في علوم اللغة ، عبد الكريم الأسعد ، دار المعراج الدولية-الرياض ، ط١ (١٤١٥هـ) .
٥٦- المقتضب ، أبو العباس المبرد ، تحـ : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب-بيروت .
٥٧- الممتع في التصريف ، ابن عصفور الإشبيلي ، تحـ : د. فخر الدين قباوة ، دار المعرفة ، ط١ (١٤٠٣هـ) .
٥٨- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، إشراف وتصحيح علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية-بيروت .
٥٩- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري ، تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، (١٩٤٩م) .
٦٠- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تحـ : د. عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية-الكويت ، ط١ (١٤٠٠هـ) .



تلحين النحويين للقراء

د. ياسين جاسم المحيمد *

التعريف بالبحث :

قدّم الباحث بمقدمة عن نشأة القراءات ، والفرق بين القراءة والقرآن ، مع تعريف وجيز بالقراء السبعة .

ولما كان بعض النحويين قد رد قراءات متواترة متصلة الإسناد إلى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فقد حاول الباحث أن يتعرف على أسباب ذلك ، فعلم أن بعض النحويين كانوا يحتكمون في ردّهم إلى قواعد نحوية قعدوها ، فكانت بعض القراءات تخالف تلك القواعد ، فيسارع النحوي في ردها وتلحين قارئها ، كما خفي على بعض النحويين توجيه قراءة من القراءات ، فعدّها من وهم القارئ فلحّنه ، مع أنها متواترة . كما نظر بعض النحويين إلى الشائع من اللغات وغفل عن غيرها ، فردّ ما غفل عنه ولحن من قرأ بها .

وأورد الباحث نماذج من تلحين النحويين للقراء ، فناقشها مناقشة علمية هادئة ، من خلال قرائن اللغة وشهادات جهابذة العربية ، فأثبت أن القراءة المتواترة لا يساورها الشك ، وإن خالفت قاعدة نحوية . وقد اعتمد الباحث على أكثر من سبعين مرجعاً في بحثه هذا ، والله الموفق .

* أستاذ النحو والصرف بقسم اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة صنعاء ، ولد عام (١٩٥٠م) . وحصل على درجة الماجستير عام (١٩٩٢م) . وكانت رسالته الأمر والنهي عند علماء العربية والأصوليين . والدكتوراه عام (١٩٩٥م) . وكانت رسالته الدراسات النحوية في تفسير ابن عطية . وله عدد من البحوث والكتب المنشورة .

المقدمة

تضمنت كتب النحو واللغة مجموعة من الردود ، على قراءات بعض القراء ، من غير المتواتر . وكنت لا أستغرب من العالم اللغوي النحوي ، أن يرد قراءة ليست متواترة ، فلما تصفحت بعض كتب النحو والتفسير ، وجدت ردوداً على بعض قراءات الأئمة القراء الكبار ، الذين تلقوا قراءاتهم بالأسانيد المتصلة ، فوصلت قراءاتهم إلى درجة التواتر ، أولئك الذين ارتضتهم الأمة الإسلامية جيلاً عن جيل ، وتلقت تلك القراءات بالقبول . فتساءلت عن الأسباب والدواعي ، فلم أجد مسوّغاً للنحاة في أن يردوا قراءة متواترة ، رويت بالسند المتصل إلى النبي ﷺ . فبادرت بكتابة هذا البحث المتواضع، لأناقش هذا الموضوع مناقشة علمية هادئة ، مع أنني على علم بأن هذا الموضوع ناقشه علماء كبار ، لكنني أحببت أن أسهم في مناقشة هذا الموضوع ، لأن لكل كاتب طريقته في الطرح والمناقشة .

أقول : إن الذي دعا القراء أن يطعنوا في بعض قراءات الأئمة الكبار ، هو اعتقادهم أن النحويين أضبط للقراءة من القراء . قال ابن جني (ت : ٣٩٢ هـ) : « والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة في ﴿ بَارِئِكُمْ ﴾ لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكناً »[١] . وقال الزمخشري : « والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الراوي ، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو » .

---

(١) الخصائص (٧٢/١) .

والذي يظهر لجميع الباحثين أن كثيراً من القراء هم من النحاة ، وأن كثيراً منهم يتميز بالضبط والدقة في النقل ، وأن بعضهم أعلى رتبة من بعض النحاة . فلما رجح ابن عطية الأندلسي (ت : ٥٤٦ هـ) نقل أبي الفتح ابن جني ، على نقل أبي عمرو الداني (ت : ٤٤٤ هـ) ، رد عليه أبو حيان النحوي (ت : ٧٤٥ هـ) فقال : « هذا الذي قاله من أن أبا الفتح أثبت ، كلام لا يصح ، إذ رتبة أبي عمرو الداني في القراءات ومعرفتها ، وضبط رواياتها ، واختصاصه بذلك بالمكان الذي لا يدانيه أحد من أئمة القراءات ، فضلاً عن النحاة الذين ليسوا مقرئين ، ولا رووا القرآن عن أحد ، ولا روي عنهم القرآن ، هذا مع الديانة الزائدة ، والتثبت في النقل ، وعدم التجاسر ، ووفور الحظ من العربية ، فقد رأيت له كتاباً في (كلا) ، وكتاباً في (إدغام أبي عمرو الكبير) ، دلاّ على اطلاعه على ما لا يكاد يطلع عليه أئمة النحاة ولا المقرئين ، إلى سائر تصانيفه رحمه الله »[(١)] .

وإذا كانت القراءة من غير المتواتر والصحيح ، فلا حرج عندي إذا ردها أحد علماء النحو أو اللغة ، إن كان يمتلك الدليل الثابت . أما إن كانت القراءة القرآنية متواترة ، قد رويت بالأسانيد الصحيحة التي لا تقبل الشك ، فقد نقلت آراء جهابذة العلماء في قبولها وعدم جواز ردها وهي حجة على النحو لا العكس ، بعد بيان الأدلة على فصاحتها ، فهذه القراءات قد روتها الأمة جيلاً عن جيل ، عن أفصح الخلق سيدنا محمد ﷺ ، ولأنه قرأ بها وأقرأها لأصحابه ، بالصورة التي وصلت إلينا متواترة كما هي .

وسوف أناقش هذه المسألة في موضعها - إن شاء الله - بعد أن أعرف القراءات ، ضمن ما يتطلبه البحث .

(١) البحر المحيط (٣٠٩/٤) ، وينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٢٨/١) .

تعريف القراءات

القراءات في اللغة : جمع قراءة ، ومعناها الجمع والاجتماع [١] . فالقراءة مصدر من قرأ يقرأ قراءة وقرآناً ، فهو قارئ ، وهم قراء وقارئون [٢] . فالعالم بالقراءة يسمى مقرئاً وقارئاً ، وقد جاء في كلام العرب ومعناه العابد الناسك [٣] ، وهذا معنى عرفي .

والقراءة في الاصطلاح : علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم ونطقها ، من تخفيف ، وتشديد ، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف [٤] .

وعرف القسطلاني (ت : ٩٢٣ هـ) علم القراءات بأنه : « علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله ، واختلافهم في اللغة والإعراب ، والحذف والإثبات ، والتحريك والإسكان ، والفصل والاتصال ، وغير ذلك من هيئة النطق ، والإبدال من حيث السماع . أو هي : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً إلى ناقله » [٥] .

والمقرئ : هو العالم بالقراءات ، الذي رواها مشافهة ، فلو حفظ التيسير – مثلاً – ليس له أن يقرئ بما فيه ، إن لم يشافهه ممن شوفه به مسلسلاً ، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة [٦] .

والقارئ المبتدي : من شرع في الإفراد ، إلى أن يفرد ثلاثاً من القراءات .

والقارئ المنتهي : من نقل من القراءات أكثرها وأشهرها [٧] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة قرأ (٥/٧٩) .

(٢) تاج العروس مادة قرأ (١/١٠١) .

(٣) أساس البلاغة (١/١٠٠) .

(٤) القراءات وأثرها في علوم العربية (١/١٦) .

(٥) لطائف الإشارات (١/١٧٠) .

(٦) ينظر : منجد المقرئين صـ ٤٩ .

(٧) المصدر السابق صـ ٤٩ .

واختلاف القراء في القراءات كاختلاف الآثار التي رويت في الأحكام ، فمنها المجمع عليه ، السائر المعروف ، ومنها المتروك المكروه عند الناس ، المعيب من أخذ به . إلا أن أبا الخير محمد بن الجزري (ت : ٨٣٣ هـ) قد فرق بين اختلاف الفقهاء واختلاف القراء ، قال : « اختلاف القراء كله حق وصواب ، نزل من عند الله ، وهو كلامه لا شك فيه ، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي ، والحق في نفس الأمر فيه واحد ، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر ، نقطع بذلك ، ونؤمن به »[(١)] . وهذا مخصوص بالقراءات المتواترة والصحيحة دون ما كان ضعيف السند ، فالضعيف سنداً يمكن فيه الخطأ بل هو راجح .

وعلم القراءات من أشرف العلوم ، لما له من تعلق بكتاب الله . وقد أمرنا الباري ﷻ أن نتعبده بتلاوة كتابه الكريم تلاوة صحيحة ، فقال : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾[(٢)] . ويمكن لنا أن نتعرف على أركان القراءة الصحيحة ، التي يجوز للمسلم أن يتعبد بها ، والتي تصح بها صلاة المصلي ، بعد أن نعرض بإيجاز عن نشأة القراءات .

لمحة وجيزة عن نشأة علم القراءات

لقد نزل القرآن الكريم منجماً على قلب الرسول ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاماً . قال تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾[(٣)] . وإن أول ما نزل منه – على أرجح الأقوال – قوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[(٤)]. فهذه الآيات هن أول رحمة رحم الله بها الدنيا،

(١) النشر في القراءات العشر (١/٥٢) .

(٢) سورة المزمل : ٤ .

(٣) سورة الإسراء : ١٠٦ .

(٤) سورة العلق : ١ - ٥ .

وأول نعمة أنعم الله بها على البشرية منذ انقطاع آخر وحي . وإن آخر آية نزلت في أرجح الأقوال [١] هي : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[٢]. وإنّ نزول القرآن منجماً هو بمثابة نشوء للقراءات ، فقد أقرأ جبريل النبي ﷺ القرآن الكريم من أوله إلى آخره آية آية ، وكان رسول الله ﷺ يعلّم الصحابة بعد نزول الآيات مشافهة ، وهم بدورهم يعلمونها من سواهم . وكان النبي الكريم يتلو الآيات على أصحابه حسب لهجاتهم الفصيحة ، تيسيراً عليهم . فيأخذونها عنه مشافهة بلهجاتهم التي تختلف من قبيلة إلى أخرى .

ثم إن الصحابة ﷺ قد اختلف أخذهم وتلقيهم عن رسول الله ﷺ ، بسبب نزول القرآن على سبعة أحرف كل حسب ما سمع ، فلما تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال ، اختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم ، وأخذ تابعي التابعين عن التابعين ، وهلم جرّا ، حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين ، الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات ، يضبطونها ويتقنونها وينشرونها .

وحينما استحر القتل بالقراء في حروب الردة ، أي : بعد وفاة النبي ﷺ . طلب عمر بن الخطاب (ت : ٢٣ هـ) من أبي بكر (ت : ١٣ هـ) ﷺ أن يجمع القرآن الكريم ، فقال : « إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ... » [٣] . فلم يزل عمر يراجع أبا بكر حتى شرح الله صدره لذلك . فأمر زيد بن ثابت (ت : ٤٥ هـ) مع بعض الصحابة ، وهم أبيّ بن كعب (ت : ٢٢ هـ) ، وعبد الله بن مسعود (ت : ٣٢ هـ) ، وعثمان بن عفان (ت : ٣٥ هـ) ، وعلي بن أبي طالب (ت : ٤٠ هـ) ،

---

(١) ينظر فتح القدير (٣٨٠/١) .

(٢) سورة البقرة : ٢٨١ .

(٣) صحيح البخاري ، رقم الحديث (٤٧٠١) ، (١٩٠٧/٤) ، وينظر : السبعة في القراءات صـ ٦.

وطلحة بن عبيد الله (ت : ٣٦ هـ) ، وحذيفة بن اليمان (ت : ٣٦ هـ) ، وأبو الدرداء (ت : ٣٣ هـ) ، وأبو هريرة (ت : ٥٧ هـ) ، وأبو موسى الأشعري (ت : ٤٢ هـ) ﷺ ، أمرهم أن يتتبعوا القرآن ويجمعوه [١] .

« والاعتماد في نقل القرآن على الحفاظ ، ولذلك أرسل [عثمان ﷺ] كل مصحف مع من يوافق قراءته ، في الأكثر . وليس بلازم . وقرأ كل مصر بما في مصحفهم ، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ ، ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء قوم أسهروا ليلهم في ضبطها ، وأتعبوا نهارهم في نقلها ، حتى صاروا في ذلك أئمة للاقتداء ، وأنجماً للاهتداء ، فأجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم . ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ودرايتهم ، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم ، وكان المعول فيها عليهم » [٢] .

أركان القراءة الصحيحة

القراءة الصحيحة ما توافرت فيها الأركان الثلاثة المعروفة لدى القراء ، وهي : صحة السند ، وموافقة رسم المصحف الإمام ، وموافقة العربية ولو بوجه من وجوهها . وأول من أشار إلى هذا الضابط هو أبو جعفر الطبري [٣] (ت : ٣١٠ هـ) ، ثم الحسين بن أحمد بن خالويه [٤] (ت : ٣٧٠ هـ) ، ثم مكي بن أبي طالب القيسي [٥] (ت : ٤٣٧ هـ) ، ثم

---

(١) تتمة الحديث (٤٧٠١) ، والسبعة صـ ٦ .

(٢) ينظر: مناهل العرفان صـ ٤١٢ ، وهذه الكلمة نقلها الزرقاني عن النويري في شرحه على الطيبة .

(٣) ينظر : الإبانة صـ ٦٠ ، حيث نقل نصاً من كتاب (القراءات) للطبري ، صرح فيه بشرط صحة السند ، وموافقة الرسم ، ويؤخذ موافقة اللغة منهما .

(٤) القراءات لابن خالويه صـ ١٨ ، مخطوط مصور عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة . ينظر : القراءات القرآنية ، تاريخ وتعريف صـ ٤٣ ، وينظر : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١٦٢/١) .

(٥) الإبانة صـ ١٠ ، ١٠٣ ، ١٣٩ .

أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي [١] (ت : بعد ٤٣٠ هـ) ، ثم أبو عمرو الداني [٢] (ت : ٤٤٤ هـ) ، ثم أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة [٣] (ت : ٦٦٥ هـ) ، ثم أبو الخير محمد بن محمد المعروف بابن الجزري [٤] . قال ابن الجزري : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجهٍ ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة ، التي لايجوز ردها ولايحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها » [٥] .

وقد نظمها ابن الجزري في طيبة النشر بقوله :

وكل ما وافق وجه نحو	وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسناداً هو القرآن	فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت	شذوذه لو أنه في السبعة [٦]

وإليك تفسير هذه الضوابط :

١- أن توافق القراءة اللغة العربية بوجه من الوجوه. قال ابن الجزري : « وقولنا في الضابط ولو بوجه من وجوه النحو سواء أكان أفصح أم فصيحاً ، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضرّ مثله ، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع ، وتلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح ... وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية » [٧] .

---

(١) المصدر السابق (٩/١) .

(٢) المصدر السابق (٩/١) .

(٣) المرشد الوجيز صـ ١٤٥، ١٧١ .

(٤) النشر في القراءات العشر (٤٤/١) ، وينظر : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١٦٣/١) .

(٥) النشر في القراءات العشر (٩/١) .

(٦) ينظر : شرح طيبة النشر في القراءات العشر صـ ٥ .

(٧) ينظر : النشر في القراءات العشر (١٠/١) ، و مناهل العرفان (٤١٨/١) .

٢ – أن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، كقراءة ابن عامر :

﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ في سورة البقرة بغير واو ، و ﴿ بالزبر وبالكتاب المنير ﴾ في سورة « آل عمران » بزيادة الباء في الاسمين ، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي . ومثل :

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ في سورة الفاتحة بغير ألف ، فإنه كتب بغير ألف بعد الميم في جميع المصاحف ، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً . ويندرج فيه ما وقع الاختلاف فيه بالحركة والسكون ، مثل ﴿ القدُس ﴾ ، وبالتخفيف والتشديد مثل ﴿ ينشركم ﴾ في يونس ، وبالقطع والوصل المعبر عنه بالشكل ، مثل ﴿ ٱدۡخُلُوٓاْ ﴾ في غافر ، وباختلاف الإعجام مثل ﴿ يَعۡلَمُونَ ﴾ ، وبالإعجام والإهمال مثل ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ ، وكذا المختلف في كيفية لفظها ، كالمدغم والمسهل والممال والمرقق ، فإن المصاحف العثمانية هكذا كلها . ودخل في هذا قراءة ابن كثير في ﴿ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ من سورة التوبة ، فإنه ثابت في المصحف الكوفي .

واعلم أن من خالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً ، إذا ثبتت القراءة به ، ووردت مشهورة . ألا ترى أنهم يعدون إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء ﴿ تَسۡـَٔلۡنِي ﴾ في الكهف ، وقراءة ﴿ أكون من الصالحين ﴾، ونحو ذلك ، من مخالف الرسم غير المردود ، لتمشيه مع صحة القراءة ، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها [1] .

٣– صحة إسنادها ، والمراد بصحة الإسناد أن يروي هذه القراءة عدل ضابط عن

---

(١) ينظر : النشر في القراءات العشر (١/١١–١٢) ، ومناهل العرفان (١/٤١٩) .

مثله ، وهكذا إلى الرسول ﷺ ، من غير شذوذ ولا علة قادحة [(١)] .

وإن كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة يحكم بقبولها .

ويمكن لكل من لم يتحقق من القراءة الصحيحة المكتملة الأركان أن يقع في الخطأ ، وقد وقع الأعرابي الذي قرأ في أيام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في الخطأ .

ذكر ابن الأنباري في نزهة الألباء ، قال : « يروى أنه قدم أعرابيّ في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فقال : من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ ؟ فأقرأه رجل سورة براءة ، فقرأ : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ بجر اللام ، فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه ، فقال : يا أعرابي تبرأ من رسول الله ﷺ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قدمت المدينة ، ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يقرئني ؟ فأقرأني هذا سورة براءة ، فقال : (إن الله برئ من المشركين ورسولِه) . فقلت : أو قد برئ الله تعالى من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله ، فأنا برئ منه ، فقال عمر ﷺ : ليس هكذا يا أعرابي ، فقال : كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ . فقال الأعرابي : أنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم ، فأمر ﷺ أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة » [(٢)] .

من خلال هذه الرواية ندرك مدى ارتباط القراءة بسلامة اللغة ، ذلك أن الأعرابي بفطرته وسليقته أدرك وجه القراءة الخاطئة من الصائبة .

---

(١) ينظر : النشر (١/١٣) .

(٢) نزهة الألباء صـ ١٩-٢٠ ، وينظر مناهل العرفان (١/٤٢٠) .

الفرق بين القرآن والقراءة

يتساءل كثير من الناس : ما الفرق بين القراءة والقرآن ؟ ودار حول هذا الموضوع مناقشات ومناظرات ، قديماً وحديثاً . فتعددت الأقول في ذلك ، و سأجمل ما قاله العلماء في قولين مشهورين :

القول الأول : وهو رأي مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧ هـ) ، وبدر الدين الزركشي (ت : ٧٩٤ هـ) ، وهو التفريق بين القراءة والقرآن . مع اختلاف في وجهات النظر .

فيرى مكي أن التفريق بين القراءة والقرآن له شروط ، فإن كانت القراءة :

١- منقولة عن الثقات إلى النبي ﷺ .

٢- شائعة في العربية .

٣- موافقة لرسم المصحف .

فهي القراءة التي يقرأ بها ، يعني هي قرآن . وإن اختل شرط من هذه الشروط ، فليست بقراءة يقرأ به ، يعني ليست بقرآن [١] .

ونقل هذا عن أبي عمرو الداني [٢] (ت : ٤٤٤ هـ) ، وذكره السخاوي (ت : ٦٤٣ هـ) في جمال القراء [٣] ، وصرح بموافقة مكي أبو شامة في المرشد الوجيز [٤] .

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات صـ ٥٧ - ٥٨ - ١٠٠ ، وينظر : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١١٣/١ - ١١٤) .

(٢) ينظر : النشر في القراءات العشر (٩/١) .

(٣) جمال القراء (٤٤٠/٢) .

(٤) المرشد الوجيز صـ ١٧١ - ١٧٢ .

ويرى الزركشي أن هناك فرقاً بين القراءة والقرآن ، يفيد أنهما حقيقتان متغايرتان ، يختلف عما ذهب إليه مكي ، قال : « اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على (محمد) ﷺ للبيان والإعجاز . والقراءات : هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف ، أو كيفيتها ، من تخفيف ، وتثقيل ، وغيرهما . ولا بد من التلقي والمشافهة ، لأن القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع »[١] .

القول الثاني : أصحاب هذا القول لم يفرقوا بين القرآن والقراءة ، فكل قراءة عندهم هي قرآن ، وهذا القول نقله ابن الجزري في منجد المقرئين[٢] ، عن ابن دقيق العيد (ت : ٧٠٢ هـ) . ويرى ابن الجزري : أن القراءة المتواترة هي قرآن ، كما يرى أن القراءة المشهورة هي قرآن .

قال معقباً على القراءات المشهورة : « هذا وشبهه وإن لم يبلغ مبلغ التواتر صحيح مقطوع به ، نعتقد أنه من القرآن ، وأنه من الأحرف السبعة التي نزل بها ، والعدل الضابط إذا انفرد بشيء تحتمله العربية والرسم تلقي بالقبول ، قطع به وحصل به العلم »[٣] . ويرى ابن الجزري أن القراءات العشرة كلها متواتر مقطوع به ، منزل على النبي ﷺ وهو من الأحرف السبعة[٤] .

والذي يظهر لي أن القراءات المتواترة هي قرآن ، نزلت على النبي ﷺ ، وأن كل ما وافق السبع من الثلاث المعشرة هو قرآن ، وأن القراءات الشاذة ليست بقرآن ، لأن كثيراً منها أشبه بالتفسير . أما المتواترة فهي ما رسم في المصاحف . فالمصحف الذي يقرأ به اليوم في معظم العالم الإسلامي هو قراءة حفص عن عاصم ، والمصحف الذي يقرأ به في

---

(١) مقدمة البرهان في علوم القرآن (١/٥ – ١٣) .

(٢) منجد المقرئين صـ ٢٠ – ٢١ ، وينظر : النشر في القراءات العشر (١/١٥) .

(٣) منجد المقرئين صـ ١٩ ، وينظر : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١/١٥٢) .

(٤) منجد المقرئين صـ ١٦ ، والمصدر السابق (١/١٥٢ – ١٥٣) .

المغرب ، هو قراءة ورش عن نافع ، والمصحف الذي يقرأ به في السودان ، هو قراءة الدوري عن أبي عمرو . فالقرآن هو القراءة المتواترة ولا فرق . وهناك أدلة من السنة المطهرة ، تشير إلى أن القراءات المتواترة هي قرآن – مع أنني أعتقد أن هذه الأحاديث لا تفوت العلامة الزركشي وغيره من العلماء ، الذين فرقوا بين القراءة والقرآن ، ومن هذه الأحاديث : ما رواه عبد الرحمن بن أبي ليلى من حديث أبيّ بن كعب ﷺ أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : « إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، فقال أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك » ، ثم أتاه الثانية فقال : « إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين » ، فقال : « أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك » ، ثم أتاه الثالثة فقال : « إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف » ، فقال : « أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك » ، ثم جاءه الرابعة فقال : « إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا » [١] .

وكذلك حديث عمر ﷺ قال : « سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها ، فكدت أن أعجل عليه ، ثم أمهلته حتى انصرف ، ثم لببته بردائه ، فجئت به رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها ، فقال رسول الله ﷺ : أرسله ، اقرأ ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزلت » ، ثم قال لي : اقرأ ، فقرأت ، فقال : هكذا أنزلت . إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه » [٢] .

وعن عبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « أقرأني جبريل عليه السلام على

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي رقم الحديث (١٩٠٣) ، (٦/٣٤٤) .

(٢) رواه البخاري (٦/١٠٠) ، ومسلم (٢/٢٠٢) ، واللفظ لمسلم .

حرف واحد فراجعته ، فلم أزل أستزيده ، ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف »[١] .
فهذه الأحاديث تدل على أن القراءات التي قرأ بها النبي ﷺ هي قرآن ، لأن القراءات هي امتداد للأحرف السبعة ، لا كما يقول بعضهم : إنها تمثل حرفاً واحداً . والله أعلم بالصواب .

وقد انتهج علماء القراءات - منذ عصر الصحابة - أسلوباً علمياً دقيقاً ، في انتقال قراءة القرآن من المعلّم إلى المتعلّم : فلم يكن الشيخ يأذن لتلميذه بالإقراء إلا بعد أن يسمع التلميذ من الشيخ أولاً ، ثم يعرض على شيخه ما سمعه منه . وقد صنع رجال الحديث النبوي الشريف في تحمل السنة شيئاً قريباً من هذا ، غير أنهم اكتفوا في تحمل الحديث بالسماع من لفظ الشيخ ، ولا كذلك علماء القراءات[٢] .

فأئمة القراءات خدموا الأمة والملّة ، وحافظوا على الكتاب والسنة ؛ يقول السيوطي فيهم : « لما اتسع الخرق ، وكاد الباطل أن يتلبس بالحق ، قام جهابذة الأمة وبالغوا في الاجتهاد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ ، بأصول أصّلوها وأركان فصّلوها »[٣] .

من هم القراء السبعة ؟

لما انتهت رياسة علم القراءات إلى ابن مجاهد (هو أبو بكر أحمد بن يوسف بن العباس بن مجاهد ت : ٣٢٤ هـ) ، شرع في اختيار قراءات ، نظر فيها إلى كل إمام اشتهرت

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه (١٠٠/٦) ، ومسلم في صحيحه (٢٠٢/٢) ، وينظر : المغني في توجيه القراءات العشر (٥٠/١) .

(٢) ينظر إتحاف فضلاء البشر صـ ٥ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١٠٤/١) . وينظر : الوجيز في أصول القراءات وتوجيهها من لغة العرب صـ ٢ .

قراءته ، وفاق قراء عصره ضبطاً وإتقاناً ، وطالت ممارسته للقراءة والإقراء ، وشهد له أهل مصره بالأمانة في النقل وحسن الدين وكمال العلم ، واتباع خط المصحف المنسوب إلى مصره ، فأفرد من كل مصر إماماً هذه صفته ، قراءته على مصحف مصره ، فكان أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها ، والكسائي من أهل العراق ، وابن كثير من أهل مكة ، وابن عامر من أهل الشام ، ونافع من أهل المدينة ، وكلهم ممن اشتهرت أمانته ، وطال عمره في الإقراء ، وارتحل الناس إليه من البلدان [(١)] .

وقد علل مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) سر اختيارهم سبعة ، فقال :

« ليكونوا على وفق مصاحف الأمصار السبعة [(٢)] ، وتيمناً بأحرف القرآن السبعة ... على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمنع ذلك ، إذ عدد القراء الموثوق بهم أكثر من أن يحصى » [(٣)] .

ولعل من المفيد أن نستعرض هؤلاء الأئمة الذين اختارهم ابن مجاهد ، حسب ترتيب الإمام الشاطبي لهم في « حرز الأماني » ، وحسب ترتيب ابن الجزري لهم في طيبة النشر :

الأول : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي : اختلف في كنيته ، فقيل : أبو رويم ، وقيل : أبو محمد ، وقيل : أبو الحسن . قال نافع : « قال لي أستاذي أبو جعفر : قد عرفنا اسمك ، فما كنيتك ؟ فقلت : إن أبي سماني نافعاً ، ترى أن تكنيني ؟ فقال :

---

(١) الإبانة صـ ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) بزيادة مصحف لأهل اليمن ، ومصحف لأهل البحرين إلى الخمسة المشهورة ، ولم يجد ابن مجاهد إمامين في هذين المصرين ، فاستعاض عنهما بإمامين من أهل الكوفة ، لكثرة القراء بها ، قاله أبو شامة في مرشد المقرئين صـ ١٦٢ ، وينظر : من قضايا القرآن صـ ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٣) الإبانة صـ ٥١ .

أنت وجهك حسن ، وخلقك حسن ، وقراءتك حسنة ، وأنت أبو الحسن »[١] ، إمام أهل المدينة في القراءة ، قرأ على سبعين من التابعين ، وأقرأ الناس دهراً طويلاً . قال عنه الإمام مالك : نافع إمام الناس في القراءة ، (ت : ١٦٩ هـ)[٢] .

الثاني : عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان الداري المكي ، أبو معبد ، وقيل أبو محمد ، وقيل أبو بكر ، وقيل : أبو عباد ، وقيل : أبو المطلب ، إمام أهل مكة في القراءة ، تصدر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن . كان فصيحاً بليغاً ، قال عنه الأصمعي : كان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد بن جبر ، وما زال هو الإمام المجمع عليه بالقراءة حتى مات سنة (١٢٠ هـ)[٣] .

الثالث : أبو عمرو زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله المازني البصري . ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة[٤] ، قرأ بالكوفة والبصرة على جماعة كثر ، وليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه ، سمع أنس بن مالك ، كان عالماً بالقرآن والعربية ، مع الثقة والأمانة والدين ، قال عنه يونس بن حبيب : والله لو قسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان ، لكانوا كلهم علماء زهاداً ، والله لو رآه رسول الله ﷺ

---

(١) تنظر ترجمته في : وفيات الأعيان (٥/٣٦٨ - ٣٦٩) ، وسير أعلام النبلاء (٧/٣٣٦ - ٣٣٨) ، وغاية النهاية (٢/٣٣٠) ، وتهذيب التهذيب (١٠/٤٠٧ - ٤٠٨) ، وشذرات الذهب (١/٢٧٠) ، وغاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار (١/١٢) ، ومعرفة القراء الكبار (١/١٠٧) .

(٢) ينظر : غاية النهاية (٢/٣٣٠) ، معرة القراء الكبار (١/١٠٨) .

(٣) تنظر ترجمته في هداية القاري صـ ٢٨ ، ووفيات الأعيان (٣/٤١ - ٤٢) ، وسير أعلام النبلاء (٥/٣١٨ - ٣٢٢) ، وتهذيب التهذيب (٥/٣٦٧) ، وشذرات الذهب (١/١٥٧) .

(٤) غاية الاختصار (١/٣٥) .

لسره ما هو عليه . توفي بالكوفه سنة (١٥٤ هـ) [١] .

الرابع : أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي الشامي ، (من يحصب دهمان) [٢] . عربي صريح النسب ، قال عنه الإمام ابن الجزري : « بلغت قراءته التواتر ، كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين ، الذين أخذوا القراءة عن الصحابة » [٣] ، كان إمام جامع دمشق وقاضيها وشيخ الإقراء بها . توفي بدمشق سنة (١١٨ هـ) [٤] .

الخامس : أبو بكر عاصم بن أبي النجود ، واسم أبي النجود : بهدلة ، الأسدي ، شيخ الإقراء بالكوفة ، انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد السلمي ، فجلس في موضعه ، ورحل إليه الناس من الأقطار ، جمع بين الفصاحة والإتقان ، كان ضابطاً صدوقاً ، روى عنه أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ، وعدد كبير من الأئمة ، توفي على أرجح الأقوال سنة (١٢٧ هـ) [٥] .

السادس : أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات التميمي الكوفي ،

---

(١) تنظر ترجمته في هداية القاري صـ ٦٤٨ ، ووفيات الأعيان (٣/٤٦٦-٤٧٠) ، وسير أعلام النبلاء (٦/٤٠٧-٤١٠) ، وتهذيب التهذيب (١٢/١٧٨) ، وشذرات الذهب (١/٢٣٧-٢٣٨) .

(٢) ينظر : جمهرة أنساب العرب صـ ٤٧٨ .

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/٢٦٢) .

(٤) تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء (٥/٢٩٢) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/٤٢٣-٤٢٥) ، وتهذيب التهذيب (٥/٢٧٤) ، وشذرات الذهب (١/١٥٦) ، وغاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار (١/٢٩) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٤٤٩) .

(٥) تنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/١٠٩) ، وسير أعلام النبلاء (٥/٢٥٦) ، غاية النهاية (١/٣٤٦-٣٤٩) ، وتهذيب التهذيب (٥/٣٨) ، ومعرفة القراء الكبار (١/٨٨) ، وهداية القاري صـ ٢٨ .

كانت له الإمامة في الإقراء بعد عاصم ، كان حجة ثقةً ثبتاً بصيراً بالفرائض عالماً بالعربية ، حافظاً للحديث ، فقال عنه سفيان الثوري : « غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض » (ت : ١٥٦ هـ) [١] .

السابع : علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي الكسائي الكوفي ، انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات ، أخذ اللغة عن الخليل بن أحمد ، فصار إماماً في القراءات واللغة والنحو ، وإماماً للمدرسة النحوية الكوفية ، توفي سنة (١٨٩ هـ) [٢] .

القراءات في كتب النحويين

القراءات أصل في كتب النحو ، لأن القرآن الكريم بقراءاته المتواترة أصل للنحو العربي ، ولأن النحو قد ارتبط بالقرآن الكريم منذ نشأته . وقد صرّح بذلك علماء العربية منذ عهد سيبويه (ت : ١٨٠ هـ) ، وحتى المتأخرين من النحاة :

يقول سيبويه : « في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ [٣] ، في لغة أهل الحجاز ، وبنو تميم يرفعونها ، إلا من درى كيف هي في المصحف » [٤] .

---

(١) تنظر ترجمته في : طبقات ابن سعد (٣٨٥/٦) ، ووفيات الأعيان (٢١٦/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٩٠/٧-٩٢) ، وغاية النهاية (٢٦١/١-٢٦٣) ، وشذرات الذهب (٢٤٠/١) ، ومعرفة القراء الكبار (١١٠/١) ، غاية الاختصار (٥٦/١) ، شرح طيبة النشر صـ ١٠ ، وهداية القاري صـ ٦٤٨ .

(٢) ينظر : غاية النهاية (٦٢/١) ، ووفيات الأعيان (٢٩٥/٣-٢٩٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٣١/٩) ، وتهذيب التهذيب (٣١٣/٧-٣١٤) ، وشذرات الذهب (٣٢١/١) ، ومعرفة القراء الكبار (١٢٠/١) ، وهداية القاري صـ ٦٨٥ .

(٣) سورة يوسف : ٣١ .

(٤) الكتاب (٥٩/١) .

ويعلق الزركشي (ت : ٧٩٤ هـ) على كلام سيبويه بقوله : « وإنما كان كذلك لأن القراءة سنة مروية عن النبي ﷺ ولا تكون القراءة بغير ما روي عنه » [١] . ويقول سيبويه أيضاً : « فأما قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٢] ، فإنما هو على قوله : « زيداً ضربته ، وهو عربي كثير . وقد قرأ بعضهم : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ [٣] . إلا أن القراءة لا تخالف ، لأن القراءة سنة » [٤] .

ويقول أبو عمرو الداني (ت : ٤٤٤ هـ) : « والأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل والرواية . إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة ، فلزم قبولها والمصير إليها » [٥] .

تلحين النحويين للقرّاء

المعروف أن النحويين احتجوا بالقراءات القرآنية ، كما احتجوا بعموم كلام العرب ، فلا يوجد كتاب من كتب النحو المعتمدة إلا واستدل بالقراءات القرآنية . وأرى أن ما نقل من طعن بعض النحويين في بعض القراءات ، محمول على أن القراءة لم تثبت لديه بما تقوم به الحجة ، أو لأن الذي اجتهد قد غلب على ظنه أن هذه القراءة خطأ ، أو وهم من أحد الرواة الذين نقل عن طريقه هذه القراءة التي طعن فيها [٦] .

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٣٢٢) .

(٢) سورة القمر : ٤٩ .

(٣) فصلت : ١٧ .

(٤) الكتاب (١/١٤٨) .

(٥) عن المنجد : ٦٥ .

(٦) ينظر القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام (١/٢٤٩) .

وقد استمد علماء اللغة قواعدهم من كتاب الله تعالى ، و كلام رسول الله ﷺ ، وكلام العرب الفصيح . فقعدوا القواعد ، لتكون حامية للقرآن والسنة ، بل لتكون في خدمة كتاب الله . والحق أنه إذا ثبتت القراءة حسب الأركان التي مرت بنا قبل قليل ، فينبغي أن تكون القراءة هي الحكم على القاعدة النحوية ، لا أن نرجع نحن بالقراءة إلى القاعدة النحوية [١] .

ومعروف لدى الباحثين – كذلك – أن القراءات المتواترة حجة عند النحاة ، وقد ارتضوها ووافقوا عليها . وأن بعض القراءات لم يرتضها بعض النحويين ، فتأولها ، أو عارضها معارضة صريحة أو خفية ، لسبب من الأسباب لا لأن القراءات ليست حجة عنده .

من أسباب تلحين النحويين للقراء

اعتمد النحويون في تلحين القراء على جملة من الأسباب ، منها :

١- أنهم كانوا يحتكمون إلى قواعدهم التي قعدوها هم ، أو قوانينهم التي سنوها ، فرد البصريون قراءات متواترة ، كالفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وهي قراءة ابن عامر ، وكالعطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض ، وهي قراءة حمزة ، وغيرها مما سيرد – إن شاء الله – في هذا البحث .

٢- أحياناً يخفى توجيه القراءة على بعض النحويين ، فيسارع إلى ردها ، كقراءة ﴿ هئت لك ﴾ بكسر الهاء ، وفتح التاء ، التي قال عنها أبو علي الفارسي (ت : ٣٧٧ هـ) : « إنها وهم من الراوي » [٢] . وكقراءة حمزة ﴿ إِلَّآ أَن يُخَافَآ ﴾ [٣] بالبناء للمفعول ، قال

---

(١) انظر مناهل العرفان (٤١٥/١) .

(٢) الحجة في القراءات (٤٢٠/٤) .

(٣) سورة البقرة : ٢٢٩ .

الفراء عنها : « ولا يعجبني ذلك »[١] . وكقراءة ابن كثير ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ بكسر الخاء وفتح الطاء والمد ، قال أبو حيان في البحر : « قال النحاس : لا أعرف لها وجهاً ، ولذلك جعلها أبو حاتم غلطاً »[٢] .

٣- ينظر بعض النحويين إلى الشائع من اللغات ، ويغفل عن غيره ، كقراءة ابن عامر ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ ﴾[٣] . جاء في الكتاب : في « غدوة » لغتان ، اللغة الأولى استعمالها معرفة ، علم جنس ، فلا تدخل عليها أل ، واللغة الثانية : استعمالها نكرة ، فيجوز تعريفه[٤] . إلا أن أبا عبيدة لحن ابن عامر ، وقال : إنما قرأ تلك القراءة اتباعاً لخط المصحف ، وليس في إثبات الواو في الكتاب دليل على القراءة بها ، لأنهم كتبوا الصلاة والزكوة بالواو ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ﴿ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾[٥] .

٤- رد بعض النحويين قراءة ربما وافقت القياس ، كقراءة ﴿ أَيِمَّة ﴾ بالياء ، وقد قال الزمخشري : « فأما التصريح بالياء فليس بقراءة ، ولا يجوز أن تكون قراءة ، ومن صرح بها فهو لاحن »[٦] . وهي قراءة نافع في أحد وجهيه[٧] .

يقول ابن خالويه (ت : ٣٧٠ هـ) : « قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن ، لا خلاف في ذلك »[٨] .

وقد شنع ابن حزم (ت : ٤٥٦ هـ) على النحاة الذين يردون بعض القراءات ،

---

(١) معاني القرآن (١/١٤٥) .

(٢) البحر المحيط (٦/٣٢) ، وينظر : إعراب القرآن للنحاس (١/٣١٤) .

(٣) سورة الكهف : ٢٨ .

(٤) الكتاب (٢/٤٨) .

(٥) البحر المحيط (٤/١٣٦) .

(٦) الكشاف (٢/١٤٢) ، وينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم (١/٢٢) .

(٧) ينظر : غيث النفع ص ١١٤-١١٥ .

(٨) نقلاً عن المزهر في علوم العربية (١/٢١٣) ، وينظر القراءات وأثرها في التفسير (١/٢٤٦) .

لمخالفتها القياس بزعمهم ، ثم هم يثبتون اللغة بما هو دون القراءة ، فقال : « ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرىء القيس (ت نحو : ١٣٠-١٨٠ ق. هـ.) ، أو لزهير (ت : ١٣ ق. هـ.) ، أو لجرير (ت : ١١٠ هـ) ، أو الحطيئة (ت : ٤٥ هـ)، أو الطرماح (ت نحو : ١٢٥ هـ) ، أو للشماخ (ت : ٢٢ هـ) ، أو لأعرابي أسدي ، أو أسلمي ، أو تميمي ، أو من سائر أبناء العرب بوّال على عقبيه ، لفظاً في شعر ، أو نثر ، جعله في اللغة ، وقطع به ، ولم يعترض فيه ، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه ، ولا جعله حجة ، وجعل يصرفه عن وجهه ، و يحرفه عن مواضعه ، ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه ، وإذا وجد لرسول الله ﷺ كلاماً فعل به مثل ذلك »[١] . وسوف أناقش بعض النحاة الذين ردوا بعض القراءات المتواترة . ولما رأيت كثيراً من النحاة يلحن قراءة ابن عامر وقراءة حمزة ، أحببت أن أقدمهما ، وأتوسع في مناقشة هاتين القراءتين ، إن شاء الله تعالى :

أمثلة من تلحين النحويين للقراء وردود عليها

إن كتب النحو واللغة والتفسير وغيرها قد تضمنت نصوصاً كثيرة في الطعن على الأئمة القراء ، الذين تواترت قراءاتهم ، وارتضتها الأمة بالقبول . وقد أحصيت أكثر من خمسين موضعاً في الرد على قراءات سبعية متواترة ، قرأ بها الأئمة الأعلام . ولا أستطيع من خلال هذا البحث أن أناقش النحويين في كل المواضع ، فإنه يحتاج إلى دراسة مستفيضة . لكنني سأذكر أمثلة - هنا - لإيضاح الفكرة ومناقشتها :

مثال (١)

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾[٢].

---

(١) الفصل في الملل والنحل (١٩٢/٣) ، وينظر القراءات وأثرها في التفسير (٢٤٧/١) .

(٢) سورة الأنعام : ١٣٧ .

قرأ ابن عامر ﴿ زُيِّنَ ﴾ بضم الزاي ، على ما لم يسم فاعله ، و﴿ قَتْلُ ﴾ بالرفع ، على أنه مفعول لم يسم فاعله ، و﴿ أَوْلَـٰدَهُمْ ﴾ بالنصب ، وخفض همزة شركائهم ، فتكون قراءة الباقين بفتح الزاي والياء ، ونصب لام قتل ، وخفض دال أولادهم ، ورفع همزة شركائهم[١] .

* التلـــحـــين :

ردّ هذه القراءة أبو زكريا الفراء ، إلا أن ردّه لم يكن صريحًا ، بل ذكر أنه لم يعرف جهتها . قال : « وفي بعض مصاحف أهل الشام ﴿ شركايهم ﴾ بالياء .

فإن تكن مثبتة عن الأولين فينبغي أن يقرأ ﴿ زينَ ﴾ ، وتكون « الشركاء » هم الأولاد ، لأنهم منهم في النسب والميراث ... فإن كانوا يقرؤون ﴿ زُيِّنَ ﴾ ، ولست أعرف جهتها ، إلا أن يكونوا منها آخذين بلغة قوم يقولون : « أتيتها عشايا » ثم يقولون في تثنية الحمراء : « حمرايان » فهذا وجه أن يكونوا قالوا : زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ، وإن شئت جعلت زين إذا فتحته فعلاً لإبليس ، ثم تخفض الشركاء باتباع الأولاد »[٢] .

قال مكي : « وهذه القراءة فيها ضعف »[٣] .

وقال نصر بن علي الشيرازي الفارسي النحوي (ت : ٥٦٥ هـ) : « بنى الفعل للمفعول ، وأسنده إلى القتل ، وأعمل القتل الذي هو مصدر الفعل ، وأضافه إلى

---

(١) ينظر : السبعة صـ ٢٧٠ ، والتيسير صـ ١٠٧ ، والكشف عن وجوه القراءات (١/٤٥٣) ، والموضح في وجوه القراءات وعللها (١/٥٠٥) ، والوافي في شرح الشاطبية صـ ٢٦٨ .

(٢) معاني القرآن (١/٣٥٧-٣٥٨) .

(٣) الكشف (١/٤٥٤) .

الشركاء، وهو فاعل ، ونصب الأولاد ، لأنه مفعول به ، وفصل بالأولاد بين المضاف والمضاف إليه ، والتقدير : زين لهم قتل شركائهم أولادهم ، فقدم وأخر ، وهو قبيح ، قليل في الاستعمال »[١] .

سبحان الله العظيم ، كيف تكون قبيحة ؟ وهي قراءة متواترة ، رويت بالسند المتصل إلى النبي ﷺ .

وأما الطبري فقد استقبح هذه القراءة أيضاً ، فردها معتمداً في ذلك على القاعدة النحوية ، التي لا تجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول . يقول : « قرأ أهل الشام ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ ﴾ بضم الزاي ﴿ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْل ﴾ بالرفع ، ﴿ أَوْلَٰدِهِمْ ﴾ بالنصب ، ﴿ شركائهم ﴾ بالخفض ، بمعنى : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ، ففرقوا بين الخافض والمخفوض ... وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح »[٢] .

وأما الزمخشري فردها كذلك بقوله : « وأما قراءة ابن عامر ﴿ قتل أولادهم شركائهم ﴾ برفع القتل ، ونصب الأولاد ، وجر الشركاء ، على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف ، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر ، لكان سمجًا مردوداً »[٣] .

* **الرد :**

وممن صوب هذه القراءة : ابن مالك ، وأبو حيان ، وابن الجزري ، والأشموني ، والصبان ، والسيوطي ، والآلوسي ، وغيرهم . وأكتفي بما قاله ابن مالك ، وأبو حيان ،

(١) الموضح في وجوه القراءات وعللها (٥٠٦/١) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القران (٣١/٨) .

(٣) الكشاف (٥٤/٢) .

وابن الجزري ، قال ابن مالك في الكافية الشافية :

فصل مضاف شبه فعل ما نصب مفعولاً أو ظرفاً أجز ولم يعب
فصل يمين واضطراراً وجدا بأجنبي أو بنعت أو ندا [١]

فقد أجاز ابن مالك أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه بما نصبه المضاف ، من مفعول أو ظرف أو ما يشبهه [٢] .

وممن دافع عن هذه القراءة أبو حيان الأندلسي النحوي ، قال وهو يرد على الزمخشري : « وأعجب لعجمي ضعيف في النحو [٣] ، يرد على عربي صريح محض ، قراءة متواترة ، موجود نظيرها في لسان العرب ، في غير ما بيت ... وأعجب لسوء ظن الرجل بالقرّاء الأئمة ، الذين تخيرتهم هذه الأمة ، لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم وفهمهم وديانتهم ... وإذا كانوا قد فصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالجملة في قول بعض العرب : هو غلام – إن شاء الله – أخيك . فالفصل بالمفرد أسهل » [٤] .

وقد استدل أبو حيان في رده على الزمخشري بقول أبي الفتح : « إذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال العربي ، وما جاء به ، فإذا كان فصيحاً ، وكان ما أورده يقبله القياس ، فالأولى أن يحسن الظن به ، لأنه يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة ، قد طال عهدها وعفا رسمها » . ثم استدل بقول أبي عمرو بن العلاء المشهور : « ما انتهى إليكم مما

---

(١) ينظر : شرح ابن عقيل على الألفية (٨٢/٣) .

(٢) ينظر : المصدر السابق (٨٢/٣) .

(٣) ليس الزمخشري ضعيفاً في العربية ، فهو إمام من أئمتها ، إلا أنه جانب الصواب في رده لقراءة متواترة .

(٤) البحر المحيط (٢٢٩/٤) .

قالته العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير »[١] .

أما ابن الجزري فقال : « قلت : والحق في غير ما قاله الزمخشري ، ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأي والتشهي . وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل ؟ بل الصواب جواز مثل هذا الفصل ، وهو الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول في الفصيح الشائع الذائع اختياراً . ولا يختص ذلك بضرورة الشعر . ويكفي في ذلك دليلاً هذه القراءة الصحيحة المشهورة ، التي بلغت التواتر . كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين ، الذين أخذوا عن الصحابة ، كعثمان بن عفان وأبي الدرداء ﷺ ، وهو مع ذلك عربي صريح ، من صميم العرب . فكلامه حجة ، وقوله دليل لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به ، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وروى وسمع ورأى ... »[٢] .

وهذه الأدلة كافية لأن يعتقد الباحث أن هذه القراءة ليست قبيحة كما قال بعضهم ، ولا ضعيفة ، بل هي أجدر بالتقدير من القاعدة النحوية المستحدثة ، وقد تحقق نقلها بالتواتر ، عن النبي ﷺ . فهل القدسية للقراءة المتواترة ؟ أو للقاعدة النحوية ؟

فاللسان العربي اشتمل على كثير من الأساليب التي ورد فيها الفصل بين المتضايفين ، بأشكال وأنواع شتى ، في شعر الأعشى ، وعمرو بن كلثوم ، وبجير بن زهير ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وتأبط شراً ، والفرزدق ، وجرير ، وأبي زيد الطائي ، وأبي حية النميري ، وذي الرمة[٣] .

وهذه القراءة قوية في النقل والمعنى .

أما النقل : فوردت شواهد كثيرة ، منها قول الشاعر :

---

(١) البحر المحيط (٤/٢٣٠) ، وأثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية صـ ٧٥-٧٦ .

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٦٣) .

(٣) ينظر : نظرية النحو القرآني صـ ٨٢ .

عتـوا إذ أجبنـاهم إلى السـلم رأفـة　　　فسقناهم سوق البغاث الأجـادل [١]

حيـث فصـل بـين المضـاف وهـو « سـوق » ، والمضـاف إليه وهـو « الأجـادل » . والأجادل : جمع أجدل ، وهو طائر ضعيف ، بقوله : البغاث . وقول الشاعر :

فزججتـــــها بمزجـــــة　　　زج القلوص أبي مزادة [٢]

حيث فصل بين المضاف « زج » ، والمضاف إليه « أبي مزادة » ، بالمفعول « القلوص » . وجاء مثله قراءة بعض السلف [٣] ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥ ﴾ [٤] ، حيث نصب ﴿ وَعْدِهِۦ ﴾ على أنها مفعول به للمصدر ﴿ مُخْلِفَ ﴾ . وكقول الشاعر :

ما زال يـوقن مـن يؤمـك بـالغنى　　　وسواك مـانع فضـله المحتـاج [٥]

ففصل بالمفعول « فضله » بين المضاف « مانع » ، والمضاف إليه « المحتاج » .

وأما المعنى ، فمن أوجه :

١ - كون الفاصل فضلة ، فإنه صالح لعدم الاعتداد به .

---

(١) وبعده :　　　ومن يلغ أعقاب الأمور فإنه　　　جدير بهلك آجـل أو معاجل
وهو من شواهد الأشموني في شرحه على ألفية ابن مالك ، رقم (٤٩٧) .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء (١/٣٥٨) ، والخصائص (٢/٤٠٦) ، والحجة لأبي زرعة صـ ٣٧٣ ، والفريد في إعراب القرآن الكريم للمنتجب الهمداني (٣/١٧٧) . وهـو مـن شـواهد الأشمـوني في شرحه على ألفية ابن مالك برقم (٤٩٩) .

(٣) هي قراءة ذكرها الزمخشري في الكشاف (٢/٥٣٠) ووصفها بالضعف ، وذكرها الهمداني في الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/١٧٧) ، والجمل في حاشيته على الجلالين (٤/١٦٤) . وقال : هي قراءة جماعة من القراء . وذكرها الأشموني في شرحه على الألفية (٢/٢٧٦) .

(٤) سورة إبراهيم : ٤٧ .

(٥) هو من شواهد الأشموني في شرحه على ألفية ابن مالك رقم (٥٠٠) .

٢- أنه غير أجنبي ، يعني : الفاصل ، لأنه معمول للمضاف وهو المصدر .

٣- أن الفاصل مقدر التأخير ، لأن المضاف إليه مقدر التقديم ، لأنه فاعل في المعنى، حتى إن العرب لو لم تستعمل مثل هذا الفصل ، لاقتضى القياس استعماله ، لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبي كثيراً ... وإذا كانوا قد فصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالجملة في قول بعض العرب : « هو غلام - إن شاء الله - أخيك » ، فالفصل بالمفرد أسهل [١] .

وهذه الأدلة كافية ، مع أن كتب التفسير والنحو مملوءة بالشواهد .

مثال (٢)

قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [٢] .

قرأ حمزة الزيات الكوفي ﴿ وَٱلْأَرْحَامِ ﴾ ، بالخفض ، عطفاً على الضمير المخفوض بالباء ، و وقرأ الجمهور ﴿ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ بالنصب [٣] .

* التلحين :

أنكر هذه القراءة وحرّم القراءة بها المبرد ، حيث قال : « لو صليت خلف إمام يقرأ بالكسر لحملت نعلي ومضيت » [٤] .

وضعّفها الزمخشري بقوله : « والجر على عطف الظاهر على المضمر ليس بسديد ، لأن الضمير المتصل متصل كاسمه ، والجار والمجرور كشيء واحد ، فكانا في قولك : مررت

(١) ينظر : إعراب القرآن للسفاقسي ، مخطوط ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك (٢/٩٧٩) وما بعدها .

(٢) سورة النساء : ١ .

(٣) السبعة صـ ٢٢٦ ، والتيسير صـ ٩٣ ، والكشف عن وجوه القراءات (١/٣٧٥) ، والنشر (٢/٢٢٧) ، والوافي في شرح الشاطبية صـ ٢٤٢ .

(٤) الكامل في اللغة والأدب (٢/٧٤٩) .

به وزيد ، وهذا غلامه وزيد ، شديدي الاتصال ، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة ، فلم يجز . ووجب تكرار العامل ، كقولك : مررت به وبزيد »(١) .

وخطأها الزجاج فقال : « فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر . وخطأ أيضا في أمر الدين عظيم ، لأن النبي ﷺ قال : « لا تحلفوا بآبائكم » فكيف يكون تتساءلون به وبالرحم على ذا »(٢) .

وضعفها نصر بن علي بن محمد الفارسي النحوي ، حيث قال : « والأرحام بالخفض ، قرأها حمزة وحده ، وهو ضعيف ، لأنه عطفه على الضمير المجرور بالباء ، وهذا يضعف من جهة القياس والاستعمال جميعاً »(٣) .

* الـــرد :

هذه القراءة مسندة إلى النبي ﷺ ، قال بصحتها جمع من النحويين واللغويين ، منهم : ابن جني ، وابن يعيش ، وأبو حيان الأندلسي ، وابن زنجلة ، وغيرهم .

– يقول ابن جني : « ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس ، ... لحمزة أن يقول لأبي العباس : إنني لم أحمل الأرحام على العطف على المجرور المضمر ، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت : وبالأرحام ، ثم حذف الباء لتقدم ذكرها ، كما حذفت لتقدم ذكرها في نحو قولك : بمن تمرر أمر ، وعلى من تنزل أنزل ، ولم يقل أمرر به ، ولا أنزل عليه ، لكن حذفت الحرفين لتقدم ذكرهما »(٤) .

---

(١) الكشاف (١/٤٩٣) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/٦) .

(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها (١/٤٠٢) .

(٤) الخصائص (١/٢٨٥) .

وقال ابن يعيش : « إن أكثر النحويين قد ضعف هذه القراءة نظرًا إلى العطف على المضمر المخفوض ... ثم قال : ويحتمل وجهين آخرين غير العطف على المكني المخفوض : أحدهما : أن تكون الواو واو قسم ، وهم يقسمون (بالأرحام) ويعظمونها – وجاء التنزيل على مقتضى استعمالهم ، ويكون قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ۝ ﴾ ، جواب القسم . والوجه الثاني : أن يكون قد اعتقدوا أن قبله باء ثانية ، حتى كأنه قال وبالأرحام ، ثم حذف الباء لتقدم ذكرها »[١] .

وأما أبو حيّان فلا يكتفي بالرد على من ضعّف هذه القراءة ، بل يرد عليهم عامة ، وعلى ابن عطية خاصة فيقول : « وما ذهب إليه البصريون وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية ، من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار ، ومن اعتلالهم لذلك غير صحيح . بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك ، وأنه يجوز ... »[٢] . وأضاف أبو حيان : « وأما قول ابن عطية : ويرد عندي هذه القراءة ... إلى آخر كلامه ، فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ، ولا بطهارة لسانه ، إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ ، قرأ بها سلف الأمة ، واتصلت بأكابر قراء الصحابة ، الذين تلقوا القرآن من رسول الله ﷺ بغير واسطة ، عثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأقرأ الصحابة أبي بن كعب ﷺ ، عمد إلى ردها هو بشيء خطر له في ذهنه ؛ وهذه الجسارة لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري ، فإنه كثيراً ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم . وحمزة ﷺ أخذ القرآن عن سليمان بن مهران الأعمش ، وحمران بن أعين ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وجعفر بن محمد الصادق . ولم يقرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر ، وكان حمزة صالحاً ورعاً ثقة في الحديث ... »[٣] . وبعد هذا البيان لابد لي من كلمة أقولها :

---

(١) شرح المفصل (٧٨/٣) .

(٢) البحر المحيط (١٤٤/٢) وما بعدها .

(٣) المصدر السابق (١٥٦/٣) .

تمسك معظم النحويين بالقاعدة المعروفة لدى البصريين ، التي لاتجيز عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض . ولو أنعمنا النظر في القرآن الكريم لرأينا شواهد كثيرة ، ورد فيها عطف الاسم الظاهر على الضميرالمخفوض دون إعادة الخافض . ولا أدري لم أهملها النحاة ! مع أنهم احتجوا بأبيات شعر سمعت عن بعض العرب ، وبنصوص من كلام العرب الفصحاء ، وكتاب الله قمة الفصاحة والبيان . فمن الشواهد التي وردت في القرآن الكريم :

١- قوله تعالى : ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [(١)] . فـ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ﴾ بقراءة الجر معطوف على الهاء في ﴿ بِهِۦ ﴾ دون إعادة الخافض [(٢)] .

٢- قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [(٣)] . أجاز الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) أن تكون ﴿ مَا ﴾ في موضع خفض ، لأنها معطوفة على الضمير المخفوض في ﴿ فِيهِنَّ ﴾ أي : يفتيكم الله فيهن وما يتلى عليكم غيرهن [(٤)] .

٣- قوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ . و ﴿ ٱلْمُقِيمِينَ ﴾ عند الكسائي في موضع خفض بالعطف على الكاف في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ، والتقدير « يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلاة ، وهم الأنبياء ، أو الملائكة » [(٥)] . وقيل : هو عطف على الكاف في قوله : ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ، أي

---

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٢) ينظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/٤٥٤) .

(٣) سورة النساء : ١٢٧ .

(٤) معاني القرآن (١/٢٩٠) ، وينظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/٧٩٧) .

(٥) ينظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/٨١٨) .

يؤمنون بالذي أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة ، وهم الأنبياء [(١)] .

فهذه الآيات جاءت في القراءات السبعة المحكمة ، وهذا الذي جعل أبا حيّان يقول عن قراءة حمزة : « ومن ادعى اللحن فيها أو الغلط على حمزة فقد كذب » [(٢)] .

ولذلك كان ابن مالك على صواب تام حين قال في ألفيته مخالفا رأي البصريين ، ومؤيدًا قراءة حمزة :

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا
وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتا [(٣)]

وحينما عدد أبو حيّان مذاهب النحاة في جواز العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض قال : « والذي نختاره ، أنه يجوز ذلك في الكلام مطلقًا ، لأن السماع يعضده ، والقياس يقويه ، أما السماع فما روي من قول العرب : (ما فيها غيره وفرسه) ، بجر الفرس ، عطفًا على الضمير في (غيره) والتقدير : (ما فيها غيره ، وغير فرسه) » [(٤)] .

مثال (٣)

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [(٥)] .

---

(١) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن (٢٧٦/١) ، والفريد (٨١٨/١) .

(٢) البحر المحيط (١٤٧/٢) .

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢٣٩/٣) .

(٤) البحر المحيط (١٤٧/٢) ، وينظر : نظرية النحو القرآني صـ ٧٦-٧٧ .

(٥) سورة الزمر : ٩ .

قرأ نافع وابن كثير وحمزة بتخفيف الميم ﴿ أَمَنْ ﴾ ، وقرأ الباقون بالتشديد [١] .

* التلحـــين :

ضعّف هذه القراءة ولحّن من قرأ بها : أبو الحسن الأخفش ، فقال : « القراءة بالتخفيف ضعيفة » [٢] ، وضعفها كذلك أبو حاتم [٣] .

* الـــرد :

هذه القراءة – كما هو معلوم – متواترة ، رويت عن كبار القراء ، إلا أنه لحّنها بعض النحويين – كما ترى – ولو تتبعنا وجوهها في العربية ، لرأينا مسوغاتها اللغوية بيّنة . فالألف يجوز أن تكون للنداء ، ويجوز أن تكون للاستفهام ، إن أضمر معادل .

قال الفراء : الهمزة للنداء ، كأنه قيل : يا من هو قانت ، ويكون قوله : قل ، خطاباً له [٤] .

وقال مكي بن أبي طالب القيسي : « وحجة من خففه أنه جعله نداء ، فالألف للنداء ، ودليله قوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ﴾ ناداه ، شبهه بالنداء ، ثم أمره ، ويحسن أن تكون الألف للاستفهام ، على أن تضمر معادلاً للألف في آخر الكلام ، تقديره : أمن هو قانت كمن هو بخلاف ذلك ، ودل عليه قوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . ولا بد من هذا الإضمار ، لأن التسوية تحتاج إلى اثنين ، وإلى

---

(١) التيسير صـ ١٨٩ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٢٣٧) ، والموضح في وجوه القراءات (١/١١١٢) ، والنشر في القراءات العشر (٢/٣٦٢) ، والوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع صـ ٣٥٣ .

(٢) ينظر البحر المحيط (٩/١٨٩) .

(٣) ينظر المصدر السابق (٩/١٨٩) .

(٤) البحر المحيط (٩/١٨٨) .

جملتين ، والقراءتان متقاربتان حسنتان »[١] .

ولا يختلف كلام أبي البركات الأنباري كثيراً عما قاله مكي . إذ يقول : « من قرأ بالتخفيف ففيه وجهان :

أحدهما : أن تكون الهمزة للاستفهام بمعنى التنبيه ...

والثاني : أن تكون الهمزة للنداء ، يامن هو قانت أبشر فإنك من أهل الجنة ... »[٢] .

وقال نصر بن علي في الموضح : « والوجه أن الألف للاستفهام ، و ﴿ من ﴾ موصولة بمعنى الذي ، و ﴿ هُوَ قَٰنِتٌ ﴾ صلتها ، والتقدير : أمن هو قانت كمن جعل لله أنداداً ، وليس للنداء ههنا موضع »[٣] .

وهذا أبو حيان النحوي يحتج لها من الشعر والنثر ، فيقول : « ﴿ أَمَّن ﴾ بتخفيف الميم ، والظاهر أن الهمزة لاستفهام التقرير ، ومقابلة محذوف لفهم المعنى ، والتقدير : أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله : « قل تمتع بكفرك » ؟ ويدل عليه قوله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . ومن حذف المقابل قول الشاعر :

دعاني إليها القلب إني لأمرها سميع فما أدري أرشد طلابها[٤]

تقديره : أرشد طلابها أم غيّ » .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات (٢/٢٣٧) ، وينظر : النشر (٢/٣٤٧) ، وزاد المسير (٧/١٦٥) ، وتفسير النسفي (٤/٥١) .

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/٣٢٢) .

(٣) الموضح (٣/١١١٢) ، يشير إلى الذين فسروا الهمزة بأنها حرف نداء .

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ينظر : شرح أشعار الهذليين (١/٤٣) ، وهو من شواهد المغني برقم (٤) ، وبلا نسبة في شرح الأشموني (٢/٣٧١) .

مثال (٤)

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] .

قرأ حمزة : ﴿ يُخَافَا ﴾ بضم الياء على البناء للمفعول ، وقرأ الباقون بفتح الياء على البناء للمعلوم [(٢)] .

*** التلحـــين :**

لحن هذه القراءة الفراء ، وقال : « لا يعجبني ذلك ... وأما ما قاله حمزة فإنه إن كان أراد اعتبار قراءة عبد الله [(٣)] فلم يصبه – والله أعلم – لأن الخوف إنما وقع على ﴿ أن ﴾ وحدها ، إذ قال : ألا يخافوا أن لا ، وحمزة قد أوقع الخوف على الرجل والمرأة وعلى أن [(٤)] ؛ ألا ترى أن اسمها في الخوف مرفوع بما لم يسم فاعله ... » [(٥)] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٩ .

(٢) التيسير صـ ٨٠ ، والسبعة صـ ١٨٢ ، والكشف عن وجوه القراءات (١/٢٩٤) ، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٢٧) ، وينظر : مصحف القراءات العشر صـ ٣٦ .

(٣) يريد قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) جاء في حاشية معاني القرآن للفراء (١/١٤٦) : « يريد أنه على قراءة حمزة ﴿ يُخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا ﴾ ببناء الفعل للمفعول ، يكون الفعل قد عمل في نائب الفاعل ، وفي أن ومعمولها ، وكأن الفعل قد عمل في أكثر من معمول واحد الرفع ، وهذا غير مألوف إلا على وجه التبعية . والنحويون يصححون هذا الوجه بأن يكون ﴿ أَلَّا يُقِيمَا ﴾ بدل اشتمال من نائب الفاعل » .

(٥) معاني القرآن (١/١٤٥) .

* **الـــرد :**

وجه جوازها أن الخوف في الحقيقة لا ينبغي أن يكون واقعاً عليهما ، لأنهما لا يخافان ترك حدود الله تعالى ، بل يخاف عليهما ذلك ، فلهذا بني الفعل للمفعول به ، فأسند إليهما ، والتقدير : إلا أن يخافا على أن لا يقيما حدود الله ، فحذف الجار وأوصل الفعل ، فموضع أن وما بعده نصب بوقوع الفعل عليهما (١) .

والمعنى : أنه بني الفعل للمفعول ، وهذا على تعدية خاف إلى مفعولين ، أحدهما أسند الفعل إليه ، والآخر ﴿ **أن** ﴾ بتقدير حرف جر محذوف ، فموضع ﴿ **أن** ﴾ خفض بالجار المقدر أو في محل نصب ، لأنه لما حذف الجار صار الفعل إلى المفعول الثاني ، مثل : أستغفر الله ذنباً ، وأمرتك الخير (٢) .

وقد احتج لقراءة حمزة مكي بن أبي طالب القيسي بقوله : « وحجة قراءة حمزة بضم الياء أنه بنى الفعل للمفعول ، والضمير في ﴿ **يُخَافَآ** ﴾ مرفوع لم يسم فاعله ، يرجع للزوجين ، والفاعل محذوف ، وهو الولاة والحكام ، والخوف بمعنى اليقين ، وقيل بمعنى الظن » (٣) . والمعنى : إلا أن يعلم الزوجان ألا يقيما حدود الله .

وجاء في الفريد : « وقرئ ﴿ **إِلَّآ أَن يُخَافَآ** ﴾ على البناء للمفعول ، على أن يكون الخلع إلى الحاكم ، أي : إلا أن يخافا الحاكم الزوجين ، ثم حذف الفاعل وأقيم ضمير الزوجين مقامهما » (٤) .

قال أبو حيان : « طعن في هذه القراءة من لا يحسن توجيه كلام العرب ،

---

(١) الموضح في وجوه القراءات وعللها (٣٢٧/١) .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٠٧/١) .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٩٥/١) .

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤٦٧/١) .

وهي قراءة صحيحة مستقيمة في اللفظ وفي المعنى ... »[١] .

وأعتقد أن هذه الأدلة كافية على صحة قراءة حمزة ، علاوة على أنها متواترة ، قد قرأ بها أفصح الخلق سيدنا رسول الله ﷺ .

مثال (٥)

قال تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾[٢] .

قرأ حمزة والكسائي بإضافة ﴿ مِائَة ﴾ إلى ﴿ سِنِين ﴾ ، ولم يضف الباقون[٣] .

*** التلحين :**

خطأ هذه القراءة أبو حاتم ، قال أبو حيان : « وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة ، ولا يجوز له ذلك »[٤] ، كما خطأها المبرد في المقتضب ، قال : « وقد قرأ بعض القراء بالإضافة فقال : ﴿ ثَلَاثَ مِائَة سِنِينَ ﴾ وهذا خطأ في الكلام غير جائز ، وإنما يجوز في الشعر للضرورة »[٥] .

*** الرد :**

سأنقل آراء جهابذة اللغة والنحو والقراءات ، ليتبين للقارئ أن تلحين المبرد وغيره ليس من المسلمات التي لا يرد عليها :

---

(١) البحر المحيط (٢/٢٢٩) .

(٢) سورة الكهف : ٢٥ .

(٣) السبعة صـ ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، والنشر (٢/٣١٠) ، والكشف عن وجوه القراءات (١/٥٨) ، وينظر : مصحف القراءات العشر المتواترة صـ ٢٩٦ .

(٤) البحر المحيط (٧/١٦٤) .

(٥) المقتضب (٢/١٧١) .

قال الفراء : « ومن العرب من يضع السنين في موضع سنة ، فهي حينئذ في موضع خفض لمن أضاف »[١] .

وقال المهدوي : « ... ومن أضاف ولم ينون ، فإنه أوقع الجمع موقع الواحد ، فبين به كما يبين بالواحد ، وأخرج الكلام على أصله ، لأن قولك عندي ثلاثون درهماً وما أشبهه معناه : عندي ثلاثون من الدراهم ، فكذلك ثلاثمئة سنة ، أصلها : ثلاثمئة من السنين ، لكنهم استعملوا التفسير بالواحد ، وكثر ذلك حتى صار التفسير بالجمع شاذاً . وقد قيل : من نون إنما جاء به على التفسير أيضاً ، وذلك أنه لما قال : ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة وقع الإبهام عند السامعين هل هي سنون ؟ أو أشهر ؟ أو أيام ؟ فقال : سنين على جهة البيان »[٢] .

ولا يختلف رأي مكي بن أبي طالب القيسي عما قاله المهدوي : « وحجة من أضاف أنه أجرى الإضافة إلى الجمع كالإضافة إلى الواحد ، في قولك : ثلاث مائة درهم وثلاث مائة سنة ، وحسن ذلك ، لأن الواحد في هذا الباب إذا أضيف إليه بمعنى الجمع ، فحملا الكلام على المعنى ، وهو الأصل ، لكنه يبعد لقلة استعماله ، فهو أصل قد رفض استعماله ، وقد منعه المبرد ولم يجزه ، ووجهه ماذكرناه »[٣] .

وأما القاضي عبد الحق بن عطية فاحتج لها - كذلك - وبين أن سنين بمنزلة سنة : « وقرأ حمزة والكسائي ويحيى وطلحة والأعمش بإضافة ﴿ مِائَة ﴾ إلى ﴿ سِنِينَ ﴾ وترك التنوين ، وكأنهم جعلوا ﴿ سِنِينَ ﴾ بمنزلة سنة ، إذ المعنى بهما واحد . قال أبو علي : إذ هذه الأعداد التي تضاف في المشهور إلى الآحاد نحو ثلثمائة

(١) معاني القرآن (٢/١٣٨) .

(٢) شرح الهداية (٢/٣٩٤) .

(٣) ينظر : الكشف عن وجوه القراءات (٢/٥٨) .

رجل وثوب قد تضاف إلى الجموع »[١] .

وممن احتج لها الإمام ابن زنجلة ، حيث قال : « قال قوم[٢] : ليست هذه القراءة مختارة ، لأن العرب إذا أضافت هذا الجنس أفردت ، فيقولون : (عندي ثلثمائة دينار) ، ولا يقولون : (عندي ثلثمائة دنانير) ، ولا يقولون (هؤلاء ثلثمائة رجال) ، إنما يقولون (ثلثمائة رجل) . بل هذه القراءة مختارة . وحجتهما [أي حمزة والكسائي] أنهما أتيا بالجمع بعد قوله (ثلثمائة) على الأصل ، لأن المعنى في ذلك هو الجمع . وذلك أنك إذا قلت (عندي مئة درهم) فالمعنى مئة من الدراهم . والجمع هو المراد من الكلام ، والواحد إنما اكتفي به من الجمع ، إذا قيل (ثلثمائة سنة وثلثمائة رجل) لأن الواحد ها هنا يؤدى على معنى الجمع بذكر العدد قبله ، فعاملوا الأصل الذي هو مراد المتكلم ولم يكتفيا بالواحد من الجمع »[٣] .

هذه هي آراء علماء العربية ، من أهل اللغة والنحو والقراءات ، فهل بعد هذا البيان من شك في هذه القراءة المتواترة وهل يجوز ردها ، أو التشكيك في صحتها ؟

مثال (٦)

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[٤] .

قرأ ابن كثير بكسر الخاء والمد ﴿ خطاء ﴾ ، وقرأ ابن ذكوان بفتح الخاء والطاء من غير مد ، وقرأ الباقون بكسر الخاء وإسكان الطاء من غير مد ، وكلهم نوّن وهمز[٥] .

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٥١٠) .

(٢) يعني بالقوم : الفراء ومن وافقه .

(٣) حجة القراءات صـ ٤١٤ .

(٤) سورة الإسراء : ٣١ .

(٥) السبعة صـ ١٨٢ ، والنشر (٢/٢٢٧) ، والكشف عن وجوه القراءات (٢/٤٥) ، وينظر : مصحف القراءات العشر صـ ٢٨٥ .

* **التلحـــين :**

قال النحاس : « فأما قراءة من قرأ : كان خطاء ، بالكسر والمد ، فلا يعرف في اللغة ، ولا في كلام العرب »[(١)] ، وقال أبو حاتم : هذه القراءة غلط غير جائز ، ولا يعرف هذا في اللغة[(٢)] . وقال المهدوي : « وقراءة ابن كثير على أنه مصدر ما قد استعمل مطاوعه ، وفيه بعد »[(٣)] .

* **الـــرد :**

هو مصدر خاطأ على فاعل يخاطئ ، مثل قاتل يقاتل قتالاً ، وقد جاء مطاوعه « تخاطأ » على تفاعل ، قال الشاعر وهو يصف مهاة :

تخاطأه القنّاص حتى وجدته ... وخرطومه في منقع الماء راسب[(٤)]

فإذا جاء تخاطأ حصل منه خاطأ ، وإن لم يستعمل[(٥)] .

قال أبو علي الفارسي : « هي مصدر من خاطأ يخاطئ ، وإن كنا لم نجد خاطأ ، ولكن وجدنا تخاطأ ، وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه ، ومنه قول الشاعر :

ألا أبلغا خلتي جابراً ... بأن خليلك لم يقتل

تخاطأتِ النبل أحشاءه ... وأخّر يومي فلم يعجل[(٦)]

---

(١) معاني القرآن (٤/١٤٨) .

(٢) ينظر : البحر المحيط (٧/٤٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٢١) .

(٣) شرح الهداية (٢/٣٨٥) .

(٤) ينسب هذا البيت لمحمد بن البسري . وموضع الشاهد فيه قوله : « تخاطأه » حيث جاء تخاطأ على تفاعل ، ومن معانيه مطاوعة فاعل ، فإذا جاء تخاطأ حصل منه خاطأ ، وإن لم يستعمل . ينظر : الموضح في وجوه القراءات وعللها (٢/٧٥٥) .

(٥) ينظر : المصدر السابق (٢/٧٥٥) .

(٦) البيتان لأوفى بن مطر المازني ، ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/٥) ، ولسان العرب مادة « خ ط أ » ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٢٣) ، والفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/٢٧١) .

وقال الآخر في كمأة :

تخاطأه القعاص حتى وجدته ... وخرطومه في منقع الماء راسب

فكان هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل »[١] .

وقال ابن مالك :

لفاعل : الفعال ، والمفاعله ... وغير ما مر السماع عادله

أي : كل فعل على وزن فاعل فمصدره فاعل فعالاً ومفاعلة ، مثل ضارب ضراباً ومضاربة ، وقاتل قتالاً ومقاتلة ، وخاصم خصاماً ومخاصمة[٢] .

فهل يجوز لأحد أن يرد قراءة لأنه لايعرف وجهها في العربية ؟ أو يردها لأن استعمالها في العربية عن طريق السماع ، ولم يصل إليه ذلك السماع ؟ أو يردها لأنها تستعمل في العربية على قلة ؟ إن هناك ألفاظاً فصيحة لم يستعملها العرب ، فنزل بها القرآن ، فظن بعض النحاة أن هذه القراءة على لغة ليست فصيحة .

مثال (٧)

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝ ﴾[٣] .

قرأ ابن عامر بفتح الهمزة ﴿ أنهم ﴾ ، وقرأ الباقون بكسرها ﴿ إِنَّهم ﴾[٤] .

---

(١) الحجة (٥/٩٧) ، وينظر : البحر المحيط (٦/٣٢) ، وفيه القناص .

(٢) ينظر : شرح ابن عقيل (٣/١٣١) .

(٣) سورة الأنفال : ٥٩ .

(٤) السبعة صـ ٣٠٨ ، والكشف عن وجوه القراءات (١/٤٩٤) ، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٧٧) ، ومصحف القراءات العشر المتواترة صـ ١٨٤ .

* **التلحين :**

استبعد هذه القراءة أبو عبيد ، وأبو حاتم ، قال أبو حيان : « واستبعد أبو عبيد وأبو حاتم قراءة ابن عامر ، ولا استبعاد فيها لأنها تعليل للنهي ، أي لا تحسبنهم فائتين لأنهم لا يعجزون ، أي لا يقع منك حسبان لفوتهم ، لأنهم لا يعجزون ، أي لا يفوتون »[١] .

* **الرد :**

وجه الصواب في هذه القراءة على تقدير اللام ، وهو متعلق بما قبله تعلق المفعول له ، والتقدير لا يحسبن الذين كفروا سبقوا لأنهم لا يفوتون[٢] .

جاء في الكشاف : « وقرئ بالفتح بمعنى : لأنهم ، كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل ، إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف ، والمفتوحة تعليل صريح »[٣] .

قال القاضي عبد الحق بن عطية : « وقرأ ابن عامر وحده من السبعة ﴿ أنهم لا يعجزون ﴾ بفتح الألف من ﴿ أنهم ﴾ ، ووجهه أن يقدر بمعنى لأنهم لا يعجزون ، أي لا تحسبن عليهم النجاة لأنهم لا ينجون »[٤] .

فخلاصة آراء العلماء في هذه الآية أن القراءة على حذف لام التعليل ، فالجملة في تأويل مصدر هو علة للنهي ، أي لأنهم لا يعجزون[٥] .

---

(١) البحر المحيط (٤/٥١٠) .

(٢) الموضح في وجوه القراءات (٢/٥٨٢) .

(٣) الكشاف (٢/٢١٩) .

(٤) المحرر الوجيز (٢/٥٤٥) .

(٥) التحرير والتنوير (٩/١٤٤) .

مثال (٨)

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [١] .

قرأ ابن عامر وحده ﴿ بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾ بالواو ، وكذلك في الكهف ، وقرأ الباقون ﴿ بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾ بدون واو [٢] .

*** التلحــــين :**

خطأ هذه القراءة أبو عبيدة ، قال : « إنما نرى ابن عامر والسلمي قرأ تلك القراءة اتباعاً للخط ، وليس في إثبات الواو في الكتاب دليل على القراءة بها ، لأنهم كتبوا الصلاة والزكاة بالواو » [٣] .

*** الــــرد :**

وجه ذلك أن غدوة وإن كان اسماً علماً صيغ لهذا الوقت المعلوم [٤] ، ومن حقه أن لا يدخله الألف واللام ، فإنه قدّر فيه التنكير والشياع ، وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من الأعلام ، نحو ما حكاه سيبويه عن العرب : هذا يوم اثنين مباركاً فيه [٥] ، فلما قدر في غدوة التنكير ، جوز إدخال الألف واللام عليه ، وهذا كما يقال : لقيته فينة،

---

(١) سورة الأنعام : ٥٢ .

(٢) السبعة صـ ٢٥٨ ، ٣٩٠ ، والتيسير صـ ١٠٢ ، والكشف (١/) ، والموضح (١/٤٦٩) ، والنشر (٢/٢٥٨) .

(٣) البحر المحيط (٤/١٣٦) .

(٤) الغدوة : البكرة مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس ، ينظر لسان العرب ، مادة « غ د ا » .

(٥) قال سيبويه : « اعلم أن غدوة وبكرة جعلت كل واحدة منهما اسماً للحين ، كما جعلوا (أم حبين) اسماً للدابة معرفة ، فمثل ذلك قول العرب : هذا يوم اثنين مباركاً فيه ، وأتيتك يوم اثنين مباركاً فيه ، جعل اثنين اسماً له معرفة ، كما تجعله اسماً لرجل » ، الكتاب (٣/٢٩٣) .

غير منصرف [(١)] ، ثم تقول : لقيته الفينة بعد الفينة ، فندخل الألف واللام على ما يستعمل معرفة [(٢)] .

قال أبو حيان مصوّباً قراءة ابن عامر وراداً على أبي عبيدة : « وهذا من أبي عبيدة جهل بهذه اللغة ، التي حكاها سيبويه والخليل ، وقرأ بها هؤلاء الجماعة ، وكيف يظن بهؤلاء الجماعة القراء أنهم إنما قرؤوا بها لأنها مكتوبة في المصحف بالواو ؟ والقراءة إنما هي سنة متبعة . وأيضاً فابن عامر عربي صريح ، كان موجوداً قبل أن يوجد اللحن ، لأنه قرأ القرآن على عثمان بن عفان ونصر بن عاصم ، أحد العرب الأئمة في النحو ، وهو ممن أخذ علم النحو عن أبي الأسود الدؤلي مستنبط علم النحو ، والحسن البصري ، وهو من الفصاحة بحيث يستشهد بكلامه ، فكيف يظن بهؤلاء أنهم لحنوا واغتروا بخط المصحف ؟ ولكن أبو عبيدة جهل هذه اللغة ، وجهل نقل هذه القراءة فتجاسر على ردها عفا الله عنه » [(٣)] .

مثال (٩)

قال تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴾ [(٤)] .

قرأ قالون ﴿ أرْجِهِ ﴾ باختلاس كسرة الهاء ، وقرأ ورش والكسائي بكسر الهاء ، وقرأ ابن كثير وهشام ﴿ أرجئه ﴾ بإشباع ضمة الهاء ، وقرأ أبو عمرو ﴿ أرجئه ﴾ باختلاس ضمة الهاء ، وقرأ ابن ذكوان ﴿ أرجئه ﴾ باختلاس كسرة الهاء ، وقرأ الباقون بترك الهمز وإسكان الهاء [(٥)] .

---

(١) للعلمية والتأنيث .

(٢) الموضح في وجوه القراءات (١/٢٦٩-٢٧٠) .

(٣) البحر المحيط (٤/١٣٦) .

(٤) سورة الأعراف : ١١١ .

(٥) السبعة صـ ٢٨٧-٢٨٩ ، والموضح في وجوه القراءات وعللها (٢/٥٤٣) ، والنشر في القراءات العشر (١/٣١١-٣١٢) ، ومصحف القراءات العشر المتواترة صـ ١٦٤ .

* **التلحـــين :**

لحّن أبو علي الفارسي قراءة ابن كثير ﴿ أرجئه ﴾ ، وقال : وهذا غلط . وقال أيضاً : ضم الهاء مع الهمز لا يجوز [١] .

* **الـــرد :**

قال ابن زنجلة : « أرجئهو مهموزة بواو بعد الهاء في اللفظ . وأصل هذه الهاء التي للمضمر أن تكون مضمومة بعدها واو كقولك (ضربتهو يافتى) و (مررت بهو يافتى) ... وعلامة الأمر في (أرجئهو) زيادة الهمزة » [٢] .

فوجه هذه القراءة أنه أمر من أرجأت الأمر إذا أخرته ، فالأصل فيه الهمز ، والهاء أصله الضم أيضاً ، وأن يتصل به واو بعده ، فأجراه ابن كثير على الأصل في إلحاق الواو ؛ لأنه جعل الهاء فاصلاً بين الساكنين ، فلم يجتمعا [٣] .

وقال أبو حيان : « وما ذهب إليه الفارسي وغيره من غلط هذه القراءة ، وأنها لا تجوز قول فاسد ، لأنها قراءة متواترة روتها الأكابر عن الأئمة ، وتلقتها الأمة بالقبول ، ولها توجيه في العربية ... فلا وجه لإنكار هذه القراءة » [٤] .

مثال (١٠)

قال تعالى : ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [٥] .

---

(١) البحر المحيط (١٣٥/٥) .

(٢) حجة القراءات ص ٢٩٠ .

(٣) ينظر : الموضح في وجوه القراءات (٥٤٣/٢) .

(٤) البحر المحيط (١٣٥/٥) .

(٥) سورة الأنبياء : ٨٨ .

قرأ أبو بكر (شعبة) وابن عامر بنون واحدة ، وتشديد الجيم . وقرأ الباقون بنونين وبالتخفيف [١] .

*** التلحـــين :**

لحن هذه القراءة الزجاج ، حيث قال : « فأما ماروي عن عاصم بنون واحدة فلحن لا وجه له ، لأن ما لا يسمى فاعله لا يكون بغير فاعل . وقد قال بعضهم : نجّي النجاء المؤمنين ، وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم » [٢] .

ولا أعجب من رأي الزجاج في تلحين هذه القراءة المتواترة ، لكنني أعجب من رأي إمام من أئمة القراءات ، احتج للقراءات ودافع عنها ، هو مكي بن أبي طالب القيسي ، حيث جعلها غير متمكنة في العربية ، إذ يقول : « وحجة من قرأ بنون واحدة أنه بنى الفعل للمفعول ، فأضمر المصدر ، ليقوم مقام الفاعل ، وفيه بعد من وجهين : أحدهما أن يقوم المفعول مقام الفاعل دون المصدر ، فكان يجب رفع (المؤمنين) ، وذلك مخالف للخط . و الوجه الثاني : أنه كان يجب أن تفتح الياء من (نجي) ، لأنه فعل ماض ، كما تقول : (رُمي وكُلم) فأسكن الياء ، وحقها الفتح . فهذا الوجه بعيد في الجواز . وقيل : إن هذه القراءة على طريق إخفاء النون الثانية في الجيم . وهذا أيضاً بعيد ، لأن الرواية بتشديد الجيم والإخفاء لا يكون معه تشديد . وقيل : أدغم النون في الجيم ، وهذا أيضاً لا نظير له ، لا تدغم النون في الجيم في شيء من كلام العرب لبعد ما بينهما . وإنما تعلق من قرأ هذه القراءة أن هذه اللفظة في أكثر المصاحف بنون واحدة ، فهذه القراءة إذا قرئت بتشديد

---

(١) السبعة صـ ٢٤٢ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع (١١٣/٢) ، والموضح في وجوه القراءات وعللها (٤٣٥/١) ، والنشر في القراءات العشر (٢٥٣/٢ ، ٢٥٤) ، وينظر : مصحف القراءات العشر المتواترة صـ ٣٢٩ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣٠٤/٣) .

الجيم ، وضم النون ، وإسكان الياء غير متمكنة في العربية »[١] .

وليس غريباً أن يصف الزمخشري توجيه هذه القراءة بالتعسف ، وذلك بقوله : « والنون لا تدغم في الجيم ، ومن تمحل لصحته فجعله فعّل ، وقال : نجي النجاء المؤمنين ، فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ، ونصب المؤمنين بالنجاء ، فمتعسف بارد التعسف »[٢] .

* **الـــرد :**

قال الفراء : « ... أضمر المصدر في نجي فنوي به الرفع ، ونصب ﴿ **ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ فيكون كقولك : ضرب الضرب زيداً ، ثم تكني عن الضرب فتقول : ضرب زيداً . وكذلك نجي النجاء المؤمنين »[٣] .

فتأويل هذه القراءة : نجّي النجاء المؤمنين ، فيكون « النجاء » مرفوعاً ، لأنه اسم ما لم يسمّ فاعله ، و﴿ **ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ نصب لأنه خبر ما لم يسم فاعله ، فتقول : « ضرب الضربُ زيداً » . وحجتهم قراءة أبي جعفر ؛ قرأ ﴿ **لِيُجزى قَوْمًا بِمَا كَانُوا** ﴾[٤]. وقال أبو عبيد : يجوز أن يكون أراد : ﴿ **نُنجي** ﴾ فأدغم النون في الجيم ، و﴿ **ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ نصب لأنه مفعول به ، فـ (نجي) على ما ذكره أبو عبيد فعل مستقبل ، وعلامة الاستقبال سكون الياء[٥] .

جاء في الفريد في إعراب القرآن المجيد : « وقرئ ﴿ **نجّي** ﴾ بنون واحدة ، وتشديد الجيم وإسكان الياء ، وفيه أوجه : أحدها : أنه فعل ماض مبني للمفعول مسند إلى مصدره ، وإسكان يائه تخفيف والمؤمنين نصب ، لأنه المفعول الثاني ، أي : نجي النجاء المؤمنين ،

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع (١١٣/٢) .

(٢) الكشاف (١٣٣/٣) .

(٣) معاني القرآن (٢١٠/٢) .

(٤) سورة الجاثية : ١٤ .

(٥) حجة القراءات صـ ٤٦٩ .

كقولك : ضرب الضرب زيداً ، وأنشد :

ولو ولدتْ فقيرةُ جروَ كلبٍ   لسب بذلك الجروِ الكلابا [١]

أي لسب السب ... والثاني : أنه فعل مستقبل ، إلا أن النون أدغمت في الجيم بعد قلبها جيماً ، وهذا ضعيف ، لأن النون تخفى عند الجيم ، ولا تدغم فيها . والثالث : أن أصله ننجي بنونين ، الأولى مضمومة ، والثانية مفتوحة ، فحذفت الثانية كراهة اجتماع المثلين ، كما حذفت إحدى التائين من ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [٢] ، و﴿ تَسَآءَلُونَ ﴾ [٣] وشبههما ، فبقي « نجي » كما ترى ، وهذا أقرب الأوجه [٤] .

وبعد هذه الجولة أقول : لقد دافع عن القراء كثير من جهابذة اللغة والنحو والتفسير والقراءات ، فردوا على من لحن قراءات متواترة من النحويين ، نسوق بعض تلك الردود :

قال الصفاقسي : « القراءة لا تتبع العربية ، بل العربية تتبع القراءة ؛ لأنها مسموعة من أفصح العرب بإجماع ، وهو نبينا محمد ﷺ » [٥] .

وقال الفخر الرازي : « أنا شديد العجب من هؤلاء النحويين ، إذا وجد أحدهم بيتاً من الشعر ولو كان قائله مجهولاً ، جعله دليلاً على صحة القراءة ، وفرح به ، ولو جعل

---

(١) هذا البيت لجرير بن عطية يهجو به الفرزدق ، وينظر : الخصائص (٣٩٧/١)، وخزانة الأدب (١٦٣/١) ، والحجة لابن خالويه صـ ٢٢٦ ، وهمع الهوامع (١٦٢/١) .

(٢) في قوله : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٣) في قوله : ﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ ، سورة النساء : ١ .

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٠٠/٣) .

(٥) غيث النفع صـ ٤٩ ، ٥٠ .

صحة القراءة دليلاً على صحته ، لكان أولى »[١] .

وقال أبو حيان : « القراءة سنة متبعة ، ويوجد فيها الفصيح والأفصح ، وكل ذلك من تيسيره تعالى القرآن للذكر » .

وقال ابن الجزري : « حتى إن بعضهم قطع في قوله ﷻ : ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾[٢] أن الإدغام الذي أجمع عليه الصحابة ﷺ والمسلمون لحن ، وأنه لا يجوز عند العرب ، لأن الفعل الذي هو (تأمن) مرفوع ، فلا وجه لسكونه ، حتى أدغم في النون التي تليه . فانظر يا أخي إلى قلة حياء هؤلاء من الله تعالى يجعلون ما عرفوه من القياس أصلاً ، والقرآن العظيم فرعاً ، حاشا العلماء المقتدى بهم من أئمة اللغة والإعراب ... »[٣] .

ولما كان أكثر القراء الذين تعرضوا للرد والتلحين من النحويين ، هما ابن عامر الشامي ، وحمزة الزيات الكوفي ، رأيت أن أسوق بعض شهادات العلماء فيهما ، ليتبين للقارئ مَنْ هو ابن عامر ، ومَنْ هو حمزة :

قال أبو علي الأهوازي : « كان عبد الله بن عامر إماماً عالماً ، ثقة فيما أتاه ، حافظاً لما رواه ، متقناً لما وعاه ، عارفاً فهماً قيماً فيما جاء به ، صادقاً فيما نقله ، من أفاضل المسلمين ، وخيار التابعين ، وأجلة الراوين ، لا يتهم في دينه ، ولا يشك في يقينه ، ولا يرتاب في أمانته ، ولا يطعن عليه في روايته ، صحيح نقله ، فصيح قوله ، عالياً في قدره ، مصيباً في أمره ، مشهوراً في علمه ، مرجوعاً إلى فهمه ، لم يتعد فيما ذهب إليه الأثر ، ولم يقل قولاً يخالف فيه الخبر »[٤] .

---

(١) من : دراسات لأسلوب القرآن (١/٢٧) .

(٢) سورة يوسف : ١١ .

(٣) منجد المقرئين صـ ٢٠٠ .

(٤) طبقات القراء (١/٤٢٥) .

وقال أبو حيان : « ابن عامر عربي صريح ، كان موجوداً قبل أن يوجد اللحن ؛ لأنه قرأ القرآن على عثمان بن عفان ، ونصر بن عاصم أحد الأئمة في النحو ، وهو ممن أخذ علم النحو عن أبي الأسود الدؤلي مستنبط علم النحو »[١] .

وقال ابن الجزري عن ابن عامر : « كان إماماً كبيراً ، وتابعياً جليلاً ، وعالماً شهيراً، أمّ المسلمين بالجامع الأموي في أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وناهيك بذلك منقبة ، وجمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بدمشق ، ودمشق إذ ذاك دار الخلافة ، ومحط رجال العلماء والتابعين ، فأجمع الناس على قراءته ، وعلى تلقيها بالقبول ، وهم الصدر الأول الذين هم أفاضل المسلمين »[٢] .

وأما ابن مالك فقال في الكافية الشافية عند حديثه عن المتضايفين :

وعمدتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر[٣]

وأما حمزة فقال عنه ابن الجزري : « وكان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش ، وكان ثقة كبيراً ، حجة راضياً قيماً بكتاب الله ، مجوداً عارفاً بالفرائض والعربية ، حافظاً للحديث ، ورعاً عابداً ، خاشعاً ناسكاً ، زاهداً قانتاً لله ، لم يكن له نظير »[٤] .

وقال سفيان الثوري : « غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض »[٥] .

وقال عنه أيضاً : « ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر »[٦] .

---

(١) البحر المحيط (١٣٦/٤) .

(٢) النشر في القراءات العشر (١٤٤/١) .

(٣) الكافية الشافية (٩٧٩/٢) .

(٤) النشر في القراءات العشر (١٦٦/١) .

(٥) طبقات القراء (٢٦٣/١) .

(٦) المصدر السابق (٢٦٣/١) .

وقال عنه الذهبي : « كان إماماً حجة ، قيّماً بكتاب الله ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالفرائض والعربية ، عابداً خاشعاً قانتاً لله »[١] .

وقال حمزة عن نفسه : « ما قرأت حرفاً إلا بأثر »[٢] .



(١) معرفة القراء الكبار (١/١١٢) .

(٢) المصدر السابق (١/١١٤) .

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات العشر ، الشيخ أحمد الدمياطي ، طبع دار الندوة - بيروت ، د.ت. .

٣- الإبانة عن معاني القراءات ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحـ : د. عبد الفتاح شلبي ، المكتبة الفيصلية ، ط٣ (١٤٠٥هـ) .

٤- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، ط١ (١٩٩٩م) .

٥- أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ، طبع مؤسسة علي جراح الصباح- الكويت ، ط٣ (١٩٨٧م) .

٦- أساس البلاغة ، الزمخشري ، تحـ : عبد الرحمن محمود ، دار المعرفة - بيروت ، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .

٧- إعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، تحـ : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب - بيروت ، ط٢ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

٨- البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي النحوي ، دار الفكر - بيروت ، ط٢ (١٣٩٨هـ-١٩٨٧م) .

٩- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - صيدا ، ط٢ ، بلا .

١٠- البيان في إعراب غريب القرآن ، أبو البركات الأنباري ، تحـ : د. طه عبد الحميد طه ، طبع دار الهجرة - إيران ، (١٤٠٣هـ) .

١١- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، دار مكتبة الحياة ، بلا .

١٢- التفسير الكبير ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط٣ ، بلا .

١٣- تفسير النسفي ، عبدالله بن أحمد النسفي ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، بلا .

١٤- تهذيب التهذيب ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، مطبعة دار المعارف النظامية ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، بلا .

١٥- التيسير في القراءات السبع ، الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، مطبعة الدولة - استانبول ، (١٩٣٠م) ، أعادت طبعه مكتبة المثنى ، ببغداد .

١٦- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، طبع دار الحديث - القاهرة ، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .

١٧- الجامع لأحكام القلرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحـ : عبد الرزاق المهدي ، طبع دار الكتاب العربي ، ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

١٨- جمال القراء وكمال الإقراء ، علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ، تحـ : عبد الكريم الزبيدي ، دار البلاغة - بيروت ، ط١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .
١٩- جمهرة أنساب العرب ، علي بن أحمد بن حزم ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤٠٣هـ) .
٢٠- الحجة في القراءات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحـ : د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٥ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .
٢١- حجة القراءات ، ابن زنجلة ، تحـ : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .
٢٢- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد ، أبو علي الفارسي، تحـ : بدر الدين قهوجي ، وبشير جويجاتي ، طبع دار المأمون - دمشق ، ط١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
٢٣- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحـ : علي النجار ، دار العربي ، بيروت ، د.ت. .
٢٤- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ط١ (١٩٧٢م) .
٢٥- الدراسات النحوية في تفسير ابن عطية ، د. ياسين جاسم المحيمد ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١ (٢٠٠٠م) .
٢٦- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .
٢٧- سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ ، بلا .
٢٨- السبعة في القراءات ، ابن مجاهد ، تحـ : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ١٩٧٢م .
٢٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، المكتبة التجارية - بيروت ، بلا .
٣٠- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الفكر ، بلا .
٣١- شرح أشعار الهذليين : صنعة أبي سعيد السكري ، تحـ : عبد الستار أحمد فراج ، ومراجعة محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة - القاهرة . بلا .
٣٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، تحـ : محيي الدين عبد الحميد ، طبع مكتبة دار التراث - القاهرة ، ط٢٠ (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) .
٣٣- شرح طيبة النشر ، محمد بن محمد بن الجزري ، تحـ : الشيخ علي محمد الضباع ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط١ (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م) .
٣٤- شرح الكافية الشافية ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك ، تحـ : د. عبد المنعم أحمد هريدي ، دار المأمون للتراث - مكة المكرمة ، ط١ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .
٣٥- شرح المفصل ، ابن يعيش ، المطبعة المنيرية - مصر ، (١٩٢٨م) .

٣٦- شرح الهداية ، الإمام أبو العباس أحمد بن عمّار المهدوي . تحـ : د. حازم سعيد حيدر ، طبع مكتبة الرشد - الرياض ، ط١ (١٩٩٥م) .

٣٧- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، المطبعة المنيرية - مصر ، (١٩٢٨م) .

٣٨- صحيح مسلم بن الحجاج بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د.ت. .

٣٩- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، تصحيح أدوارد سخو ، مطبعة ليدن ، (١٣٣٢هـ) .

٤٠- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار ، الهمذاني العطار ، تحـ : د. أشرف محمود فؤاد طلعت ، طبع الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - جدة ، ط١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .

٤١- غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري ، طبعة برجتراسر ، ط٢ (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) .

٤٢- غيث النفع في القراءات السبع ، علي النوري الصفاقسي ، بهامش سراج القارئ المبتدئ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط٣ (١٢٧٣هـ-١٩٥٤م) .

٤٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار المؤيد - الرياض ، ط١ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .

٤٤- الفريد في إعراب القرآن المجيد ، المنتجب حسين بن أبي العز الهمداني ، دار الثقافة - الدوحة ، ط١ (١٤١١هـ-١٩٩١م) .

٤٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، تحـ : د. يوسف البقاعي ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) .

٤٦- القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، الشيخ محمد فهد خاروف ، مراجعة الشيخ محمد كريم راجح ، مكتبة المهاجر - دمشق ، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .

٤٧- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ، د. محمد بن عمر بن سالم بازمول ، دار الهجرة - الرياض ، ط١ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .

٤٨- القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .

٤٩- القراءات وأثرها في علوم العربية ، د. محمد سالم محيسن ، دار الجيل - بيروت ، ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م) .

٥٠- الكامل في اللغة والأدب ، محمد بن يزيد المبرد ، مؤسسة المعارف - بيروت ، د.ت. .

٥١- الكتاب ، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان ، تحـ : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط٣ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

٥٢- الكشاف ، محمود بن عمر الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت ، ط١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .

٥٣- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحـ : د. محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ (١٤٢٠هـ-١٩٨١م) .

٥٤- لطائف الإشارات لفنون القراءات ، شهاب الدين القسطلاني ، تحـ : الشيخ عامر السيد عثمان ، والدكتور عبد الصبور شاهين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (لجنة إحياء التراث الإسلامي) ١٣٩٢هـ .

٥٥- لمحات في علوم القرآن ، محمد الصباغ ، بيروت ، ط١ (١٩٧٤م) .

٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، القاضي عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحـ : عبد السلام الشافي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .

٥٧- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة ، تحـ : طيار آلتي قولاج ، دار صادر - بيروت ، (١٣٩٥هـ) .

٥٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تحـ : محمد أحمد جاد المولى وزملائه ، دار الفكر ، بلا .

٥٩- المستنير في تخريج القراءات المتواترة ، د. محمد سالم محيسن ، دار الجيل - بيروت ، ط١ (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) .

٦٠- معاني القرآن الكريم ، الإمام أبو جعفر النحاس ، تحـ : محمد علي الصابوني ، طبع جامعة أم القرى ، ط١ (١٩٨٨م) .

٦١- معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، تحـ : عبد الجليل عبده الشلبي ، عالم الكتب ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

٦٢- معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب - بيروت ، ط٣ (١٤٠١هـ-١٩٨١م) .

٦٣- معاني النحو ، أ. د. فاضل السامرائي ، دار الحكمة - بغداد ، د.ت. .

٦٤- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، اعتنى بطبعه د. محمد عوض مرعب ، والآنسة فاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .

٦٥- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، شمس الدين الذهبي ، تحـ : بشار عواد معروف ، وشعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

٦٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تحـ : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر - بيروت ، ط٥ (١٩٧٩م) .

٦٧- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ، د. محمد سالم محيسن ، دار الجيل - بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ، ط٣ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

٦٨- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٩٨٨م) .

٦٩- منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، محمد بن محمد بن الجزري ، اعتنى به علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد - المملكة العربية السعودية ، ط١ (١٤١٩هـ) .

٧٠- من قضايا القرآن ، أ. د. إسماعيل أحمد الطحان ، مكتبة الأقصى - قطر ، ط؟ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م) .

٧١- الموضح في وجوه القراءات وعللها ، نصر بن علي بن محمد أبو عبد الله النحوي ، تحـ : د. عمر حمدان الكبيسي ، جدة ، ط١ (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) .

٧٢- النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد الجزري ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ت. .

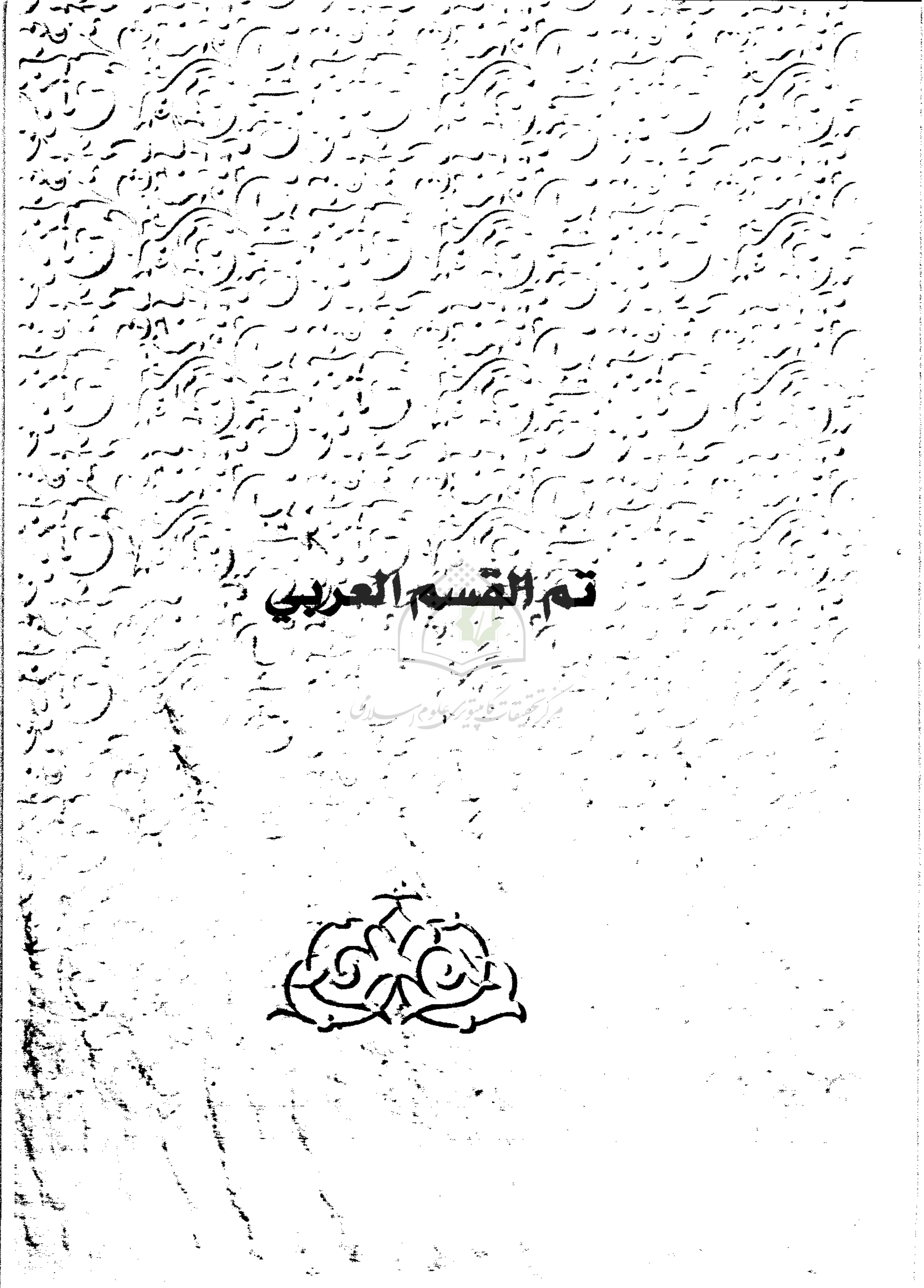
٧٣- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحـ : إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار - الزرقاء ، ط٣ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

٧٤- نظرية النحو القرآني ، أحمد مكي الأنصاري ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط١ (١٤٠٥هـ) .

٧٥- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي ، ط١ (١٤٠٢هـ) .

٧٦- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، عبد الفتاح القاضي ، طبع مكتبة الوادي - جدة ، ومكتبة الدار - المدينة المنوّرة ، ط٦ (١٩٩٥م) .

٧٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .


تم القسم العربي

Grammarians accusing reciters of Qur'aan of solecism

Yaseen Jasim al-Mohmmad*

Synopsis

The research paper begins with a description of how the different modes of recitation of Qur'aan began and the difference between recitation (qira'a) and Qur'aan along with a brief definition of the seven modes of Qur'aanic recitation.

Since some grammarians rejected certain modes of recitation which are known to be continuous (mutawatir) and whose ascription can be traced back to the Messenger of Allah, peace on him, through continuous chains of narration, the writer made an attempt to discover the reasons why they did so. He came to know that some grammarians rejected those modes of recitation simply because they did not conform to the rules they had set for themselves. So they hastened to reject those modes and accused those reciters of solecism. Another reason was that some of the grammarians were unaware of the reason behind a certain mode of recitation, a fact which led them to believe that the particular mode of recitation, though mutawatir, was a mere fancy of the reciter and, hence, prompted them to criticize the reciter of committing grammatical mistakes.

Another reason was that some grammarians knew of some current dialects or idioms but were ignorant of others. Hence they rejected those they did not know and blamed reciters for committing errors.

The researcher gives examples of grammarians of accusing reciters of solecism. He carries on his discussion in a quiet, impassioned and academic way, basing his arguments on laws of language and quoting great Arab scholars. Finally, he proved that the mode of recitation under discussion is continuous (mutawatir) and free from doubt, even though it be contrary to the principles of grammar.

The research scholar relied on more than seventy sources and reference works in writing up this research paper.

* Professor of Syntax and Morphology, Department of Arabic Language, College of Languages, San'a Uiiversity. Born in 1952 CE, got MA (1992 CE) for his thesis al-amr wan nahy inda ulema al-arabia wal usoolieeen and a doctorate from (1995 CE) for his thesis ad-dirasat an-nahvia fi tafseer ibn atia. Author of several published research papers and books.

At-tafseel fil farq baina at-tafseer wa at-taweel by Hamid bin Ali al-Amadi al-dimashqi (d. 1171 AH)

Dr. Hazim Sa'eed Yunus al-Bayati *

Synopsis

This old manuscript relates to Qur'aanic exegesis. It is small of volume but great of benefit. I have been looking for it since long till I came across two copies of it, by grace of Allah.

The manuscript contains a summary of the views of scholars and commentators of Qur'aan regarding the difference between tafseer and taweel, an important subject very often discussed by the commentators of Qur'aan.

The author, Hamid bin Ali al-Amadi , the chief judge of Damascus and also the son of a judge, rose to eminence in the twelfth hijra century. He assembled in his book the views of his predecessors and enumerated their views lucidly and objectively, neither dilating nor contracting too much.

It is now our turn to blow the dust off the treatise, and after having made a critical study of the treatise according to the established rules of research, present it to research scholars and students.

Academic works derive their importance and value from novelty of contents. This treatise is, likewise, valuable and important since only a few books have been written on this subject. It is a second link in the chain, next to Ibn Taimiya's treatise, al-ikleel, on the subject. Moreover, it lists sources readings. In view of all these merits, it deserves publication.

• Assistant Professor, College of Training, Ajman University of Science and Technology, Ajman. Born (1951 CE), obtained MA in Syntax and Morphology (1987 CE), doctorate in Syntax and Language (1994 CE) with distinction for his thesis: marwiyat Shamr bin Hamdaveeh al-lughawia.

Al-bay'yinaat fi bayaan ba'dh-il-aayaat by Mulla Ali al-Qaari (d. 1014 AH)

Dr. Ayaada bin Ayub al-Kubaisi*

Synopsis

In this fine treatise Mulla Ali al-Qaari expounds some of the phrases and expressions relating to the Signs of the Hour (the Last Day) occurring in Baidhawi's commentary on Qur'aan entitled anwaar-ul-tanzeel. The scholar begins his treatise, as was his wont, by mentioning the author's name and sobriquet and his father's name. Then he expounds and comments on the text, discussing topics relating to jurisprudence, usool, Qur'aanic exegesis, Traditions, modes of recitation of al-Qur'aan, grammar, etc. while, at the same time, making his own useful inquiries expressive of his interest in the Traditions relating to the Signs of the Hour, the subject of his treatise.

By grace of Allah, I found two copies of this treatise and, in view of its value in the field of Qur'aanic studies, on the one hand, and its benefit to the general public, on the other, I undertook a critical study of this treatise and supplemented it with a brief introduction about this famous scholar and his several books and exegetical treatises.

* Participating professor of Qur'aanic sciences, College of Islamic and Arabic Studies, Dubai. Born (1366 AH/1946 CE), obtained doctorate from College of Shariah, Umm-ul-Qura University, Mecca, with distinction (1407/1987 CE) on his thesis, a critical study of Ibn Abi Haatim al-Raazi's commentary on the Qur'aanic chapters of 'The Spoils' and 'The Repentance'. Author of several research papers already published.

Necklaces of carnelian: Mar'i bin Yusuf al-Karami's commentary on Qur'aanic verse (verily, Allah enjoineth justice and kindness...)

Dr. Abdul-Hakeeem al-Anees*

Synopsis

This research paper is a critical study of a useful manuscript written by al-Allama Mar'i bin Yusuf al-Karami al-Maqdasi al-Hanbali (d. 1023 AH). The manuscript is a commentary on a verse of Qur'aan described as the pivot or axis of al-Qur'aan. The verse is: Verily, Allah enjoineth justice and kindness and giving to kinsfolk (The Bee: verse 90).

The author, al-Allama Mar'I, did a wonderful job by writing a commentary on it, explaining its meaning, reminding us of the instructions therein, and bringing into focus its contents and its message and the noble moral lessons contained therein.

The present research study, which is based on three copies of the manuscript has strictly followed the traditional methodologies of research. It begins with a brief life-sketch of the author and then takes up things that specifically relate to the verse itself like the historical background of its revelation, its significance to the Messenger of Allah, peace on him, and his companions, when the verse was revealed, its rhetorical excellence, the sermons delivered on it from pulpits and the various commentaries of scholars on the verse.

Finally, the research deals with the contents of the manuscript, its title, verification of its ascription to the author and the sources from which the manuscript has been retrieved, the date of its compilation, its valuable effects, its duplicate copies, and the process of its publication.

We pray to Allah to orient our hearts towards a study of His book and give us sincerity and rightness of conduct and grace us with His acceptance.

*Senior Researcher at House of Research for Islamic Studies and Heritage Revival. Born 1385 AH/1965 CE. Obtained MA in exegesis and Qur'aanic sciences (1413 AH/1993 CE) and, later, a Ph. D. (1416 AH/1995 CE). His doctoral thesis was "a critical study of Ibn Hajar al-Asqalani's al-ujab fi bayan al-asbab: asbab an-nuzool". Moreover, he has several published research works to his credit.

*Senior Researcher at House of Research for Islamic Studies and Heritage Revival. Born 1385 AH/1965 CE. Obtained MA in exegesis and Qur'aanic sciences (1413 AH/1993 CE) and, later, a Ph. D. (1416 AH/1995 CE). His doctoral thesis was "a critical study of Ibn Hajar al-Asqalani's al-ujab fi bayan al-asbab: asbab an-nuzool". Moreover, he has several published research works to his credit.

Making Qur'aan easy in the tongue of Mohammad, peace on him: an analytical, objective study

Dr. Abdo bin Ali al-Haj Mohammad al-Hariri*

Synopsis

The research is an attempt to understand anew the meaning of the statement: al-Qur'aan has been made easy in the tongue of the Messenger of Allah.

The commentators of Qur'aan are almost unanimous that the meaning of Qur'aan having been made easy is that it has been revealed in the Arabic language, the language of the Messenger of Allah, peace on him. But the researcher studied the verses which speak of the easiness of Qur'aan in a generalized way as well as the verses which speak of the easiness in a restricted way, that is, the verses which say that it is easy because it is in the tongue of the Messenger of Allah, peace on him.

This analytical study was followed by an objective study. So the scholar brought the generalized statement of Allah (And in truth We have made the Qur'aan easy to remember, but is there any that remembereth?) into relation with the restricted statement of Allah (and We make (this Scripture) easy in thy tongue). Consequently, the meaning of the two statements became: And We make (this Scripture) easy in thy tongue, O Mohammad, only that thou mayst bear good tidings therewith unto those who ward off (evil) and warn therewith the froward folk, but is there any that remembereth?

Finally, the study takes up the various aspects of the easiness of Qur'aan. Those various aspects total eleven in number, as is evident from the research paper.

We pray to Allah to bestow on us the right understanding of Qur'aan and sincerity of purpose.

* Professor of tafseer and Qur'aanic sciences, College of Training, Amran branch, San'a university. Born in 1959 CE, got MA from College of Islamic Sciences, Baghdad university (1993 CE) and doctorate (1999 CE) on his thesis mawadi al-iqtiran fil Qur'aan baina ismillahi ta'ala wa ar-rasoolMohammad sal-lal-laho alaihi wa sallam fil masa'il al-itiqadia: an analytical and objective study.

Divisions and sub-divisions of Qur'aan

Prof .Dr Ghanem Qudoori al-Hamd*

Synopsis

Any reciter of Qur'aan knows that the Holy Book is divided into sections called manazil (plural of manzil which, literally, means a stopping place). These sections help one who has set for oneself the reciting of a specified part one's daily routine. So if a person wants to read the whole of it in a single month, he reads one part (juz') of the thirty parts every day. If he wants to read more or less than that, it is also possible by means of the various divisions (hizb, manzil, etc) of Qur'aan. Similarly, if he wants to memorize the whole of it in one year, he can do so, guided by the same divisions and sections of Qur'aan.

Anyhow, the reciter of Qur'aan my well ask how and when these divisions and sections and sub-sections originated. What were the principles underlying these divisions? Furthermore, the inquirer into this subject is bewildered when he finds the varying sizes of a quarter of hizb in different parts of Qur'aan. (An hizb is the sixtieth part of Qur'aan or one-half of a juz'). An hizb is normally sub-divided into four parts but we find that sometimes one-fourth of a hizb consists of fifty lines and, at other times, only half that size or even less.

As I read books dealing with this question and perused the various copies of Qur'aan, I discovered many aspects of this subject and decided to write down what I gathered and present them to those who are interested in this subject, especially those attached to institutes, universities and publishing houses.

I hope the findings of my inquiry, hitherto unknown to scribes and publishers of Qur'aan, will interest scholars of Qur'aan and provide them with food for thought.

*Prof. of Arabic language and Qur'aanic Sciences, College of Training, Tikrit University, Salahudin District, Iraq. Born 1370 AH/1950 CE, earned a Master's degree from Dar-ul-Uloom, Cairo University (1976 CE) and a doctorate from college of Arts, Baghdad University (1985 CE), his thesis for the former being 'linguistic and historical study of the script of Qur'aan' and for the latter 'at-tajweed: phonetic studies'.

Al-misbah fil farq baina al-dhaad and al-zaa' by Abul-Abbas Ahad bin Had bin Abil-Qasim al-Harrani (d.618 AH)

Prof. Dr Hatim Saleh al-Dhamin*

Synopsis

The manuscript, entitled al-misbah fil farq baina al-dhaad wa al-zaa' fil Qur'aan al-azeez nazman wa nathran dicusses the difference between al-dhaad and al-zaa' both in verse and prose.

The author says that he noted the usool of the letter al-zaa' as it occurs in Qur'aan and found that there are thirty-two usool which he describes in four couplets and that, before writing those four couplets, he wrote ten couplets in which he pointed out how those two letters are articulated, that is, what organs of speech are used to articulate them. Since his four couplets were haphazard and did not tally with the sequence of their occurrence in Qur'aan, he tried to bring it in conformity with Qur'aan. So he first explained the thirty-two usool and then composed them in fifty-four verses. Then he ended his book with two couplets describing eight usool of the letter al-zaa' and eight usool of the letter al-dhaad. We do not know much about the life of the author but we do know that his book was taught in 618 AH from which we can infer that he belonged to the seventh century hijri. We hope that the publication of the manuscript may elicit from scholars some more information about his life.

*Professor of Higher Studies, College of Islamic and Arabic Studies, Dubai. Born (1938 CE), got doctorate in Language from College of Arts, Bagdad University (1977 CE). Promoted to professorship (1989 CE). Author of about eighty compilations and over one hundred research works.

Disagreement over a juz' between Yahya bin Adam and al-Ulaimi al-Ansari by Hibatullah al-Baghdadi (d.. 536 AH)

Dr. Ammar Umayya al-Dood*

Synopsis

Fourteen centuries have passed since the revelation of Qur'aan. Yet the Book of Allah is still the same, fresh now as then, recited the same way today as it was fourteen hundred years ago. Time has not aged it. It is as fresh as ever. Qur'aan is timeless for Allah, the Lofty, said: (verily, We, even We, reveal the Reminder, and verily, We verily are its Guardian). —al-Qur'aan 15: 9

It is this very divine protection that has helped keep a valuable manuscript of old safe from the vagaries of time and which we are going to present today to those who have committed the whole of Qur'aan to memory and those who are devoted to a study of the various modes of its recitation. It is the manuscript written by Hibatullah bin Ahmad bin Abdullah bin Ta'oos al-Baghdadi (d. 536 AH) about the disagreement between the disciples of Yahya bin Adam and those of al-Ulaimi al-Ansari'. The subject of the treatise relates to the principles and modes of recitation of Qur'aan. He singled out his subject, basing it on what he learnt from his father, from the ten different modes narrated from the disciples of Yahya bin Adam and Yahya bin Mohaammd al-Ulaimi who, in turn, derived their modes of recitation from the teachings of Abu Bakr Shoba who, in his turn, narrated from Asim.

The manuscript is a rare and rich heritage owing to the novelty of its subject and non-availability of its duplicates. Bibliographies rarely mention it and few scholars ever wrote about the merits of this luminary. So I decided to give it my utmost attention and brought it before the public.

*Deputy Director of Manuscripts section, Jum'a al-Majid Centre for Culture and Heritage, Dubai. Born (1963 CE), obtained MA (1996 CE) and doctorate (1999 CE) in Arabic language and literature for his thesis al-mustaneer fil qira'at al-ashr li ibn riswar al-baghdadi d. 496 AH: a critical study.

• member of teaching staff, Law College, Bahrain University. Born in Mosul, Iraq (1947 CE), obtained doctorate from Law College, Cairo University (1397 AH/1978 CE). Author of 25 published research papers on subjects relating to financial transactions.

Grammarians' stand regarding desinential inflection of Qur'aanic verses

Dr. Abdullah bin Uwaiqal al-Salami*

Synopsis

The research deals with the attempts of grammarians at rationalizing the desinential inflection of some Qur'aanic verses and shows their uneasiness when these verses come in conflict with the clear rules of Arabic grammar, forcing some of them to seek pretexts and even express doubts about the mode of recitation and the ability of the reciters themselves.

The research also states clearly the reasons behind their attitude.

Finally, the research concludes that rules of grammar should not be formulated independently of Qur'aan but they should rather be made to conform to the standard set by Qur'aan. The research also calls for a re-study of a number of issues of Qur'aanic grammar and its phrases without the logic of exposition and the philosophy of affectation so that its characteristics can be comprehended and it is made to serve as a foundation for making rules of grammar, an axis around which the grammatical study revolves, rather a source from which the rules of grammar are derived, a source having precedence over all others.

* Assistant Professor, Dept of Syntax, Morphology and Philology, College of Arabic Language, Al Malek Abdul Aziz University, Jeddah. Born at Mecca (al-Kaamil district) in (1963 CE), obtained doctorate from the afore-mentioned college in (1996 CE) with the rank of First Honour on his thesis, al-uqood al-johariya fi hull mushkil al-azhariya: diraasatan wa tahqeeqan.

survives. The *ummah* is going through horrors. Will the *ummah* cling to the Book of Allah to ride over the tempestuous waves that seem to sweep away every thing before them.

But clinging to Qur'aan should be intellligent and profound. Only very careful and minute study of Qur'aan can ensure success and survival. It should be understood and accepted as an arbiter and referee. Iyaas bin Mu'awia, a notable *tabiyee*, observed: those who read Qur'aan but do not know its tafseer are like those who receive a letter from their king but, having no lamp, cannot understand what is written therein and are, therefore, filled with fear. But those who do know the tafseer are like those who have a lamp and read what is there in the book.

Back to Qur'aan, o *umma* of al-Qur'aan, back to its vast spaces, its illuminating lights, its guidance, its overwhelming bliss, its dew and its cool shades, its illuminated path, its just imperatives.

I hope that the ministries of *auqaf* in the Muslim world will adopt this method, arrange such gatherings, and charge the religious scholars and devout and learned commentators of Qur'aan to spread the sciences of Qur'aan. How fine it will be if there is in every town in one or more than one mosque where people can gather and listen to commentary on Qur'aan. Those commentaries should also be broadcast through audio-visual media to spread its light far and wide. This is our least obligation to the Book of Allah.

Let us remember what Mohammad bin Jareer al-Tabaari said: I wonder at the person who reads Qur'aan but does not know its taweel. How can he enjoy its reading? .

Let us begin from this ramadan reading and understanding it.

Al-Ahmadia is delighted to devote this issue to research papers on Qur'aan, earnestly hoping that Allah will grace with His acceptance its service to His book.

Praise be to Allah ever and His blessings on the foremost preacher, our lord Mohammad and his kinsfolk and his companions.

Dr Abdul-Hakeem al-Anees
Editor in Chief

commentary on Qur'aan in al-Zahir mosque, al-Husainia, outsiside Cairo, after twenty and odd years. May Allah help me to complete it again and enlarge the benefit Amen. Then I began the commentary again on Friday, the fifteenth of the month. I began with *al-fatiha* (the opening chapter of Qur'aaan), seeking be blessedness of ramadan, especially the fifteenth day of that sacred month because it is said that the revelation of Qur'aan began on the twenty-fourth of the month. I would mostly benefit by *al-kashshaf, tafseer al-Baidhavi*, and *al-nahar* by Abi Hayyan, in addition to what Allah inspired me with the hadeeths and biographies I remembered.

8. al-Allama, commnetator, preacher, Mohyi-ud-deen Mohammad bin Ibraheem al-Naksari (d. 901 AH).

Tashakbari Zada said about him: he used to preach in Aya Sofia mosque and in al-Sultan Mohammad Khan mosque in Istanbul, alternately. The king Bay-azeed Khan would come to Aya Sofia mosque.to listen to his commentary on Qur'aan. When he completed his commentary in Aya Sofia mosque, he said: to the people: I prayed to Allah to give me respite till I complete the commentary on Qur'aan. Perhaps I will die after that. Then he prayed to Allah, the Glorious and the Lofty, to make him die as a faithful believer. The people said amen. He went back to his house, fell ill and died. May Allah have mercy on him.

9. al-sheikh, commentator and preacher, Mohammad Mutawalli al-Sheravi (d. 1419 AH).

He is the most famous commentator of contemporary times. Allah gave him knowledge and understanding and the ability to simplify matters. He satisfied the clergy and the laity alike. He began his commentary on Qur'aan in several mosques in Cairo and other cities and perhaps he reached the twenty-eighth part of it. His commentary had a resounding echo, which attracted a wide audience. His listeners were drawn from different classes. But the sheikh never called it tafseer but rather called it *ideas*.

Ibn Abbas said, while commenting on the verse (**He giveth wisdom unto whom He will, and he unto whom wisdom is given, he truly hath received abundant good**.)-Qur'aan:The Cow: 269: wisdom is knowledge of al-Qur'aan, its abrogator and the abrogated, its clear and its allegorical, its muqaddam and its mu'akh'khar, the permissible and the forbidden, and the likes.

Abu Darda' said: wisdom is the reading of Qur'aan and contemplating its meaning.

Mujahid bin Jabr (d.100 AH) said: the right understanding of Qur'aan.

Qatada bin Da'ama (. 117 AH) said: al-Qur'aan and its understanding.

How much we need this wisdom, the light that comes with Qur'aan. We should cling to it. Qur'aan is the strong rope of Allah; whoso holds to it

The students of al-Imam Ibn-ul-Jozi related from their revered teacher what makes two more examples:

4.Mohammad bin Abi al-Qasim al-Khidhar al-Harrani, jurist, preacher and the sheikh of Harran (d. 622 AH).

Born in Harran, went to Baghdad in pursuit of knowledge, clung to Abu Faraj and studied his books and especially his book *zad-ul- maseer fi ilm at-tafseer* profoundly and carefully and returned to his country. Then he began to teach, preach and compile books. He also began his commentary on Qur'aan every morning at Harran in 588 AH, continued doing so till he completed the whole of Qur'aan five times over, the last commentary ending in 610 AH. The number of years he spent in this noble work totalled twenty-three. He said this in his book "first Commentary". He wrote many books including *al-taf-seer ul-kabeer* in several volumes. It is a good commentary.

5. Mohammad bin Adul-Wahhab al-Ansari al-Dimashqi, originally al -Shirazi, Ibn ul-Hanbali (d. 652 AH).

He acquired knowledge from Abul Faraj bin al-Jozi, learnt by heart a lot of hadeeths, studied tafseer. He went to Egypt and from there to Andalus (Spain) in 651AH and preached in the mosques there. Then he returned to Sabta, went to Azmoor and from there to Morocco, preaching all the way. He began his discourse with tafseer after a sermon and prayer, a few words about saintly men and a few words from the writings and lectures of Ibn-ul-Jozi. He concluded his talk with narrations from lives of devout and learned men. His gatherings were continuous. He would begin today where he had left yesterday. His speech was perfect, preceded by good introductory remarks. Though he would mix up commentary on Qur'aan with other things also but, in so far as he opened his discourse with a commentary on Qur'aan, he is classed under this category.

6. al-Allama al-sheikh Ahmad bin Abdul-Haleem ibn Taimiya al-Harrani al-Dimashqi (d. 728 AH).

His father died when was twenty-one years old. He took a number of positions and taught at al-Sakria *dar-ul-hadeeth* in early 683 AH. Later, he succeeded his father as a commentator of Qur'aan, delivering his lectures from the pulpit of the mosque every Friday. What he said from his memory would fill up two or more booklets. Ibn Rajab said in *al-Zail* that his Friday commentary on the Qur'aanic chapter of Noah continued for several years.

7. al-Imam, commentator, al-hafiz, historian, man of letters, Ibraaheem bin Omar al-Baqa'i (d. 885 AH).

He completed his commentary on Qur'aan in the sittings in al-Zahir mosque in Husainia, then outside Cairo, and he mentioned this in his history *izhar-ul-asr*. He said: on Friday, the eighteenth of Ramadan, 860 AH, I completed the

When he returned in 480 AH, he again held a gathering but could not complete his talk on the Divine Attributes. He began commenting rapidly, commenting on about ten verses in every sitting. His aim was to complete the commentary in his lifetime. But he could not. He died when he reached the verse (**say: it is tremendous tidings, whence you turn away!**)- al-Qur'aan: *saad*:verses 67-68.

Mohmmad bin Tahir al-Hafiz said: I heard our sheikh, al-Ansari, saying: when I comment on Qur'aan, I base my commentary on one hundred and seven commentaries.

2. al-Imam al-Hafiz, jurist, man of letters and preacher Abu Bakr Mohammad bin Abi al-Muzaffar Mansoor al-Sam'aani (d. 510 AH).

His son, al-Imam al-Hafiz Abu Sa'd said: it is strange that he opened his last gathering with the words: in front of you, there is an insurmountable obstacle. Those who are burdened cannot cross it. I love to lighten myself to cross the obstacle).

In that gathering, he had reached the verse (**This day I perfected your religion for you**)-al-Qur'aan:The Table Spread: verse 3.

He died after that. He was only forty-three years old.

3.al-Imam, commentator, al-Hafiz, jurist, preacher, Abul-Faraj ibn-ul -Jozi al –Baghdadi (d. 597 AH).

He would lecture at gatherings which became very famous and useful to every one. In those gatherings he devoted to commentaries on Qur'aan and completed its readings. He says in his history *al-muntazim* narrating the events of the year 570 AH (he was sixty years old then): on Saturday, 17 Jumada I, I finished my commentary on Qur'aan from the pulpit and then prostrated on the pulpit in gratitude to Allah. I said: I do not know if any preacher commented on the whole of Qur'aan in a gathering devoted to preaching ever since the revelation of Qur'aan. Praise be to Allah, the Generous. Then I started from the beginning of Qur'aan. I continued commenting systematically and sequentially. Allah is Able to bestow His blessings fully and more so, a token of His generosity.

Its date ends in the year 574 AH but we do not know whether he completed this commentary on Qur'aan or not. If he did , then when? He did not tell us how long it took him to complete the first commentary so that we could estimate the time by means of that. The sheikh lived long after that: twenty-eight years, but he spent five years in exile in Wasit.

His statement that he did not know of any preacher who interpreted the whole of Qur'aan in his gatherings devoted to preaching only was due to the fact that perhaps he did not know what had been said about al-sheikh Abdullah al-Ansari al-Haravi or perhaps he did not believe it to be correct. In any case, however, the first to do it is one of the two.

was al-Allama Ibn Aqeel, the grammarian (d. 769 AH), who took charge of giving lessons in tafseer in the grand mosque of al-Tolooni in Cairo after his sheikh, Abu Hayyan al-Andalusi. He completed his tafseer of Qur'aan in twenty-three years. Again, he began but he died in the course of his lectureAs for the tafseer of Qur'aan in public sittings, devoted to preaching and instruction--which is the primary aim of this editorial— scholars played a noble and distinctive role in this field, a fact which benefitted the *ummah* immensely. Such sittings were beacons of light and guidance.

The religious scholars who lectured in these sittings adopted different methods. Some of them selected a topic and discussed it at length. Others took a verse and explained the meaning of it exhaustively as has been narrated about al-Imam Abu Othman al-Sabooni al-Nispuri (d. 449 AH) who spent moths interpreting a verse. Still others took a chapter or chapters.

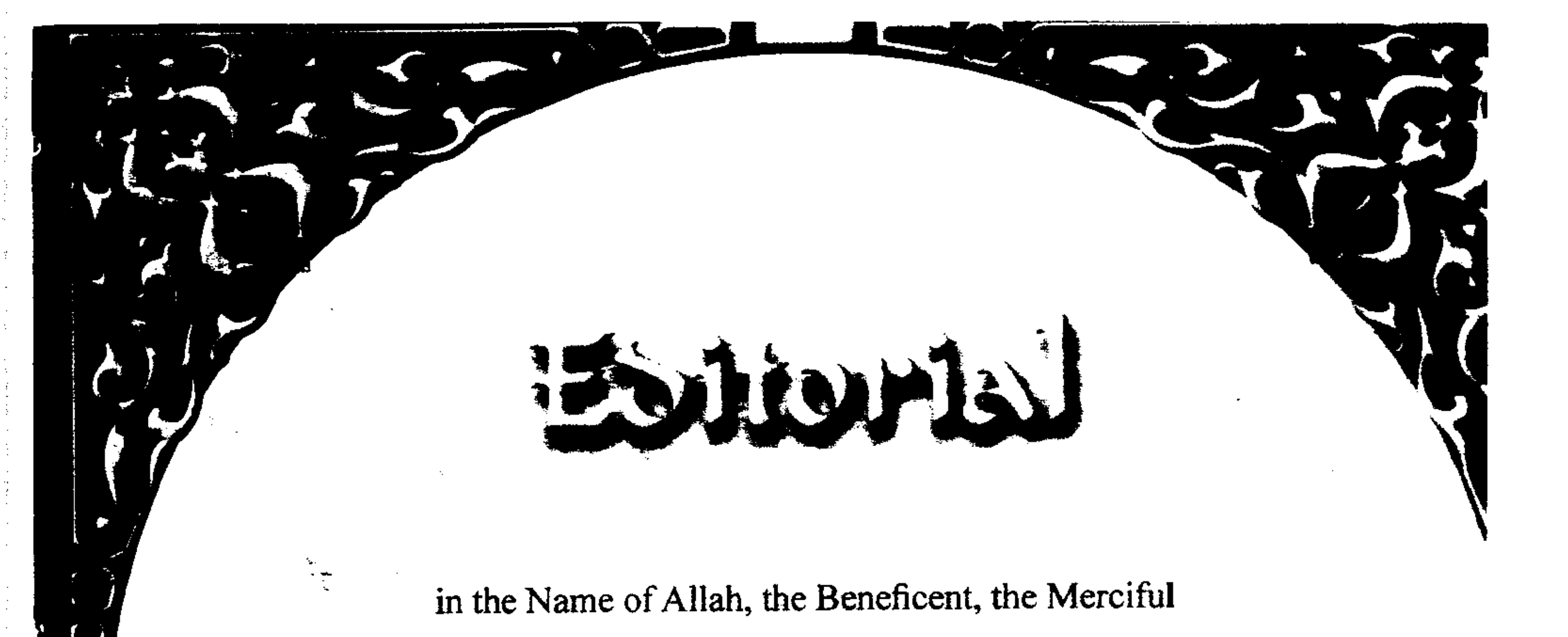
I also learnt about a number of scholars who started interpreting from the very beginning in their sittings and continued doing so till they finished Qur'aan or died before finishing it. I love to describe them here. They are:

1.the jurist, commentator, al-hafiz, the mystic, the preacher, Abdullah bin Mohammad al-Ansari al-Harawi (from Herat, Afghanistan) (d. 481 AH). He used to interpret Qur'aan in sittings devoted to remembrance of Allah. Abu Abdullah al-Husain bin Mohammad al-Harawi al-Kutabi said in his history that the sheikh, after his first affliction, began the tafseer of Qur'aan in sittings devoted to remembrance of Allah in 436 AH and began the tafseer a second time in 437 AH.

I understand from this that once he finished the tafseer, he began the second round again.

Al-Katabi, the historian, said: he used to speak most of the time on the law (al-sharia) till he came to Allah's words (**Those who believe are stauncher in their love for Allah**).-al-Qur'aan: The Cow: verse 165. He spent most of his life explaining this verse. That was the topic of many of his sittings. Likewise, it took him three hundred and sixty sittings to comment on the verse (**verily, those unto whom kindness hath gone forth before from us, they will be far removed from thence.**)-Qur'aan:The Prophets: verse 101. When he reached the verse (**the flashing of His lightning all but snatcheth away the sight**)--al-Qur'aan: The Light: verse 43, he became sightless (473 AH).

And when he reached the verse (**No soul knoweth what is kept hid for them of joy**)-al-Qur'aan: The Prostration: verse 17, he said: every attribute of Allah has within its fold hidden meanings. So he began to speak on the hidden meanings of the divine attributes till he reached the word *mumeet*. He was turned out of the country during the last affliction, *fitna*, (478 AH).



in the Name of Allah, the Beneficent, the Merciful

Spreading Qur'aan and its meaning

Praise be to Allah, the Lord of the worlds, and His blessings and peace on Mohammad, the true guide, and his kinsfolk and his companions.

The finest thing to speak about in the month of fasting is al-Qur'aan for it is in this month in which it began to be revealed and its light and its blessings diffused.

It is no easy job to speak about Qur'aan. It has so many subjects, so many dimensions and so many objectives.

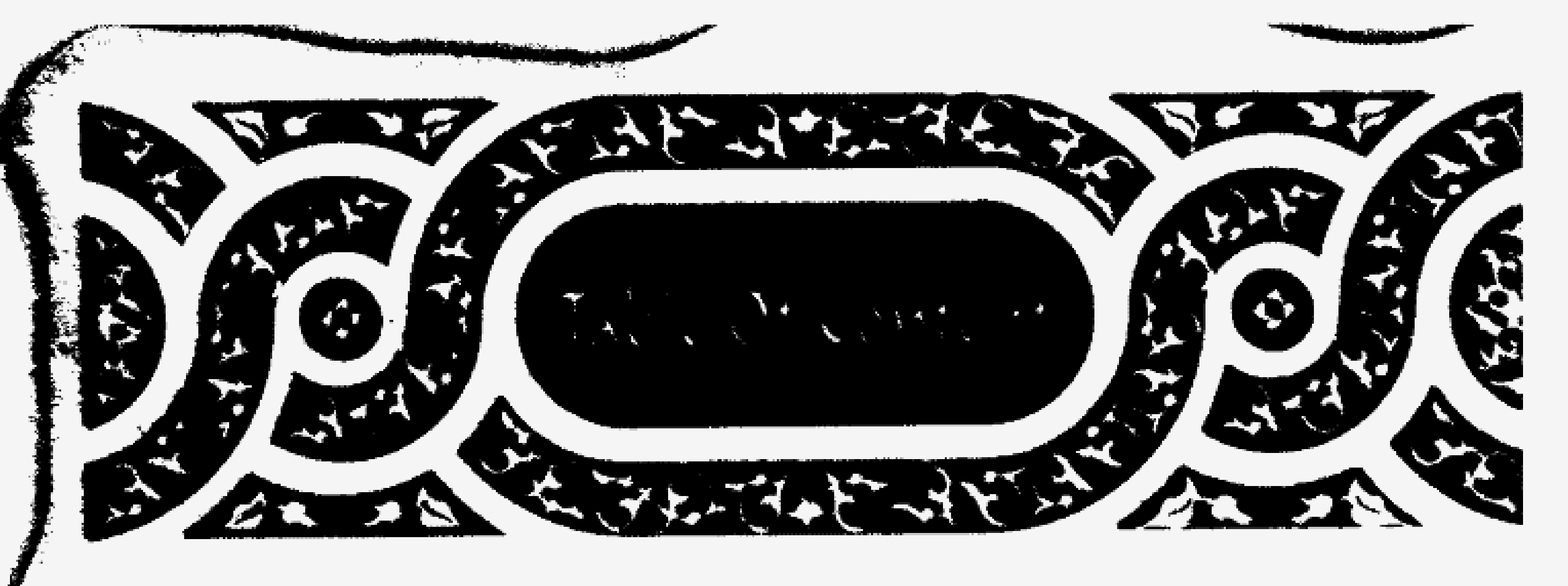
In this editorial I aim only to speak on one of its many aspects: namely, how to spread its knowledge, how to popularize its directives, how to diffuse its spirit and its imperatives, in short, how to transform our lives according to it. In this *umm*ah there have been many scholars whose contributions in the service of Qur'aan have been marvellous and who spread its sciences far and wide. That was, no doubt, in the footsteps of the great Messenger of Allah, peace on him, to whom Qur'aan was revealed and made easy in his tongue and who was charged to expound it by his word and his act.

The ways and methods by which Qur'aan and its sciences were spread are also many: by books, by dictation, by teaching and by public preaching.

As for books and compilations on the interpretation of Qur'aan, they are too many to describe. Just a look at the biographies of commeentators of Qur'aan and the bibliographies will prove the vastness of the work done in this field. Equally great is the work done in the field of teaching. And it should be noted that this work is very important since it relates to a special class, that of learners. In this regard, let us mention al-Akhfash (d. 207 AH), al-Farra' (d. 207 AH), al-Zujaj (d. 3[illegible] AH), who dictated to their students the meanings of Qur'aan, and the scholar-litterateur Omar bin Othman al-Janzi (d. 550 AH) who began to dictate his commentary which, it is said, had it been completed would be matchless.

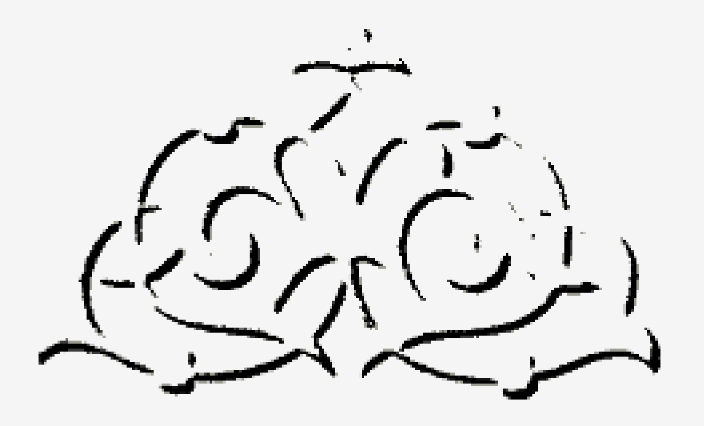
Mention should also be made of the chief judge of as-Sham, Yunus bin Badran al-Misri al-Dimashqi (d. 623 AH) who taught tafseer of Qur'aan in al-Adlia school. When he had completed the tafseer, he died. Similar to him







All correspondence should be addressed To :
Managing editor of AL. Ahmadiyah Journal,
Reseach House For Islamic Studies and Heritage Revival
P. O. Box 25171 Dubai U . A . E
Teleph : 04 - 3456808 . Fax : 04-3453299



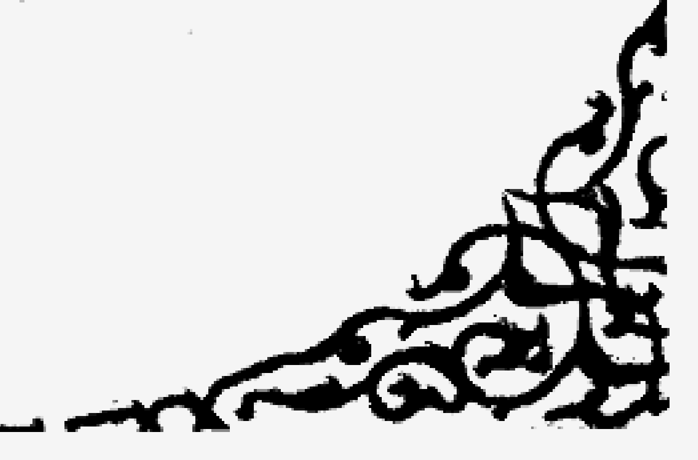
* Copy Price : U . A . E (10 Dirhams), Saudi Arabia (10 Riyals), Kuwait (800 Fils), Qatar (10 Riyals) , Bahrain (800 Fils) , Uman (500 Pesos) . Egypt (4 Pounds) . Syria (50 Liras) , Lebanon (2000 Liras) , Jordan (1 Dinar) , Yemen (70 Riyals) , Sudan (75 Dinars), Morocco (20 Dirhams) , Algeria (25 Dinars) , Tunisia (1 Dinar) , Outside Arab Countries (the Equivalent of 2 U. S. Dollars). Outside theArab countries (the Equivalent of 2 US $)

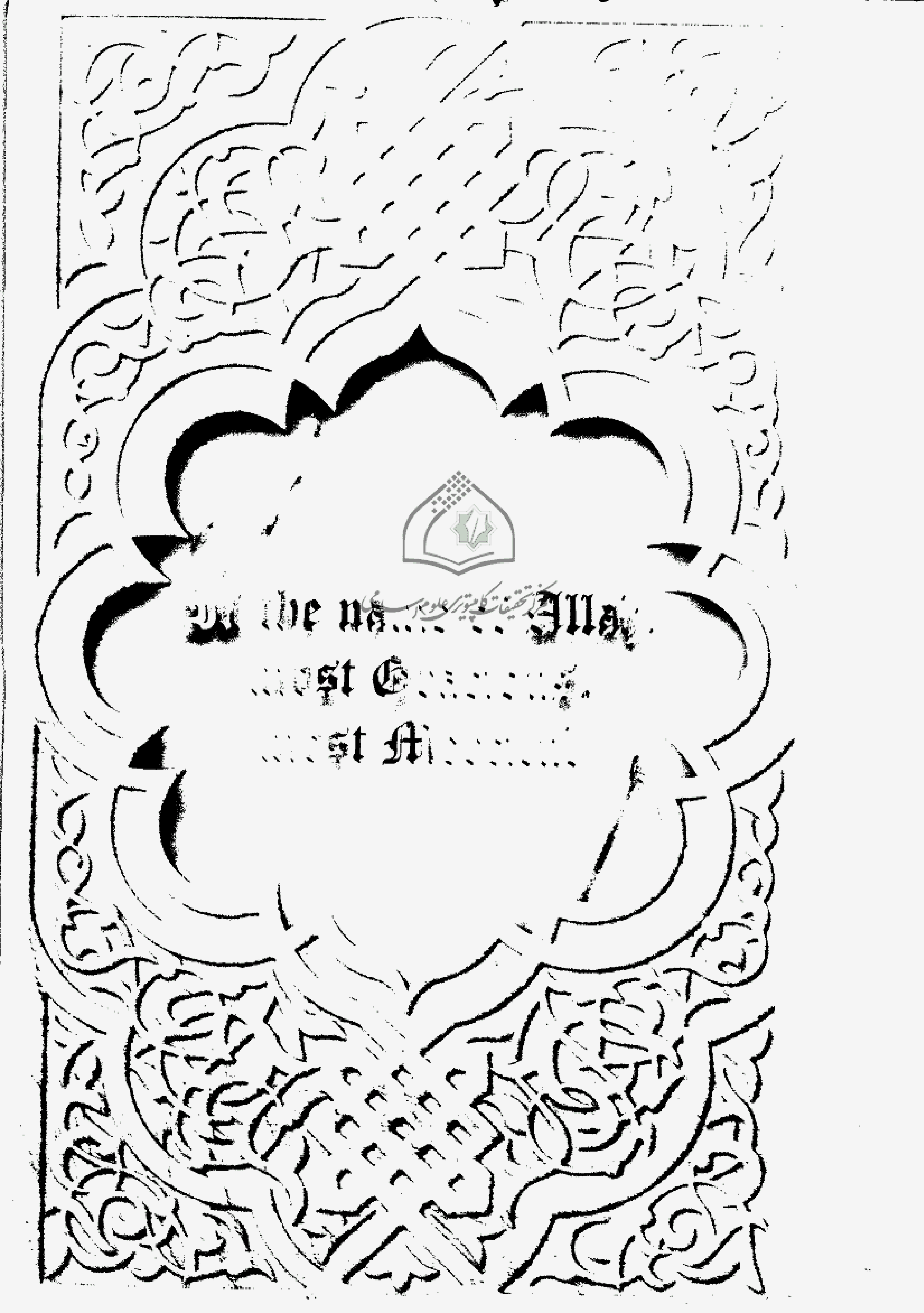
* Annual Subscription : U. A. E (30 Dhs) Arab & Islamic Countries (the Equivalent of U.A.E 100 Dhs) . Outside Arab Countries (45 US $).

Publishing Rules

The Journal is concerned with publishing the learned researches and heritage verifications according to the following rules.

1- Only original, previously unpublished articles will be admitted. Articles sent to be published elsewhere will not be admitted. If a contribution is accepted to be published in al-Ahmadiyah. It should not be published elsewhere, until one year, at least, had elapsed after publication.
2- The research work should not be derived from any other research study or treatise through which a researcher has acquired an Academic Degree.
3- The size of the contribution should not exceed 60 pages.
4- The research work should be genuine in its theme, method, presentation, language and sources. It should be consistent with its title, free from the inessentials. thoroughly authenticated and with adherence to punctuation rules and the requirements of the academic works.
5- Reference to the source's page number should be placed as footnotes.
6- Footnotes should be numbered page by page throughout the text.
7- References in the footnotes as well as in the index of sources should start with the title of the book, then the author's name.
8- In the footnotes, the publication information should not be mentioned unless the author is refering to more than one publication for the same book.
9- Priority should be given to al-Hijri calender.
10- Non-Arabic proper names should be written in Arabic. then in their original language within parentheses if the author wishes to.
11- All references should be listed at the end of the paper, alphabetically arranged according to the title of the reference.
12- Manuscripts and illustrations should appear in their proper location in the text.
13- Arabic and English resumé of the topic in about 100 words should be submitted by contributor.
14- A precise C.V. of the author should be provided.
15- Contributions should be typed or hand-written clearly, thoroughly checked, and only the original copy should be submitted.
16- Contributions are not to be returned to their authors whether published or not.
17- A note will be sent to the authors after the reception of their contributions .
18- Arrangement of the articles in the journal is subject to technical censideration.
19- Twenty off-prints in addition to three copies of the issue in which the contribution is published, will be sent to the author, plus a reward in money.







Issue No. 15 Ramadan - 1424 A.H / October 2003 A.D



Academic Refereed Journal

For Islamic Studies And Heritage Revival